نفح فيض الإمام الختم



أثاره من معين السيرة النقيه لشيخ العصبة الهاشمية

السيد :محمد أبو الفتوح العربي رضي الله عنه وأرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا }[١]

صدق الله العظيم

مقـــدمة

استمنح الله رضوانه ، وعونه ، واستهديه بسراجه الهادى بإذنه سيدنا محمد – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – مستجيراً به ، لائذاً بجنابه ، مستفتحاً ، ومتيمناً بالصدور ، التى أَجَمَلَ بها " سَمَّار الحضرة "[٢] جُلَّ خُطَبِه ، مستعيراً لسان حضرته ، فأقول وبالله التوفيق :

---

(١) طه : ١١٢ ، ١١٣ . والهضم : هو نقصان بعض الحق . بينما الظلم : يكون فى الحق كله . قال تعالى { فلا يخاف ظلماً ولا هضما } ، وقيل في تفسير الوسيط : أي : ومن يعمل في دنياه الأعمال الصالحات ، وهو مع ذلك مؤمن بكل ما يجب الإيمان به ، فإنه في هذه الحالة (لا يخاف ظلما) ينزل به ، ولا يخاف (هضما) لشيئ من حقوقه أو ثوابه ، وفى تفسير القرطبى : أي فهو لا يخاف ، أو فإنه لا يخاف (ظلماً) أي نقصاً لثواب طاعته ، ولا زيادة عليه في سيئاته . (ولا هضماً) بالانتقاص من حقه ، والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الهضم كله ، والهضم المنع من بعضه ، وفي تفسير البغوى : وقال الحسن : لاينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيئ . وقال الضحاك : لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها. وفى تفسير القرطبى : (قرآنا عربيا) أي بلغة العرب ، (وصرفنا فيه من الوعيد) أي بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب .(لعلهم يتقون) أي يخافون الله فيجتنبون معاصيه ، ويحذرون عقابه . (أو يحدث لهم ذكرا) أي موعظة ، وقال قتادة : حذرا وورعا ، وقيل : شرفاً ، فالذكر ها هنا بمعنى الشرف ، كقوله : { وإنه لذكر لك ولقومك } الزخرف: ٤٤.

(٢) "سَمَّار الحضرة" هو أحد ألقاب السواد الأعظم ، العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ـ رضى الله عنه وأرضاه ، وهو وصى ، وصنو ، وحبيب ، إمامنا العربى صاحب السيرة ، والقائم على دعوته بإذنه .

الحمد لله الكبير المتعال ، وأشكره شكر الذاعن الفار من نفسه إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إسلاما ، وإيمانا ، ويقينا ، تلقينا كما أمر ، شهادة أتحقق بها ، وأشهر إفراد الأحدية ، وأجول بها فى سماء الموحدين المنزهين الحق عن الزمان والمكان ، شهادة قالها العبد فقالته ، إلهاً واحداً ، ورباً شاهداً ، ونحن له عابدون ، تعالى ـ جَلَّ وعَلا ـ عن الند ، والمشاركة ، والمشاكلة ، والبين ، والأين ، والفين ، لا يندرج فيه شيئ ، ولا يتصل به شيئ ، لا عرش يقله ، ولا سماء يظله ، كان فى الأزل ولم يزل ، كان الله ولا شيئ معه ، وهو على ما عليه كان ، قوله لايرد بنيانه لا يهد ، سلطانه لايحد ، وهو قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوَّاً أحد .

وأشهد أن الحبيب الأعظم ، والرسول الأكرم ، والجمال المتمم ، النور الذى ما خلفه مرمى، النور الممدود فى البشر المشهود ، ظل الحضرة ، وموضع النظرة ، حال الله المطلق ، اللا موصول ولا مفصول ، من كان من الله حيث أراد الله ؛ { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى }(١) ، وشَقَّ له من اسمه ليَجِلَّه ، فذو العرش محمود وهذا محمد ، مَنْ أضاف الله اسمه لاسمه ، أعظم خلق الله على الإطلاق ، شيخ الأنبياء ، وأستاذ المرسلين ، أول العابدين ، الذى عَبَدَ الله من حيث لا خلا ولاملا { قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ }(٢) ، سماء سموات التعيين ، القبضة الأصلية، صاحب الطلعة البهية ، صاحب الرُتَب العلية ، أبو القاسم صاحب الأعياد والمواسم ، العبد الكلى الربّانى المطلق ، الآخذ بلا كم ، المتصرف بالكم ، العم الجم ، نور بصائر العارفين ، أول قابل لتجليات الله ، الطود الأشم الذى لايصدعه التجلى الذاتى ، مرآة الحسن التى أنجلى فيها كل اسم صفاتى ، سماء السماوات ، وأرض إشراق وجه الذات ، درة الكنز ، القابض على دروب الوحى، كعبة الحمد ، وعرش المحامد محمد ، أحمد من حَمَدَ وحُمِدَ عند ربه ، محمد الظاهر ، ومحمود الباطن ، مَنْ اسمه محمد ، وصفته عبد الله ، وكنيته أبو القاسم ـ صلى الله عليه .

وعلى آله خير آل لخير نبى ، عَرْف طه الذكى ، جبال الدين ، وأعمدة اليقين ، أهل القيادة والسيادة والريادة ، ساسة الأمم ، سَدَنَة الحرم ، مصدر

(١) النجم : ١١ .

(٢) الزخرف : ٨١ .

الكرم ، أولياء النعم ، موطن الرحمات ، والبركات ، ونصف التحيات ، درر الآيات ، الغايات ، منْ أتاحوا لكل حِب كل ميقات ، وطابت بأريج أنفاسهم الأوقات ، ولولا أنفاسهم لنَتِنَ ما بين الأرض والسماوات ، الثقل الأعظم ، عدول القرآن ، ينابيع الفرقان ، محل نظر الله من خلقه ، الرحمة الممدة المستمدة ، أهل حم ، أهل هلْ أتى ، أهل الكسا ، نبت العُلا ، وخير الملا ، خيرعترة من أعظم زهرة ، وخير زهرة من أعظم شجرة : " ما بالكم بشجرة أنا أصلها ، وعلى لقاحها ، وفاطمة فرعها ، والحسن والحسين ثمارها".

وعلى الورثة المحمديين ، وعلى أصحابه أجمعين ، وعلى الراشدين من جاء فى حقهم الخبر اليقين : " من أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين ، ومن أحسن القول فى عمر فقد وَضَّحَ السبيل ، ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها " ، وعلى سندى الذى عنه إيجازى بالبرق الحجازى، وعلى سائر أهل الله ، وعلينا وعليكم بإحسان إلى يوم الدين[١] .

أما بعد

بداية ، يُعَد التأليف فى سِيَر الرجال ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ـ ضرورة دينية ، ومطلب تربوى يقف من خلاله أبناء الأمة على بيان شمائل ، وسلوكيات ، وتوجيهات أصحاب السِيَر ، فيقتدون ، ويهتدون .

وما أحوجنا فى هذا الزمان إلى أن يقرأ النشء الغض سِيَر هؤلاء الرجال ، يستنشق أريج شمائلهم ، ويتملى من بديع أوصافهم ، فتغرس فيهم بذور المحبة ، وتجسد أمامهم المثل والقدوة ، وتشرئب إليهم نفوسهم ، وتتعلق بهم آمالهم ، وتمتلئ حناياهم بالحنين إليهم ، حتى يتَمَكَّن حب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ في قلوب سَكَنَ فيها هؤلاء الرجال، وهو الغاية المنشودة من تلك السِيَر .

ولمَّا كان شرف العلم بشرف المعلوم ، كانت مصنفات سِيَرالرجال من أجل المصنفات شأناً، وأعظمها منزلة ، وأكرمها موضوعاً ، وأجملها أخبارا .

ولم يزل هؤلاء الرجال باقين في الأمة ، أولها كآخرها ، يضيئون طريقها ، ويداوون جراحها ، ويدفعون عنها أعداءها ، فأَطَلَّ علينا رابع القرون

---

(١) تم تجميعها من صدور خطب " السواد الأعظم " ،مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ـ رضى الله عنه ـ التي أودع فيها ـ بإيجاز ـ مجامع عقيدة ، ومعالم طريق العصبة الهاشمية .

الخيرية[١]، بصاحب تلك السيرة النقية ، وختم الولاية المحمدية ، شيخ العصبة الهاشمية ، والسدنة العلوية ، والساسة الحسنية الحسينية ، الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه :

فسماء حيدر أمطرت بإمامنا * بل كل زمان قد تمنى زماننا[٢] .

أعثرنا الله ـ جلَّ وعلا ـ ببركة خير الورى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على كنز الآل ، ابن أبيه ، وسره الذى فيه ، يتيمة عقد الزمان ، الذى جاء فى آخر دورات الكيان ، وقَدَّمَه فضله على الأفاضل والأقران ، ولا غرو في تفضيل المتأخر عن المتقدم ، يقول أحدهم[٣] :

فقد أَخَّرَ الله النبى محمدا * وقَدَّمَه فى رُتْبَة المدح والذكر

وينشأ شيخى قائلاً[٤] :

ختمت لعقد المرسلين بأحمد * كذاك بالعربى ختم الولاية

محمدنا العربى ما جاء قبله * يتيمة عقد قد خفت في الهوية

---

(١) قال السيوطى فى الخصائص الكبرى ١٧٩/٣ :" أخرج ابن جرير فى (كتاب السنة) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" إن الله اختار أصحابى على جميع العالمين ، سوى النبيين والمرسلين ، واختار من أصحابى أربعة : أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا فجعلهم خير أصحابى ، وفى أصحابى كلهم خير ، واختار أمتى على سائر الأمم ، واختار من أمتى أربعة قرون : القرن الأول ، والثانى ، والثالث تترى ، والقرن الرابع فرداً " ، نقلاً عن : الإمام على بن محمد الأجهورى المالكى (ت ١٠٦٦ هـ) ، شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية ، الجزء الثانى – تحقيق إبراهيم ربيع محمد - و منى شحاتة حسن – مراجعة الدكتور / على جمعة محمد – صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مركز السيرة والسنة - القاهرة : ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م ، هامش ص ٣٥٧ ، ومعنى تترى : تتواتر ، ويتبع بعضهم بعضا إلا ان بين كل واحد وبين الآخر مهلة ، وقال غيره : المواترة التتابع بغير مهلة ، وحسبى أن القرن الرابع الفرد هو القرن الذى نحَّاه الله وعزله عن القرون الثلاثة الأولى المتتابعة ، وقد ادَّخَرَه لختم الولاية المحمدية ، ولم افتئت ، بل لا جناح علىَّ إن رجحت ظنى أنه القرن الرابع عشر أو الخامس عشر من الهجرة النبوية ، بوصفهما القرنين اللذين أظلا مدة ظهور إمامنا العربى في تلك الدار إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى (١٣٥٥ ـ ١٤٠٥ هـ) .

(٢) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، ديوانه " اللطائف السنية في مدح خير البرية " ، قصيدة بعنوان" شكر اليد التي كان عنها المد " ، ص ٤٨ .

(٣) أبو المواهب ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م ، نقلاً عن: محمد إبراهيم سالم ، النخبة الجامع .

(٤) السواد الأعظم ، مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، ديوانه باسم " الدر الأسنى في التوسل بأسماء الله الحسنى" قصيدة : " القوقامية " في التوسل بالسادات ، ص ١٠٦ ـ ١٢٧ .

وكم كنت أتمنى السَبق بالكتابة عن سيرة إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ قبل أن يمنَّ الله علىَّ بكتاب أسميته " السواد الأعظم " عن سيرة شيخى العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ ؛ إذ عهدته آثراً إمامنا العربى على نفسه ، فأحببت أن أردفه ، إلا أنى تواريت بالحجاب ، وأخرت خطواتى عن طى ذاك الوادى ؛ لأسباب منها : استعظامى هذا الأمر ، ومهابة حُرْمَته ، فمنْ أكون حتى امتطى بقلمى بساط إمامنا العربى؟ .

ولئن كان الولى لا يُزار إلا بإذنه ، فإن تناول سيرة ختم الأولياء ، وسيدهم أولى وأحق بذاك الإذن ، فآثرت السلامة ، وكففت يدى حتى يأذن الله .

ناهيك عن قصور معلوماتى عن مواطن سيرة إمامنا ، إلا هامشاً منها ، وأثارة من علم ، وبقِىَ متن سيرته ، وجُلَّ علمه عزيزاً عن استطالتى ، فما وسعنى إلا أن أنحى جانباً ، لأفسح المجال لأهله .

وظل عزمى في أداء واجبى تجاهه صادقاً ، وابتغائى قضاء نذر يسير من حقه علىَّ قائما ، وبعد طول انتظار ، ومرور ما يقرب من أربعة عقود على انتقال إمامنا العربى ، وشعورى بقرب الأجل ـ يَسَّرَ الله لىَّ سُبُل جمع هذا المصنف ـ بما لم يكن في الحسبان ـ وأوقفنى على معالم ذاك البيان ، وفى درب السالكين إلى الله : "علامة الأذن الإلهى التيسير" ، وفى الدعاء المأثور عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا "[١] .

فاستبشرت خيراً ، ويممت قصدى ، ووجهت وجهى ، وشرعت فيما انتويت ، وكان لا بُدَّ مما ليس منه بُدَّ ، فلم تكن الكتابة عن هذا الجهبذ بملكى ، إنما بفضل وتوفيق من مليكى[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٩٧٤) ، وابن السنى في " عمل اليوم والليلة " (٣٥١) ، والبيهقى في " الدعوات الكبير " (٣٦٦) ، انظر : الفتوحات الربانية ، (٤/٢٥) .

(٢) يشار إلى أن أحد أحباب العصبة الهاشمية ـ شريف النسب ـ رأى رؤيتين : الأولى للسيدة فاطمة الزهراء ـ عليها سلام الله ـ تأمره بإبلاغى ما معناه : " أن كتاب السواد الأعظم تم التصديق عليه من أهل الحضرة ـ بدءاً من السيدة آمنة بنت وهب ـ عليها السلام ـ وكل العترة النبوية ـ وأنه مطلوب منى عمل كتاب للشيخ العربى لأنه قد هضم حقه ، وأن حرباً شرسة ستشن علىَّ بسببه ، لكن سيف الله عليهم ، وأنها وأهل البيت معى " ، والثانية لسيدنا الإمام العربى ـ رضى الله عنه ـ يقول له فيها ما معناه : " قول لمحمد الشحات أنت عملت كتاب للحاج أحمد أبو الحسن ، فلتعمل لى أنا كتاب مثله " ، والحجة على الرائى ، وما

ورأيتنى أمسك بقلمى ، أسطر صفحات من سيرة تلك الشخصية الربانية ، التي ختم الله بها الولاية المحمدية ، فوجدته ـ رغم رفعة شأنه ـ ممسكاً عن الدلالة على مرتبته ، أومقامه ، أوعلى نسبه الشريف ، أو أهله ونشأته ، ضاناً حتى باسمه إلا مضطراً ، أو لضرورة ملحة ، يقدرها بقدرها ، غامضاً عينه عن سياحته ، وخلوته ، ودوره الاجتماعى ، والوطنى ، وعن فضله ، وعلمه ومعارفه اللدنية ، هاضماً في عظمة ذات الحق ذاته بالكلية ، متواضعاً إلى خلق الله بعز الطوية ، موقناً أن كل ما عنده من علم ، وفضل هو محض فضل الله عليه ، لا بفضل نفسه ، ذلك الخُلق الحميد والجوهر اللطيف ، الذى هو أخص شيم المؤمنين المتقين ، وأفضل عبوديَّة للقِلَّة من عباده المقربين ، وقد غفل عنها الكثير ، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : " إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة ، التواضع "[١] .

وأَلْفَيتَه يقول : " لا أروم فتحاً ، ولا أرغب فى ولايات ، ولا أرى أنى ولى ، كل غايتى أن أكون عبداً لذاته " ، وفى موضع آخريقول : " ما جئت مصر لكى أكون عالما ، إنما جئت لأخذ حسنة من أهل بيت النبى " ، وملاك الأمر فيه ، قوله :" أنا من العباد الذين سيرهم الله بيده لنفسه لا لغيره " .

ولمَّا وردتُ سِيرَته النقية ، وقفت على ساحلها ، وأدليت دلوى في غيابة جبه ، ووجدتنى استقى قطرات من مواطن هضم الذات للإمام الختم ، أرفعها في

كان منى إلا التصديق ، والامتثال لما كلفت به ، ، وبعد أن شرعت في التنفيذ ـ وتصديقاً لتلك الرؤى ـ تواصل معى أخ آخر من أبناء العصبة الهاشمية ليزف إلىَّ بشرى ؛ إذ قص لى رؤية رآها ـ في بداية تعلقه بالعصبة الهاشمية ـ شاهد فيها إمامنا العربى يقظة ـ حسب قوله ـ فقال له :" لم يبق غير ورقة واحدة أعطيناها لمحمد الشحات " ، وقد أوَّلها ـ آنذاك ـ بأنى سوف أكتب كتاباً عن سيرة إمامنا العربى ، وبالطبع ، لم يكن الرائى على علم ـ هو أو غيره ـ بأمر الرؤيتين السالفتين ، أو أنى شرعت بالفعل في كتاب إمامنا العربى ، حيث لم أخبر بذلك أحداً حتى مثول الكتاب للطباعة . وقد استبشرت بتلك الرؤيات أيما بشارة ، وزاد فخرى بذكر اسمى ، وتخصيصى بهذا التكليف الذى فيه جم التشريف ، وفى الحديث عن السيدة عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" لا يبقى بعدى من النبوة شيئ إلا المبشرات ، قالوا : يا رسول الله ، وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل ، أو تُرى له " أخرجه أحمد (٢٤٩٧٧) واللفظ له ، والدارقطنى في " المؤتلف والمختلف " (١/١٧٧) ، والبيهقى في " شعب الإيمان " (٤٧٥٠)

(١) الأمالى المطلقة لابن حجر العسقلانى ، تحقيق : حمدى عبد المجيد السلفى (٩٦/١) .

كأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزَفُون ، وبذا ، اشتقَّقت عنوان الكتاب ، فاسميته " رفع هضم الإمام الختم "(١).

ومن نافلة القول ، أن ما ورد بالكتاب لا يحيط بجم سيرته ، وإنما هي حثيات قليلات مما أتيح للباحث رشفه من معينها ، وإن شئت فقل : " أثارة من معين السيرة النقية لشيخ العصبة الهاشمية ، السيد محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه" ، وبهذا ، أكملت العنوان .

ورغم العثورعلى بعض المطبوعات ، التي تناولت قطوف من أقوال إمامنا العربى إلا أن الكتاب الماثل " رفع هضم الإمام الختم " ـ يُعد باكورة الكتب التي تتناول سيرة إمامنا العربى بشيئ من التفصيل ، فضلاً عن تطرقه إلى ما سبقه من مطبوعات ، بحسب الحاجة ، وموضعها من الكتاب(٢) .

وقد تطلعت من خلال هذا الكتاب إلى إلقاء الضوء على ما خفى من جوانب صاحب السيرة ، مع اعترافى بأن جميع ما انطوى عليه لايلمس إلا صدفات من جوهرإمامنا المصون ، وما هي إلا اجتهادات ، ترنو إلى بلوغ الغايات ، وهيهات هيهات ، فارجو من الله ـ عز وجل ـ أن يصَوِّبَ اجتهادى .

وجهدت في إخراج الكتاب بأفضل صورة ممكنة ، فقمت بنقل الآيات القرآنية بالرسم العثمانى من المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم ؛ احترازاً من الوقوع فى خطأ الضبط بالشكل ، فكلام الله ـ عز وجل ـ أحق بالعناية ، والرعاية ، أما الأحاديث الشريفة فقد خَرَّجتها من المصادر الموثوقة ، وذكرت الكتاب ، والباب ، والرقم ـ ما أُتيح ـ كما تم ضبط وتشكيل ما يشتبه من الألفاظ ، والمواضع ، والأسماء حسب ما ورد في المعاجم اللغوية .

ودرءاً للإطالة ـ استعضت عن اسم صاحب السيرة ـ الإمام محمد أبو الفتوح العربى بلفظ "إمامنا" ، وعن اسم شيخى ـ العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن بلفظ "السواد الأعظم" ، بوصفهما أكثر الأسماء تكراراً على مدار تلك السيرة .

---

(١) وقد حبذت تلك التسمية تيمناً بقول السيدة فاطمة الزهراء عن إمامنا العربى أنه " هضم نفسه ، أو هضم حقه " ، كما سلف الإشارة إليه في الهامش قبل السابق .

(٢) من هذه المطبوعات : فيوض السواد الأعظم في قصائده الزاخرة بأحاديثه عن إمامنا ، وصيغ الصلوات على سيد السادات ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسماه " الصلوات العرشية " ، وكتيب " أوراد وأذكار فتوحية عن فيح تجليات عليَّة ، ومؤانسات قدسية " بقلم السيدة / كريمة العربى، وكتيب " العصبة الهاشمية ، ونهج سبيلى " بقلم الشيخ / جابرعبد المنعم .

ولا ادعى أن أكون بهذا قد أرضيت طموحى ، أو بلغت غاية القارئ من تلك السيرة ، وإنما هي مجرد بداية تحتاج إلى جهد إضافى من الأحباب الصادقين ،

لاستكمال ما بدأته ، والوصول به إلى الغاية المنشودة ، وتلك هي مسئوليتنا جميعا .

وصادفت الدراسة بعض الصعوبات أهمها إحساسى بثقل المسئولية ، وخطر المهمة ، فمن الصعوبة بمكان تناول جميع جوانب هذه الشخصية الربانية الفذة ، ومحاولة فهم تلك التجربة الصوفية النادرة ، وأبعادها المختلفة ، ناهيك عن الغوص في أعماقها ، كما لاقت الدراسة صعوبة أخرى متمثلة في ندرة المصادر ، والمراجع العلمية المنشورة ، التي تُستَقى منها مادتها ، فضلاً عن صعوبة استطالة مخطوطات أمالى صاحب السيرة ، فإدراكها كان بعيد المنال ، بل يُعَد ضرباً من ضروب الخيال .

وقد اعتمدت المنهج الاستقرائى الخاص في دراسة الحالة ، مستعيناً بما سمعته من أقوال صاحب السيرة مشافهة ، أو منقولة ، أو مسجلة ، أو من دلَّال أرضه ، ونجم سمائه ، العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، أو بما استقصيته من روايات ومشاهدات الثقاة من أحبابه ، أو اقتبسته من كتاباتهم عبر وسائط التواصل الاجتماعى بعد التحقق من صحة ما جاء فيها ، فضلاً عن الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ، وأُمَّات كتب التراث ، والمأثورعن السلف الصالح ، وأقوال أهل الله المعاصرين صاحب السيرة .

وتحَرَّر المقصود بتقسيم الكتاب إلى مقدمة ، وأربعة أبواب : الباب الأول ـ تم تقسيمه إلى فصلين ، الأول في اسمه ، ووصفه ، وصفته ، ونسبه الشريف ، والثانى في نشأته ، وسياحته ، وخلوته ، وأسرته ، ثم مزاراته في بداياته ، والباب الثانى ـ في فصلين ، الأول في العصبة الهاشمية عقيدة ، ونهج ، والأوراد والأذكار الفتوحية، والثانى في دوره الاجتماعى ، والوطنى ، وإقامة مسجد ، وساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ، والباب الثالث ـ في فصلين ، الأول في مقامات الأولياء والمرتبة الختمية، والرد على منكريها ، والثانى في الختم العربى ، وشواهد ذلك ، والباب الرابع ـ فى فصلين ، الأول في علوم الختم ، ومعارفه ، والثانى في كراماته ، ومحنته ، ووفاته ، وضريحه ، ونختم بذكر بعض من مناجاته ، وحكمه ، ونصائحه ، كما تم تقسيم الفصول إلى مباحث ، والمباحث

إلى مطالب - إن كان لذلك وجه ، و ذُيِلَ الكتاب بفهرس الموضوعات والصفحات ؛ تيسراً على القراء الأعزاء .

تم جمع هذا المصنف - بفضل الله وتوفيقه - في يوم الخميس الموافق الأول من شهر محرم عام ألف وأربعمائة وأربعين واثنين من الهجرة النبوية (١٤٤٢/١/١هـ)، العشرين من شهر أغسطس عام ألفين وعشرين من الميلاد (٢٠٢٠/٨/٢٠م) .

وأعيد طبعه في الأول من جماد الأولى عام ١٤٤٥هـ الموافق ٢٠٢٣/١١/١٥م

والله أسأل السداد والقبول ، فهو نعم المولى ، ونعم النصير

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، وأستاذ المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب الأول

{ اسمه ، وصفته ، ونسبه ، ونشأته ، ومزاراته }

استهل هذا الباب بذكر اسم ، وكُنى ، وألقاب صاحب السيرة ، وألمح إلى شيئ من أوصافه ، وصفاته لتقريب الصورة ، ثم أشجر نسبه الشريف من جهتى الأب ، والأم إلى جده أصل الشجرة الطَّهُورة ، وذلك في الفصل الأول .

بينما اتطرق فى الفصل الثانى إلى الحديث عن نشأته ، وسياحته ، وخلوته ، وأسرته ، ومزاراته في بداياته ،

على النحو التالى

الفصل الأول

{ اسمه ، وصفته ، ونسبه الشريف }

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين : الأول ـ اسمه ، وصفته، والثانى ـ ذكر نسبه الشريف ، على النحو التالى

المبحث الأول
اسمه ، وصفته
المطلب الأول
اسمه ، وكنياته ، وألقابه

أولاً ـ اسمه :

هوالسيد/ محمد بن السيد /على بن السيد / السيد سليمان بن السيد / إدريس بن السيد / العفيفى الحسنى أباً ، الحسينى أماً ، وأدرجت الاسم كاملاً فى المبحث التالى الخاص بنسبه الشريف ـ رضى الله عنه وأرضاه .

ثانياً ـ كُنْياته :

اكتنى إمامنا العربى بكُنى كثيرة ، اخترت منها : أبو صفية ، وأبو الفتوح ، وأبو ضمضم زمانه ، وسنشير بإيجاز إلى كل منها على حده :
بداية ، كُنْيَة "أبو صفية " : نسبة إلى صفيته ، وكريمته الكبرى السيدة / صفية ، وشاعت هذه الكنية فى بداية حياته ؛ تسهيلاً لمناداته ، واحتراماً لمكانته ، بعد أن ضن إمامنا باسمه عن الخلق هضماً لنفسه ، ووفاءً لعهده ، ولم يصرح به إلا اضطراراً ـ كما سيأتى ـ فهو عبد ذاتى ، مضنون به عمن سواه . كما تشير هذه الكنية إلى ما حَلَّاه الله به من مجامع الصفاء ، والتصفية، والاصطفاء ، رضوان الله عليه .
أما كُنيَة " أبو الفتوح " : فقد اشتهرت بعد ذلك ، ولازمت اسمه إلى يومنا هذا ، فقد فتح الله عليه بفتوحات ربانية بيِّنة ، وكرامات واضحة جليَّة ، وعلوم لدنية جليلة ، وأسرار باطنية عجيبة ، وبركات عميمة .
وقد نجد لهذه الكنية تأصيلاً آخر ، يقصه لنا السواد الأعظم عن بداية اتصاله بإمامنا العربى، والتى جاء فيها : " بينما كنت نائماً فى عيادة طبيب عيون بأسوان ، مرافقاً لعمتى المريضة رأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسألته عن صحة بعض الأحاديث النبوية ، وأجابنى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها بكل فصاحة ، وملاحة ، ثم سألته بلسان قلبى ، وأنا بين يديه : بأبى أنت وأمى يارسول الله متى الفتح ؟ فأومأ ـ صلى الله عليه وسلم ـ براحته الشريفة مشيراً إلى قرية الكلح ، فانطوى الزمان والمكان ، وتلاشت المبانى والبيوت ، ورأيت

دار الإمام العربى مفتوحاً على مصراعيه ، ويقف على باب الدار الرسول المختار ، وبجواره الشيخ العربى إلى آخر القصة"(١) .

والشاهد من تلك القصة ، أن إمامنا العربى ـ وبحق ـ هو باب الفتوح ، الذى أومأ إليه حضرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للسواد الأعظم ، كما كان كذلك لكل من سأل الله الفتح بإخلاص نية، فهو أبوالفتوح ، والفتوحات .

وأخيراً ، كُنيَة " أبو ضمضم زمانه " : التي تضمنها حديثه مع ربيبه ، وخادم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم ، إذ يقول فيه إمامنا : " وإنى فيكم اليوم يا جابر كأبى ضمضم هذا في زماننا هذا"(٢).

وقد ورد في كتاب عمل اليوم ، والليلة لابن السني بإسناده ، وعن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله ؟ قال: كان إذا أصبح قال : اللهم إني وهبت نفسي وعرضي لك ، فلا يشتم من شتمه ، ولا يظلم من ظلمه ، ولا يضرب من ضربه" ، قلت: معناه لا يقتص ممن ظلمه ، كما قال الله تعالى: { فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ }(٣) .

---

(١) لمزيد من تفصيلات تلك القصة انظر: مؤلفنا "السواد الأعظم" ، ص٦٦ ، ٦٧ .

(٢) يروى الشيخ جابر عبد المنعم قصة هذه الكنية فيقول : " أبو ضمضم هذا كان أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكان فقيرا لايملك من حطام الدنيا شيئا فقال ـ صلى الله عليه وسلم – ذات مرة – لأصحابه { أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبى ضمضم } ، وكان قد دعاهم سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وحثهم على الصدقة على فقراء أمته ، وأبو ضمضم هذا كان فقيرا لا يملك شيئا ، فالتمس في بيته البسيط المتواضع صدقة من دراهم ، أو دنانير فما وجد شيئا ، فقام وصلى ركعتين في ظلام الليل ، وقال : ياربى إن أهل الأموال تصدقوا بأموالهم ، وأهل الخيول جهزوا خيولهم ، وأهل الجمال جهزوا جمالهم ، اللهم إنه لا مال لى ولا جمال ولا خيل ، اللهم إنى أتصدق إليك بصدقة فاقبلها : اللهم كل منْ ظلمنى ، أو سبنى ، أو شتمنى ، أو اغتابنى من المسلمين فاجعلهم في عافية ، وفى حِل منى ، وفى عفو ، اللهم إنى تصدقت بعرضى لأمة حبيبك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكل منْ أساء إلىَّ جعلته في حِل منى ، ولا تدخل أحداً بسببى النار يا متفضل يا غفار ، ولا أطالب بحقى منه ، فقبل الله صدقته { إنما يتقبل الله من المتقين } .

(٣) كرامات الأولياء ومواهبهم من كتاب بستان العارفين للنووي ، عبد القادر حادوش ، ٢٠٠٩/٧/٥ م ، ص ٨ ، والآية : ١٩٤ من سورة البقرة .

ثالثاً ـ ألقابه[1]:

وأما ألقابه ـ رضى الله عنه ـ فيصعب حصرها ، وقد انتخبت منها ـ بحسب اجتهادى ـ ما استوثقت من مصادره ، سواء بسماعها مِن فِيه صاحبها ، أو مما نقله عنه ثقته ، وصنوه ، السواد الأعظم ـ مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، وغيره مِن كَمَلَة العارفين ، فهو الملقب ب : العربى ، والإمام ، وشيخ العصبة الهاشمية ، وشيخ النوادر ، وجالى المعادن ، ومحك الرجال ، وزَيَّات الحضرة المحمدية كابراً عن كابر ، وصاحب القميص راكب الجمل الأحمر ، وسابق الياء ، وهو المشار إليه بختم الأولياء ، ونشير إلى كل لقب بنُبْذَة وجيزة :

لقب "العربى": فهو السابق لجميع ألقابه ، وهو اللقب الذى اختاره إمامنا لنفسه وصادف بغيته ، فانتقاه ليُعرَف به ، وذاع بين أهل قريته مذ قدم إليها ، فلا يعرف بينهم إلا باسم " الشيخ محمد العربى " .

ويفخر إمامنا بذلك اللقب ، فيقول : " هو ابن عربى ، وأنا العربى " ، فى إشارة إلى الشيخ الأكبر سيدى محى الدين بن عربى ـ كما سيأتى[2].

كما أثبت إمامنا ذلك اللقب على مطبوع قديم له بعنوان " تبرك ودعاء " ، أملاه فى بداياته مذيلاً باسم " محمد العربى "[3] .

ويشهد الجميع أن إمامنا عربى الأصل ، والجدود ، وشيخ للعرب من طراز فريد ، قابضٌ على مجامع الأصول العربية ، مقيمٌ لقِيَّمها ، سالكٌ لفِجَاجها ، عالمٌ بدروبها وبيوتها ، ومُعَلِمٌ لتقاليدها وعاداتها .

ويكفى فخراً ، وشرفاً لهذا اللقب ما تواترت عليه الأدلة ، والنقول فى فضل العرب، منها ما رواه الحاكم ، والبيهقى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لما خلق الله الخلق اختار العرب ثم

(١) يشار إلى أن كثرة الأسماء والكنى والألقاب دليل على عظمة المسمى ، أوالمكنى بها ، أو الملقب بها ، ومدح صفاته .

(٢) راجع مبحث "شواهد المرتبة الختمية " ، الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا المؤلف .

(٣) انظر ما سيجئ ذكره عن هذا الكتيب ، مبحث " تبرك ودعاء لختم الأولياء " في الفصل الأول من الباب الرابع من هذا المؤلف .

اختار من العرب قريشا ثم اختار من قريش بنى هاشم ثم اختارنى من بنى هاشم فأنا خيرة من خيرة " .

وفى حديث آخر، أخرج الحاكم ، والطبرانى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"حب قريش إيمان ، وبغضهم كفر ، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر ، فمن أحب العرب فقد أحبنى ، ومن أبغض العرب فقد أبغضنى" .

ومن شرف هذا اللقب أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قد أشار به إلى إمامنا، ففى رؤية يقصها السيد / محمد علوى المالكى ـ من أشهرعلماء مكة ـ إذ يقول : " رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى مكة موطنى بالمنام يقول لى : " يا محمد حاجتك عند ابنى محمد العربى ، أحب أبنائى على قلبى ، وهو خيرة عترتى ، ويقيم فى صعيد مصر الأعلى بأرض الكنانة ، وعنده تُقضى الحاجات ، فاتخذه نبراسا لك ، ولمن أحبك ، أشدد الرحال إليه ، واقرئه منى السلام "[(١)] ، والشاهد أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه ـ عَرَّفَ إمامنا بلقب " العربى".

---

(١) يذكر أن السيد محمد علوى المالكى ـ رحمه الله ـ قام بزيارة إلى إمامنا العربى بالكلح بناء على رؤية شاهد فيها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له فيها ما جاء في المتن أعلاه ، وعندما حضر إلى الساحة بالكلح أخذ يتبرك بكل ما وطأه الإمام حتى لثم ترب مشى إمامنا عليه ، وكذا كل ما لمسه أوجلس عليه إمامنا من أشياء ، أو أية متعلقات له كان يقوم بشمها والتبرك بها ، وقد حظى بإذن إمامنا بالدخول عليه في خلوته ، وعند دخوله تصبب عرقاً هيبة ، غاضاً طرفه حياء من حضرته ، فباسطه إمامنا ولاطفه تهويناً عليه وعانقه طويلا ، ولما طلب أن يأخذ عن إمامنا الطريق ، وبايعه قال له إمامنا : أخى الحبيب حينما ارتحلت من أرض مكة شرفها الله وعظمها إلى أن وصلت إلى صعيد مصر إلى ساحة جدك الإمام على كرم الله وجهه قطعت أميالا وأميالا كل خطوة فى تلك الأميال شوقا لأخيك العربى فيها تجديد عهد من رشاش النور على أرض الأزل كل شوق منكم إلينا فيه بيعة مع الله ورسوله وفيه جم عطاء من رب السماء وقد أوتيت سؤلك أخى الحبيب . بل كل من نظر إليك وأنت تشد الرحال من أرض مكة إلى هاهنا اعلم أن كل من نظر إليك فى تودد سلك طريقا إلى حضرة الله جل وعلا ونال بيعة وفيما أنطق الله لسانى به كان قد نال مطلبه وأخذ ما استودعه سيد الوجود له صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو الفتح الأكبر" ، وأشار إليه إمامنا بألا ينشغل بالقدوم إليه ثانية وأن ينشغل بالدعوة في أرض الحجاز ضد الوهابية ، وعن هذه الزيارة يقول الشيخ العلوى : " حينما رأيت والله جميل طلعته الربانية هذا الإمام الذى لانظير له ما شعرت إلا وانا ارتمى على صدره معانقا وقد ذبت فى نور وشعرت أنه حينما عانقنى دخل فى وملك كل أرجائى وملأنى . وأردف قائلاً : يا طالع السعد يا طالع السعد حمد لله تعالى " .وإلى ماناله الشيخ

ومن إجلاله لخصال العُرُوبِيَّة ، يقول إمامنا : " ظاهر الرجل العربى يوازى باطن ولى لله "، ولله در القائل(١) :

تجلى تجلى وماط الخمار * وطور التجلى كمين الضمار
مسمى لجد رسول كريم * ومعناه عالى به الكل حار
وعربى صفات واسم له * كريم تجلى ببر وبار
عليه سلام كموج البحار * وذرات ترب ورمل القفار

وأما لقب : " الإمام " : فيعود إلى ما أخبر به إمامنا بأن سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قدَّمَه إماماً فى حضور جميع الأولياء .

يقول السواد لأعظم: " هذا الإمام ، الإمام العربى ، لم أسمه أنا ، أو أحبابه من باب التغالي، لا ، فقد أخبرنى شيخى الإمام العربى أن الأولياء جُمِعَت في صعيد واحد وقَدَّمَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمَّ بالأولياء كلهم ، فلو كانت من صنعتى ، أو من فرط حبى فيه ـ لقبته ب " الإمام " ، تزلزله الأحداث ، وتزلزلنى ، وتضعه في حجمه الحقيقى" .

وأفاض السواد الأعظم فى أحاديثه ، وقصائده بهذا اللقب ، الذى طغى على اسمه فأصبح لقب" الإمام" ، يعنى : إمامنا العربى ، وهو ـ بحق ـ إمام زمانه فى كل فضيلة فضيلة"(٢).

ينشأ السواد الأعظم فى قصيدة بعنوان : "عقد الجمان من مد الآل" قائلاً :

إمام الوقت والفرد المجدد * هو العربى شيخ الصالحين

وفى أخرى بعنوان " التيجان العلوية " ، يشير إليه قائلاً :

وميم بدا اسماً وحاء باسمى * وميم توأم ودال الوداد
وعين تكانا وراء ترانا * وباء بدتنا وياء الإيجاد
فهذا إمامى رجوت انضمامى * وكعبة عز حجيج القصاد

العلوى من زيارته لإمامنا العربى أنشأ السواد الأعظم قائلا: قد جاء المكى * بأمر النبى * إلى العربى * فنال القطبية .

(١) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، من قصيدة بعنوان " ألحان بكأس الآن " من ديوانه " بساتين الجنات ، ج١ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) كما عولت على هذا اللقب " إمامنا " فى الإشارة إلى صاحب السيرة ، كما نوهنا إلى ذلك في مقدمة الكتاب .

وفى صفات الإمام ، يقول سيدى محى الدين بن عربى :
إن الإمام هو المبيِّنُ شرْعَ منْ * شَرَعَ الأمور مبيِّنا لعبيده
منها الذى فى حقهم يَدرونه *وكذلك ما يختصُ فى توحيده

ويوضح سيدى محى الدين قائلاً : " هو الصادق الذى لا يمن أى : لا يكذب ، مجلى ما أحاط به العلم ، وتشكل فيه الكيف والكم ، وحلت به الأعراض ، وفُعل بالإرادات والأغراض ، وانفعلت له الأوعية المراض ، النور الباهر، وجوهر الجواهر ، يقبل الإضافات الكونية ، والاستنادات العينية ، والأوضاع الحُكمية ، والمكانات الحكمية ، رفيع المكانة ، كثير الاستكانة ، عَلَمٌ فى رأسه نار ، عبرة لأولى الأبصار ، يملى جميع ما سَطِر ، وما هو بمسيطر ، ما له وجود إلا بما يحمله، ولا يَفْصِل إلا بما يقبله ، هو المحصى لما عُلم وجُهل وفُصّل وأجمل ، لكل صورة فيه عين ، وله فى كل صورة كون يُمد ويستمد ، ويُعَدَّ له ويَعدَّ منه ، ظهرنا وإياه نُهينا وأُمرنا "(١).

وعن لقب : " شيخ العصبة الهاشمية" : يقول الإمام العربى : " من حوالى سنتين تقريباً رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام ، ومعه السيدة فاطمة الزهراء وسيدنا الإمام الحسين ، وسيدنا أبو بكر ، وسيدنا عمر ، ورفع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه الشريفتين إلى السماء ، وقال :" اللهم تهلك هذه العصابة لن تُعبد فى الأرض"، وقلت له : يارسول الله نطمع أن نكون تحت لوائك يوم القيامة ، وأنت الشفيع لنا ، فقال لىَّ : " أنت من محبينا ، وفى عصبتنا الهاشمية ، وعصبتى كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فانتبهت من المنام مسروراً ، وحدَّثت بعض الأحباب بهذه الرؤيا ، قالوا كلنا نتبرك بتبعيتنا للعصبة الهاشمية ، ومنذ ذلك التاريخ وُجِدَت عبارة العصبة الهاشمية"(٢) ، ومنذ ذلك التاريخ ـ أيضاً ـ أُطلِقَ على إمامنا لقب " شيخ العصبة الهاشمية " .

---

(١) الشيخ الأكبر سيدى محى الدين بن عربى ، الفتوحات المكية ، الباب التاسع والخمسين وخمسمائة فى معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة ، نقلاً عن : محمد إبراهيم محمد سالم ، إلى الأمام هذا شعار الإمام ، فتح أبواب الاستزادة من العلم النافع لأئمة المحققين من الرجال ،١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م ، ص ٥.

(٢) إمامنا العربى ، أقواله فى تحقيقات نيابة أمن الدولة فى واقعة القلعة عام ١٩٨٢ م ، للمزيد ، انظر: ما جاء عن هذه الواقعة فى مؤلفنا "السواد الأعظم" ، مرجع سابق ، ص٦٤ .

ولقب " شيخ النوادر" : مأخوذ من حديث إمامنا عن مقامات أهل الحضرة وأعدادهم ؛ إذ يقول ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ : " كان عدد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إلى أن انتقل آخر صحابى بعدد الأنبياء والمرسلين ، وأفضل أصحابه أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وكذا عدد أهل الحضرة في كل زمان ومكان ، والعارفين بالله فيهم بعدد أهل بدر ، ومنهم الأقطاب ، والأوتاد ، والنجباء ، والأبدال ، والغوث ، والسبع النوادر خيار أهل الحضرة ، صفوة أصفياء ، ويتربى في أحضانهم الغوث ، وتفضلاً من الله لا وجوباً عليه وأنا أستاذهم ولا فخر"(١).

و لقب : "جالى المعادن ، ومحك الرجال" : مأخوذ من قول إمامنا : " نوديت تفضلاً من المتفضل : " أنت جالى المعادن " ، والناس معادن كالذهب والفضة ، وكما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ، التى تعى نصف هذا الدين :

"إذا ما التبر حك على المحك * تبين غشه من من غير شك وفينا الغش والذهب المصفى * علىٌّ بيننا شبه المحك"(٢) .

وتفضلاً من الله تبارك وتعالى وببركة جد السلالة ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ " أنا الجالى ، والمحك للرجال . أنا الجالى والمحك للرجال"(٣).

ولقب : " زَيَّات الحضرة المحمدية كابراً عن كابر" : يجد سنده فى قول إمامنا ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، أنا زَيَّات كابراً عن كابر ، إلى إلى إلى جدى سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أما طرق سمعك قوله تعالى في كتابه:{ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ }(٤) عند الذين اجتباهم ، أي : أضاء الزيت وأنار البيت منذ فجر النشأة الأولية ، على أرض الأزل من قبيل القبل "(٥) .

---

(١) سمعته من الشيخ جابر عبد المنعم ، ربيب إمامنا وخادم ساحته .

(٢) روى أن محمداً الباقر ـ عليه السلام ـ سأل جابر بن عبد الله الأنصارى ، لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينهما وبين الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ . فقال له جابر : دخلت عليها يوماً وقلت لها : ما تقولين فى على بن أبى طالب ؟ فاطرقت رأسها ثم رفعته ، وقالت البيتين اللواردين فى المتن . نقلاً عن : الشبلنجى الشافعى ، " نور الأبصار " .

(٣) سمعته من الشيخ جابر عبد المنعم ، ربيب إمامنا وخادم ساحته .

(٤) النور : ٣٥ .

(٥) سمعته من الشيخ جابر عبد المنعم ، ربيب إمامنا وخادم ساحته .

ولقب : "صاحب القميص راكب الجمل الأحمر" : يجد تأصيله فى مشهد للسواد الأعظم عند دخوله ـ أول مرة ـ قرية السمطا ونجوعها ، لإصلاح ذات البين ، وحقن سلسال الدم ، ووقف ظاهرة الثأر فيها ؛ بأمر إمامنا العربى .

يقول السواد الأعظم : " حينما ركبت السيارة ، ووصلت على الشارع الرئيسى أمام قرية السمطا بحرى ، رأيت جملاً أحمر ، ويعتلى سنامه رجل يشع نوراً من ظهره يرتدى قميصاً ، وإذ به يلتفت إلىَّ ، فإذا بصاحب القميص راكب الجمل الأحمر شيخى سيد العارفين ، يتيمة عقد الأولياء والصالحين ، مولانا الإمام العربى ـ رضى الله عنه ـ فلوَّح لى بيده جهة السمطا ، وقال لى تارة أخرى { وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا }(١) ، وقد جعل الجاعل يفتح الله عليك ، هيا بورك فيك "(٢) .

وعن لقب " سابق الياء " : يقول إمامنا :

"تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، أنا سابق الياء"(٣).

ويوضح السواد الأعظم قائلاً : " لقد خص الله الشيخ العربى بكرامة عزيزة ، يشهد لها جميع الأحباب ، فتلَقَّبَ بأنه "سابق الياء" ، بمعنى أن الله يجيب دعوة الداعى به ، قبل أن يتم دعاه ؛ تكريماً وتأييداً ، أى : من قبل أن أقول : " يا عربى ، ألقاه" .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا

---

(١) الإسراء : ٨٠ .

(٢) انطلق مولانا الحاج أحمد أبو الحسن إلى قرية السمطا ـ مركز دشنا ، محافظة قنا ـ بأمر شيخه ، بإذن الله ورسوله ؛ إذ قال له إمامنا العربى : يا أحمد قل :{ وقل ربِ أدخلنى مُدْخَل صدق وأخرجنى مُخْرَج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصير } انطلق يفتح الله عليك ، وابدأ بالسمطا، واقم فيها ما شاء الله ، واصلح ذات البين فيها ، وانطلق منها قد أذن الله ورسوله لنا ، وأذنالك والمأذون مأمون ، شد الرحال يؤيدك الله ورسوله ، ويشيدك صفوة الرجال ، ويؤيدك ملائكة الله ، والجمع بأهل بدر ، ويؤيدك راكب الجمل الأحمر ، ولا تلتفت إلى الورا ، بل التفت إلى شمائل خير الورى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكن منى ببرق الحجاز ، الذى عنه الإيجاز ، توكل على الله وربنا ينصرك هـ . منقول عن الشيخ جابر عبد المنعم .

(٣) يقص الشيخ جابر عبد المنعم :" كان إمامنا ـ ذات مرة ـ يتلو القرآن ، فتوقف عند آية { وأما بنعمة ربك فحدث } فتلاها : فاح... حَدّث ، ف ... حدث ، وليس ف ... دس ، طالما تفضل المتفضل ، وأمطر بلطائف المنن ، من عرائس التجلى ، فزيّن بها صدور أمة حبيبك ، ثم افتخر بما جاء فى المتن بأنه سابق الياء " .

افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »[١] .

وهذه الكرامة من خصوصيات إمامنا العربى ، منَّ الله بها عليه ، وشهد بها الكثير سواء فى حياته ، أو بعد انتقاله ، فلا يستجير به مضطر إلا وأجير تواً ، من قبل أن يكمل ياء النداء ، فهو سابق الياء ، وينشأ الشيخ قائلاً :

" يا سابق للياء يا مدرك للطالب * فاغث خديماً يا سلالة غالب"

ويدعوه قائلاً : "يا سابق الياء يا مدرك مريدينك * ولا شافوا زنقة إلا هم منادينك * وحيات جدك تموتنا على دينك"

ولقب " ختم الأولياء" : يؤخذ من قول إمامنا العربى : " أبى الله إلا أن أكون خاتم الأولياء"، كما أشار السواد الأعظم إلى هذا اللقب بوضوح فى جُل أحاديثه وقصائده ، حتى طُبِعَ هذا اللقب فى قلوب الأحباب ، ورسخ فى يقينهم .

ولم يكن قول إمامنا السابق بدعاً ، أو ترفعاً ، أو تباهياً - وهو الهاضم لذاته دائما - إنما كان في حالة اضطرار ، وضرورة ، تسفر عنها ظروف ، وملابسات تلك المقولة؛ إذ نقل هذا القول عن إمامنا حال توجهه بالطائرة من أسوان إلى القاهرة ، بصحبة حراسة أمنية ، للتحقيق معه في قضية العصبة الهاشمية ، وأحداث سجن القلعة[٢] ، وبات التحدث بفضل الله عليه أمراً مقضيا .

كما لم تكن إشارات السواد الأعظم دعايةً ، أو افتئاتاً ، بل كانت ترجمة لمشاهدات روحية سامية ، مصونة من الزيغ ، أوالوهم ، أوعلماً لدنياً آتاه الله إياه ، وسوف نتتبع مرتبة الختمية ، ونسبتها إلى إمامنا العربى - بشيئ من التفصيل - فى باب مستقل[٣].

---

(١) صحيح البخارى ، الرقاق ، حديث رقم ٦٥٠٢ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

(٢) انظر ما سيرد ذكره عن هذه الأحداث ، مبحث " كراماته ومحنته "في الفصل الثانى من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٣) انظر ما سيأتى ذكره عن مرتبة الختمية ونسبتها إلى إمامنا العربى مبحث "شواهد المرتبة الختمية"" ، الفصل الثانى من الباب الثالث ، من هذا المؤلف .

وقد أفرد السواد الأعظم قصيدة طويلة عن الختم مطلعها :

أيها الختم الذى نلت المرام * ديدنوا من مدكم أهل الغرام

ويشير إلى إمامنا في قصائد كثيرة منها قوله : "يا أيها العربى * والختم الأحمدى" ، وقوله : " وختم بنيه هو ابن أبيه * ووارث لحال له الكر زاد" ، وقوله : "ختمنا العربى أبدى لنا عطاء * نلت عنه الفتح فى أنفاس قدرى" ، وقوله : "عربينا شيخ الأكابر كلهم * ختم لقد وردت به الأخبار" ، وأخيراً ، قوله :

ختم القوم أضاء بروقا * بحر الكر بموج دفوقا

جاء الحق وزهق الباطل * إن الباطل كان زهزقا

وبالختم ـ اختم حديثى عن اسمه ، وكنيته ، ولقبه ، وستقف ـ عزيزى القارئ ـ على كم من الأسماء ، والكنيات ، والألقاب الأخرى لإمامنا الجليل ، وذلك من خلال مطالعتك أبواب هذا الكتاب ـ كل فى موضعه ـ والله ولى التوفيق

المطلب الثانى

وصفه ، وصفته

إن حب الله ، ورسوله ، وآل بيته ـ صلى الله عليه وآله صحبه وسلم ـ هو فاتحة كل خير ، وخاتمته ، وفى الحديث الشريف : " أنت مع من أحببت "[١] .

وبداهة ، فإن التملى فى بديع الأوصاف ، واستنشاق أريج الصفات والشمائل ، لهو من أعظم الروافد التى تغرس الحب ، وتثبته فى قلوب النشْ ، ومن هنا جاءت أهمية عرض وصف شخصية إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وصفاته الزكية ومناقبه العلية .

أما وصف إمامنا العربى ـ رضي الله عنه ـ فهو عتدٌ من الرجال[٢]، أزهرى اللون ، وسيم ، ربعة القامة ، لو واجهته حاسرا رأيته أصلع ، لا شعر برأسه إلا من خلفه ، ذا لمة تصل إلى شحمة أذنيه ، وإذا طال زمان إرسال شعره بعدم حلقه تجد له جمة تضرب منكبيه، طَلْقُ الوجه ، متهلل الأسارير ، أجلى الجبهة ، أدعج العينين واعى الأذنين ، أقنى الأنف ، شَنِبُ الثغر والأسنان[٣]، إذا تكلم رؤى كالنور يبرق من بين ثناياه فصيح اللسان ، يكرر كلامه ليثبته لدى السامع ، ضليع الفم ، يعلوه شارب يزينه وقارا سهل الخدين ، وليس بلَّحْيَانِى[٤] ، وفى اللحى قال مولانا الشيخ أحمد رضوان : " ليست الجنة باللحى ، ولكنها لمنْ مِن

---

(١) روى البخارى (٣٦٨٨) ، ومسلم (٢٦٣٩) عن أنس ـ رضى الله عنه ـ : " أن رجلاً سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال :" وماذا اعددت لها" ؟ قال : لا شيئ ، إلا أنى أحب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم . فقال :" أنت مع من أحببت ". قال أنس : فما فرحنا بشئ ، فرحنا بقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" أنت مع من أحببت"!! قال أنس :" فأنا أُحِبَّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ". والمقصود بالمحبة هنا : المحبة الإيمانية الشرعية ، التى أمر الله بها عباده .

(٢) العتد من الرجال : الشديد التام الخلق ، والعتيد : المهيأ والحاضر ، المعجم الوجيز ، الصادر عن مجمع اللغة العربية ،طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، سنة ١٤٢٦للهجرة (٢٠٠٥م) ، ص ٤٠٥ .

(٣) الشنب : جمال الثغر ، وصفاء وبياض الأسنان ورقتها ، والمحدثون استعاروا الشنب للشارب واستعملوه فيه ، حتى تناسوا الأصل ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٥١ .

(٤) اللحيانى : طويل اللحية ، أو عظمها ، واللحية : شعر الخدين والذقن ، والذقن مجمع اللحيين من أسفلها ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٥٥٤ .

الله استحى " ، ذو ذقن مهذوبة ، وعنفقة تحلَّت بشعيرات خفيفات بارزة فى انتظام[١] ، عنقه كأنه جيد فضة ، عريض المنكبين ، أدمج عضده في ساعده إدماجاً ، مُشَاشُ كمشاش السبع الضاري[٢] ، ولله در القائل[٣] :

بانت يداه عن مشاش والج * بينونة السَّلم بكف الدالج

شثن الكفين ، يده مليئة باللحم ورءوس عظام رقيقة ، راحه كالورد نادى ، واسع الصدر ، ضخم البطن ، وهو إلى السمن ما هو ، سواء الصدر والبطن ، استطال فخذه من مفصل الورك إلى مفصل الركبة عن ساقه من الركبة إلى الكاحل ، يضرب فخذه إذا أبطا الكلاما ، وإذا مشى يمشى تكفأ ، وإلى البأس هرول شجاعة ، أغلب لباسه قميص وسروال[٤] ، وطاقية من قطن أو صوف ، وينتعل من الشباشب الخفيف .

ورأيته يجلس للطعام على هيئة جلوس جده ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفترش ساق رجله اليسرى تحت فخذها ، وينصب ساقه اليمنى ، ويقدمها للأمام قليلا ، أما شرابه فكان يمص الماء، ويشربه على ثلاثة أنفاس ، ولا يتنفس فى الإناء ، عملاً بسنة جده ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمص هو بلع الماء شيئاً فشيئا[٥] .

ونظرته ـ ذات مرة ـ وهو يأكل ، فإذا بمادة الطعام تتحول فى فمه إلى أنوار يمضغها ويلوكها بلسانه ، فغضضت بصرى من جلال المشهد .

---

(١) العنفقة : هى الشعر الذى يظهر تحت الشفة السفلى وفوق الذقن ، معجم المعانى الجامع ، والعنفق : قلة الشيئ وخفته .

(٢) المشاش : العظم لا مخ فيه ، والمشاشة : رأس العظم اللين الذى يمكن مضغة ، المعجم الوجيز ، ص ٥٨٢ .

(٣) الرجز بلا نسبة فى لسان العرب ٢٧٣/٢ (دلج) ؛ وكتاب العين ٨١/٦ ؛ وتهذيب اللغة ٦٥٥/١٠ ؛ وتاج العروس ٥٧٣/٥ (دلج) ؛ وكتاب الجيم ٢٦٥/١ .

(٤) كان إمامنا العربى قدس الله سره يخرج للزائرين بقميصه وهو أنصع من البياض فإذا همَّ لدخول خلوته غير ثوبه ، وفى ذلك يقول إمامنا :" هذه معاصى الزائرين" ، فحينما يدخل خلوته ، ويخرج ثانية نراه ناصع البياض ، ويفسر ذلك بقوله :" يحتضننى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا بالقميص قد عاد ما كان أنصع من البياض " وقال إمامنا فى تأويل آية { وثيابك فطهر } :" ثيابك هنا : أحبابك ، فبهذا ينجلى المعنى ويفهم المراد ".

(٥) انظر : الإمام على بن أبى محمد الأجهورى المالكى ، شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية ، ج٢ ، باب ذكر خلقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الطعام والشراب ، من ص ١٤٩ ـ ص ١٧٩.

وسمعت من السواد الأعظم ، أن إمامنا العربى كان قد دعا ربه ـ ذات مرة ـ أن يرفع عنه حاسة ، التذوق ، فاستجاب الله له ، لا يستطعم ملح الطعام ، ولا حلو الشراب وإنما كان يميزهما بإحاطة معرفته .

ويعود دعاء إمامنا إلى واقعة قديمة ، حدثت حال تواجده في صحبة العارف بالله الحاج أحمد رضوان ، إذ ضَيَّفْهُما ـ ذات مرة ـ أحد الأحباب ، ومُدَّت المائدة بأشهى الطعام ، فلمَّا عزم المضيف أن يناول إمامنا قطعة من اللحم ، قال الحاج أحمد رضوان: " هذا الفتى لا يأكل اللحم" ، إشارة إلى إمامنا . فأضمرها ، وحدث نفسه : أيظن الحاج أحمد رضوان ـ بكلمته تلك ـ أنى نَهِم ، أو اشتهى اللحم ؟ لا . واللهِ ! ـ وفى تلك اللحظة ـ دعا ربه أن يرفع عنه حاسة التذوق .

وكانت تنتاب إمامنا العربى أحوال ربانية سامية ، تحار فيها العقول ، فقلَّما كان يأكل ، أو يشرب ، أو ينام ، و لايشعر بالظمأ ، أو الجوع ، وحينما يسألونه عن ذلك ، يقول لهم : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه أخذ الله منى حواسى بالكلية ، فلا أسمع إلا بتجلياته تكلمنى ، بلا صوت ولا حرف ، ولا أبصر فى الوجود إلا حضرته ، ولا أشم إلا عبق أريج بساتين تجليه ، ولا أصافح إلا عرائس وصاله على مائدة حبيبه ومصطفاه"[١].

ولم أشأ الإطناب فى وصف حُسنه ، فأوقفت قلمى على ما أرانيه منه[٢] ، وغاية الأمر فيه أنه يشبه أباه حيدرا ، أي يشبه الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ويرث جده مصدر الجمال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ولله در القائل[٣]:

وَأَحسَنُ مِنكَ لم تَرَ قَطُّ عينى * وأجملُ منك لم تَلِد النساءُ
خُلِقتَ مُبَرَّأً من كل عيب * كَأَنَّك قد خُلِقتَ كما تشاءُ

أما صفته ، فقد كان رضى الله عنه وأرضاه عظيم الشأن ، بعيد الشأو ، ذو هِمَّة عالية ، وأفضال جالية ، ومروءة حانية ، ثبت الجنان (القلب) ، بحر

---

(١) قول إمامنا نقلاً عن : الشيخ جابر عبد المنعم ، حكاية عن : الحاج / محمد أمين الكلحى ، ممن عاصر إمامنا ، وكان إمامنا آنذاك فتى يافعاً سائحا ما بين النجوع .

(٢) هذا الوصف لايعكس سوى جانباً مما أبيح لى النظر إليه عند مشاهدة حضرته مع غض طرفى ، وعدم طغيان بصرى فى مواجهته حياء وتأدباً ، وقد يرى غيرى جوانب أخرى ، أو يتيه آخر فى وصف حسنه ، ويمكن لمن أراد المزيد من الوصف مطالعة الصور الفوتوغرافية الملتقطة لحضرته ، أو مقاطع الفيديو ، وهى منشورة ومتاحة من خلال مواقع التواصل الاجتماعى الخاصة بالعصبة الهاشمية .

(٣) القائل : سيدنا حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ لصحابى الجليل ، المخضرم ، شاعر الرسول ، انظر : ديوانه المشهور ، قافية الهمزة .

الفتوة ، وأبو الفِتيان ، قويٌّ ، و منْ يراه هابه ، ذو صولات ، وجولات فى نصرة الحق ، منصورعلى من لاقاه ، زاهدٌ فى دنياه .

متوكلٌ على مولاه ، وَرِعٌ ، سهل هين بسيط ، متواضعٌ ، حليم بأهله متسامح ، اتخذ من مرافقيه ، وأصحابه ، ومريديه إخوة وإخوان ، ولا يناديهم إلا بقوله : " يا أُخَيَّاتِى ، أو يا َخيَّاتِى " ويُعَرِفَهُم نفسه بقوله : " أنا أخوكم محمد العربى " ، لا يترفع عنهم ، أويمارس عليهم شِيَاخَة قط ، ويقول : أن الأمة المحمدية شيخها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهو قائم فيها بقوله تعالى:{ *وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ* }(١) ، فلا ينبغى لأحد الشياخة فى حضرته .

ومن جهتى ، أرى أن تواضع إمامنا وهضم نفسه هى الصفة الغالبة عليه ، فقد تحلى إمامنا بهذه الصفة فى جميع مراحل حياته ، وفى كل أحواله ، وسوف ترى ـ عزيزى القارئ ـ أن تلك الصفة قد طغت على غيرها فى جميع أحواله ، وعلى مر سيرته العطرة .

وعلَّ هذه الصفة هى التى عنتها السيدة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ بقولها عنه :" أنه هضم حقه "(٢) ، فما أعلاها من صفة ، وما أجلها من منقبة ، لا يتحلى بها من العباد إلا الصادقين، الواثقين بربهم ، المعظمين حضرته ، الفانين أنفسهم فى عظمته المتواضعين لخلقه ، الذين جاءوا لا ليأخذوا من الدنيا شيئ ، ولكن لأن يعطوالدنيا كل شيئ .

وعَلَّ هذه الصفة ـ أيضاً ـ هى التى دعت إمامنا ـ أيضاً ـ إلى أن يردد مقولته الشهيرة: " أنا هنا فى ساحة الإمام على خفير ببتاوة " ، والبتاوة هى رغيف خبزصغير يصنع من الذرة ، كان مأكل الفقراء فى ريف مصر ، بمعنى أنه لا يملك شيئاً فيها ، وما هو إلا حارساً أجيراً فيها، وأجره مجرد رغيف خبز يأكله .

ويقول أيضاً : " أنا ما جئت مصر لكى أكون عالما ، إنما جئت لآخذ حسنة من أهل بيت النبى " ، فى نموذج فريد للتواضع ، وهضم النفس .

---

(١)الحجرات : ٧ .

(٢) ورد قول السيدة الزهراء في الرؤية التي رآها أحد أبنائها من أحباب إمامنا العربى ، والسالف الإشارة إليها بهامش مقدمة هذا الكتاب .

ويمكن إرجاع هذه الصفة المميزة لإمامنا العربى إلى كونه ختم الأولياء ، فخوف المنفرد لا يوصف ، وكل شعره منه بحيالها قد أخذتها هيبة الله ـ عز وجل ! ، وكل عرق منه قد امتلأ من عظمة الله ـ سبحانه ! ، وانفرد صدره ، وقلبه لوحدانيته . واكتنفته رحمة الله ، وشملته رأفته ، فبهما يتصرف فى أموره ، ويتبسط[١].

وتوأم صفة هضم الذات في خُلُق إمامنا صفة أخرى ، عزيزة على الرجال ، وهى صفة الهِمَّة العالية ، التى ملكت أمره كله ـ فارس لا يُشَق له غبار ، وهُمَام من أشجع وأسخى الرجال ـ ما فَتَرَ قط ، أو توارى عن نصرة الحق ، و فعل الخيرات ، يقضى بهمته الحاجات ، ويسوق الخلق إلى رب البريات ، ويتحمل عنهم الابتلاءات ، ويرعاهم بفعل الناشطات ، ويُشيِّد فى أحبابه جميع المكرمات ، ويؤثر عنه قوله :" الهِمَّةُ اسم الله الأعظم ، بارك الله فيمن أيقظها " .

وينشأ السواد الأعظم مادحاً إمامنا قائلاً[٢]:

لولا المربى ما هديت رشادا * فهو الذى للمكرمات أشاد
صدرك به همم غزت لقلوبنا * عيناً بكم ترعى إلى الإيجاد
هماتكم هى للقلوب عقيدة * عنها عرفنا السادة الأمجاد
فسقانا شرب من دنان عطائه * بعطاء جم ما إليه نفاد
عين به رمت بأرض قلوبنا * صدقاً وحباً قد ملتنا وداد
من كفتيه الجود يهمى سيله * فغدونا نرشف من صفاء مداد
وصنعت فينا المكرمات جميعها * منحاً ولم نجمع لها بجهاد
أستاذنا العربى فهو محمد * وهو السبيل وكعبة القصاد
ورث ابن رامة فى المروءة والندا * همم به هلَّت من الكرداد

كان إمامنا سخىَّ اليد للوارد ، والمورود ، جَوَّاداً على كل الوفود ، كريماً يقرِى أضيافه ، ويستأنس بطارقتهم ، يلاقيهم هاشاً ، باشاً ، بسَّامَ المُحيَا .

إطعام الطعام ورِدُّه ، الذى يتعبد به ربه ، ويلقنه لأحبابه ، يقول السواد الأعظم : " ذات مرة ـ سألت شيخى الإمام العربى ـ قدس الله سره ـ أن يلقننى

(١) الترمذى ، ختم الأولياء ، ص٣٦٨ .

(٢) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ السواد الأعظم ـ ، من ديوانه باسم "بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات صلى الله عليه وسلم "، جزء (١) ، قصيدة بعنوان "السند الذى عنه المدد "" ، ص ٩٦ ،٩٧ .

ورداً أتعبد الله به فقال لى : " يا أحمد خير ورد لك هو الكرم ، والسخاء ، وإطعام الطعام ، واعلم أن رواء روحك فى هذا الصدد ، هو حديث سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : "السخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس، قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل "(١) .

لذا ، كان إمامنا ـ رضى الله عنه ـ يقول : " أى ساحة فيها عيش فيها محمد العربى " ، ويحكى أن الشيخ عبد القادر الجيلانى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ صعد المنبر، وتوجه للمصلين خطيباً فقال : بسم الله الرحمن الرحيم " لقمة فى بطن جائع خير من بناء جامع ، وخير ممن كسا الكعبة ، وألبسها البراقع ، وخير ممن قام لله راكع وخير ممن جاهد للكفر بسيف مهند قاطع ، وخير ممن صام الدهر والحر واقع ، وإذا نزل الدقيق فى بطن جائع له نور كنور الشمس ساطع ، فيا بشرى لمن أطعم جائع"(٢).

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(٣) .

وكان إمامنا يطعم أضيافه بنفسه ، ويحمل الطعام على رأسه ، ويقدم لهم ما لذ ، وطاب من حلال الأطعمة ، وفضلاً عن ذبح الذبائح ، كان يحرص إمامنا على وجود مشهيات الطعام ـ كالسلطات ـ على المائدة ، ويقول : ما سميت

---

(١) الحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه وأرضاه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم

(٢) يذكر أن هذه الخطبة ألقاها سيدى عبد القادر الجيلانى فى المدرسة القادرية يوم من أيام الجمعة فى بغداد خلال العهد العباسى الثانى ، وقد اعتبرها مجموعة من الباحثين أنها أقصر خطبة فى التاريخ الإسلامى ، منذ ألف عام تقريباً ، وبعد عصور من الشيخ الجيلانى رددها عبد الباقى المكاشفى (١٨٦٧م ـ ١٩٦٠م) أحد أعلام التصوف القادرى فى العالم الإسلامى والسودان فى خطبة له فى افتتاح أحد المساجد فى السودان انظر : جمال الدين الكيلانى ، هكذا تكلم الشيخ عبد القادر الكيلانى ، مركز الإعلام العالمى ، بنغلادش ، دكا ، ٢٠١٤م ، ص١٦ـ٣٥ ، وسيرة المكاشفى ، جمهورية السودان ، الخرطوم ، دار الأحمدى ، ١٩٩٩م ، ص٣٢ .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

السلطة بذلك إلا كونها تسلط الناس على الأكل ، وتفتح شهيتهم ، وهذا من قبيل السخاء ، وهى درجة أعلى من الكرم[١] .

ولله در القائل[٢] :

الله يعلم أنه ما سرنى * شيئ كطارقة الضيوف النُزّل

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وكثيراً ما كان ينتاب إمامنا حال من الاستغراق فى الحضرة العلية ، مع تمام الحضور والإيقاظ ، وعن هذا الحال ، يتحدث ربيبه ، وخديم ساحته قائلاً : " كان يسألنى إذا قابلته ـ أحيانا ـ : منْ الزول ؟ أى : من أنت ؟ ، فأقول له : جابر ، فيقول : ومن أين؟ فأقول : من السمطا ، فيقول : ومنْ السمطا ؟ . فاعرف أنه مستغرق مع ربه "[٣].

ولقد ورث إمامنا نصيبٌ من جده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حال الاستغراق مع ربه ؛ إذ ورد أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تدخل ـ أحيانا ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتطرق عليه باب حجرته ، فيسألها منْ ؟ ، فتقول : عائشة فيقول : ومنْ عائشة ؟ ، فتقول : بنت أبى بكر ، فيقول : ومنْ أبو بكر ؟ ، فتقول : صاحب محمد ، فيقول : ومنْ محمد ؟ ، فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الحالة مستغرقا فى جمال الله ، وجلاله ، متغيباً عمن سواه، حتى عن نفسه ـ صلى الله عليه وآله[٤] .

---

(١) كان إمامنا يفضى باللحم كله إلى أضيافه ، ولا يبقى لأهله شيئاً منه ، ويسيئه إذا فضل منه ولو قليل ، كما كان يمعن فى نظافة الأوانى والأطباق التى يؤكل فيها ، ويغسلها مراراً بالصابون والماء الساخن ، وكان يهتم أيضاً بالنظافة الشخصية للطباخين ، ورأيته يوصى بغسل الدحية قبل قليها .

(٢) القائل عبد الله بن جعفر الطالبى ، انظر : المستطرف فى كل فن مستظرف لأبى الفتح الأشهبى شهاب الدين محمد بن أحمد .

(٣) سمعته مشافهة من ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٤) سمعته من ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم ، وأذكر فى ذات السياق أنى عايشت تلك الحال بنفسى ، إذ خرج علىَّ إمامنا ـ ذات مرة ـ فسألنى :منْ الزول ؟ فقلت له : محمد شحات فقال : ومن محمد شحات ؟ فعرفت أنه حال الاستغراق الذى ينتابه كثيرا ، فسكت .

أتاه الله من لدنه علما ، مُجْمَلِه منثور ، وتفصيله مستور ، ولم تسعه السطور ، تَحَيَّرت فيه أساطين العلم والأدباء ، وتضاءلت أمامه فهوم النجباء ، سما بالعقول ، وربى الرجال الفحول ، فحازوا به الوصول[1] .

استولى بحنانه على الجنان ، وتملك بعطفه الوجدان ، وملأ بحبه الكيان ، وأبهر بحسنه العيان ، والبسط في مناقبه ومدحه لا ينتهيان ، ويكفى ـ هنا ـ أنه ابن السيدة فاطمة البتول ـ عليها السلام ـ ويرث فى وصف ربه لجده الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[2] .

وإن شئت تجمل في وصفه ، وصفاته فقل : روحانى المحتد ، أنسى المشهد ، أصيل الأعراق ، والعرق للفرع نازع .

واكتفى بهذا الحد ، الذى أوضحته ـ بحسب ما أتيح لى من وصف صورته ، وصفته ـ ومَنْ طلب الاستقصاء فليقصد أبناءه ، وليعجل السعى إلى البقية الباقية من أحبابه ، ومريديه ممن عاصر إمامنا ، أو عاشره ، فسيجد ميراث إمامنا فيهم قد انتشر .

---

(١) راجع ما سيرد بيانه في مبحث "علوم الختم ، وفرائد تأويله"، الفصل الأول من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٢) القلم : ٤ .

المبحث الثانى
النسب الشريف
المطلب الأول
شرف النسب النبوى

النسب لغة[1] : القرابة ، ويقال : نسبه فى بنى فلان : هو منهم . (ج) أنساب ، ونسب الشيئ إلى فلان : عزاه إليه ، وهو ـ تقريباً ـ ذات التعريف الاصطلاحى .

والشرف لغة[2] : الموضع العالى يُشرف على ما حوله ، والعلو والمجد . (ج) أشراف وشَرُفَ المكان ـ شرفاً : ارتفع ، و- الرجل : علت منزلته ، فهو شريف (ج) شرفاء ، وأشراف ، وهن شرائف .

ويقال رجل شريف أى ماجد ، له آباء متقدمون فى الشرف ، ولا يكون الشرف ، والمجد إلا بالآباء ، وفى هذا يختلف الشرف والمجد عن الحسب والكرم ، فالأخيران قد يتصف بهما الرجل وإن لم يكن له آباء[3] .

وأما الشرف اصطلاحا ، وعرفاً : فهو الانتساب إلى حضرة النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ من سبطيه الإمامين الجليلين : سيدنا الحسن ، وسيدنا الحسين ـ عليهما السلام ـ والشريف من أدلى إليه صلوات الله عليه بأب ، أو أم[4] .

وقد اشتهرت العرب بالأنساب ، وترسخ عندهم ما يعرف الآن بعلم الأنساب ، بغرض التفاخر بأنسابهم فى سوق عكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، كما استعمل علم الأنساب قديماً وحديثاً ؛ لإثبات الشخصيات الكبيرة ، وهذا نافع جداً للتأسى ، والاحتذاء .

وحاز علم الأنساب جم الفضائل ، وأخطأ من قال إنه علم لا ينفع ، والجهل به لا يضر ، وفى ذلك يقول ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ : " ولعمرى ما أنصف القائل : " إن علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر " .

---

(١) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٦١٢ .

(٢) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٣) قاله ابن السكيت ، هامش المصباح .

(٤)محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى سبط السادة الدسوقية الحسينية ، شرف الأسباط ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقى بمجلة القيمرية ، دمشق ، سنة ١٣٣١هـ ، ص٥ ، ٦ .

ومن فوائد ذلك العلم ، التعارف بين الناس حتى لا ينسب أحد إلى غير أبيه ، وأجداده ولولا ذلك لاختلطت الأنساب ، وذلك لا يقره الدين الإسلامى ، ولا الشرف ، لذا ، قيل : لقد خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها لغيرها : الأنساب ، والإعراب ، والإسناد(١) .

وحث النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على تعلم ذلك العلم ؛ لأجل صلة الرحم ، وتوعد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مَنْ انتسب إلى غير أبيه ، أو إلى غير قبيلته ؛ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل ، مثراة فى المال ، منسأة فى الأثر"(٢) .

فالنسب يوجب هذا الالتحام ، الذى يوجب ـ بدوره ـ صلة الرحم ، حتى تقع المناصرة والنغرة، ومنسأة فى الأثر أى : زيادة فى العمر(٣).

ورُوِىَ عنه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أنه قال : " كُفْرٌ بالله تبرُّؤ مِن نسب وإن دق ، و كُفْرٌ بالله ادعاء إلى نسب لا يُعرف"(٤) ، وقال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " من ادعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه : فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"(٥) .

وعن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : " تعلموا النسب ولا تكونوا كنبطى السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا ، وكذا "

ولو كان علم الأنساب لا منفعة له لما اشتغل به السادة الصحابة ، والأئمة الأعلام فقد كان سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ إماماً فى هذا العلم ، وأعلم الناس بنسب قريش ، وسائر العرب ، كما عنى بذلك العلم كل من ابن عباس ، وعقيل بن أبى طالب ، وجبير بن مطعم ، وسعيد بن المسيب ـ رضى

---

(١) محمد أويس الحيدرى ، الأويسى الحسينى ـ رحمه الله ـ ، الدرر البهية فى الأنساب الحيدرية والأويسية .

(٢) رواه الترمذى ، رقم (١٩٧٩) ، والإمام أحمد ، والحاكم – كما فى الجامع الصغير .

(٣) السيد محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ، سبط السادة الدسوقية الحسينية ، شرف الأسباط ، مرجع سابق ، ص٤،٥ .

(٤) رواه أحمد ، وابن ماجه ، وحسنه الأرناؤط ، والألبانى .

(٥) رواه الترمذى ، وصححه الألبانى .

الله عنهم ـ ، وكانوا به يتفاضلون وإليه ينتسبون[١] ، كما أُلِفَ الكثير من المراجع فى هذا العلم[٢].

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن معرفة الأنساب من الأمور المطلوبة شرعا ؛ لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية ، فالعلم بنسب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واجب شرعى ، وأنه النبى القرشى الهاشمى العربى ، الذى ولد بمكة ، وهاجر إلى المدينة ، وتوفى ودفن فيها ، وأنه وآباءه وأجداده خيرة الخلق ، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فأنا خيار إلى خيار "[٣] .

كذا ، اشترط جمهور الفقهاء أن يكون الإمام من قريش ، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " الأئمة من قريش " ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" قدِّموا قريش ولا تَقَدموها "[٤] .

---

(١) الإنباء عن قبائل الرواة ، ص ١ .

(٢) منها للسدوسى المتوفى سنة خمس وتسعين ومائة . ومنها لهشام بن محمد السائب الكلبى فى كتابه " جمهرة النسب " ، ومنها لمصعب بن عبد الله المتوفى ستة وثلاثين ومائتين فى كتابه " نسب قريش " ، ومنها للزبير بن بكار المتوفى سنة ستة وخمسين ومائتين فى كتابه " جمهرة نسب قريش" ، ومنها لعبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ فى كتابه " لب اللباب فى تحرير الأنساب " ، ومنها " لعبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيرى اللامى المتوفى عام ١٣٦٤ هـ فى كتابه "المنتخب فى ذكر نسب قبائل العرب " ، ومنها لمحمد ويس الحيدرى الأويسى الحسينى رحمه الله فى كتابه" الدرر البهية فى الأنساب الحيدرية و الأويسية" ، ومنها لمحمد أبو الهدى الصيادى الرفاعى فى كتابه " مختصر الروض البسام فى أشهر البطون القرشية بالشام " ، كما يوجد فى دور الكتب بمصر والشام والعراق وتركيا الكثير من هذه الكتب .

(٣) روى الحاكم فى المستدرك والطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : " وخلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم " .

(٤) حديث " الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها ، وفجارها أمراء فجارها " أخرجه الحاكم من حديث الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ورواه الإمام أحمد والنسائى فى السنن الكبرى وغيرهم ، أما حديث " قدِّموا قريش ولا تَقَدموها " أى لا تتقدموا عليها ، أخرجه الشافعى فى المسند والبيهقى فى المعرفة كلاهما عن ابن شهاب الزهرى بلاغا ، اى قال : بلغنا عن رسول الله ذلك ، قال الشافعية : فإن لم يوجد من قريش اعتبر كونه كنائباً من بنى كنانة ، فإن تعذر اعتبر من كونه من بنى إسماعيل عليه السلام ، كما رواه ابن عدى فى الكامل عن أبى هريرة ، وصححه السيوطى .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب يقول : "لو إِدَّعَيْتُ حَيَّاً من أحياء العرب لأدعيتهم" ، يعنى قريش[1] .

ويذكر العلماء أن النسب النبوى الشريف يثبت بعدة طرق ، منها النص من المؤرخين الثقات أن البيت الفلانى ، أو آل فلان من أهل البيت ، ويعرف أن الشخص الذى يشتهر فيه من أهل ذلك البيت المنصوص عليه من المؤرخين ، كما يثبت بالاستفاضة ، أوالتواتر عند أهل البلد أن آل فلان من أهل البيت.

ويثبت النسب النبوى الشريف ـ كذلك ـ بأن يكون بيد من يدعى أنه من أهل البيت وثيقة شرعية من بعض القضاة المعتبرين ، أو العلماء الثقات : أنه من أهل البيت ، أو وجود بيِّنة عادلة، لاتنقص عن اثنين ، تشهد بذلك ، مستندة فى شهادتها إلى ما يحسن الاعتماد عليه ، من تاريخ موثوق ، أو وثائق معتبرة ، أو نقل عن أشخاص معتبرين ، أما مجرد الدعوى بلا مبرر فلا ينبغى الاعتماد عليها ، لا فى هذا ، ولا فى غيره[2] .

وتحدث علماء النسب ـ أيضاً ـ عن طبقات الأنساب فقالوا : النسب ست طبقات : الشعب ، وهو النسب الأبعد كعدنان مثلاً ، والقبيلة ، والعمارة ، والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . قال الإمام النووى : وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة[3] .

ورغم أن الولد فى النسب يتبع أباه ، وفى الحرية والرق يتبع أمه ، وفى الدين يتبع خيرهما ديناً ، فإن شرف الإنتساب للنبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لم ينل إلا من ابنته السيدة فاطمة الزهراء البتول ، لاحتساب النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ذكوره جميعهم وهم صبية أفراط ، فبُدِءَ أصل

---

(١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤هــ رواية السكرى عن ابن حبيب تحقيق الدكتور ناجى حسن ، جمهرة النسب ، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، ص٢٤ .

(٢) فتاوى إسلامية ، (٥٣١/٤) ، نقلاً عن : موقع على شبكة المعلومات الدولية باسم " الإسلام سؤال وجواب " ، المشرف العام : محمد صالح المنجد ، ولمزيد من التفصيل انظر : محمد ويس الحيدرى الأويسى الحسينى رحمه الله فى كتابه " الدرر البهية فى الأنساب الحيدرية و الأويسية" ، مشار إليه عند : محمد إبراهيم محمد سالم ، ملتقى الأطراف فى أنساب ومناقب الأشراف ،مرجع سابق ، ١٤١٨هــ -١٩٩٧م ، ص٦ .

(٣) محمد إبراهيم محمد سالم ، ملتقى الأطراف فى أنساب ومناقب الأشراف ، ١٤١٨هــ -١٩٩٧م ، ص٥ ، ٦ .

النسب النبوى الشريف بابنته الزهراء سيدة نساء العالمين ـ عليها السلام ، وحُصِرَ نسله الأطهر من ذريتها ، وهو دليل على سمو الإسلام ، وتكريمة للمرأة ؛ إذ شاطرها مع الرجال الشرف والاحترام[١] .

وروى سيدنا عبد الله المحض ، ابن سيدنا الحسن المثنى ، عن أمه السيدة فاطمة النبوية ، بنت سيدنا الإمام الحسين ، عن السيدة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" كل بنى آدم ينتمون إلى عصبيتهم إلا ولد فاطمة ، فإنى أنا أبوهم ، وأنا عصبيتهم"[٢].

ولما وَهِمَ البعض أن الأحفاد هم ورثة النسب بالتعصيب ، وأن الأسباط لا حظ لهم منه ، ولا نصيب ، انتصب العلماء الأفذاذ لدحض هذا الوهم ، وأقروا بمساواة الإناث للذكور فى النسب النبوى الشريف ، وأن الأسباط يضربن فيه بوافر سهم ، فيثبت لهم الشرف الكريم من قبل الأم ، وصنفوا فى ذلك مؤلفات عديدة[٣] .

وقيل فى ذلك أن تخصيص الأسباط من أبناء السيدة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ بشرف النسب النبوى إنما يرجع إلى أن الأصل الكريم ، والمجد التليد الذى لايدانيه مجد فى الأولين والآخرين قد انتقل من هذا النبى العظيم ، فسطع فى أبناء ابنته الزهراء البتول لقوته ، وجلالته، وعظم قدره .

---

(١) السيد محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ، شرف الأسباط ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقى بمجلة القيمرية ، دمشق ، سنة ١٣٣١هـ ، ص ٤ .

(٢) الشريف محمد بن على الحسنى ، العقود اللؤلؤية فى بعض أنساب الأسر الحسنية الهاشمية بالمملكة العربية السعودية ، مكتبة مدبولى – ٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص١١٠ .

(٣) منها كتاب " اسماع الصم فى اثبات الشرف من قبل الأم" للشيخ العلامة أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشى البونى مخطوطاً ، وهذا المؤلف عجبت منه لشيئين كون مؤَلفه أعمى أملاه سنة إحدى وثمانمائة ، كما ذكره فى كتابه – وكون الموضوع المؤَلف فيه غريباً كان السلف يعنى بأمثاله فقد ذكر أن هذه المسألة ـ مسألة الشرف من الأم ـ اختلف فيها علماء بجاية ، وعلماء تونس عام ست وعشرين وسبعمائة ، ومن الكتب المؤلفة فى هذه المسألة أيضاً: "رسالة الفوز والغنم فى مسألة الشرف من الأم" للعلامة خير الدين الرملى الحنفى ذكرها فى فتاويه فى باب ثبوت النسب ، ومن المطبوعات حديثاً كتاب " رفع اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من قبل الأمهات" للفاضل ابن سودة المالكى ، نقلاً عن : السيد محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ، شرف الأسباط ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقى بمجلة القيمرية ، دمشق ، سنة ١٣٣١هـ ، ص٣ .

وإذا كان النسب من طرف الأم صحيحاً معتبراً ، فالذى كانت سيادته من طرفها مقبول ، كما هو من طرف الأب ، إذ المعتبر السلسلة إلى الحسنين من أى جانب كان(١).

وانتشرت الذرية النبوية الشريفة من سبطيه الحسن ، والحسين ، وأختهما السيدة زينب ـ عليهم السلام ـ[٢] .

ثم تفرعت أغصان تلك الشجرة المباركة فى سائر أرجاء المعمورة ، ولذا ، عَنِيَ بحفظ سلاسلها النَسَّابة الأعلام ، واهتم بضبط أنسابها الحَفَظَة الكرام ، صيانة لمقام هذا النسب العالى من الدخلاء ، وحفظاً لشرفه السامى من الأدعياء ، فإن للشرفاء من الخصائص الشرعية ، والمزايا الجليلة العرفية ، ما هو مقرر فى الفروع الفقهية ، والواجبات الأدبية[٣] .

وقد اقتضت حكمة الله فيما خلق تفضيل البعض على البعض ، ففضل الإنسان على كثير مما خلق ، قال تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }[٤] ، وفَضَّل الله الرسل بعضهم على بعض ، قال تعالى { تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ }[٥] ، واصطفى سبحانه عباداً وذرية ، قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[٦] .

كما فضل الله بعض الأزْمُن على بعض ، ففَضَّلَ يوم الجمعة على بقية الأيام ، فعن أبى لبابة ابن عبد المنذر قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله"[٧] ، وغيرها من

---

(١) السيد محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى سبط السادة الدسوقية الحسينية ، شرف الأسباط ، مرجع سابق ، انظر هذه الفتاوى من ص٢٤ـ ٤٤ .

(٢) الذى أعقب من أولاد فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ الحسن ، والحسين ، وزينب ـ عليهم السلام ـ كما افصحه علماء النسب ، وبسطه فى المواهب اللدنية وشرحه .

(٣) السيد محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى سبط السادة الدسوقية الحسينية ، شرف الأسباط ، مرجع سابق ، ص ٢ ، ٣ .

(٤) الإسراء : ٧٠ .

(٥) البقرة : ٢٥٣ .

(٦) آل عمران : ٣٣ ، ٣٤ .

(٧) رواه ابن ماجة ، (١٠٨٤) .

الأحاديث الوارادة في فضل هذا اليوم العظيم ، وفَضَّلَ ليلة القدر على بقية الليالى ، قال تعالى { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ }(١) ، وفَضَّلَ شهر رمضان على غيره من الشهور ، قال تعالى { شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ }(٢) .

وفَضَّلَ سبحانه بعض الأمكنة على بعض ، ففَضَّلَ مكة ، والمسجد الحرام ، والمدينة المنورة، والمسجد النبوى ، وبيت المقدس ، والمسجد الأقصى على جميع أماكن ومساجد البسيطة ، وجاءت الأحاديث تترى فى ذلك(٣) .

وهذه إرادة الله ، وليس لأحد أن يسأل لِمَ فضل الله ، أو لِمَ اصطفى ، أو لِمَ اختص؟ قال جل شأنه { لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ }(٤) ، بل لا ينبغى أن يتمنى أحد أو يحسد من آتاهم الله من فضله ، فالله هو العليم الحكيم ، قال تعالى { وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ }(٥) ، وقال سبحانه { أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا }(٦) .

وقد أجمع المسلمون العدول على أن للنسب النبوى الشريف مزية على غيره من الأنساب ؛ فى الدنيا والآخرة ، وأن محبة آل البيت النبوى ، ومودتهم من الإيمان ، ولا علاقة لذلك بالمغالاة المنهى عنها ؛ فإنها لا تكون فى المحبة ،

---

(١) القدر : ٣ .

(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٣) حَرَّمَ الله مكة ، والمدينة ، وباركهما ، كما خص بيت القدس وبارك حوله ، فضلاً عن مساجدهم ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " ، متفق عليه ، والمقصود هنا أنه لا تشد الرحال إلى أى مكان فى الأرض لقصد الصلاة إلا لهذه المساجد الثلاثة ، وجواز أن تشد الرحال إلى أى مكان بقصد مشروع غير الصلاة ، كالزيارة ، أو طلب العلم ، أو الاستشفاء من سقم ، أو لصلة الرحم ، أو غيرها ؛ ذلك لأن الأجر فى الصلاة فى هذه المساجد يضاعف مائة ألف صلاة فى المسجد الحرام ، وفى المسجد النبوى ألف صلاة ، والمسجد الأقصى خمسمائة صلاة ، فعن أبى الدرداء قال : قال عليه الصلاة والسلام :(فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة وفى مسجدى ألف صلاة وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة) أخرجه البزار (البحر : ٤١٤٢) ، وقال هذا إسناد حسن .

(٤) الأنبياء : ٢٣ .

(٥) النساء : ٣٢ .

(٦) النساء : ٥٤ .

وإنما تكون فى الاعتقاد . ولايحتج لإنكار النسب الشريف ببعده ، أو اختلاطه فى القرون الماضية ، مما قد يؤدى إلى ادعاء بعض الناس النسبة إليه بغير حق ؛ لأن النسب الشريف – كغيره من الأنساب – يثبت بما يثبت به النسب شرعا(١) .

ولاريب فى تفضيل النسب النبوى الشريف على بقية الأنساب ، فقد اختص الله أهل البيت برحمته وبركاته ، وطهرهم تطهيرا ، وكما جاء فى حديث الكساء ، فى صحيح مسلم أن الرسول - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - ضم إليه علياً وفاطمة والحسنين وقال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" ، ووصفهم بالقربى ، وأوجب على المسلمين مودتهم، قال - جل وعلا - :{ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ }(٢) .

وفى التعريف بحقيقة أهل البيت ، يقول إمامنا العربى : " أهل البيت هم عروش استواء رحمانية ، وهم أسرة الله فى أرضه ، وهم حمراء ياقوتية ، وهم غيابات كنت كنزاً " .

إذا كان ما تقدم إشارة إلى فضل النسب النبوى الشريف بصفة عامة ، فما أزكى التفاضل بين أفراده ! ، وما أعلى نسب إمامنا العربى فيهم ! وهذا هو محور الحديث في المطلب التالى .

---

(١) من إصدارات دار الإفتاء المصرية ، بخصوص النسب المحمدى :" شرف آل البيت وتعظيمهم وحكم إنكار صحة أنسابهم " تاريخ الفتوى : ٢٠٠٧/٥/٢٠م ، نقلاً عن : محمد مجدى نعيم يوسف ، بوست على صفحة تواصل اجتماعى " فيس بوك " ، منشور فى ٢٠١٩/١/٢٣م .

(٢) الشورى : ٢٣ .

المطلب الثانى
نسب الإمام العربى

إذا كان أهل البيت متساوون فى شرف النسب النبوى ، ويفضلون به غيرهم - فإن النوادر الأعلام من أهل البيت لم يقتصروا على هذا الشرف ، وعلموا أن الشرف الحق فى العبودية الحق، فخلصوا لمعبودهم ، واستقاموا على طريقته ، وشدوا عزائمهم فى طاعته ، والتقرب إليه ، وحُبِبَ إليهم الافتقار والتذلل بين يديه ، فحازوا رضاء مولاهم ورضوا عنه فى كل ما آتاهم ، وعَزَّهم بشرف الانتساب إليه ، والإضافة إلى حضرته ، فهم أهل الله وخاصته ، وهم عباد الرحمن، الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

وأبى الله إلا ان يكون إمامنا العربى ختم هؤلاء النوادر الأعلام ، ودرة عقدهم اليتيمة ، فاجتمع له الشرفان ، شرف العبودية الخالصة لحضرة ربه ، وشرف الانتساب لحضرة جده - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - ونال من الحضرتين المزية مع الأفضلية ، واختص بخصلة لم تحصل فى مجموع الفاضل من الفضائل ، ولم ينلها غيره من أشراف القبائل[1] .

---

(١) المساواة فى النسب والشرف لاينفى التفاضل فيما بينهم بما يقدمونه إلى أهلهم وعشيرتهم من مصالح وخير وفضل وسؤدد ، راجع ما سبق ذكره بشأن الفرق بين قاعدة الأفضلية وبين قاعدة المزية أو الخاصية فى باب مرتبته ومقامه ، ص ، نقلاً عن : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكى لشهير بالقرافى ، أنوار البروق فى أنواع الفروق ، الجزء ٢ ، الفرق الحادى والتسعون" الفرق بين قاعدة الأفضلية وبين قاعدة المزية والخاصية"، ص ٥٧١ ، ٥٧٢ ، وقد جاء فيه : ومن استقرى ذلك فى المخلوقات وجد له أمثلة كثيرة ومنها ما ورد فى الحديث الصحيح عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال :" أقرؤكم أبى وأفرضكم زيد وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأقضاكم على" ، إلى غير ذلك مما ورد فى فضل الصحابة مع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل من الجميع وعلى بن أبى طالب أفضل من أبى وزيد ، ومع هذا فقد فضلاه فى الفرائض والقراءة ، وما سبب ذلك إلا أنه يجوز أن يحصل للمفضول ما لم يحصل للفاضل ومنها قوله عليه الصلاة والسلام لعمر : " ما سلك عمر وادياً ولا فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره " فأخبره عليه الصلاة والسلام أن الشيطان ينفر من عمر ولا يلابسه ، وأخبر عن نفسه عليه الصلاة والسلام:" أنه قد تفلَّت علىَّ الشيطان البارحة ليفسد علىَّ صلاتى فلولا أنى تذكرت دعوة أخى سليمان لربطته بسارية من سوارى المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة " ، وفى حديث الإسراء " أن شيطاناً قصده عليه الصلاة والسلام بشعلة من نار فأمره جبريل عليه السلام بالتعوذمنه فلم ينفر الشيطان منه عليه الصلاة والسلام كما نفر من عمر ، وأين عمر منه عليه الصلاة والسلام ؟) غير أنه يجوز أن يحصل للمفضول ما لا يحصل للفاضل " .

يقول إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ـ : " لا اتكئ على قبيلة ، وقبيلتى هو سبحانه وتعالى " ، فهو من عباد الله الذاتيين ، الذين اختصهم لذاته ، وحَرَّمَ عليهم الانتساب لسواه .

تحَجَّبَ إمامنا بربه ، فهو حسبه ونسبه ، فلم يُشِر طيلة حياته إلى أب أو جد أو نسب ، وفى ذلك يقول السواد الأعظم : "عشت معه خمسة عشر سنة كى أعرف منْ أباه؟ ومنْ جده ؟ فلم استطع ، فتطلعت إلى العارفين كى يُعرِّفوه لى ، فما عَرَفوه ، ولمَّا تحيَّرت فى معرفته ، قال لى إمامنا متحدياً : " أنا غيب يا أحمد ، أَحِدُ ولا أُحَدْ ، اسأل من يعجبك من العارفين ليقول مَنْ هو أبى ؟!!! .

ويُعَرِفَ إمامنا نفسه قائلاً : " أنا أخوكم محمد العربى قبيلتى قل هو الله أحد ، ولا أعرف ولا ارتبط بأحد غير الأحد ، ومَنْ يحب الأحد ، ولا أقف إلا على أرض الافتقار لحضرته جلَّ وعلا .

ويؤكد فى موضع آخر قائلاً : " أخوكم محمد العربى قبيلته في كبد السماء ، قبيلته لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأهلها كل غريق فيها ، وفى أعماق تجليها ، أنيس لياليها .

لم يعبأ ـ إمامنا العربى ـ بالدنيا ، و زينتها ؛ حتى لا تشغله عن معبوده ، وزواها عنه بالكلية، وخاطبها بلسان حِبه ودلَّال أرضه السواد الأعظم فقال : "طليقة أبانا لا نهواها ولا تهوانا"(١) .

أغناه ربه برجاحة العقل ، ورفعه بالتواضع بلا ذل ، وأكرمه بحسن الخلق ، قبل الحسب والنسب ، جاء فى الأثر أن الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان يوصى ابنه الحسن ـ رضى الله عنه ـ قائلاً :" يا بنى احفظ عنى أربعاً : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق ".

---

(١) القائل هو مولانا السواد الأعظم ـ رضى الله عنه ـ ويقصد بقوله "أبانا" : الإمام على كرم الله وجهه ، فقد جاء فى حديث ضرار بن ضمرة الكنانى لما وصف الإمام على كرم الله وجهه لمعاوية بن أبى سفيان قال : لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتملل تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا ؟ يا دنيا؟ غرى غيرى ، إلىَّ تعرضت؟! أم إلىَّ تشوقت ؟! هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك يسير ، أخرجه أبو نعيم فى " الحلية " ١ ص٨٤ ، وابن عبد البر فى " الاستيعاب " ، وابن عساكر فى تاريخه ، ٧ ص٣٥ ، وكثيرون آخرون من الحفاظ والمؤرخين .

أبدله الله بلباس الدنيا حُلَّة عِزَّية ، وغَذَّاه بـأنوار قدسية ، وهيأ له مقعد صدق فى العِنديَّة ، فكان قَيِّم أهله ، وشرف عشيرته ، يقول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ : " لايكون الرجل قيم أهله حتى لايبالى ما سد به فورة الجوع ، ولا يبالى أى ثوبيه ابتذل"(١).

ويقول كرم الله وجهه : " من أراد عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، وغنى بلا مال ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته " .

ويوصى أحدهم ولده قائلاً(٢):

واتق الله فتقوى الله ما * جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلا * إنما من يتقى الله البطل
لا تقل أصلى وفصلى أبدا * إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من دون أب * وبحسن السبك قد ينفى الدغل

وفضلاً عن ذلك ، ورث إمامنا العربى من أبيه الإمام على الكرار ـ كرم الله وجهه ـ أصول العرب ، وعلم الجفر ، ونـهج البلاغة ، وبدائع الحكم ، ومحمود الأدب ، وهو شرف يغنى صاحبه عن النسب ، فها هو الكرار ـ كرم الله وجهه ـ ينشأ قائلاً(٣) :

---

(١) محمد إبراهيم محمد سالم ، ملتقى الأطراف فى أنساب ومناقب الأشراف ، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م ، ص٩ ، والحديث وارد فى كتاب الجوع لابن أبى الدنيا عن المفضل بن غسان عن سفيان بن عيينة عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(٢) عمر بن الوردى ، المتوفى سنة ٧٤٩، فى لاميته الشهيرة .

(٣) يحكى أن : لما تولى الحجاج بن يوسف الثقفى شئون العراق أمر مرؤوسه أن يطوف بالليل ، فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه ، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان فأحاط بهم وسألهم : من أنتم ، حتى خالفتم أوامر الحجاج ؟ . فقال الأول : أنا ابن الذى دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها . تأتى إليه الرقاب صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها ، فأمسك عن قتله ، وقال : لعله من أقارب الأمير . وقال الثانى :أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وإن نزلت يوماً فسوف تعود . ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود ، فتأخر عن قتله ، وقال : لعله من أشراف العرب . وقال الثالث :أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه * وقوَّمها بالسيف حتى استقامت . ركاباه لا تنفك رجلاه عنهما * إذا الخيل فى يوم الكريهة ولَّت ، فترك قتله ، وقال : لعله من شجعان العرب .فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج ، فأحضرهم وكشف عن حالهم ، فإذا الأول ابن حجام ، والثانى ابن الخباز ، والثالث ابن حائك . فتعجب الحجاج من فصاحتهم ، وقال لجلسائه : علموا أولادكم الأدب ، فلولا فصاحتهم لضربت أعناقهم ، ثم أطلقهم وأنشد أبيات الإمام على كرم الله وجهه : كن ابن من شئت واكتسب أدباً * يغنيك محموده عن النسب .إن الفتى من يقول ها أنا ذا

كن ابن من شئت واكتسب أدباً * يغنيك محموده عن النسب
فليس يغنى الحسيب نسبته * بلا لسان له ولا أدب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

لم يقل إمامنا العربى البتة " كان أبى " ، ولم يُعَرِّف بأهله أحد ، ولم يتباه بنسبه الشريف ، فآتاه الله من فضله ما يباهى به خلقه ، فهلَّلَ الجمع به تعجبا : بسم الله ، تبارك الله ، ها هو ذاك الفتى !

ويتضرع الفتى إلى ربه :" ...اللهم اجعلنى عبداً لك وحدك ، تحتاطه بودك ، إذا قام فبقيموميتك قائم ، وإذا نام كله فيك هائم ، ليس له فى الدنيا استقرار ، وإذا أشار ففى حضرتك القرار ، لا ينتهى فيك اضطراره ، وإليك دائم افتقاره "(١) .

تسامى إمامنا عن التعصب لقبيلة ، أو التفاخر بنسبة ، ووجد فى الأخوة فى الله ضالته المنشودة للوفاء بعهد ربه ، والتكتم عن هويته ، فجعلها عوضاً عن أُخُوَّة أبيه وأمه ، وآثرها عزوة عن أعيان قبيلته ، ورأى فى رحم الوداد فى الله ورسوله وآل بيت رسوله كفاية عن رحم أهله .

ظل إمامنا على عهده القديم مع ربه ، لم يفصح عن نسبه ، وهويته ، وغيَّب أهله وأنجاله عن هذا الأمرحال حياته ، وهيَّم فيه أحبابه ومريديه ، فما زاغ بصرهم ، وما طغى إلى حد التساؤل عن أبوى شيخهم ، أو نسبه ، كما حيَّرَ فيه أكابر العارفين ، فلم يبلغوا حَدَّه ، أو يتطلعوا إلى كريم مَحْتِده ، وشرف نسبته ؛ إذ تحَجَّبَ عنهم بختمية الحضرة الأحمدية ، فترى العارفين فى حضرته خُشَعَاَ وجسوما ، يتبركون به ، ويتتلمذون بين يديه ، وحسب التلميذ ذلك ، فلا يطمع إلى معرفة الأبعد عن أستاذه .

وإن شئت فقل ، ها هى صفة هضم النفس تلازمه ، وما برح يعتصم بها حتى فى أغلى ما يتفاخر به إنسان ، وهو النسب النبوى الشريف ، فلم يشأ إمامنا أن يتعصب لقبيلة مهما علت وسمت ؛ اكتفاء بالانتساب إلى الله الأحد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

---

* ليس الفتى من يقول كان أبى ،الموضوع : منتدى الموارد البشرية ، موقع على شبكة المعلومات الدولية (النت) ، منشور فى ٢٠١٠/١١/١٨م .

(١) السيدة كريمة العربى ، كتيب "أوراد وأذكار فتوحية عن فيح تجليات علية ، ومؤانسات قدسية" ، الحزب الخامس ، ص ٥٩ .

وعندما أوشك الرحيل ، والانتقال إلى رحمة ربه الجليل ـ استجاب الله دعاء السيدة الزهراء ـ عليها السلام ـ برفع هضمه ، فتفضل الله على الأمة المحمدية ، وألجأ إمامنا للإفصاح عن نسبه من أبيه ، وأمه .

حدث ذلك عندما تَعَرَّضَ إمامنا العربى ، وأحبابه إلى محنة شديدة ، وبلاءٍ عظيمٍ ، إثر وشاية الحاقدين ، وشكايتهم الكيدية للأجهزة الأمنية ، فى قضية العصبة الهاشمية وأحداث القلعة الشهيرة ، التى جرت فى النصف الأخير من سنة ثنتى وثمانين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٨٢م) ، أى قبل إنتقال إمامنا بعامين تقريباً ؛ إذ اضطر إلى الإفصاح عن نسبة بمناسبة تحقيقات السلطات المعنية معه في تلك الواقعة .

ادَّكَرَ إمامنا عهده مع الحاج أحمد رضوان ـ وإن تحققت فقل : عهده مع ربه ـ وناجاه قائلاً : "اضطررت يا أحمد" ، ثم شرع فى التحدث ـ بإيجاز شديد ـ عن نسبه الشريف ، قائلاً : " كانت والدتى وأنا فى سن السادسة من عمرى تخبرنى بأن والدى ينتسب للإمام الحسن ، وأنها هى تنتسب للإمام الحسين من بيت النجار" .

ويشير إلى نسبه الشريف قائلاً : " أنا أُعتبر ابن غير مباشر للسيدة فاطمة الزهراء فأنا من سلالتها "(١) ، وفى موضع آخر يقول : " أنا شريف والد عن جد"(٢) .

---

(١) عوّل الباحث - بصفة أساسية – على ما أقوال الإمام العربى فى تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، المحررة بمعرفة علاء الدين موسى وكيل نيابة أمن الدولة العليا ، باشراف المستشار رجاء العربى المحامى العام فى القضية المعروفة باسم "العصبة الهاشمية" يومى ١٩٨٢/٧/٣٠ ، ١٩٨٢/٨/٣، باعتبارها وثيقة رسمية "غير منشورة" ، وقد تحصل الباحث على نسخة رسمية منها ، فضلاً عن أحاديث العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عن شيخه الإمام العربى، إلا أنه لم يرد فيما بين يدىَّ من هذه التحقيقات ذكر سلسلة النسب ، وقد يكون ذكر النسب ورد فى أوراق أخرى من هذه التحقيات طويت عن الباحث ، أو أن يكون هذا النسب قد ورد فى محاضر الشرطة ، المحررة بمعرفة ضباط تحقيقات أمن الدولة (غير منشورة) ، أو أن يكون إمامنا قد صرح بنسبه الشريف مشافهة للمحققين دون إثباتهم لها فى التحقيقات الرسمية ، لا سيما أن من المقرر قانوناً أن تتضمن تلك التحقيقات الاسم الرباعى للمسئول فقط دون التتطرق إلى بقية الاسم أو سلسلة النسب ، ويرجح هنا أن يكون المقصود بإفصاح إمامنا عن نسبه الشريف هو أنتسابه للحسنين عليهما السلام بقوله : أن والده ينتسب إلى الإمام الحسن ووالدته تنتسب إلى الإمام الحسين من بيت النجار ، والله أعلم.

(٢) سمعت من الأستاذ دكتور / فاروق القاضى ـ من أحباب إمامنا المقربين ـ أن الإمام العربى كان قد قال له : " أنت قريبى " أى من جهة نسب والدته ، وقد اطلعنى الدكتور / فاروق القاضى على شهادة

أعرب إمامنا العربى بهذا القول الفصل الوجيز أنه شريف حسنى حسينى ، ينتهى نسبه إلى سبطى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فهو شريف محض ، ينتسب إلى مولانا الإمام الحسن من جهة الأب ، وإلى مولانا الإمام الحسين من جهة الأم .

وعلى حد علم الباحث وتقصيه ـ فقد اقتصر إمامنا العربى عند هذا الحد من الإفصاح عن سلسلة نسبه الشريف ، ومع هذا الاقتصار والتحسب ، ووفاءً بما عاهد الله عليه ، رأيته باخعاً نفسه ، قائلاً : " لولا أنى أرغمت ما تحدثت عن نفسى ، أو عن نسبى " .

وبعد انتقال إمامنا إلى الرفيق الأعلى اتسع انتشار عصبته الهاشمية ، وعمرت ساحته ، ووفد إليها الأحباب والمريدون من كل صوب وحدب ، من داخل البلاد المصرية وخارجها ، وذاع صيت شيخ العصبة ، وأَذِنَ الله أن يرفع البيت العربى ويذكر فيه اسمه وعلا بنيانه على كل بنيان.

اختص البيت العربى بهذا الفضل العظيم ، وكاد سنا برق هذا الصيب الهاطل عليه من بركات السماء يخطف الأبصار ، وفى ذلك الأوان شاع بين الناس ، لقب الإمام ب "العربى الإدريسى " .

ولمَّا كان ذلك ، تفجرت الغبطة فى أوساط بعض من السادة الأشراف الأدارسة ، وأوغلت الحَمِيَّة نفوس المرضى من مريديهم ، فلم يجدوا بُد للحد من انتشار العصبة الهاشمية إلا النيل من شيخها ، والقدح فيه ، وهضم حقه ، فأثاروا الجدل حول نسبه الشريف ، وأنكروا أن إمامنا العربى يعتزى إلى الأشراف الأدارسة ، وأذاعوا ذلك بين الناس .

نسب له صادرة من نقابة السادة الأشراف بجمهورية مصر العربية ذرية سيدنا وإمامنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثبت بها : شهادة نسب ـ " تشهد نقابة السادة الأشراف بأن الشريف : فاروق إبراهيم كمال القاضى . من أهالى : القاهرة . هو من ذرية : مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه ، وذلك حسب ما هو مدون بسجل أنساب السادة الأشراف بالنقابة برقم : ٢٠٢٩١ بتاريخ : ١٩٩٧/٩/٧م مختومة بخاتم بيضاوى يقرأ " نقابة السادة الأشراف بجمهورية مصر العربية " ، الأمر الذى يؤكد أن والدة إمامنا حسينية النسب ، كما نمى إلى علمى أن إمامنا العربى صرح لكثير من أحبابه وزواره من السادة الأشراف الحسنيين والحسينيين أنه قريب لهم فى النسب الشريف. كما قص لى السيد/ طارق المراغى ـ محاسب ضرائب من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا أنه رأى السيدة / فاطمة الزهراء فى رؤية منامية تشير إلى سيدنا الإمام العربى وتقول :" هذا ولدى البكر " .

انتصب السواد الأعظم للذود عن شيخه ، والتصدى لدعوات الإنكار لنسبته الشريفة وهضم حقه الجلى ، والإفتئات على حق أبنائه في شرف النسبة النبوية من بعده ، إلا أنه استرجع قول إمامنا له : " أنا غيب يا أحمد أَحِدُ ولا أُحَدْ ، اسأل من يعجبك من العارفين ليقول مَنْ هو أبى ؟!!!

التجأ السواد الأعظم إلى الله ليوقفه على سلسلة نسب شيخه ؛ ورفع هضمه ، ودحض حِجاج المشككين فى نسبه الشريف ، فاستجاب الله مطلبه ، وأحاطه بسلسلة نسب شيخه تفضلاً .

وشرع السواد الأعظم فى إملاء النسب الشريف لإمامنا العربى ، ونظمه فيضاً سلسلاً مُذَهَبَا فى قصيدتين عصماوين ، أنشأهما فى التوسل بنسب شيخه من جهتى الأب ، والأم .

وينوه السواد الأعظم إلى أن النسب المذكور فى هاتين المنظومتين ـ لم يأته مكتوباً بكتاب عن شيخه ، وما جاء إخباراً عن غيره ، بل هو من قبيل علم الإحاطة ، الذى يصبه الله فى قلوب العارفين من عباده ، أو ما يسمى بالعلم اللدنى ، وفى ذلك يقول :

ونسبه علا فوق المقامات كلها * فلم يأت مكتوباً وما جاء بالخبر

كذلك علم العارفين إحاطة * لَدُنىّ علم الله منه لنا صدر

ويشار إلى أن الباحث قد عول ـ بصفة أساسية ـ فى جرد نسب إمامنا ، على ذلك النسب الوارد فى هاتين المنظومتين سالفى الذكر[1] .

كما يجب التنويه ـ هنا ـ إلى قيام أبناء إمامنا العربى ـ في الآونة الأخيرة ـ بالانتهاء من إجراءات إثبات نسبهم النبوى الشريف بالطرق الشرعية ، المتعارف عليها في إثبات الأنساب في دولة المغرب الشقيق بوصفه دولة أصولهم ، وبها بقية أجدادهم .

(١) هاتان المنظومتان مدونتان فى كتاب باسم " التوسل بالرجال " لمولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنه كما تم تحريرهما فى ختام كتيب باسم " ذخائر الصلوات على سيد السادات " ، من ص٩٣ ـ ص١٠٩ ، ويضم هذا الكتيب الصلوات على النبى بالأحرف الأبجدية المسماه ب "اليواقيت العرشية فى الصلوات على خير البرية " لمولانا الإمام العربى ، وكذا يضم الصلوات المسماه ب " الصلوات الكنزية على خير البرية : وكذا الصلوات بقافية الراء ،المسماه ب " الصلوات الرائية " وهما لمولانا العارف بالله تعالى الحاج احمد أبو الحسن ، ومقدمة الكتيب بقلم للشيخ / جابر عبد المنعم . وهذا هو المرجع الذى عولنا ـ أساساً ـ عليه فى نقل النسب الشريف.

وقد تم ـ حسب علمى ـ الحصول على التوقيعات اللازمة من الرجال العدول ، الذين شهدوا بصحة هذا النسب الشريف ، كما تم بصم تلك الشهادات بالأختام الرسمية المطلوبة .

كما علمت أنه جارى إثبات ذلك النسب الشريف لدى الجهات المعنية في مصر ، ونقابة الأشراف المصرية ، وما هي إلا خطوات لإنهاء إجراءات التصديق على ذلك النسب الرفيع من قبل تلك الجهات الرسمية[1] .

وبالطبع ، بظهور هذا النسب الشريف ، وتلك المشجرة المباركة ، يكون أبناء إمامنا قد قطعوا قول كل خطيب ، وأى حديث بعده هو سقط متاع ، لا يعبأ به ، ولا طائل منه ؛ إذ يجب التعويل على الوثائق الرسمية في هذا الشأن ، ودحض كل ما يخالفها .

ويضحى ـ بالتالى ـ ما سيرد هنا عن سلسلة نسب إمامنا من قبيل الاجتهاد في الحكم ، فإن وافق ما جاء في شهادة النسب الموثقة ، ومشجرها المرتقب فهو صواب وإن لم يوافقه فهو خاطئ فيما خالفه ، والمجتهد إذا أصاب له أجران ، وإذا أخطأ له أجر واحد ، وخطؤه مغفور ؛ للجهد المبذول ، والنية الصالحة إن شاء الله ، والناس أمناء على أنسابهم[2] .

وتبركاً وتيمناً ، أهدى إليك ـ عزيزى القارئ ـ ما نقل عن نسب إمامنا العربى الشريف :

نسب الإمام العربى من جهة أبيه

هو السيد/ محمد بن السيد / على بن السيد / السيد سليمان بن السيد / إدريس ابن السيد / العفيفى بن السيد / هاشم بن السيد / منصور بن السيد / عبد السلام بن السيد / إسماعيل بن السيد / يسن بن السيد / أحمد الفاتح بن السيد / إبراهيم البرانى بن السيد / عبد السلام بن السيد / حسن الراعى بن السيد / عبد العزيز المجذوب المغربى بن السيد / العفيفى العارف بن السيد / عبد الحافظ ابن

---

(١) أخبرنى السيد على البدرى ابن إمامنا العربى قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى أنه شرع فى توثيق نسب الإمام العربى لدى الجهات المعنية ، وبعد انتقاله أودع ملف توثيق النسب في عهدة السيدة منتهى العربى ، التي تبذل غاية عنايتها في إتمام إجراءاته ، فجزاها الله خيرا .

(٢) حديث الاجتهاد ، أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد برقم (٦٨٠٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد برقم (٣٢٤٠) ، ورواه عمرو بن العاص عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " .

السيد / الهُمَام بن السيد / يحيى التونسى بن السيد / العدوى الزرقانى بن السيد / إدريس الزاهد بن السيد / عثمان الطاهر بن السيد / عثمان النوال بن السيد / أحمد السياف بن السيد / الفاتح الحاكم بن السيد / مشتهر الناصر بن السيد / المعتمد (محمد المعتمد) بن السيد / فرج (مفرج) الصوَّال بن السيد / إبراهيم الجَوَّاد الإدريسى بن السيد / السايح الحربى الإدريسى بن السيد / إسماعيل بن السيد / محمد بن السيد / إسماعيل بن السيد / قاسم بن السيد / إبراهيم بن السيد / إبراهيم بن السيد / الحسن الأنور بن السيد / زيد الأبلج بن السيد / الحسن السبط بن مولانا الإمام / على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وابن السيدة / فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ورضى الله عن إمامنا العربى ، وعلى آبائه ، وأجداده الطيبين الطاهرين.

نسب الإمام العربى من جهة أمه

هو السيد / محمد بن السيدة / زينب ، بنت السيد / أحمد بن السيد / محمود الشريف بن السيد / عبد الكريم الشريف المغربى الفاسى بن السيد / سالمين بن السيد / حمد بن السيد / الشيخ على (شيخ الدين) بن السيد / محمد بن السيد / محمد (حمد) بن السيد/ على (على الدين) بن السيد / عثمان بن السيد / على بن السيد / محمد (جمال الدين) بن السيد / يوسف بن السيد / حسن بن السيد / الشريف بن السيد / عَرَكِ الدين بن السيد / يوسف بن السيد / أحمد بن السيد / على (على الدين) بن السيد / محمد فَتْحَا بن السيد / عمر بن السيد / أدريس بن السيد / على بن السيد / محمد بن السيد / أحمد بن السيد / عثمان بن السيد / أحمد بن السيد / محمد بن السيد / مُفرِّج بن السيد / أحمد بن السيد / محمد بن السيد / أحمد بن السيد / إبراهيم (إبراهيم الفاسى) بن السيد / أبى بكر بن السيد / إسماعيل بن السيد / عمر بن السيد / على بن السيد / عثمان بن السيد / حسين (حسين الفاسى) بن السيد / محمد بن السيد / موسى بن السيد / يحيى بن السيد / عيسى بن السيد / على التقى بن السيد / محمد المهدى بن السيد / حسن العسكرى بن السيد / على الهادى بن السيد / محمد الجواد بن السيد / على الرضا بن السيد / موسى الكاظم بن السيد / جعفر الصادق بن السيد / محمد الباقر ابن السيد / على زين العابدين بن سيدنا / الحسين السبط بن مولانا الإمام / على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وابن السيدة / فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا

محمد بن عبد الله رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ورضى الله عن إمامنا العربى ، وعلى آبائه ، وأجداده الطيبين الطاهرين .

وجدير بالذكر ، أنه بالإضافة إلى النسب الوارد فى المنظومتين المذكورتين آنفاً ، فقد رجع الباحث فى تقصى نسب إمامنا العربى إلى نسبه الوارد فى كتيب باسم : " أوراد وأذّكار فتوحية عن فتح تجليات علية ومؤانسات قدسية " لمولانا الإمام السيد / محمد أبو الفتوح العربى الإدريسى المغربى ـ رضى الله عنه ـ جمع وإعداد الشريفة / كريمة العربى ـ كريمة إمامنا العربى ـ وتقديم بقلم ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ / جابر عبد المنعم(١) .

وأود التنويه ـ هنا ـ إلى الملاحظات الآتية :

أولاً ـ بالنسبة للنسب الشريف من جهة الأب :

١ـ أن الجد السابع لإمامنا فى عمود النسب المذكور ، وهو السيد / إسماعيل قد سقط من عمود النسب الوارد فى منظومة السواد الأعظم فى نسب الإمام العربى من جهة أبيه ، والتي اعتمدها الباحث فى تحرير النسب الشريف ، وغالباً ، أنه سقط سهواً عند طباعة تلك المنظومة(٢).

٢ ـ تم رفع اسم السيد / إسماعيل من بين اسمى : السيد / إبراهيم (الجد الرابع والثلاثين) ، وبين السيد / إبراهيم (الجد الخامس والثلاثين) ، رغم وروده فى كل من المنظومة ، وكتيب " أوراد وأذكار فتوحية " ؛ ترجيحاً لوروده على سبيل الخطأ فى النقل عند طباعة المصدرين المذكورين ، أوعند نقل أحدهما عن الآخر .

ويرجع ذلك إلى أن الجد الرابع والثلاثين وهو السيد / إبراهيم بن السيد / حسن الأنور ليس له عقب باسم " إسماعيل " ، فقد أعقب اثنين فقط هما : إبراهيم ، ومحمد ومن ولد محمد هذا: الحسن الذى أعقب محمدا ، وبهذا انتهى

---

(١) سيأتى الحدث ـ بتفصيل أكثر ـ عن هذا الكتب راجع مبحث (الأوراد والأذكار الفتوحية) ، الفصل الأول من الباب الثانى من هذا المؤلف .

(٢) انظر :منظومة السواد الأعظم ، فى ديوانه التوسل بالرجال ، وأيضاً فى كتيب بعنوان " ذخائر الصلوات على سيد السادات ، من ص ٩٣ ـ ١٠١ .

هذا التفريع من سيدنا حسن الأ نور بن سيدنا زيد الأبلج على المشهور فى كتب الأنساب وبدقة التحرى عن صحة هذه الفروع[1] .

٣ـ ظهر لقب الإدريسى فى عمود النسب لأجداد إمامنا العربى أكثر من مرة ، فالسيد / سليمان (الجد الأدنى لإمامنا) كان يدعى بالسيد / سليمان الإدريسى ؛ نسبة إلى أبيه السيد / إدريس (الجد الثانى) ، ثم تكرر بعد ذلك لقب " الإدريسى " فى أجداده ثلاث مرات أخرى ، فها هو السيد / إدريس الزاهد ، (الجد التاسع عشر) ، والسيد / أبو إبراهيم الجواد الإدريسى (الجد الثامن والعشرون) ، ويليه السيد / السايح الحربى الإدريسى (الجد التاسع والعشرون) .

ولعل ذلك هو ما أوقع الخلط عند البعض بين نسب إمامنا العربى ، الذى يرجع إلى سيدى إبراهيم بن سيدى إبراهيم بن سيدى حسن الأنور بن سيدى زيد الأبلج بن سيدنا الحسن السبط من جهة ، وبين نسب السادة الأدارسة ، والذى يعود إلى سيدى إدريس الثانى بن سيدى إدريس الأكبر بن سيدى عبد الله المحض بن سيدى الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط من جهة اخرى ، وهو ما يعنى أن إمامنا يلتقى مع السادة الأدارسة فى الجد الأعلى فقط ، وهو سيدنا الإمام الحسن السبط بن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وابن سيدتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها ، وعلى أبيها ، وأبنائها أفضل الصلاة ، وأزكى السلام[2].

هذا فضلاً عن احتمال اعتزاء إمامنا إلى إدريس الأكبر بن سيدنا عبد الله المحض بن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط ـ عليهم السلام ـ من جهة نسب أم أبيه ولم يقف الباحث على ذاك النسب ـ نسب أم والد إمامنا العربى ـ حتى مثول هذا المؤلف للطبع .

---

(١) على سبيل المثال ، انظر : محمد إبراهيم محمد سالم ، ملتقى الأطراف فى أنساب ومناقب الأشراف ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧م ، ص٢٧ .

(٢) روى لى أحد الأخوة ، وهو شريف حسينى من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا أنه شاهد فى ليلة السادس والعشرين من رجب ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠/٣/٢١م الإمام الحسن السبط عليه السلام وبجواره ابنه الإمام زيد الأبلج فى رؤية منامية صالحة ، وكان الإمام الحسن يقوم بمراجعة نسب إمامنا العربى ، وقال له: أن نسب الشيخ العربى ينتهى إلى السيد حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج ، وأنه أقرب ما يكون إلى السيدة نفيسة بنت سيدنا حس الأنور ، وأن هذا النسب لا يلتقى مع أدارسة مصر إلا فيه هو أى فى الإمام الحسن فقط .

ولا غرو ـ في أي من الحالتين السالفتين ـ أن يطلق لقب " الإدريسى " على إمامنا العربى ، وإن كان ذلك اللقب لايزيد في شرفه شيئ ، وحجبه عنه لايقل من شرفه شيئ والله أعلى ، وأعلم .

ثانياً ـ بالنسبة للنسب الشريف من جهة الأم :

١ـ السيد / سالمين (الجد الرابع لإمامنا العربى) هو أصل العائلة السالمينية ، التى تدعى ب " بيت آل سالمين " ، وهو من أعرق بيوتات السادة الأشراف فى مدينة فاس بدولة المغرب .

وعَلَّ تلك العائلة هى المشار إليها فى معرض فخر إمامنا العربى بنسبه ، إذ يقول: " مما منَّ الله به علينا أنا من عائلة لايستهان بخيالها ، ومن بيت إن لم يشفعوا فى الناس فلا شفاعة لهم ، وربما تتوقف الشفاعة على صبى فيهم "(١) .

٢ ـ زيد على سبيل الخطأ المطبعى فى كتيب " أوراد وأذكار فتوحية " : ذكر اسم السيد / عثمان مرتين بعد ذكر السيد/ سالمين (الجد الرابع لإمامنا العربى) ، وكذا ، زيد ذكر اسم السيد / أحمد بن السيد / نور الدين بعد ذكر السيد / محمد (الجد الثامن والعشرون لإمامنا العربى) ،وأخيراً ، زيد ذكر اسم السيد / محمد بعد ذكر السيد / إبراهيم الفاسى (الجد الثالث والثلاثون لإمامنا العربى) ، وبالطبع ، لا تغيب تلك الأخطاء المطبعية اليسيرة عن فطنة القارئ ، وجلَّ من لا يسهو .

ولا يسعنى فى ختام ذكر هذا النسب النبوى الشريف إلا استعارة دعاء السواد الأعظم فى ختام منظومته فى نسب إمامنا العربى من جهة الأم قائلاً :

إلهى توجهنا به وبآله * بأبنائه الأشراف وأجداده الغرر
امتنا على دين ابن رامه موحدا * وادخلنا فى جمع له الله قد غفر
ووسع لنا الأرزاق والحج دائما * وفى كل عام بين من طاف واعتمر

---

(١) انظر مؤلفنا ، السواد الأعظم ، ص ٦٠ ، ٦١ ، وقد عول الباحث - بصفة أساسية - فى الحديث عن سيرة الإمام العربى على ما جاء على لسان حضرته فى تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، المحررة بمعرفة علاء الدين موسى وكيل نيابة أمن الدولة العليا ، باشراف المستشار رجاء العربى المحامى العام فى القضية المعروفة باسم "العصبة الهاشمية" يومى ١٩٨٢/٧/٣٠ ، ١٩٨٢/٨/٣، باعتبارها وثيقة رسمية "غير منشورة" ، وقد تحصل الباحث على نسخة رسمية منها ، فضلاً عن أحاديث العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عن شيخه الإمام العربى .، وذكر مثله الشيخ جابر عبد المنعم على ، فى تقديمه لديوان العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، (اللطائف السنية فى مدح خير البرية) ص ١٢ .

ودوماً إلى الفيحاء روضة حبيبنا * نكن بين أيدى طه سيد البشر
عليك سلام الله والآل عدتى * كذلك للصديق وفاروقه عمر
واغفر لناظمها وقائل وسامع * وأيضاً لكاتبها متى ما طيبها نشر
سألتك بالله اللطف فى القدر * بما جاء فى الآيات فى حضرة السور

وحمداً لله أن وفقنى الله ، وهيأ لى أسباب جمع هذا النسب الشريف ، وليس لى فيه أدنى فضل ، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، فإن وجد فيه خطأ ، أو سهو ، أو تقصير فإنى أبرأ نفسى أمام الله ، وأمام رسوله .

وأشهد الله أنى لا أريد من وراء ذلك إلا قرب الله ، ومودة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ والسيرعلى نهج السابقين فى ربط الأبناء بالآباء ، والأحفاد بالأجداد ، وحتى لا ينسى ذكر هؤلاء الرجال مع مرور الأيام ، وتغير الأحوال .

واكتفى بهذا القدر من ذكر نسب إمامنا الشريف ـ نفعنا الله به ، وبذريته ، آمين!

الفصل الثانى

{نشأته ، ومزاراته}

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين اثنين : يتحدث المبحث الأول عن نشأة إمامنا العربى ، وسياحته ، وخلوته ، وأسرته بينما يتحدث المبحث الثانى عن مزاراته في طريق بداياته ،
وعلى النحو التالى

المبحث الأول

نشأته ، وسياحته ، وخلوته ، وأسرته

مازلنا ـ عزيزى القارئ ـ فى فلك الحيرة سابحين ، وتلك المرة ، الحيرة فى تقصى مولده ، ونشأته ، وسياحته ، وخلوته ، حيرة تعتزى إلى الصفة النادرة ، التي تَدَثَّر بها إمامنا العربى ، وهي صفة التواضع ، وهضم الذات .

أظلنا إمامنا العربى بسحابة غيبية من الحيرة ، بعد أن اختص حضرته بحال سامى فيها ، فهي أهل له ، وهو أهل لها ، حيرة بها عَز ، وصار فذ ، حيرة زُجَّ بها إمامنا فى مواطن لا يُزاحَم فيها ، فلا تُدْرَك حقيقة مواطنه العَلَيَّة بالأبصار ، ولا بالبصائر النبيهة ، وقيل أن : فى الحيرة مسيرة ، وليس برب منْ لا يُحَيِّرك .

وتراه يناجى ربه قائلاً : " إلهى ... إن الحيرة السامية باب من أبواب عزتك الجبروتية ، باب من حضرتك العلية ، وتفجير كل جدول تنزيل ، وغدير فينا لأسماءك الأزلية ، فاجعلنا يا جواد يا كريم يا ودود يا عليم ، ممن وقع نظرك عليهم من خاصة عبادك ، وأصبتهم بالحيرة من رشاش نور ودادك ، ووداد رشادك ، تفضلاً منك لا وجوباً عليك ، وقد أوقفتهم بين يديك ، وارتضيت الحيرة أهلٌ لهم وهم أهلها ، حيرة تجلب لهم الهجرة الجوهرية للأولين والآخرين ، فى محيط خير البرية ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ حيرة تزج بهم فى مواطن لا يُزاحَمون فيها ، ولا يدركون بالأبصار ، ولا بالبصائر النبيهة .

إلهى ... يا من فى جمال سبحات وجهك ، وعظيم جلال سلطانك ، كل قلب وقع نظرك عليه حار ، وكل عبد له تجتبى وتصطفى وتختار ـ فى تيه ساحات تسبى عقله فى انبهار .

إلهى ... إن الحيرة منك وفيك تُطهر بها القلب ، الذى يهفو إلى تجليك ، فتفضَّل علىَّ بذلك القلب ، الذى تكمن فى وديانه القوة الإلهية من لدنك ، والتى تخيب رجاء الشيطان فى كل بقعة وميدان ، يا عظيم يا جليل يا ديان .

إلهى ... إن فى الحيرة الفلك والمدار ، الذى تدور عليه الإشارة ، وهى المُشار ، يُشار إليها بالجمل لا بالتفاصيل ، فتجلب الأنس الصافى لمن اصطفيته خليل . فطوقنى فيك بكل الحيرة ، وزدنى اللهم فيك تحيراً فى دار الدنيا ، وكذا الآخرة ، مع دوام فكاهات البسط والمسامرة ، وتدفق وابل المواهب الهامرة "[1].

نشأ إمامنا ـ حقيقة ـ فى فلك الحيرة ، وذاك المدار ، وتربى فى محض فضله ، وأحيط بعطفه ، ولطفه ، ويناجيه قائلاً : " اللهم أنت المربى لأهل حضرتك ، خاصتك المعشوقين ، وأنت لهم النديم ، الممد لهم بجميع الإمدادات من فيضك العميم ، محض فضل من لدنك من وارف كرمك القديم ، وقد أحطتهم بحلمك وعطفك ولطفك القديم ، فهم لا يغفلون عنك بك طرفة عين أو أقل .

ويدعو متنهداً ، ومتضرعاً : " اللهم اجعلنا أطفال فى حجرك الذى هو حجر حبيبك ، عباداً لك حقاً ، ذاتيين ربانيين ، وارضعنا من ألبان نهود تجليك ، واجعل قلوبنا مرائيك ، تعكس فيها أنوار عرائس مجاليك "[2] .

هذا حال عباد الله الذاتيين ، هؤلاء الذين خلقهم الله لنفسه ، واصطفاهم بيده لحضرة قدسه ، وصنعهم على عينه ، وجلببهم بجلباب لا حول ولا قوة إلا بالله ، يفعلون ما يؤمرون .

ويطيب لى عرض ما أتيح لى عن نشأة إمامنا ، وسياحته في مطلب أول ، ثم عن خلوته ، و أسرته في مطلب ثانى ، وذلك على النحو التالى :

---

(١) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، ص ٥٨ ـ ص٦٠.

(٢) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، ص٧١ ، ١١٨ .

المطلب الأول

نشأته ، وسياحته

أخذ الله على عباده الذاتيين عهداً ألا يدلون إلا عليه حقاً ، وعلى حقيقة مصطفاه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صدقاً ، وألا يدللوا على أنفسهم ، أو أهليهم أبدا .

وينصح العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان البغدادى ، قائلاً : " الشيخ الحق هو الذى يسوق إلى الله ، لا الذى يسوق إلى نفسه ، وهو الذى يدل على الله ، وعلى ذات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لا الذى يدل على نفسه ، فالذى يدلك على الله ، وعلى ذات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أوقفك على باب البقاء ، والذى يدلك على نفسه ـ أوقفك على باب الفناء ، فكن مع الباقى ولا تكن مع الفانى"[١] .

أوفى إمامنا العربى بعهد ربه ، وغلبت عليه صفة هضم الذات ، فتسامى عن الإفصاح عن مولده ، أو نشأته ، أو سياحته ؛ اكتفاءً بقربه من الله ورسوله ، والعزة بالله ورسوله .

وألقت تلك الصفة بظلالها على سيرة إمامنا ، وبات الباحث معصوب العينين يتعقب نشأة إمامنا وسياحته بأنامله ، شيئاً فشيئاً حتى تكتمل الصورة أمام القارئ .

ولم يعدم الباحث من التقاط بعض العبارات المقتضبة ، التي أفصح بها إمامنا عن نشأته وسياحته ، فضلاً عن أحاديث جَمَّة ذكرها السواد الأعظم حكاية عنه ، كما تتبعنا ما ذكره أدعياء قرابته عن نشأته .

---

(١) من نصائح العارف بالله تعالى الحاج احمد رضوان ، نقلاً عن : مصطفى صبرى الرضوانى .

أولاً ـ ما ذكره إمامنا عن نشأته ، وسياحته[1] :

وُلِدَ إمامنا العربى – على الأرجح ـ فى غضون عام ألف وثلاثمائة وخمسين وخمسة من الهجرة النبوية (١٣٥٥هـ) ، الموافق ألف وتسعمائة وثلاثين وستة من الميلاد (١٩٣٦م)[2] .

ولم يشأ إمامنا التحدث عن نشأته ، أو سياحته ـ كما سلف القول ـ ولولا حالة الاضطرار ـ التى نوهنا عنها آنفاً ـ لما نطق ببنت شفاه عنها ، وعندما تحدث أوجز ، وعلى قدرعقل السامع خاطب ؛ وقوفاً على قول جده الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ :" حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله "[3] .

يقول إمامنا العربى : " بدأت اهتم بالنواحى الدينية وأنا فى سن العاشرة ، حيث أننى بدأت الصلاة فى هذه السن ، وسبب صلاتى فى هذه السن المبكرة أننى قررت أن أسلك سلوك والدى فى الصلاة ، حيث أنه كان يصحبنى معه إلى المسجد للصلاة ، وكانت والدتى وأنا فى سن السادسة من عمرى تخبرنى بأن والدى ينتسب للإمام الحسن ، وأنها هى تنتسب للإمام الحسين من بيت النجار ، ثم حدث إننى وأنا فى سن الثانية عشر رأيت لأول مرة حضرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، وقال لى يا ابنى ياحبيبى عليك بالسيد عطية فى المنصورة فهو من أبواب حضرتى ، وكنت لا أعرف منْ هو الشيخ عطية ، فسألت عليه ، ودلونى عليه أهل الخير ، وكان عمره ثمانون سنة ، وكانت ساحته عامرة بالفقراء والمساكين

---

(١) عوَّل الباحث - بصفة أساسية - فى الحديث عن سيرة الإمام العربى على ما جاء على لسان حضرته فى تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، المحررة بمعرفة علاء الدين موسى وكيل نيابة أمن الدولة العليا ، باشراف المستشار رجاء العربى المحامى العام فى القضية المعروفة باسم "العصبة الهاشمية" يومى ١٩٨٢/٧/٣٠ ، ١٩٨٢/٨/٣، باعتبارها وثيقة رسمية "غير منشورة" ، وقد تحصل الباحث على نسخة ورقية منها ، فضلاً عن أحاديث العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عن سيرة شيخه الإمام العربى .

(٢) وقيل أن ميلاده كان في عام (١٩٣٤م) ، أو عام (١٩٣٥م) ، كما قيل أنه ولد في شهر يوليو من عام (١٩٣٧م) ، إلا أنه أثبت بتحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، في قضية العصبة الهاشمية ، التى جرت أحداثها عام ١٩٨٢م ، أن سن إمامنا العربى ـ من واقع بيانات بطاقة الهوية ـ هو (٤٦) عاماً ، وهو ما يرجح ـ حساباً ـ أن ميلاده كان في عام ١٩٣٦م .

(٣) جاء في صحيح البخارى موقوفاً عن على ، ونحوه ما في مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود قال :" ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " .

، وسلَّمت عليه وقبَّلت يده وأقمت فى ضيافته ومكثت معه مدة كبيرة أتردد عليه .

وظللت أتردد عليه إلى أن حصلت رؤية أخرى من سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لى فى هذه الرؤية عليك بالشيخ أبو الوفا الشرقاوى فى الصعيد نجع حمادى ، فذهبت إليه فى ساحته فى الصعيد ، ورأيت ساحته عامرة بالبشوات ، وكبار رجال الدولة ، وتقابلت معه وعندما وضع يده فى كفى رأيت يد من نور تمسك يدينا نحن الاثنين ، فقلت للشيخ يد من هذه يامولانا ؟ قال لى أنها يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وظللت فى التردد على الشيخ أبو الوفا الشرقاوى إلى أن جاء لزيارته الشيخ أحمد رضوان، فتقابلت عنده مع الشيخ أحمد رضوان ، ووجدته رجل وقور ، وسلَّمت عليه وأخذنى معه إلى ساحته فى البغدادى بقنا ، وتتلمذت على يد الشيخ أحمد رضوان حتى توفى سنة ١٩٦٧م "[١].

ويستطرد الإمام العربى قائلاً : "بعد وفاة الشيخ أحمد رضوان قررت أن أفتح ساحة خاصة بى ، وسبب اختيارى لكلح المفالسة بمركز إدفو أننى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام ، وأمرنى الرسول أن افتح ساحة (مضيفة) فى هذا المكان ، وفتحت الساحة ، وبنينا فيها مسجد ، وبدأ الزوار ، والأحباب يترددون علىَّ ، وبدأت البلاد المجاورة تعرفنى ، وبدأ يزورنى كذلك الناس التى كانت تذهب للشيخ أحمد رضوان على أننى تلميذه ومُحِبَه .

وفى هذه السنوات كنت أرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام كثيراً ، وفى إحدى المرات كنت مريضاً ورأيت سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام وقام بوضع يده الشريفة على بطنى وصدرى ، فَخَفَّت مابىَّ من آلآم ، فانتبهت واستيقظت وقد شُفيت ، وفى منام آخر جاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفتح لى كم جلبابه ، ودخلت داخل جلبابه فى الكم ، ووصلت إلى صدره الشريف ، وقد خُيِّل لىَّ أن رأسه فى السماء ، وقد سدت الأفق" .

ويقص إمامنا العربى : " كانت السيدة فاطمة الزهراء البتول رغم أنها جدتى ، كانت ـ أيضاً ـ أمى قبل أمى ، وبعد أمى ، التي ولدتنى ، فكانت تصحبنى بعد انتقال أمى إلى الرفيق الأعلى ، وتقتادنى من يدى ، وتتجول بى على السادة الأشراف من ذريتها في كل أصقاع الأرض ، حواضرها ، وبواديها ، وتعرفنى

---

(١) من أقوال الإمام العربى بتحقيقات نيابة أمن الدولة ، في قضية العصبة الهاشمية ، وأحداث القلعة ، سالف الإشارة إليها .

بهم وذلك بطى البصر ، والبصيرة ، بصيرة الله المطلقة ، حتى أوقفتنى عند بيت بسيط البنيان في قرية ، وكانت تقف أمام البيت سيدة كفيفة البصر ، وبعدها قالت لى أمى السيدة فاطمة البتول: محمد يا بُنَىْ ، هذه السيدة الكفيفة من ذريتى أيضاً ، وهى بقية ذريتى فى هذا النجع ، فكن بها باراً وبمن على شاكلتها .

ثم توقف إمامنا وغَنَّى شادياً : لمى لوليداتك لمى * على باب الجنة واتلمى"[1] .

فوالذى يحلف به احتضنتنى السيدة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ وكانت أمى بعد أمى ، بل لا أعرف لىَّ أم سواها فى الحضر وفلاها ، وكانت تصحبنى فى سياحتى وتوجهنى ، فأنا أُعتبر ابن غير مباشر للسيدة فاطمة الزهراء ، فأنا من سلالتها "[2].

ويضيف إمامنا : أن الله ـ جل وعلا ـ لم يجعل لى مع الأطفال لعب ، ولكن كنت أرى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى طفولتى

---

(١) يقول الشيخ جابر عبد المنعم :" على ما تحضرنى الذاكرة ذات مرة قص لنا زكى الدين خضم العارفين مسامراً حاكيا عن جدته السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وأم الحسنين عليهم سلام الله فقال قدس الله سره ، وذكر ما جاء فى المتن ، وبعد ثلاثة أيام جاء إلى الساحة المباركة أبو محاسنها سيدى وأستاذى في غرام إمامى العربى وعترته ، فذكرت له هذه الواقعة لإمامى ، فتمايل رضى الله عنه وجداً ، وعانقنى ، وطفق يردد ما أنشده إمامنا مخاطباً جدته وأمه قبل أمه وأمه بعد أمه التي أنجبته : لمى لوليداتك لمى * على باب الجنة واتلمى ، ثم نهج سيدى أبو المحاسن نهجاً وأضاف إليها أبيات أخرى فأنشد يقول : لمى لوليداتك لمى * على باب الجنة واتلمى ، لمى لوليداتك هيَّا * بكمالك للناقص تِمِّى ، لمى لوليداتك يا الله * ومن فضلك للشارد ضُمِّى ، لمى لوليداتك قومى * بعزائم من عزمك هِمِّى ، لمى لوليداتك يا أمى * أنوارك في عضاهم عُمِّى ، مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، بساتين الجنات في المدائح والصلوات على سيد السادات ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، صفحة : ٢٦٩ .

(٢) عوَّل الباحث - بصفة أساسية – على ما جاء على لسان الإمام العربى فى تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، المحررة بمعرفة علاء الدين موسى وكيل نيابة أمن الدولة العليا ، باشراف المستشار رجاء العربى المحامى العام فى القضية المعروفة باسم "العصبة الهاشمية" يومى ١٩٨٢/٧/٣٠ ، ١٩٨٢/٨/٣، باعتبارها وثيقة رسمية "غير منشورة" ، وقد تحصل الباحث على نسخة رسمية منها ، فضلاً عن أحاديث العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عن شيخه الإمام العربى .

كأنهم أطفال هذا أبو بكر ، وهذا عمر، يحدثونى ، ويذكونى ، ويعلمونى ، ويفيضوا على ، فأنا محجوب عن عالم سائر فيه ، لمَّا أفيق أأكل ، ولمَّا أفيق أشرب"[١] .

ويوضح السواد الأعظم قائلاً : " الإمام محمد أبو الفتوح العربى يعايش حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أنه كان يرى السادة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى طور عمره ، يخاللهم ، ويأنس برفقتهم ، وذلك من غزارة أعماق ما هو فيه من جمعية بسيد الوجود"، ويترنم فيه قائلاً[٢]:

وله التجلى الذاتى كان بمهده * وعلى رجال الغيب يسمو مجده
وجميع أهل الوقت وصلوا برفده * نعم المربى إن طلبت لنهجه
بعطائه فقتا على الأنداد

وفى موضع آخر ، يقول إمامنا :" في سياحتي ، وقبل أن استقر بالكلح ، مكثت في قرية اسمها " الحقنة " ما يقرب من ثلاثة أعوام ، وبينما أنا ذاهب لأتوضأ بجوار مسجد القرية ، وأصلى صلاة العصر ـ رأيت جدى الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه ـ وقال لى : توضأ يا محمد ، فقلت له : عفواً جدى توضأ حضرتك . فأصر جدى على أن نتوضأ سوياً ، فحينما فرغت من الوضوء ، قال لى الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ : أنت يا ابنى محمد أحسن الناس وضوءاً فى هذا الزمان[٣] .

ويحكى أن إمامنا حينما حَلَّ بقرية الكلح[٤] : كانت آيته حين قَدِمَ البلد ألا يكلم الناس ، فيحسبه الجاهل أبلم ، وعُرِفَ بينهم باسم " الشيخ محمد " ، فإن خاطبوه بحديث ، يعيده عليهم كرة ثانية ، فإذا قيل له : أهلاً ياشيخ محمد ، يردد مجيباً عليهم: " أهلاً ياشيخ محمد " ، وإن قيل له : كيف حالك ، يرد عليهم : كيف حالك ، وهكذا دواليك .

أحبه أهل الكلح ، وأنزلوه منزلة أبنائهم ، وكان مُكثُه فيهم مكوث السيَّاحين فى الأرض ، الذين لايسألون الناس إلحافا ، عايشهم ، ومالأهم على قضاء

---

(١) مولانا العارف بالله تعالى الحاج / أحمد أبو الحسن عبد الرحمن رضى الله عنه ، اللطائف السنية فى مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم ، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٧٩٧٦/ ٢٠١٧م ، فى المقدمة ، بقلم الشيخ / جابر عبد المنعم على ، ص ١١ ـ ص ١٤.

(٢) السواد الأعظم ، ديوانه " اللطائف السنية في مولد خير البرية ، الطبعة القديمة ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى " قصيدة بعنوان " شكر اليد التي كان عنها المد ، ص١٠٣ .

(٣) نقلاً عن السيدة كريمة العربى ، كريمة إمامنا العربى .

(٤) قرية كلح المفالسة من أعمال مركز أدفو شمال محافظة أسوان فى أقصى صعيد مصر ، وتشتهر حالياً ب" كلح العربى" انتساباً إلى الإمام العربى .

حوائجهم ، وباراهم فى التحطيب هوايتهم ، التى برعوا فيها ، فظهر عليهم ، فأُعجِبوا بجسارته وقوته ، وانبهروا من حرفيته مع حداثة سنه ، وذاع صيته بينهم .

ثم أبان لهم كثيراً من الشواهد ، والآيات البيِّنات على صلاحه ، وبركته ، فقدَّروه، وأحبوه، وحنوا عليه ، وفتحوا له منازلهم ، يأنسوا به ، ويُطعَم معهم ، ومما يحكى أن أحدهم استضافه فى منزله ، ولمَّا أحضروا الطعام ليأكلوا منه ـ رفض الشيخ ، وأهرقه على الأرض ، ثم تبين بعد ذلك أن ذلك الطعام كان مسموماً[١].

ثم آتاه الله علم الطب فضلاً ، فكان لهم الطبيب المعالج لأمراضهم البدنية والروحية ، وشاع ذكره فى البلدان من حولهم ، واشتهرت كرامته فى علاج الحالات المرضية المستعصية .

بانت كرامته ، وعظم قدره لدى أهل قريته ، وظل فيهم كذلك حتى اتخذ فيهم بيتاً ، قطع منه جزءاً لخلوته ، ثم أقام المسجد ، وشيد المضيفة ـ الساحة ـ على الشاطئ الشرقى لنيل مصر، بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ كما ذكر آنفاً.

وعن حقيقة نشأته ، يقول : " كنت قبل عالم الكتمان ، وقبل عالم الذر فى عالم الغيب والشهادة ، وفى كنز العماء ، كان على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، ورسول الله ، وكنت معهم"[٢] ، كما كان يقول : " لا اتكئ على قبيلة ، وقبيلتى هو سبحانه وتعالى " .

ثانياً ـ ما ذكره السواد الأعظم :

إزاء ما اكتنف نشأة ، وسياحة شيخه من كتمان ـ راح السواد الأعظم يقتطف بأنامل المعرفة تلك البدايات من بساتين الحكايات ، التى خصه بها إمامنا ، فجمعها ، وتذوقها ، وهضمها ، وأحاط بها علماً ومعرفة ، وما فتئ يتحدث عن سيرة شيخه فى مجالسه ، وخطبه ، كما رصع بها قصائده ، ومدائحه .

---

(١) صاحب القصة يدعى الحاج فكرى رحمه الله ، من أحباب الإمام العربى ، من قرية الكلح .

(٢) يقول السواد الأعظم : سألت شيخى الإمام العربى ـ عن جامعيته بسيدنا رسول الله فأجابنى بما ذكر فى المتن . وقد سبق الإشارة إلى رؤيا السيد/ طارق المراغى ـ شريف النسب ـ من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا ـ التي رأى فيها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تشير إلى إمامنا العربى قائلة :" هذا ولدى البكر"،وفى رؤية أخرى قالت له فيما معناه :" هذا ولدى وقد هضم الناس حقه ".

وينوه السواد الأعظم بأن كل ما قيل ، وما يقال عن سيرة إمامنا العربى ما هى إلا قشور لجوهره المصون ، أما حقيقته فلم يطالها إنسان ، أو ينطق بها لسان ، وفى ذلك يقول : " أنا أتكلم في القشور ، لكن إن شاء الله لو طال المدى ، وبقيت فىَّ أنفاس والله وتالله وبالله ورأس رسول الله ما أقول إلا على ما رأيته ، ولا أتكلم بالذى سمعته ، وهآؤُم اقرأوا كتاب السواد الأعظم عن نشأة إمامنا وسياحته :

نشأ إمامنا العربى فى كنف أبيه وأمه ، فأما أبوه ، فهو السيد الشريف ، والولى الكامل السيد / على ، وُلِدَ بمكة المكرمة ، وشُهِرَ بالحاج على ؛ لمواظبته على أداء فريضة الحج كل عام ، ولما انتقل أبوه العارف بالله السيد / سليمان الإدريسى ـ وهو من أهل الفتوة ، و جدٍ للأبدال ـ لزم السيد / على ـ والد إمامنا ـ الخلوة .

وبعد رحيل الأسرة من الحجاز إلى المغرب ظل السيد / على مواظباً على أداء فريضة الحج ، وزيارة جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ حتى وافته المنية هناك ، ودفن بالبقيع .

وأما أم إمامنا ، فهى السيدة زينب النجارية التقية النقية العارفة بربها ، كانت ـ رضى الله عنها ـ من أهل الديوان ، وعلى دوام جامعية بالنبى ، وأهل بيته ، وأهل البرازخ ، وتتحدث معهم بلسان الملائكة ، أى بالسريانية ، وكانت مجابة الدعاء ، وكان إمامنا العربى يقر بفضلها ، فيقول : " كل ما أنا فيه ببركة دعائها " .

أمر النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أم إمامنا ، قائلا لها : " اذهبى به إلى مصر، واتركيه " ، فنزلت بمصر، وفعلت ما أُمِرَت به ، ثم استقرت بإحدى قرى محافظة الشرقية ، التى كانت محطاً لآل البيت فى ذلك الوقت ، وانتقلت ودفنت بها .

ويقص السواد الأعظم عن شيخه قائلاً : قال لى : " حملت بى أمى في المغرب ، وولدتنى بالحجاز ، ثم عادت بى إلى المغرب . ثم اصطحبتنى إلى مصر ، وفارقتنى عند باب السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ وأنا ابن ثلاث سنين وعشرة أشهر " .

ويستطرد قائلاً : عند باب السيدة زينب أقبل عليهما رجل من الأولياء ، رحب بهما ، واستضافهما بين أهل بيته ، وأكرمهما أيَّما إكرام ، وقيل : أن الذى استقبل الشيخ وأمه الشريفة بمصر هو العلامة المحدث الحافظ المتبحر فى أنواع

الفنون الذائق المحرر المقرر للمتون أبو المواهب الشيخ محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى عبد الله بن سيدى أحمد الشنقيطى ، الملقب ب " ما يابى " ، أى : السخى الذى لا يرد سائلا[١] .

وفى اليوم التالى ، التقى بهما السيد / محمد الغمارى عند باب السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ وبعد أن طمئنته على أخبار أهلها بالمغرب ـ تركته ، ونظرت إلى ابنها نظرة الوداع ، ونظر إليها إمامنا ، وقال : يا أم إنى أعلم أنك مجابة الدعوة ، وإن ابنك سنه صغير ، سَلِ ربك يجعلنى معك حتى ولو عامين . قال : فهجمت علىَّ كالأسد ، ووضعت يدها على صدرى ، والثانية على ظهرى وقالت : يا محمد ..أتخاف؟ اللهم لا تحوجه للأب ، ولا للأم ، ولا للخال ، ولا للعم ، وعَجِلْ له جامعية بجده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رفعت يدها عن صدرى رُفِعَتْ من قلبى عاطفة الأمومة .

فارقتنى أمى عند ضريح السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ وانتقلت بعدئذ إلى جوار ربها ، وليس لى غير ربى ، والنبى حِبى ، ولم تدعنى عنايته ـ تبارك وتعالى ـ وحيدا .

وبعد أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه ـ له بالسياحة على العارفين ، وتوجيهه إلى سيدى عطية بالمنصورة ، كما ذكر آنفاً ـ قيل أنه تنقل من قرية إلى قرية فى أرض سيناء ، ودلتا مصر إلى أن وصل إلى كوم الشقافة في الأسكندرية ، ومكث فيها فترة .

وفى مشهد موسوى فى سياحته ، يقص السواد الأعظم حكاية عن إمامنا العربى قوله : ومما منَّ الله به علينا ، وأنا فى أثناء سياحتى وكنت غلاما ، فاعتليت قمة جبل سيدى برانى ، ومكثت فوقه فى خلوة ربى ، فمر بى رجل من أهل الله تعالى ، من أرباب التطور لم أر أطول منه قامة ، فقلت له : فى قامة عوج بن عنق ، فقال ـ رضى الله عنه ـ : يتطور كما يشاء ، ولقد رأيت يده تثقب السحاب ، وينضج الطائرعلى وهج أشعة الشمس ، فقال لى : يا غلام ما الذى

---

(١) شنقيط مدينة فى موريتانيا تقع إلى الشرق من ولاية ادرار ، وقديماً ـ كانت شنقيط مركز إشعاع علمى وثقافى قرونا ثم اندثرت لتنهض على أنقاضها المدينة الحالية . والبيت الميابى هو بيت علم وسؤدد في بلاد شنقيط بلا منازع ، تشد إليه الرحال ؛ لطلب الدين والدنيا ، حتى قيل فيهم : "معضلة ولا ابن مايابى لها " ، كما قيل عن الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ :" معضلة ولا أبا الحسن لها " ، فقد جاء فى المناقب ـن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يتعوذ بالله من معضلة ليس له أبو الحسن ، ويقول :" أعوذ بالله من معضلة ولا أبو الحسن لها ، تاريخ ابن كثير ٣٥٩/٧ ، الفتوحات الإسلامية ٣٠٦/٢ . ،

أبقاك ها هنا ؟ قلت له على الفور: أبقانى الذى أبقى الكليم فوق الطور يا عبد الكريم ، وهل النَجِّىْ أولى بربه منى؟ كلا ، والنبى ، وفضلاً من الله تعالى ، ورضا منه غزير ـ وقع لى التجلى الذاتى ـ آنذاك ـ وكان جبل سيدى برانى وادى طوى لى[1] .

مافتئ إمامنا العربى يجوب بلاد مصر ، وها هو الآن على أعتاب جنوبها ، فلمَّا وصل إلى تخوم الصعيد ، ناحية الجيزة توقف فيها .

يستكمل السواد الأعظم : قال لى الإمام العربى : فى سياحتى توقفت فى الجيزة ، وقلت فى نفسى حسبى فى سياحتى هذا الموضع ، فلا أتوغل فى صعيد مصر ، فوقعت لى جامعية بسيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أفق أعلى مبين ، لما فوق الفوق فحدثتنى نفسى قائلة : قد تكون رؤيا منامية لخير البرية ؟ ، فالتفت الإمام العربى ـ قدس الله سره ـ إلىَّ ، وقال فى التو : أقول لك فى أعلى أفق مبين فيما فوق الفوق فى مقام تسامى ، وتقول فى نفسك مناماً ، بل فى ذروة عالم الحس ، وأنا فى قمة الغيبة والإستغراق مع كمال اليقظة والحضور ، وترادف أنوار الإشراق .

وفى هذه الجامعية ، عانقنى الحبيب الأعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لى : " أى بُنَى : سِرْ سيجمعك الله بقوم يحبهم الله ورسوله ، ويحبوا الله ورسوله ، ويحبوك هم ، وتحبهم أنت ، وهم قرة أعين لك ، وستنزل بقوم ضعفاء الإرادة ، لايضرونك بشيئ ، فاتخذهم أهلا " ، ثم عممنى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعمامة

---

(١) نقلاً عن :الشيخ جابر عبد المنعم على ، تقديمه لكتاب " اللطائف السنية فى مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم من فيض الحضرتين على الإمام أبو المحاسن والحسن مولانا العارف بالله تعالى الحاج / أحمد أبو الحسن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه ، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية (٢٧٩٧٦/ ٢٠١٧م} ، ص١٣ ، ١٤ ، وقد جاءت قصة عوج بن عنق فى تفسير قوله تعالى { قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنَّا داخلون } المائدة : ٢٢ ، أى أنه من القوم الجبارين ، وانظر فى تفصيل تلك القصة : عز الدين أبو الحسن على المعروف بابن الأثير، الكامل فى التاريخ ، ج١ ، دار الكتاب العربى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ١٧٠ ، وفى تكذيب قصته ، انظر : اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى ، البداية والنهاية ، قصة نوح عليه السلام ، ج١ ، دار عالم الكتب ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص ٢٦٧ ، وعوج بن عنق ، أو عوق ، ويقال : عوج ابن عناق ، حفيد آدم من ابنته عنق بنت آدم ، عاش ثلاثة آلاف سنة ، ويقال أنه كان موجوداً من قبل نوح إلى زمان موسى ، وأنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار، ويشويه فى عين الشمس ، وقال الحافظ السيوطى : والأقرب فى خبر عوج بن عنق أنه كان من بقية عاد ، وأنه كان له طول فى الجملة مائة ذراع أو شبه ذلك ، وأن موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم قتله بعصاه هذا هو القدر الذى يحتمل قبوله . انتهى .

الكرار ، وقلدنى بذى الفقار، وعطرنى من قارورة يحملها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيمينه الشريفة الندية ، وغمرنى بالأريج ، وأنفاسه الذكية ، حتى وقعت فى قلوب أهل الحضرة غبطة منى ، فعطرهم خير البرية بالبقية الباقية من القارورة .

وقد حضر هذه الجامعية أهل الحضرة جميعا ، من النشأة إلى الغاية ، والإمام أبو العباس الخضر، وكان على رأسهم الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه[١] .

انْتَقَلَ إمامنا من الجيزة إلى أقصى الصعيد ، ومن بلدة إلى أخرى ، وتنفس فى آكامها ، وقراها ، ونجوعها ، وأقام بعض الوقت فى أطرافها ، وجمع المحبين عليه .

ومما يحكى أنه حينما وصل إمامنا العربى إلى مدينة البصيلية من أعمال مركز أدفو بمحافظة أسوان ، ذهب إلى رجل من ذرية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعى / السيد عبد الرحيم الشريف من ذرية السيد / محمد بن ناصر، فسأله إمامنا : يا سيد عبد الرحيم لىَّ جَدٌ هنا فى البصيلية ؟ ، فرد عليه الشيخ عبد الرحيم قائلاً : ياشيخ محمد جدك هو مولانا الشيخ السايح أبو مسكين ، وله مشهد ومقام فى نجع السايح بالبصيلية ، والشيخ السايح ينتهى نسبه إلى السيد عبد السلام بن مشيس شيخ الإمام أبو الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنهم أجمعين ، ويجتمع مع إمامنا فى الإمام الحسن السبط ـ عليه السلام .

وبعد أن أقام إمامنا حوالى أربع سنوات فى نجع السايح بالبصيلية ـ انتقل إلى المواساة ، وهناك التقى بالحاج أبو المجد ، الذى زوجه فيما بعد من كريمته السيدة حليمة ، ثم انتقل إلى الكوم الأحمر، المسمى الآن بعزبة بيت القاضى ، وفيها التقى إمامنا برجل طيب يدعى / أمين النجار، الذى شهد قصة أبو مدين الغوث مع إمامنا العربى ، التي سيرد ذكرها عند الحديث عن مقامه ومرتبته[٢] .

---

(١) والغبطة هنا ، كما جاء فى الحديث النبوى الشريف عن المؤمنين الذين توضع لهم منابر من نور فى الآخرة ، فيغبطهم الأنبياء والشهداء مع أن الأنبياء والشهداء أعلى مقاما؟! ـ لا تعنى رفع درجتهم فوق الأنبياء ، والشهداء ، وإنما هى غبطة الفرح والسرور ، كما يفرح الآباء بنجاح أبنائهم ، وكما يفرح الأساتذة بنجاح تلاميذهم ، وتفوقهم ، وهذا لايعنى أنهم بلغوا مراتب الأساتذة فى العلم ، نقلاً عن : مولانا العارف بالله تعالى الحاج احمد رضوان رضى الله عنه ، بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " مصطفى صبى الرضوانى " ،منشور فى ٢٠٢٠/٤/٣م .

(٢) انظر ما سيجئ عن هذه القصة في مبحث " الإمام العربى ختم الولاية المحمدية " في الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا المؤلف .

ثالثاً ـ ما تداول عن وجود أقارب لإمامنا فى مصر:

نمى إلى علمى أن أسرة فى قرية بمحافظة الشرقية تشيع أن إمامنا العربى يعتزى إليها ، وأنه قد تغيب عنها صغيراً ، منذ فترة طويلة ، وجَدُّوا فى البحث عنه حتى يئسوا من العثورعليه ، فكَفُّوا بحثهم منذ ذلك الحين .

ورأيتنى من الأمانة العلمية الإشارة فى هذا الموضع إلى تلك القصة ، فاستقصيت عن هذه الأسرة ، وانتهيت إليها ، وهى أسرة بسيطة تعيش فى أطراف إحدى قرى مركز بلبيس محافظة الشرقية ، والتقيت بعض أفرادها ، ولاحظت وجود شبه خَلقى بين بعضهم ، وبين بعض أبناء إمامنا العربى ، وأكثرهم شبهاً بهم السيد / أحمد الفاتح العفيفى الابن الأكبر لإمامنا .

وأخبرونى أن جدتهم الشريفة النجارية هي أم إمامنا ، وهى مدفونة فى ضريح بجبانة القرية ، وأن شقيق إمامنا الأصغر ، المتوفى عام ٢٠٠٦م ، هو الذى ناظر صورة إمامنا ، فعزاها إلى شقيقه المتغيب .

أما واقعة التعرف على هذه الصورة ، فقد حدثت أثناء الاحتفال بمولد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ عام ١٩٨٣ تقريباً ، أثناء تجول هذا الأخ في سرادقات المولد إذ استرعته صورة في خدمة العصبة الهاشمية تشبه أخاه المتغيب ، فسأل عن اسم صاحبها ، فقيل له أنها صورة الإمام العربى ، فأخذ الصورة ، وعرضها على بعض أقاربه ، فشايعوه ظنه .

فرجع وبصحبته بعض من أقاربه إلى سرادق خدمة العصبة الهاشمية ، للوقوف على الأمر، حيث طلبوا مقابلة القائم على الخدمة ، وأبلغوه بخبرهم ، فما كان من السواد الأعظم إلا أن دعاهم لزيارته بكوم أمبو ـ بعد انتهاء المولد ـ للحديث في الأمر فقبلوا الدعوة ، وسافر أربعة منهم إلى هناك .

ولما وصلوا إلى ساحته بكوم أمبو ـ أكرم السواد الأعظم وفادتهم ثلاثة أيام ، إلا أنه لم يلتق بهم ، ثم أوفدهم إلى ساحة إمامنا العربى بالكلح ، فأقاموا في ضيافتها فترة طويلة ، لم يتمكنوا خلالها ـ أيضاً ـ من مقابلة إمامنا ، حيث اعتذر لهم لتواجده فى خلوته .

وتستدل هذه الأسرة في وجود صلة القرابة بحفاوة الاستقبال سواء في كوم أمبو من السواد الأعظم ، أو في الكلح من إمامنا العربى ، وأيضاً لما لمسوه من مشاعر حميمة عبرت عنها كريمات إمامنا الصغار عند لقائهم .

كما لا حظوا وجود تشابه عقدة لسان أفراد عائلتهم النجارية مع لازمة لسان إمامنا " أه أه أه " حال حديثه ، ووجود شبه خلقى بينهما ، وأخيراً لانتسابهم إلى السادة الأشراف مثله .

ويقصون أن ابنهم المتغيب ، كان يصرف المواد التموينية للأسرة ، ويجمع من الحبوب المخزونة أعلى المنزل ، ثم يقوم بتوزيعها على المحتاجين من أهل القرية ، ما أثار غضب أخيه الأكبر غير الشقيق ، فأخذ يضربه ، ففر من أمامه ، فسعى خلفه ، و كاد أن يلحقه ، ولم يجد الصغير أمامه بد إلا اجتياز ترعة مياه ، فخاضها ماشياً إلى الشط الآخر ، وهنا أخذت الجميع الدهشة من المشهد ، وأقروا أنها كرامة لابنهم الذى غاب عنهم منذ ذلك الحين(١).

ويحكى أيضاً أن غائبهم كان يردد قبل تغيبه عبارة :" سقط العرش ، سقط العرش" ، ولم يفهموا مقصده إلا عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، التي حدثت بعد تغيبه بفترة وجيزة ، وسقط عرش الملك فاروق ، فاعتبروها كرامة أخرى له .

ونمى إلى علمى أن أحد أفراد هذه الأسرة سعى للقاء أبناء إمامنا العربى ، فرحبوا به ، إلا أنه عجز عن إثبات قرابته بوثائق رسميه ، وهو ما تلَمَّسْته أنا منهم ، فلم أناله كذلك ، لكن الناس ـ كما قيل ـ أمناء على أنسابهم .

وعليه فلا يمكن الجزم بوجود صلة قرابة بين تلك الأسرة ، وبين أسرة إمامنا العربى ، وما هى ـ حتى مثول المؤلف للطبع ـ إلا فرضية قائمة لم تثبت صحتها بعد .

ومن نافلة القول ، أنه لا يكفى لإثبات القرابة مجرد وجود شبه في تقاسيم وجه ، أو لازمة لسان ، فقد يتحقق ذلك الشبه بين الكثير من الناس من غير الأقارب ، والمثل يقول : " يخلق من الشبه أربعين " .

---

(١) لا غرو فى ذلك ، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الزهد له ، أن أبا مسلم الخولاني ـ رضي الله عنه ـ مر بدجلة ، وهي ترمي الخشب من برها ، فمشى على الماء ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال: هل تعتقدون من متاعكم شيئا فندعوا الله عز وجل؟ ، انظر: كرامات الأولياء ومواهبهم من كتاب بستان العارفين للنووي Abdelkader HADOUCHعبد القادر حادوش Mystique ٠ ٢٠٠٩ Juillet ٥ ، ص١٠.

وبذا نكون قد رجعنا عوداً على بدء ، فما زال هضم إمامنا ذاته يرمى بظلاله على سيرته ، فأبهم علينا أمر نشأته ، وسياحته ، لكنى على ثقة بأن الله سيقيد منْ يقشع سحاب حيرتنا ، ويَبتُّ فى ذاك الأمر ، والله يهدى إلى قصد السبيل .

المطلب الثانى
خلوته ، وأسرته

أولاً ـ خلوته :

يتحدث إمامنا العربى عن خلوته ، فيقول : " بعد وفاة الشيخ أحمد رضوان مكثت فى الخلوة مدة اثنى عشر عاماً لا التقي بأحد حتى خرجت منها سنة١٩٧٩م ، وسبب خلوتى هى رؤية سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لىَّ : " داوى روحك ، ونفسك بخلوتنا ، حاول أن لايكون فى قلبك إلا الله ورسوله" ، كما قال لىَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " اعتزل الناس إلى أن نأمرك بالخروج ، وبالفعل اعتزلت الناس".

ويستطرد إمامنا : " ظللت فى الخلوة حتى جاء الأمر والأذن ، جاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رؤية ، وأخبرنى بأن أنهى خلوتى ، وقال لىَّ : " المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، فسلمت وسلموا منك " ، كما قال لىَّ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : "جدد الساحة والمضيفة " ، وخرجت بعد هذه الرؤية من خلوتى سنة١٩٧٩م ، وبدأت فى مقابلة زوارى"[١] .

عكف إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ـ فى خلوة داخل بيته ، من عام ١٩٦٧م حتى ١٩٧٩م، واعتزل الناس بأمر من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينه خلوته إلا بإذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، على النحو السالف .

كما أن قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " خلوتنا " ، تشير إلى أن خلوة إمامنا ـ رضى الله عنه ـ هى غزارة جمعية مع جده المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، وأن خروجه من الخلوة كى تستفيد به الأمة .

فهذا النمط من الصفوة النخبة من عباد الله الذاتيين ـ ما كانت خلوتهم بالخلوة الاجتهادية ، أو التعبدية ، ولا تريضاً لقطع المراتب ، أو عروجا إلى المقامات ، ولا تطبباً للروح ، وعلاجاً للنفس، بل خلوة اختصاص رب ، وزيادة

---

(١) أقوال إمامنا العربى فى تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا فى قضية العصبة الهاشمية عام ١٩٨٢م ، سابق الإشارة إليها .

قرب ، ومؤانسة حب وتَلَقِّي ثقيل قول ، وتزمل بالأنوار، وقوة إمام ، وقيام بمراد الله فى الأنام ، أولئك هم الناشطات نشطا ، والمدبرات أمرا ، يقول أحدهم[١] :

لزمنا الخلاوى لحمل البلاوى * عن المسلمين نحلنا أجساما
شربنا حياضا سبقنا رياضا * بذكر الربانى فزدنا هياما

وعن خلوة إمامنا ، يشير العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان ـ قائلاً : " إنه رجل حُبِّبت إليه الخلوة ، دائم الجامعية برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه كشخصان فى فلا"[٢].

ومما يذكر فى هذا المقام أن إمامنا كان فى جامعية دائمة مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خلوته ، يتعبد الله فيه ، وكان كثيراً ما يتلو القرآن بصوت مرتفع ، ويردد الصلاة على رسول الله بالصيغة الكمالية :" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله، وكما يليق بكماله " ، ويقول : " أن هذه الصيغة من أعظم الصيغ ، التى قيلت فى الصلوات على سيد السادات ؛ ذلك أن كمالات الله لاتُحَد ولا تُعَد ، ويستحيل لمخلوق بلوغ كمالات الله سبحانه" .

وغنى عن البيان دور الخلوة فى الدعوة إلى الله ، وتقريب عباده إليه ، فجُلّ ما نقل عن إمامنا العربى من علوم ، ومعارف ، وأوراد ، ووصايا ألقاها على أحبابه ، وزواره كان من داخل خلوته، عبر كوة (نافذة) صغيرة يدخل منها الهواء ، والضوء فى الحائط المشترك بينها ، وبين ساحته القديمة المبنية من الطوب اللبن .

جلس إمامنا داخل خلوته على كراسى أطباء أهل المعرفة بالله ، يصنف الدواء للمريد بحسب المرض الذى يعتريه ، إن أتاه عليل من فقد الله داواه ، أو مريض من فَرَقه عالجه ، أو خائف منه أمَّنه ، أو آمن منه حذَّره ، أو راغب فى مواصلته منَّاه ، أو راحل نحوه زَوَّدَه ، أو جبان فى متاجرته شجعه ، أو آيس من فضله عداه ، أو راج لإحسانه بشره ، أو حَسَن الظن به باسطه ، أو محب له

---

(١) الشريف إسماعيل النقشبندى ، شيخ الطريقة النقشبندية ، من قصيدة : عزيز تجلى .

(٢) ورد في بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " أحمد الشحات " منشور فى ٢٠١٩/٩/٢٥م ، وقد توثقت من صحة مضمون ما نقل عن إمامنا فيه .

واظبه ، أو معظم لقدره عظمه ، أو مستوضع نحو ربه أرشده ، أو مسيئ بعد إحسان عاتبه "[١] .

يقول إمامنا العربى : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه لو كانت الحيطان تحجبنا عن الحبان ما جلسنا خلفها " ، وبلسانه ، ينشأ السواد الأعظم قائلاً[٢] :

أنا عمدة الخلوات فى البدء خاطب * معية خلخال إلى الكف خاضبى
أنا ابن كرار أنا الجهبز الذى * ورثت علياً لست أخشى النوائب
أنا العربى الختم سلطان وقتها * وحيداً على عرشٍ زكيٍ بغالب
وكل رجال الله بعض معيتى * صنائع صنعى منى نالوا المواهب
حكمت رجال الغيب أمرى سرى بهم * كما أن بابى معقل للكتائب

ويترنم في خلوة إمامنا ، فيقول :

ألا يا خليوة نسيمك سبانى * وشمئال عرفك سرى فى كيانى
ألا يا خليوة بمن قد تسامت * بختم الأقدام خضم المعانى
ألا يا خليوة سبتنى شرابا * ومن مد فيض عريفاً ديدان
ألا يا خليوة بها كل أمر * بها البدر دار لخمر المعانى
ألا يا خليوة بذاك الشماس * على كل مجلى حديث الصمدانى
ألا يا خليوة بمجد ترامت * بعرب ترامت وعاد الكنكانى
وصبح تنفس قبيل الإيجاد * وليل تعسعس به دلَّ دانى
ويا نجم ثاقب بذاك المسجور * وقاف لقربى وقاف القرآن
ألا يا خليوة بمدك شموخا * وشيخ كبير بماء المَدْيَان
ألا يا خليوة بعرفك أربابا * ربا ربيون غنىًّ وغانى
ألا يا خليوة بمدك كتائب * رسائل فيض إلى كل دانى
ألا يا خليوة بمقعاد يُتْم * بها زُم زاما بجمع البحران
ألا يا خليوة بتيجان عز * ببطن وسر وخِل القمصان
ألا يا خليوة وعنها التدبير * تدير الرُحيا وحكمة لقمان
ألا يا خليوة حكمتى عدلتى * بلطف العندية خبر قد أتانا
ألا يا خليوة لزمنا حماكى * ومائك طهور يروى الظمآن

---

(١) ابن عربى ، كتاب روح القدس ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٧٩/ ٦ب-٧أ ،) ، والايضاع : ضرب من السير .

٢) يروى السيد / طارق المراغى ـ محاسب ضرائب من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا سوهاج ، أنه رأى إمامنا العربى فى رؤية منامية يفتخر قائلاً :" أنا تاج الخلاوى أنا السيف الهاشمى " .

ألا يا خليوة بكل المواطن * محيط أحاط بجمع القرآن
ألا يا خليوة حديثك بُلاما * وأخفَّت جميع وأبدت حرفان
ألا يا خليوة ويُثبت ويمحى * وأم الكتاب بدت لا عيانا
ألا يا خليوة بمدك مديدا * حُمِلنا براحك وعزمك حدَانا
ألا يا خليوة حضور شهود * غروباً إشراقاً بغمض الكتمانا
ألا يا خليوة ومنك الأيادى * سرى سر دعدا بها فى الزمانا
ألا يا خليوة وحيداً وحيدا * ونظراً تسامى بجمع القمرانا
ألا يا خليوة تفجرت عينا * وقطرات منكى بهن العرفانا
ألا يا خليوة تبدت بهذا * بمنع التكييف وحصر المكانا
ألا يا خليوة تساميت مجدا * جهلت بأرض حصيت الأركانا
ألا يا خليوة وليس اتحاد * ولكن كما هو كما هو أمانا
فإن الخليوة تؤمن جليوة * وعنها القيوم إلى القوم حانا
ألا يا خليوة فى تيه خفية * وأبكار عربك لهم نقر زانا
وفى عصماء أخرى يشدوا قائلاً(١):
أنت فى خلوة تبارك * قبل ليلك أو نهارك
خلوة التقديس دارك * شمألك يشفى العليلا

ثانياً ـ أسرته :

تزوج إمامنا من السيدة حليمة أبو المجد عمَّار من عزبة المواساة من أعمال مركز أدفو بمحافظة أسوان ، وكان أبوها الحاج أبو المجد أحد تلاميذ العارف بالله الحاج أحمد رضوان ، ومحب لجميع الصالحين ، وكان بيته مأوى للفقراء ، والمجاذيب السائحين فى البلاد ، يعطف عليهم ، ويرعاهم رعاية الأب لأبنائه .

أخذ إمامنا على نفسه عهداً بألا يقرب زوجته إلا بأمر رسول الله ، ولسان حاله يقول : إن لم يفعل معى حضرة الرسول كما فعل مع السيدة الزهراء والإمام على عند زواجهما ـ فلن أمس بنت أبو المجد .

---

(١) العارف بالله تعالى الحاج / أحمد أبو الحسن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه، فتح الودود فى مديح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٧/٢٧٩٧٢م ، ص ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

وبعد عامين من الزواج جاء ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمسك إمامنا وزوجته وضمهما إلى بعض ، فتناثرت الذرية ، وذرية الذرية ، وتعلقت برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

استحى إمامنا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا المشهد ، فقال له الرسول : أتستحى من نفسك يا محمد !

وجدير بالذكر أن السيدة حليمة هى الزوجة الأولى لإمامنا العربى ، وهى الوحيدة التى تزوجها بكرا ، وقضى طيلة حياته معها ، وانتقل إلى جوار ربه فى مسكنها .

ومن السيدة حليمة أنجب إمامنا سبعة من الشريفات المصونات ، وعلمين من أعلام الرجال ـ رضى الله عنهم ـ ونفعنا بهم .

كما تزوج إمامنا زوجة ثانية ، وهى السيدة / زينب سعيد محمود مقيمة بكوم أمبو وأصل بلدها الكلحين من أعمال محافظة قنا ، وكانت أسرتها ، وأخوتها من محبى العارف بالله الحاج أحمد رضوان ، ومن أتباع ومريدى السواد الأعظم ، فأدخلهم بدوره تحت راية إمامنا العربى ـ وأنجبت له السيد / أحمد الفاتح العفيفى، أكبر أولاد إمامنا الذكور[1] .

ويطيب لى هنا عرض نَبذَة وجيزة عن أبناء إمامنا العربى ؛ تشرفاً وتبركاً بذكرهم وذلك على الوجه الآتى :

أنجب إمامنا عشرة أجاويد كلهم على النهج ، بل الواحد منهم بأمة ، وهم على التوالى : السيدة صفية ، والسيدة منتهى ، والسيدة خديجة ، والسيدة الزهراء ، والسيدة آمنة ، والسيد أحمد العفيفى ، والسيدة كريمة ، والسيدة زينب ، والسيد على البدرى ، والسيد أحمد البدوى ، وأمهم جميعاً السيدة حليمة أبو المجد عدا السيد أحمد الفاتح العفيفى ، فأمه السيدة زينب سعيد الكلحية .

١ـ السيدة / صفية : هى بنت إمامنا الكبرى ، وفى فضلها قال السواد الأعظم : أنها مديرة الساحة ، بمعنى أنها المسئولة عن إعاشة أهل وزوار ساحة الإمام على بالكلح ، سواء في المأكل، أو المشرب ، أو الإقامة ، لذا ، لُقِبَت ب " أم العصبة الهاشمية " .

---

(١) يشار إلى أن إمامنا العربى قد تزوج في أخريات حياته من زوجة ثالثة ، وهى السيدة / سمية سيد ، وكان أبوها الحاج سيد من أبناء العصبة الهاشمية ببنى سويف ، و عقد قرانها فى بيت أبيها ببنى سويف ، لكنه ـ على حد ما ترامى إلىَّ ـ لم يمسها حتى باينها قبيل وفاته .

للسيدة / صفية شخصية قوية ، وكلمة مسموعة ، وعقلية راجحة . فضلاً عن قيامها بالواجبات الاجتماعية لأبناء العصبة الهاشمية فى جميع المناسبات .

ويكفيها فضلاً أن إمامنا العربى تكنَّى باسمها ، فهو " أبو صفية " ، تلك الكنية التى شاعت فى بداية حياة إمامنا ـ كما ذكر آنفاً ، وبقت حتى آخرعهده بالدنيا .

تزوجت السيدة / صفية من السيد / عبد الحميد صالح حسن الجعفرى ، وولدت له أربعة ذكور، هم على التوالى : السيد / محمد ، والسيد / مصطفى ، والسيد / أدريس ، والسيد / أحمد .

٢ ـ السيدة / منتهى : لها دور بارز فى الدعوة ، ولها كتابات صوفية نافعة ، وهى كثيرة الشوق إلى جدها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعددت زياراتها للمدينة المنورة ، وروضته الشريفة ، وأداء شعائر العمرة .

تزوجت السيدة / منتهى من السيد / عبد المجيد صالح حسن الجعفرى ، وولدت له السيدة / حسناء ، والسيدة / حليمة .

٣ـ السيدة خديجة : ولقبها " خديجة الكبرى " ، ولها دور فاعل فى الدعوة ، يجتمع حولها النساء من أبناء العصبة الهاشمية ، تسقيهم علماً ، وحباً فى الله ورسوله .

تزوجت السيدة / خديجة من الدكتور/ محمد منير ـ رحمة الله عليه ـ وولدت له السيدة / سلمى ، والسيد / سالمين .

٤ ـ السيدة الزهراء : وقيل أنها شبيهة جدتها السيدة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ وفضل السيدة / الزهراء عظيم ، وبركتها عمت كل من حولها ، ويشهد بها الجميع .

تزوجت السيدة / الزهراء من السيد / محمد ابن مولانا السواد الأعظم العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، وولدت له مجمع البحرين ، وحفيد الإمامين ، ووارث الجدين ، المتفرد بهما عن أقرانه ، وجم الأدب بهما قد زانه ، السيد/ أحمد محمد أحمد أبو الحسن[1].

٥ ـ السيدة آمنة : ولقبها " آمنة الشريفة " ، وهى مثال للأم الحنون ، والذوق الرفيع ، والأدب المحمدى الجم .

---

(١) يشار إلى أن السيدة الزهراء تزوجت بعد السيد / محمد ـ من الأستاذ / خالد فؤاد حشيش ، وولدت له السيد/ فؤاد ، والسيدة / فريدة .

تزوجت السيدة / آمنة من الأستاذ / أحمد إمام ، وولدت له السيد / على[1]
.

٦ـ السيد أحمد الفاتح محمد أبو الفتوح العربى : ولقبه " السيد العفيفى " ، وهو الأبن الأكبر لإمامنا العربى ، والوحيد الذى سجل باسم وكنية إمامنا ـ محمد أبو الفتوح العربى ـ وأمه السيدة / زينب سعيد محمود .

والسيد / أحمد الفاتح شريف مهاب ، شديد الشبه بأبيه ، كما ورث أباه فى الفتوة وهو عالم متشرع ، وخطيب مفوه ، تراه يجول فى الحقائق الصوفية بداخل أسوار الشريعة الإسلامية .

أتمَّ تعليمه الجامعى بالأزهر الشريف ، ثم سجَّلَ لنيل درجة الماجستير ، والدكتوراه فى العلوم الأزهرية ، واهتم بالدراسات الصوفية ، لتنقيتها من الشوائب التى لحقت بها فى هذا الزمان ، و حارب التشيع ، وألفَّ كتيباً حرر فيه رأيه المعادى للشيعة ، كما تم تعيينه أحد مستشارى السيد رئيس الجمهورية لشئون القبائل العربية.

عَنِىَ السيد العفيفى بالعصبة الهاشمية ، وسعى في تسجيلها كطريقة صوفية مستقلة ، وهو القائم عليها ـ حاليا ـ كطريقة فرعية من الطريقة الهاشمية .

حببت إليه العزلة ـ كأبيه ـ فاتخذ من بيد محافظة جنوب سينا محلاً له ، وبنى فيها ساحة للضيوف والزوار ، وبجوارها مزرعة ، ولا يطرق الحضر إلا قليلا .

تزوج السيد / أحمد الفاتح من السيدة / عبير كريمة الشيخ عدلان بن سيدى عطية أبو حسن، أحد أبواب الحضرة المحمدية ، والذى أمر سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إمامنا بزيارته ، كما سيأتى[2] .

ومن السيدة / عبير عدلان أنجب السيد أحمد الفاتح كل من : السيد / محمد النذير، والسيد / يحيى الزاهد ، والسيدة / إيلاف ، والسيدة / زينب .

٧ـ السيدة كريمة : ولقبها " أسد الساحة " ، وهى إحدى الناشطات النسويات ، ولها باع طويل فى العمل العام ، وتلعب دوراً اجتماعياً بارزاً فى رعاية المحتاجين ، وذوى القدرات الخاصة ، وتهتم بشئونهم لا سيما فى مجالى التعليم

---

(١) يشار إلى أن السيدة آمنة تزوجت بعد الأستاذ أحمد إمام ـ من الأستاذ / وائل محمد إمبابى ، وولدت له السيدة / البتول ، والسيدة/ نفيسة ، والسيدة / صفية .

(٢) راجع ما سيجيئ ذكرة عن سيدى عطية أبو حسن في المبحث الثانى من هذا الفصل بعنوان " مزارات في البدايات " في هذا المؤلف .

، والصحة ، وتعقد المؤتمرات والندوات التثقيفية بمشاركة المسئولين الإداريين المعنيين ، لمناقشة الاحتياجات اللازمة للنهوض بمستوى أهل القرى الأكثر فقراً فى صعيد مصر ، وتجمع لذلك التبرعات والهبات المادية ، والمعنوية لتقدمها إليهم .

كما لوحظ لها نشاط رياضى فى إقامة سباقات الخيل ، التى يجتمع عليها أهل الصعيد ، وتقوى وشائج الأخوة ، والمحبة بينهم ، وتجدد فيهم قيم الكرم ، والفروسية بعد أن كادت أن تندثر.

وفى المجال الدينى ، أنجزت السيدة كريمة العربى ـ مؤخراً ـ أعمال تجديد وتطوير شاملة في ساحة الإمام على ، ومسجده ، والأضرحة التي حواها(١) .

تزوجت السيدة / كريمة من الأستاذ / شهر الرزال ، وهو من أبناء العصبة الهاشمية بدولة ماليزيا ، وولدت له السيد / حمزة ، والسيدة / كنانة .

٨ ـ السيدة زينب : أصغر كريمات إمامنا العربى ، وأكثرهم شبهاً بوالدتها السيدة حليمة ، ومن فضلها خاطبها السواد الأعظم فى رسالته قبل رحيلة إلى الرفيق الأعلى ، ورجاها قائلاً : " أما أنتى يا سيدة زينب فسامحينى" ، وذلك بعد أن أعرب هو عن مسامحته لبقية أخواتها(٢) .

تزوجت السيدة / زينب من الأستاذ / محمد صلاح السفرى، وولدت له السيد / الحسن ، والسيدة / فاطمة .

٩ ـ السيد على البدرى محمد على السيد : الملقب ب " السلطان البدرى " ، صاحب السريرة النقية ، والأحوال الصفية ، مجمع الأحباب ، الآخذ بالألباب .

تولى السيد / على أخواته الشريفات بالعناية ، والرعاية بعد انتقال إمامنا ، وأفاض عليهم عطفاً ، وحناناً ، وعاملهم بمزيد من التقدير، والتبجيل ، كما ورث أباه فى الرحمة ، والبسط ، فملأ الأرض وداً ، وتملك قلوب أبناء العصبة الهاشمية حباً ، وحرص على جمع الشارد منهم بعد انتقال الأشياخ ، وصار أيقونة موالد ، واحتفالات العصبة الهاشمية ، واشتاق إلى لقاء ربه ، وأنتقل إلى الرفيق الأعلى

---

(١) انظر ما سيأتى ذكره عن التطوير ، والتجديد الشامل في مسجد وساحة الإمام على بالكلح ، معرفة السيدة كريمة العربى ، في الفصل الثانى من الباب الثانى تحت عنوان " إقامة مسجد وساحة الإمام على" ، وكذا عن تجديد مقصورات الأضرحة في الفصل الثالث من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٢) راجع نص خطاب السواد الأعظم لأبناء وأهل إمامنا العربى يستأذن فيه أن يدفن بجوار شيخه ، مؤلفنا " السواد الأعظم " ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

فى ريعان شبابه ـ رضى الله عنه ، وحزن عليه الجميع أيمَّا حزن ، وشيد له ضريح دفن فيه بمسجد الإمام على ، كما أقيم له مشهداً آخر ببلدة السمطا ، تيمناً ، وتبركاً به(١) .

تزوج السيد / على البدرى ـ رحمة الله عليه ـ من السيدة / إجلال عدلان عطية حسن ، وأنجب منها السيد / على زين العابدين ، وبعد وفاة زوجته ، تزوج من السيدة/ سمر عادل الجيزاوى ، وأنجب منها السيدة / صفية ، المولودة بعد وفاة أبيها ببضعة أشهر .

١٠ـ السيد أحمد البدوى محمد على السيد : الملقب ب " المعين " ، ذو القلب الحنون ، مأوى الفقراء ، ونصير الضعفاء ، القائم ـ حالياً ـ على شئون ساحة الإمام على ، واستقبال ضيوفها ، وزوارها ، ورث السيد / أحمد البدوى أباه فى الشهامة ، والكرم ، وبعد انتقال شقيقه السيد / على أصبح راعياً لأبناء العصبة الهاشمية فى جميع شئونهم .

تزوج السيد / أحمد البدوى من السيدة / حنان عادل الجيزاوى ، وأنجب منها السيد / المتيم، والسيد / أبو المجد ، والسيدة / حليمة ، ثم تزوج بالسيدة / شيماء محمد يوسف ، وأنجب منها السيد/ أبو الفتوح ، والسيد / غياث ، والسيد / العلوى .

يشار إلى أنه تم اختيار السيد / أحمد البدوى عضواً بالهيئة العليا لجمعية القبائل المصرية للتنمية المشهرة برقم ٨٣٥ لسنة ٢٠١٨م ، التابعة للاتحاد العام للقبائل المصرية بجمهورية مصر العربية ؛ نظراً لدوره البارز ، والمؤثر فى تنمية المجتمع بصعيد مصر.

أقام إمامنا العربى أولاده فيما هو فيه ، تقول السيدة كريمة العربى : كان مولانا الحاج أحمد أبو الحسن جالساً معنا فى البيت ، فقال لنا : ضعوا أيديكم فوق أيدى ، وعاهدونى ، فوضعنا أيدينا فوق أيدى بعض ، وقال لنا : " عاهدونى أن الإمام العربى شيخنا كلنا " ، فإمامنا العربى قبل أن يكون أبانا كان شيخنا ، وصاحب الفضل علينا جميعا ، وهذا عهدنا أمام الله ورسوله نحن العصبة الهاشمية جميعا(٢) .

---

(١) انظر ما سيجئ ذكره عن ضريح السيد على البدرى ، في الفصل الثالث من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٢) منقول عن السيدة / كريمة العربى .

ويحكى السواد الأعظم قائلاً : " قال لى شيخى الإمام : " يا أحمد ، عيالى مثل جرف البحر يستندوا عليهم ، ولا يستندوا على أحد " ، وفى هذا القول كفاية .

ويقول عنهم السواد الأعظم : " الفرد منهم ، والجمع منهم ، وأستاذ جماعات الكرة الأرضية منهم " .

ويترنم فيهم الشيخ / جابر عبد المنعم منشداً[١] :

كل الأبناء والحفدة * أسود أبناء أسد
وهم فروع شجرته * أذابهم فيه وجدا
هم خيار من خيار * هم مظاهر الجد
أودع فيهم يا صاح * سراً وبراً لا حد
في قابل الأيام كلهم * خبير بربه رشدا
وآية الوسيلة قرآنا * بهم باسط اليدَّ
حبهم قوت روحى * رأسمالى والنقد
ربى بارك لنا فيهم * وصنهم من الحسد
وصل على جدهم * وعليهم إلى الأبد
كذا وسلم دواما * ما مادح لهم نشدا

ويكتفى بهذا القدر من الحديث عن نشأة ، وسياحة ، وخلوة ، وأسرة إمامنا العربى ، رضى الله عنه وأرضاه

---

(١) نقلاً عن ربيب إمامنا ، وخادم ساحته الشيخ / جابر عبد المنعم .

المبحث الثانى
مزارات فى طريق البدايات

كتب سيدى ابن عطاء الله السكندرى لبعض إخوانه خطاباً تحدث فيه عن البدايات فقال : " أما بعد ، فإن البدايات مجلات النهايات ، وإن من كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته ، وإن من أيقن أن الله يَطْلُبَه صَدَقَ الطلب إليه ، ومن علم أن الأمور بيده انجمع بالتوكل عليه ، وأنه لابد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه ، وأن تسلب كرائمه ، فالعاقل منْ كان بما هو أبقى أفرح بما هو يفنى . قد أشرق نور ، وظهرت تباشيره ، فصدف عن هذه الدار مغضياً ، وأعرض عنها مولياً ، فلم يتخذها وطناً ، ولاسكناً ، بل أنهض الهمة فيها إلى الله تعالى ، وصار فيها مستعيناً به فى القدوم عليه ، فما زالت مطية عزمه لايقر قرارها ، دائماً تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس ، وبساط الأنس، محل المفاتحة ، والمواجهة ، والمطالعة ، والمشاهدة ، والمجالسة ، فصارت الحضرة مُعشش قلوبهم ، إليها يأوون ، وفيها يسكنون ، فإن نزلوا إلى سماء الحقوق ، وأرض الحظوظ فبالإذن ، والتمكين ، والرسوخ فى اليقين ، فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ، ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة ، بل دخلوا فى ذلك كله بالله ولله ومن الله وإلى الله{ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ }[(١)]، ليكون نظرى إلى حولك وقوتك إذا أدخلتنى ، واستسلامى وانقيادى إليك إذا أخرجتنى {وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا }[(٢)] ينصرنى ، وينصر بى ، ولاينصر علىَّ ، ينصرنى على شهود نفسى ، ويفنينى عن دائرة حسى"[(٣)].

ولما كان طريق البدايات عند الصوفية لا يصلح بدون شيخ مرشد تتم به المحافظة على المنهج الصوفى ـ فقد انتظم أهل التصوف فيما بينهم فى سلسلة يطلق عليها سلسلة المتابعة ، فكل شيخ آخذ عن شيخ قبله فى هذه السلسلة حتى يوصل السند إلى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة الاسراء :٨٠

(٢) سورة الاسراء :٨٠

(٣) محمد إبراهيم محمد سالم ، شرح متن حكم ابن عطاء الله السكندرى ، لسيدى على البيومى رضى الله عنهم جميعاً ، المسمى بالهداية للإنسان إلى الكريم المنان ، مكتبة الشيخ صالح الجعفرى بالدراسة ـ القاهرة١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م ، ص١١٣ نقلاً عن : السواد الأعظم ، مرجع سابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

ورغم انخراط إمامنا العربى فى الطريق الصوفى إلا أن الله قد تفضل عليه ، وأغناه عن الأستاذين حتى لايكون لأحدهم مِنَّة عليه ، أو مثال سابق يسير على نهجه وكما قال مالك لبعض جلسائه : أنى أريد أن أجعلك وزيرا ، قال ليس لى فى هذا سلف قال إنى أريد أن أجعلك سلفا لمن بعدك(١) .

فقد منَّ الله سبحانه على أحبابه بالقرب ، والمعرفة ، واجتباهم منذ النشأة الأولية وهداهم إليه فى هذه الدار بلا واسطة ، ولمَّا خاطب الله جميع خلقه فى عالم الذر ، قال تعالى :{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ }(٢) . جميعهم أجابوا ربهم ، وقالوا : "بلى شهدنا " ، لكنهم انقسموا فيما بينهم إلى أمتين : مرضية ، ومقضية(٣) .

فأما الأمة المقضية ، التى قضى الله فى أمرها ، قالوا بلى ، ولَوَّوْا رءوسهم ، وأما الأمة المرضية فقد انقسموا فيما بينهم إلى قسمين : قوم قالوا بلى ، وأقبلوا على ربهم ، وقوم زادوا على ذلك ، فقالوا بلى ربنا وحبيبنا ومولانا وخالقنا ، وهؤلاء هم المجتبون ، الذين اختصهم بالمعرفة بالله ، وأحاطهم بما شاء من علمه منذ النشأة الأولى .

فالعارفون سبق من الله اجتبائهم ، ووهبهم بمعرفة لَدُنيّة ، أى من لدُنه ـ سبحانه وتعالى ـ فلا حاجة لهم إلى التعلم من غيره ؛ اكتفاءً بحضرته . وَجَذْبَةُ الله لعبده تكفيه عمن قبله وبعده ، ويجمع الله شمله برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيكون آخذاً عنه وكفى بهذا فضلاً ومِنَّة .

يقول أحدهم(٤) : " أنا لا مِنَّة لأحد علىَّ إلا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ".

---

(١) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩٢.

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣)عن عمر ، عن أسباط ، عن السدى ، رقم ١١٩٣٥ يقول : " فأطاعه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين على وجه التقية ، أى انقسم الخلق إلى طائفتين ، لكن جميعهم قالوا بلى ، انظر : تفسير الطبرى للآية .

(٤) قول سيدى عبد الرحيم القنائى رضى الله عنه ، نقلاً عن ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

وقيل لسيدى أبى الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ ذات مرة : مَنْ شيخك ؟ فقال كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد ، بل أعوم فى عشرة أبحر محمد ، وأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وجبريل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وإسرافيل، والروح الأكبر(١) .

ويقول أحدهم(٢): " أنا ما ربانى إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم"(٣).

وها هو إمامنا العربى ، منْ له في الله سابقة ؛ إذ يقول : " أنا شيخى الله " ، ويسير فى بداياته بتوجيه من جده سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إلى زيارات نخبة من الرجال ـ قبل انتقالهم إلى جوار ربهم ـ هم أبواب للحضرة المحمدية في أوقاتهم .

وحسبى ـ بداية ـ أن زيارات إمامنا لهؤلاء النخبة من الأولياء لم تكن من قبيل تلمذة المريد على يد الأشياخ ، أو الانتفاع بهم ، بقدر ما كانت حظوة لهم ، وتشريفاً لأبدانهم الحسية بلقاء ختم الزمان ، لينالوا من حضرته الإقرار والأمان ، ويبارك مسيرتهم في هذه الدار ، وإن كانت سماء روحه قد أظلت أرواحهم منذ سبت النشأة ، وحفظتهم من الأغيار .

ومن نافلة القول ، أنه يستحيل تتبع جميع زيارات إمامنا العربى إلى من لحقهم أوانه من الأولياء ، فلم يفصح إمامنا إلا على القليل من تلك الزيارات في البدايات .

وعن سير الأبدان ، وسباحة الأرواح ـ يشير ـ رضى الله عنه ـ قائلاً : " الصوفية قوم أبدانهم على أرض المتابعة تدور في مدار فلك { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }(٤)، وحقائق أرواحهم سابحة في سماء المعية ، تدور في فلك سماء حضرة الآية { إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُون }(٥).

---

(١) عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٦٧ .

(٢) قول الشيخ مكين الدين الأسمر رضى الله عنه ، نقلاً عن : ا بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩٢

(٣) لمزيد من التفصيل في هذا الشأن انظر : مؤلفنا السواد الأعظم ، مرجع سابق ، ص ٤٧ ـ٥٢ .

(٤) آل عمران : ٣١ .

(٥) النحل : ١٢٨ .

وغنى عن البيان أن تلك الزيارات التي قام بها إمامنا العربى في بداياته إنما جاءت امتثألاً لتوجيه جده سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه .

كما جاءت تلك الزيارات كمعالم طريق جمع فيها إمامنا العربى بين الحقيقة ، وبين الشريعة منذ بداياته ، وفى ذلك يقول : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ـ إن الله ـ جل وعلا ـ جعل الشريعة في رأسى ، والحقيقة في صدرى " .

ونشير بإيجاز إلى أبرز محطات إمامنا العربى في طريق بداياته ، على النحو التالى :

١ ـ الشيخ عيد سليم أبو جرير :

تعد زيارة إمامنا العربى إلى ساحة الشيخ عيد أبو جرير بأرض سيناء من أوائل زياراته ، في بداياته ، وتمت هذه الزيارة على الأرجح عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولم يتجاوز إمامنا ـ آنذاك ـ سن الطفولة .

والشيخ عيد سليم أبو جرير هو الأب الروحى لجميع الطرق الصوفية في سيناء ، وهو المؤسس الأول للصوفية هناك ، وإليه تنسب الطريقة الجريرية الأحمدية .

وُلِدَ الشيخ عيد أبو جرير عام ألف وتسعمائة وعشرة من الميلاد (١٩١٠م) بحى آل جرير بقرية الطويل ، التابعة لمدينة العريش ـ لأبوين من عشيرة الجريرات إحدى عشائر قبيلة السواركة المعروفة في سيناء ، ونشأ نشأة دينية منذ طفولته الأولى ، فشب على قواعد الدين ، ومبادئه السمحة ، فكان رجلاً معتدلاً وسطاً ، متقد الذهن ، واسع الفكر ، رحب الصدر ، لا يألو جهداً في خدمة دينه ، ومجتمعه ، ووطنه ، فاجتمع عليه القاصى ، والدانى من أهل سيناء وما حولها .

وكان الشيخ عيد أبو جرير ـ رضى الله عنه ـ ليث علوى هصور ، لا يُشَقَ له غبار، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فرأى الحبيب الأعظم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فأهداه الحبيب مصحفاً ، فاستيقظ من نومه ، وهو حافظ له ، انطباعاً من وميض نظرة حضرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

كما وقعت له جامعية بالحضرة المحمدية تارة أخرى ، فرأى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ينادى الأئمة الأربعة ، قائلا : " يا أبا حنيفة النعمان ، يا مالك بن أنس ، يا محمد بن إدريس الشافعى ، يا ابن حنبل ، ليلقن كل منكم ابن جرير مذهبه " ، فانتبه من نومه ، وإذ به قد انطبع في صدره الفقه على المذاهب الأربعة رواية ودراية ، ولا حرج على فضل الله .

ومن أشهر كرامات الشيخ عيد أبو جرير ، والتي شهدها أهل سيناء ، ويتداولونها حتى يومنا هذا ، أنه تنبأ بهزيمة ١٩٦٧م ، ففي مطلع يونيو من ذلك العام خرج من مسجده بحى آل جرير بالعريش ، وتوجه إلى منزله لتناول طعام الغداء ، وجلس حوله بعض الشباب ، فقال لهم : " يا شباب احفروا لكم خنادق تحميكم من اليهود " ، فقالوا له لماذا يا شيخ عيد ؟ فرد عليهم : " ويلكم

فإن إسرائيل سوف تحتل سيناء لمدة قد تتعدى ست سنوات " ، وقد حدث بالفعل ما تنبأ به .

زار إمامنا العربى الشيخ عيد أبو جرير في سياحته ، وما أن رآه هالته أنواره المحمدية التي تكسو وجهه ، وتشرق منه وضاءة ، فقال وهو متهلل الأسارير متعجباً : " يا الله يا الله !!! هذا غلام تتجلى فيه أنوار شمائل النبوة كاملة شاملة ، يا سعد الطالع ، يا سعد الطالع ، هيا يا عرب ، هيا يا عشائر اذبحوا الذبائح ، وأولموا الولائم ، فقد زارنا اليوم غلام حليم ، إنه فتى الكهول ، وفيه أعذب النهول ، وينتظر الأمة المحمدية من وعاء قلبه الربانى في قابل الأيام أمرعظيم جسيم ، إنه مرسل من جد الآل ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لنا لنتبرك به[١] .

وبعد الاحتلال الإسرائيلي لسيناء ـ رحل الشيخ عيد أبو جرير إلى قرية جزيرة سعود بمحافظة الشرقية ، وأسس زاوية هناك عُرِفت باسمه ، وما زالت موجودة إلى يومنا هذا ، ولم تنقطع صلات الشيخ عيد أبو جرير بسيناء أثناء سنوات الاحتلال ؛ إذ كان من مجاهدى سيناء ، وظل على اتصال بها ، وبمريديه بها .

ولعل أهم المأثورات التي تتواتر عن الشيخ عيد أبو جرير هي قيامه بتحريم هبوط النساء إلى الأسواق المحلية ، كذا نهيه عن ممارسة بعض العادات مثل السامر البدوى الذى كان منتشراً على نطاق واسع ، وانحسر بشكل كبير تبعاً لتلك التعليمات .

كما لعب الشيخ عيد سليم أبو جرير دوراً بارزاً في المقاومة الشعبية أثناء الاحتلال الإسرائيلي لسيناء ، فهو من الأعمدة الأساسية لمجاهدى سيناء ، فكان يحث أتباعه ، ومريديه على الجهاد ، ومواجهة المحتل الإسرائيلي ، ومعاونة الجيش المصرى خاصة في حرب ١٩٦٧م ، وما بعدها ، حتى أن مائة من أتباعه حصلوا على " نوط الأمتياز من الطبقة الأولى " لدورهم البطولى في حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، كما أن عشرين من مريديه وقعوا في الأسر ، وتعرضوا للتعذيب على يد المخابرات الإسرائيلية ، وذهب إليه القادة العسكريون المصريون ، ومنهم الفريق أول / محمد صادق ـ متخفياً ـ لشكره، وتبادل الآراء حول مقاومة المحتل .

(١) نقلاً عن : ربيب إمامنا ، وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

يوجد للشيخ عيد أبو جرير الكثير من المريدين في سيناء ، ومحافظات القناة ، وله مسجد يحمل اسمه بمحافظة السويس ، فضلاً عن العديد من الزوايا في سيناء ، وتعتبر قرية الروضة بالعريش المقر الرئيسى لعشيرة الجريرات ، وبها مسجد الروضة الشهير.

ويعتبر مسجد الروضة هذا أحد أشهر المساجد التي يرتادها أهل التصوف السنى في سيناء ، وخاصة أتباع الطريقة الجريرية الأحمدية ، الذين اعتادوا أن يقيموا فيه مجالس الذكر ، والاحتفالات بالمناسبات الدينية ، ومنها المولد النبوى الشريف ؛ لذا استهدفه الإرهابيون من خوارج هذا الزمان بالعمل الغادر الخسيس أثناء تأدية صلاة الجمعة يوم ٢٠١٧/١١/٢٤م ، وأودى بحياة ما يزيد عن (٢٣٠) من المصلين الأبرياء .

أعقب الشيخ عيد أبو جرير ستة أبناء هم : محمد ، وأحمد ، ويوسف ، وسيف الدين ، وعدلى، وأحمد الأمين الذى كان يشبه والده إلى حد كبير جداً ، وله مؤلفات عديدة تحكى تاريخ رحلة كفاح والده ، ودورهم جميعاً مشهود في نشر مآثر أبيهم ـ رضى الله عنه .

توفى الشيخ عيد أبو جرير في يوم الخميس العاشر من سبتمبر عام ١٩٧١م عن عمر يناهز واحد وستين عاما بجزيرة سعود ، ودفن بجوار المسجد الذى أنشأه هناك، وسُمِىَ بمسجد " آل جرير " ، وقبره ما يزال هناك .

وبعد زيارة إمامنا العربى المشهودة إلى ساحة الشيخ عيد أبو جرير بسيناء ، تعددت الزيارت إلى الساحات في جميع أصقاع مصر من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ـ إلا أننا نتوقف عند ثلاث زيارات هامة في حياته ، اختصها إمامنا ـ دون غيرها ـ بالحديث ، وهى زياراته إلى ثلاثة من الأئمة الفحول في عصرهم ، وهم على الترتيب : الشيخ عطية أبو حسن ، والشيخ أبو الوفا الشرقاوى ، والشيخ أحمد رضوان ـ رضى الله عنهم أجمعين[1] .

٢ـ سيدى عطية أبو حسن :

(١) جاء حديث إمامنا العربى عن تلك الزيارات في أقواله الموثقة بتحقيقات أمن الدولة العليا التي أجريت مع حضرته في قضية العصبة الهاشمية ، وأحداث سجن القلعة ، لمزيد من التفصيلات انظر : ما سيجيئ ذكره عن تلك الأحداث مبحث " كراماته ومحنته " ، في الفصل الثانى من الباب الرابع من هذا المؤلف .

الشيخ عطية أبو حسن ، هو صاحب المقام الرفيع فى عزبة سيدى عطية ، من أعمال مركز ومدينة شربين ـ محافظة الدقهلية .

تمت زيارة إمامنا إلى سيدى عطية أبو حسن فى أربعينيات القرن العشرين ، وقد رحب الشيخ عطية بتلك الزيارة ، وفرح بقدوم إمامنا إليه ، وكان يقول : " أنى أشم فيه رائحة محمدية " .

يتحدث إمامنا العربى عن ملابسات تلك الزيارة قائلاً : " حدث إننى وأنا فى سن الثانية عشر رأيت حضرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، وقال لى : " يا ابنى ، ياحبيبى عليك بالسيد عطية فى المنصورة فهو من أبواب حضرتى" ، وكنت لا أعرف من هو الشيخ عطية ، فسألت عليه ، ودلونى عليه أهل الخير ، وكان عمره ثمانون سنة ، وكانت ساحته عامرة بالفقراء والمساكين ، وسلَّمت عليه وقبَّلت يده ، وأقمت فى ضيافته ، ومكثت معه مدة كبيرة أتردد عليه ".

وظل إمامنا العربى فى ضيافة سيدى عطية ، متردداً على ساحته حتى انتقل إلى جوار ربه .

وما زالت ساحة سيدى عطية توءم الساحات فى دلتا مصر إلى وقتنا الحاضر ، فهى مفتوحة لتعليم العلم ، وإطعام الطعام للناس كافة ، وقد قال عنها السواد الأعظم[1] : " يوجد ثلاث ساحات فى مصر يطعمون الوزير جنب الخفير ، ساحة الإمام على بالكلح ، وساحة مولانا الحاج أحمد رضوان بالبغدادى ، وساحة سيدى عطية أبو حسن بشربين".

أعقب سيدى عطية أبو حسن ستة من الرجال هم الشيخ عدلان ، والشيخ متولى ، والشيخ ود ، والشيخ فطين ، والشيخ دويدار ، والسيد محمد ، وساروا جميعهم على خُطَى ، ونهج والدهم فى الجود والإكرام .

وبعد مرور حِقْبَة من الدهر ـ وقبيل رحيل إمامنا العربى إلى الرفيق الأعلى ـ قيض الله زيارة للشيخ عدلان بن سيدى عطية أبو حسن إلى ساحة إمامنا العربى بالكلح ، فتعلق بها ، ثم توالت زياراته ، وساق معه إلى الكلح الكثير من أحباب والده الشيخ عطية أبو حسن .

وبعد انتقال إمامنا ـ حرص السواد الأعظم على زيارة ساحة سيدى عطية أبو حسن ، والمشاركة ـ وبصحبته أبناء العصبة الهاشمية ـ فى الاحتفال بمولده السنوي، فتوثقت عُرى المحبة ، والمودة ، بين الساحتين .

(١) دار هذا الحديث بين السواد الأعظم وبين السيد أحمد الفاتح العفيفى نجل إمامنا العربى .

وشُيدت تلك العلاقات الطيبة برابطة نسب شريفة بين البيتين ، فتزوج السيد أحمد الفاتح العفيفى ، والسيد على البدرى ابنا إمامنا العربى من ابنتى الشيخ عدلان بن سيدى عطية أبو حسن، وتناثرت الذرية الصالحة خلفاً من ذلك السلف الصالح ، فكما قيل : " الحب يتوارث " ، و" ما كان لله دام واتصل " .

وفى رسالة إلى أبناء العصبة الهاشمية ـ يبين السيد / أحمد الفاتح العفيفى لهم فضل سيدى عطية ، ويحثهم على مداومة الود ، والتواصل مع أبنائه ، فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد جامع الشتات ، وأرسل حبيبه بالبينات ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات ، وسلم تسليماً كثيرا.

أحبابى فى الله ، أريد أن أشكر عمى ، وشيخى فضيلة الشيخ عطية أبو حسن ، صاحب المقام الرفيع فى مدينة شربين عزبة سيدى عطية ، أشكره ، وأقبل يده لاستضافة أبى فى فترة صغره ، وسياحته فى البلاد ، ورحب به ، وفرح به ، وقال أنى أشم فيه رائحة محمدية ، وذلك فى أربعينيات القرن الماضى ، وأشكر من بعده ابنه عمى الشيخ عدلان ؛ لاستضافته مولانا الحاج أحمد أبو الحسن ، وفتح بيته ، وساحته ، ومسجده إليه ، وزوجنى ابنته المصون ، وأكرمنى ، ورعانى كابن من أبنائه ، وصاحب فضل على كفضل مولانا الحاج أحمد أبو الحسن ، بارك الله فيه ، وفى ذريته ، وأنار الله بهم بلادهم ، وجمع عليهم قلوب الأحباب ، وأضاء بهم الطريق ، وجعل ساحتهم مفتوحة لتعليم العلم ، وإطعام الطعام للناس ، فأول بند من مكارم الأخلاق هو إطعام الطعام ، وهذه هى مهمة آل البيت .

فهذه الساحات لا تنسوا فضلها ، وزيارتها ، والدعاء فى مقاماتها ، ومساجدها ، ومحرابها وهم أهل الفضل ، وأهل الفضل يعرفون بعضهم . وهم من الذين اختصهم الله لمنافع الناس ، ومنافع العباد تقضى فى هذه الأماكن ، اللهم اجعل هذه الأماكن فى حفظك ، وفى كنفك ، ونورك ، وعباءة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ اللهم آمين!. وكما قال تعالى : { قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى }[1] ، وهؤلاء من القربى ، الله أكبر ولله الحمد[2] .

وينشأ السواد الأعظم في سيدى عطية[3] :

أتينا إلى رحابك يا عطية * ونرجو شهودكم كل العطية
وقال لنا الإمام العربى * تؤم القوم في الحضرة العليا
ورثت خلافة الثقلين مدا * بحال علىّ مَنْ حَمَل الوصيا
وكيف ولم تزل أسداً عظيما * ممد عبيدكم بيد خفيا
وقد زاحمت في السبع النوادر * لفوق العرش تبدو لك المزيا
ويا سندى ويا درعى فكن لى * تحادى الركب واحفظ للبنية

٣ـ الشيخ أبو الوفا الشرقاوى :

هو أحمد أبو الوفا الشرقاوى ، الإمام الكبير العارف بالله المجاهد ، ولد فى سنة ١٨٧٨م فى إحدى قرى الصعيد ، القريبة من مدينة جرجا .

أبوه هو العارف بالله الشيخ أحمد بن شرقاوى المكنى بأبو المعارف ، الذى نشر الطريقة الخلوتية ، وعمت شهرته القطر المصرى كله ، وسعى إليه الساعون من أنحاء البلاد ينالون من أنواره وبركته ، وأقر له كبار علماء الأزهر الشريف بالفضل ، وأثنوا عليه .

وهو صاحب قصيدة " الوسيلة الحَسْنَى فى نظم أسماء الله الحُسنى " ، وهى من أحب المنظومات التى كان إمامنا العربى كثيراً ما يرددها من داخل خلوته المباركة ، يقول فيها :

يارب بالحسنى من الأسماء * أشرق شموس القرب فى سمائى
وافتح صميم القلب يا الله * وامزجه بالتوحيد يا مولاه
رحمن بختر مهجتى فى الحان * وحفها بالمشهد الربانى
رحيم عجل جنة الشهود * واحفف إلهى بالوفا عهودى

---

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) نقلاً عن السيد أحمد العفيفى الابن الأكبر لإمامنا العربى ـ رضى الله عنه .

(٣) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، ديوانه القديم بعنوان " بساتين الجنات في المدائح والصلوات على سيد السادات " مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، قصيدة " أتينا إلى رحابك يا عطية " ، ص ٢٦٦ .

يا مالكا عطف علينا الساقى * وافن الحشا واحرقه بالأشواق

يقول السواد الأعظم : حينما يردد إمامنا العربى هذه المنظومة فإن شذى أنفاسه يهب بأريجه على أقوام حيث كانوا ، وأين كانوا ، ولو فى أقصى الأرض ، ويسير بهم إلى الله حادى منادى لحقائق أرواحهم إلى حيث منازلهم فى ساحة الله المطلقة ، فى حظيرة القرب ، وهو يطوى معاريجهم ، وقد أدخلهم على حضرة الله ، وحضرة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم(١).

حفظ الشيخ أبو الوفا الشرقاوى القرآن صغيرا فى قريته " نجع شرقاوى " نسبة إلى والده ، وكانت قبل ذلك تسمى " الدير" ، ولمَّا حل فيها أبوه أصبح اسمها " دير السعادة " .

تلقى الشيخ أبو الوفا تعليمه تحت إشراف ذلك الوالد الماجد ، وتلقى مبادئ العلوم الدينية على يد فضلاء العلماء ممن كان الصعيد غنياً بهم فى ذلك الوقت ، ونبغ فى علمى الشريعة والحقيقة ، حتى أصبح خير خلف لخير سلف .

عندما توفى والده الشيخ أحمد بن شرقاوى كان فى العشرين من عمره ، وكان الشيخ قبل وفاته قد أودعه وصاياه ، وأسراره ، وأنواره ، وظل نجم الشيخ أبو الوفا فى صعود ، وأحواله فى ترقى ، يعمل بما أوصاه به والده من التمسك بالآداب الشرعية والعمل على نشر الطريقة .

حج الشيخ أبو الوفا الشرقاوى واعتمر عدة مرات ، وكان له تعلق زائد بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وله فى مدحه قصائد عصماء ، منها القصيدة المشهورة ، التي يقول فيها :

يمناك تهمى بالعطا وتجود * وسما بنسبته إليك الجود

يا منْ إذا أوفى ببابك طامع * حيزت له الآمال وهى شرود

لعب الشيخ أبو الوفا الشرقاوى دوراً كبيراً فى إذكاء روح ثورة ١٩١٩م ، وأنشأ قصائد فى مكافحة الاحتلال ، وقد ألتقى به زعيم الأمة سعد زغلول أثناء زيارته للصعيد فى شهر أكتوبر سنة ١٩٢١م ، وقال فى حقه : ما رأيت رجلاً عالماً فى تواضع ، شجاعاً فى سكينة ، حكيماً فى ثبات مثلما رأيت هذا الأستاذ الإمام .

عَمَّرَ الشيخ أبو الوفا الشرقاوى أربعة وثمانون عاماً قضاها فى عمل دائب ، وجهد متواصل حتى حضرته الوفاة فى التاسع والعشرين من ذى الحجة عام

---

(١) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

ألف وثلاثمائة وثمانين من الهجرة النبوية ، الموافق ١٩٦١/٦/٢م ، ودفن بجوار والده بنجع شرقاوى.

نعاه الناس ، وحزنت لفراقه كل الطبقات ، وكتب الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ مفتى الديار المصرية الأسبق ، وعضو جماعة كبار العلماء ـ يرثيه ، قائلاً : " لقد كان رزء الإسلام والمسلمون بفقده عظيما ، والخطب جسيما ، فقد كان نادرة الزمان فى نشأته ، وتربيته ، وفى علمه وأدبه ، وفى أخلاقه وسيرته ، وفى نسكه وعبادته ، وفى توجيهه وإرشاده وخبرته بزمنه .

ويتحدث إمامنا العربى عن زيارته للشيخ أبو الوفا الشرقاوى ، ويصف ساحته قائلاً: " ظللت أتردد على سيدى عطية إلى أن حصلت رؤية أخرى من سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وقال لى فى هذه الرؤية : "عليك بالشيخ أبو الوفا الشرقاوى فى الصعيد نجع حمادى " ، فذهبت إليه فى ساحته فى الصعيد ، ورأيت ساحته عامرة بالبشوات ، وكبار رجال الدولة ، وتقابلت معه ، وعندما وضع يده فى كفى رأيت يد من نور تمسك يدينا نحن الاثنين ، فقلت للشيخ يد من هذه ياَمولانا ؟ قال لى أنها يد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " .

٤ـ الشيخ أحمد رضوان :

إذا كان حديثنا عن الأشياخ الثلاثة السابقين قد جاء على وجه الاقتصار فإن حديثنا عن الشيخ أحمد رضوان سيأتى أكثر عمقاً ، واستقصاءً ؛ ويرجع ذلك إلى أن إمامنا العربى مكث جُلَّ بداياته فى رحاب الشيخ أحمد رضوان ، ولازمه حتى وفاته ، كما ارتضى إمامنا العربى المنهج الرضوانى أساساً صحيحاً فى الدعوة إلى الله ، ولم يشأ أن يحيد عن ذلك المنهج ، بل اندرج فى بداياته فى المدرسة الرضوانية .

والشيخ أحمد رضوان هو السيد أحمد بن محمد بن رضوان ، أصل أجداده ينتمون إلى سيدى عبد القادر الجيلانى بالعراق ، سكن جده قرية البغدادى بالأقصر بإذن من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وأقام بها فتشرف به المكان ، وتعطر بأريجه الزمان .

ولد ـ رضى الله تعالى عنه ـ بقرية البغدادى من أعمال محافظة الأقصر حالياً ـ بصعيد مصر فى الثامن والعشرين من ربيع الأول عام ألف وثلاثمائة

وثلاثة عشر من الهجرة (١٣١٣هـ) ، وكان حجة عصره ، ولُقِبَ برئيس المجاذيب فى صعيد مصر .

حفظ ـ رضى الله عنه ـ القرآن صغيراً ، وقرأ كتب الفقه ، والتوحيد على الشيخ / حامد أحمد الجبالى ـ رضى الله عنه ـ وتفقه فى مذهب الإمام مالك ، لكنه تبحر فى جميع المذاهب حتى أجادها ، وأصبح عالماً متمكناً فيها ، كما تبحر فى جميع علوم الدين الأخرى .

سلك ـ رضى الله عنه ـ الطريقة السمَّانية على يد والده ، الذى كان من كبار الأولياء، ثم سلك الطريقة الخلوتية على يد الشيخ أبى القاسم الحجازى ، ثم سلك على يد الشيخ عبد الجواد الدومى ، ثم جدد الطريق على يد الشيخ الرملى بالمنيا .

وكان ـ رضى الله عنه ـ كثيراً ما ينتابه حال من التعلق ، والمراقبة للحضرة العليَّة، وفى ذلك يقول : " لقد حدث لى حصر بول وأنا فى سن الرابعة عشر ، وكنت متعلقا بالحضرة ، فمضيت إلى الجبل لأفك هذا الحصر ، فوجدت كل شيئ يسبح لله ، الأشجار، والحجارة ، والطوب ، والرمل ، ومكثت على ذلك مدة كبيرة ، حتى سألت رفعه عنى فرفع ، وهذا جعلنى على علم بحال أهل الفناء ، ولولا أن الله أصلح الأمر لما استطعت قضاء حاجتى ، ولولا أن الله يزوى ذلك عن أوليائه لما استطاعوا قضاء حاجتهم " .

وكانت عبادته ـ رضى الله عنه ـ مداومة الذكر، والصلاة على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ التي وصل عددها فى بدايته سبعة آلاف مرة ، وذات مرة رأى مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يسقيه من زجاجة لبن ، ولمَّا قام من نومه ، وجدها بيده ، وهو يشرب منها .

كان يقول ـ رضى الله عنه ـ :" لو تنفست خمسة عشر نفساً لا أرى فيها حبيب الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لأيقنت أننى من المدعين ".

وفى موضع آخر يقول :" ما أَذَّنت مرة فى المسجد ، أو فى البيت ، أو فى أى جهة وقلت أشهد أن محمداً رسول الله إلا شاهدته ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ولو سلمت عليه بعد صلاة الصبح ، ولم أسمع الرد من حضرته لقتلت نفسى ".

وسئل ـ رضى الله عنه ـ كيف توفق بين قوله تعالى : { ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ }[1] ، وبين قوله تعالى:{ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ }[2]، فأجاب : إذا ذكر الله بصفات جماله " الرحمن ، الرحيم ، السلام " اطمأنت القلوب ، وإذا ذكر الله بصفات جلاله " الجبار ، المنتقم " وجلت القلوب .

وسئل ـ رضى الله عنه ـ عما جاء فى الحديث النبوى الشريف عن المؤمنين الذين توضع لهم منابر من نور فى الآخرة فيغبطهم الأنبياء والشهداء مع أن الأنبياء والشهداء أعلى مقاما؟! فأجاب فضيلته : إن الغبطة لا تعنى رفع درجتهم فوق الأنبياء والشهداء وإنما هى غبطة الفرح والسرور، كما يفرح الآباء بنجاح أبنائهم ، وكما يفرح الأساتذة بنجاح تلاميذهم وتفوقهم ، وهذا لايعنى أنهم بلغوا مراتب الأساتذة فى العلم[3] .

وللشيخ أحمد رضوان دور اجتماعى ، ووطنى بارز ، ومما يذكر أنه فى عام ١٩٤٤م اجتاح البلاد وباء الملاريا والتيفوس ، حيث كان إذا داهم المرض أسرة أقعدها عن العمل وربما قضى على أفرادها ، دون أن يكون بينهم من يستطع أن يعتنى بشأنهم أو يقوم على خدمتهم من تقديم الطعام ، أو الشراب ، أو الدواء ، وهم فى حاجة ماسة إليه .

وفى هذه الظروف العصيبة ـ كانت الناس تخشى من عدوى المرض ـ فلم يتهيب الشيخ أحمد رضوان الموقف ، وقام على خدمة المرضى ، وإمدادهم بما هم فى حاجة إليه متحملاً فى ذلك الصعاب ، ووضع ـ رضى الله عنه ـ مخلاة على دابته ، وأخذ يطوف بها على الخيرين ؛ لجمع المعونة بأنواعها ، ثم يوزعها على المرضى بنفسه مؤمناً بأن المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، ومؤمناً كذلك بأن الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه.

وبرغم الجهاد الذى كان يبذله فى الدعوة إلى الله ـ لم ينس الشيخ أحمد رضوان الدفاع عن وطنه ، الذى تبذل فيه النفوس ؛ وكان ـ رضى الله عنه

---

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) الأنفال : ٢ .

(٣) نقلاً عن : مصطفى صبرى الرضوانى ، من أحباب آل رضوان .

وأرضاه ـ دائم الدعاء لبلاده أن يحفظها الله من كيد الكائدين قائلاً : " اللهم لاتميتنى حتى أرى يوماً فى إسرائيل" .

وبعدما سمع بهزيمة جيش بلاده في حرب ١٩٦٧م ، قال :" إلهى غضبت عليهم ولم تقبل رجائى فيهم فخذنى إليك وارحمهم " . ففاضت روحه الطاهرة ـ رضى الله عنه.

وعن إمامنا العربى ، يقول :" الشيخ العربى الذى ترونه ، إنه رجل غيب يحد ولا يُحَد "[١] .

ويخاطبه ، قائلاً : " يا بنى لا تجعل لك كيف غير الله تعالى ، وأرى فيك ـ إن شاء الله ـ إنك من الصفوة ، التى لاكيف لها غيره ـ جلَّ وعلا ـ وأبى الله إلا أن تكون خيرة أخياره " .

بعد أن أقعده البلاء ، الذى تحمله عن أمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يا مولانا ـ أعطاك الله العمر المديد ـ إلى منْ نتجه بعدك ، فالتفت الشيخ وقال : " إلى قرية نائية فى جنوب الصعيد ، تكون عاصمة المدائن ، والقرى دينا ، وعرفانا " ، وأومأ إلى النجع الذى يقطن فيه إمامنا العربى[٢] .

يتحدث إمامنا العربى عن زيارته العارف بالله الحاج أحمد رضوان قائلاً : " ظللت فى التردد على الشيخ أبو الوفا الشرقاوى إلى أن جاء لزيارته الشيخ أحمد رضوان ، فتقابلت عنده مع الشيخ أحمد رضوان ، ووجدته رجل وقور، وسلَّمت عليه ، وأخذنى معه إلى ساحته فى البغدادى بقنا ، وتتلمذت على يد الشيخ أحمد رضوان حتى توفى سنة ١٩٦٧م "[٣].

ويقول " نشكر الله أن ساقهم إلينا ـ يعنى أمثال الشيخ أحمد رضوان من أهل الله ـ أو ساقنا إليهم ، ولولا الله ما كان استدلينا عليهم ، ثم هم الذين قد دلونا عليه ، وأنا أول ما أن رأيت الشيخ أحمد رضوان قلت أن هذا الرجل ينظر بنور الله ، وينطق بتوفيقه"

---

(١) نقلاً عن الشيخ جابر عبد المنعم ، وقد سمعه مشافهة من الحاج محمد أمين من أحباب الشيخ أحمد رضوان ، المعاصرين لإمامنا العربى، وجاء قول سيدى الشيخ أحمد رضوان بمناسبة تواجده بخيمة العمرانية بكلح الجبل ، وسؤاله من أحد الحاضرين : ما قولك في الشيخ العربى؟ فتهلل وجهه نوراً ، ثم قال ما ورد في المتن .

(٢) يذكر أن السائل هو المستشار المعروف / مصطفى حمد من أحباب الشيخ أحمد رضوان ـ رضى الله عنه .

(٣) من أقوال الإمام العربى بتحقيقات نيابة أمن الدولة ، سالف الإشارة إليها .

ويستطرد إمامنا قائلاً : " ذات مرة ، جاء وفد من العلماء إلى ساحة الشيخ أحمد رضوان لينهلوا من علمه ، فلما خرج عليهم الشيخ استهلهم صائحاً على ابنه الشيخ صالح : هل سقيت الفروج (الدجاج) ؟ هل وضعت أكل الفروج ؟ ، فاستنكر أحد العلماء كلام الشيخ واهتمامه بالفروج دون العلم ، وجال فى خاطره : " أجئنا لنسمع يا صالح اطعم الفروج " ، فما كان من الشيخ أحمد رضوان إلا أن رد على ذلك الخاطر بقوله : ألم يقل ربنا فى كتابه لحبيبه المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ { **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ** }(١)، والفروج عالم من العالمين ، وهو مرحوم برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والراحمون يرحمهم الرحمن ياجاهل .

فاعتذر العالِم ، واستسمح الشيخ ، فقال له كيف أعذرك ، وأنت قادم إلى عارف بالله ؟ فى إشارة إلى أنه يجب التأدب فى مجالس العارفين بالله ، وأن يحفظ الجالس بين أيديهم قلبه قبل لسانه .

يقول إمامنا : " العارف بالله يكون عارفاً بربه ، وبأيام ربه ، وبآيات ربه ، وبكتاب ربه ، وبجلال ربه ، وبجمال ربه" .

وعن قواعد آداب الجلوس بين يدى العارفين ـ يقول إمامنا العربى : " من كان داخل الحضرة لا يكلمها إنما الحضرة هي التي تكلمه ، وينوه إلى أن هذه القاعدة كانت تخفى على الكثير فى زمن الشيخ أحمد رضوان ، ومن فضل الله علىَّ ، وتحدثاً بنعمة الله ـ لم أكن أحدث أحد فى مجلسه ، ولو كان من كبار الأولياء " .

وعن رسالته ، ودوره فى الارتقاء بأهل زمانه ، يقول إمامنا : " العصر الذى كان فيه الحاج أحمد رضوان كان معقدا ، العصر ذاته ليس بمعقد ، لكن الناس معقدون ، بل فى غاية من التعقيد من ناحية التوحيد ، والمجمل ، كما كانت الأفكار راكدة ، ومتجمدة حتى المعيشة المادية كانت معقدة ، فلقمة العيش كانت تنال بصعوبة ، والبتاوة كانت كالقمارى ، والحياة معقدة ، كان الشيخ أحمد رضوان يحلحل فى عقدها حلحلة(٢) .

ويضيف : " من ضمن رسالته ـ أي الحاج أحمد رضوان ـ حل الأفكار كى تسبح ، فلا يمكن أن يتحدث بكلام القوم فى أذهان لا تسبح ، ولا تريد أن تسبح

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) البتاوة هى : خبز يصنع من الذرة ، يطعم به الفقراء ، ورغم هذا كان نوالها في ذلك الوقت صعباً ، أو كالقمر ، الذى يضيى السماء .

، ولابد أولاً أن يحارب الماديات ، يحلها بحيث تصبح كواكب تسبح ؛ لأجل أن يلقحها ، وإن هى أبت بعد ذلك فلا يُسأل عنهم ، ويكون قد أدى رسالته ، وإلا ، فلا يكون قد تخَلَّصَ ، ولا خَلَّص، وهذه هى مهمة العارف ، لازم يكسر الماديات أولاً ، ككسار الحجر فى الجبل ، فالحجر فى الجبل له قلب وروح ، لا يعرفه إلا كسار الجبل ، وبالضرب والنقر بالمعول على روح الحجر ينكسر بسهوله ، ولو ضرب ذات الحجر فى أى مكان آخر يستحيل كسره ، فمن باب أولى العارف ، وبالطبع فإن كسار الحجر لولا أن يأذن له ملك الجبال ما أمكنه كسر حجر الجبل ، وملك الجبال بدوره مأذون من الله ، وكذلك العارف بالله .

فقد كانت رسالة ومهمة الشيخ أحمد رضوان تكسير تلك الماديات ، والتيسيرعلى الأمة الإسلامية فى عصره ، والعصور التى تليه ، سواء المادية ، أوالمعنوية :

فأما المادية ، بانتشالها من الفقر المدقع ، وحالة الحرمان الشديد من الاحتياجات الإنسانية الأساسية ، بما فى ذلك الغذاء ومياه الشرب المأمونة ، والصحة ، والمأوى والتعليم .

وأما المعنوية ـ الروحية ـ بالارتقاء بالأفكار المتجمدة ، والعقول الراكدة ، وتوسعة الفهوم ، وتهيئتها لكى تسبح فى المعارف ، والعلوم اللدنية ، بعد أن عم الفقر غالبية أولياء عصره ، وكان مفهومهم ضئيل ، وقليل فى الذات العليَّة ، والحضرة المحمدية.

وفى ذلك يقول الحاج أحمد رضوان : " ببركة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سينفك كل عسير على الأمة الإسلامية إلى أن نلقاه " .

ويعلق إمامنا العربى على تلك المقوله : " يفهم من هذه المقولة أن الشيخ أحمد رضوان هو الفاتح لهذه المصلحة ببركة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم " .

فقد أخرج الله العباد على يديه من الفقر المادى إلى الغنى ، وعرفوا كيف يأكلوا ، وكيف يناموا ، وكيف يطمئنوا ، كما زاد من اجتمع عليه من الأولياء بسطة فى العلم ، ومن لم يجتمع عليه منهم لم يفق من حيرته حتى حين .

ولكونه تجلبب برداء الشريعة ، فقد أعطاه الله القوة ، ونظام الممارسة ، ممارسة فى الموادة ، والمؤانسة ، موادة ، ومؤانسة الحضرة ، فيذكر لجليسه الدلائل على قدر الشوق ، الذى يراه فيه ، فيبدأ معه بالكلام بنظام الشريعة أولاً ، فلو وجده قد فهمه واستوعبه ، يتعمق معه أكثر ، ويتحدث بالأقوى (أي في

الحقيقة) ، وهكذا كل واحد من الموجودين في مجلسه يأخذ بقدر جهده ، واستعداده من بركات الشيخ ، ومصدرها الأصلى سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

ويقص إمامنا حكاية قائلاً : كان الداعية أحمد الطيب من العارفين بالله ، وداعية إلى الله فى وقته ، وكم جال فى البلاد لتجديد الدعوة وصال ، وكم حاججته العلماء وحاججهم ، وكم حاربته العلماء وحاربهم ، وكم كانت له جولات وحروب كبيرة معهم فى بلادنا بالسيوف ، وأسنة الرماح ، حتى بلغ من الكبرعتيا ، فلمَّا ظهر الحاج أحمد رضوان ـ التزم خلوته فى بيته ، وذات مرة كان يتحدث في سير الأولياء مع العمدة بسطاوى ، وهو عمدة ، وعالم أزهرى من أحبابه ، وعندما جاء ذكر الحاج أحمد رضوان ، قال له : يا عمدة بسطاوى ، مائة وعشرون سنة أشق الطريق ، وأحاجج الأكوان ، وتحاججنى ، وقد حاربتنى بلادكم بأسنة الرماح ، ورأيت التعب مع العباد ، ولم ارتح حتى ظهر الشيخ أحمد رضوان ، فنمت فى بيتى مطمئن ، بعد أن رأيت فيه الكفاية للدعوة على حقيقتها ، يا عمدة بسطاوى : بلغه منى السلام ، وفَهِم من حوله أن هذا الرجل مما مَنَّ الله عليه بالعلم الظاهر ، والباطن .

وينصح إمامنا العربى العلماء : " اغتنموا الحاج أحمد رضوان ، واستعدوا للحاج محمد رضوان " .

فى دار تلميذه الأحب الأستاذ فريد زعلوك بالقاهرة ، وبعد فترة علاج طويلة ـ اشتد المرض على الشيخ ، وظل لا يطعم طعاماً ، ولايشرب دواءً ، حتى جاء اليوم الموعود والوقت الموقوت ، نادى على ابنته الحاجة زينب ، فدخلت عليه وهى باكية . فقال لها: ما بك يا بنتى . قالت : حالك ، وعدم أكلك وشربك . فقال لها : هاتِ لى الطعام ، فأحضرت له الطعام ، ثم طلب الانفراد ليهاتف ابنه الحاج صالح فى البغدادى ، حيث أخبره بنهايته ، وأوصاه بوصيته ، وبعدها طلب كوباً من اللبن ، فشربه ، وقال ـ رضى الله عنه ـ : به بدأنا ، وبه انتهينا .

وطويت هذه الصفحة المشرقة من صفحات الخالدين فى الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر يوم الأحد الثالث من ربيع الأول عام ١٣٨٧هـ ، الموافق العاشر من يونيو عام ١٩٦٧م ،

وقام بالصلاة عليه الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية ، وتم نقل الجسد الطاهر إلى مقره الأخير بالبغدادى عن طريق القطار ، وبعدما تم

الصلاة عليه بالبغدادى مرة أخرى ، تم دفنه فى مقامه المبارك فى مشهد مهيب لم يشهد صعيد مصر مثله .

وفى الختام ، يود الباحث الإشارة إلى ملمحين اثنين ، كانا قاسمين مشتركين في سيرة هؤلاء النخبة من العارفين ، الذين اختصهم إمامنا العربى بالزيارات في بداياته، أولهما صفة الكرم والجود ، وهى الصفة المميزة لإمامنا العربى ـ كما رأينا ـ وثانيهما الدور الوطنى الذى لعبه كل منهم تجاه مصر الوطن ، وهو ما سنلمسه جلياً في سيرة إمامنا العربى أيضاً[1] .

ويكتفى بهذا القدر من الحديث عن مزارات إمامنا العربى في طريق البدايات

---

(١) انظر ما سلف ذكره في مبحث "اسمه ، ووصفه " في الفصل الأول من الباب الأول ، وما سيأتى ذكره في مبحث " الدور الاجتماعى والوطنى لإمامنا العربى " في الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا المؤلف .

الباب الثانى

{العصبة الهاشمية ، والدور الاجتماعى ، والوطنى}

يتحدث هذا الباب عن تعريف العصبة الهاشمية ، ومجمل معتقدها ، ونهج إمامنا العربى في التربية ، والأوراد والأذكار المأثورة عن فضيلته ، وذلك في الفصل الأول .

بينما يتطرق الفصل الثانى إلى دور إمامنا العربى الاجتماعى ، والوطنى ، وإقامة مسجد ، وساحة الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ على النحو التالى

الفصل الأول

{العصبة الهاشمية ، والأوراد الفتوحية}

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين : الأول ـ يتناول مجمل معتقد العصبة الهاشمية ، ونهج إمامنا العربى في التربية ، والثانى ـ يتسعرض الأوراد والأذكار الفتوحية ،

و على النحو التالى

المبحث الأول
العصبة الهاشمية ـ معتقد ، ونهج
المطلب الأول
تعريف ، ومعتقد العصبة الهاشمية
أولا ـ تعريف العصبة الهاشمية[١] :

يقول إمامنا العربى : " من حوالى سنتين تقريباً رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى المنام ، ومعه السيدة فاطمة الزهراء ، وسيدنا الإمام الحسين وسيدنا أبو بكر ، وسيدنا عمر ، ورفع الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يديه الشريفتين إلى السماء ، وقال :" اللهم تهلك هذه العصابة لن تُعبد فى الأرض" ، وقلت له يارسول الله نطمع أن نكون تحت لوائك

---

١) العصبة لغة : الجماعة من الناس (جمع عاصب) ، والجمع : عصبات ، وعَصَبة الرجل : بنوه ، وقرابته لأبيه ، أو قومه الذين يتعصبون له ، وينصرونه [للواحد والجمع] ، والسدنة : جمع : سادِن ، والسادِن : خادم الكعبة ، أو الحاجب ، أو الحارس ، والجمع : سدنة ، والساسة : جمع : سائس ، والجمع : ساسة ، أو سُوَّاس ، أو سُيَّاس ، وساس الناس ـ سياسة : تولى رياستهم وقيادتهم ، و ـ الأمور : دبرها وقام بإصلاحها ،انظر على سبيل المثال : المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٤٢٠ ، والهاشمية : انتساباً إلى هاشم ، جد النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، الذى هشم الثريد لقومه أي : كسره ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦٥٠ ، ويطلق على نسل الرسول " بنو هاشم " ، وفى تعريف عالم تكوين حروف العصبة الهاشمية ، أنشأ الشيخ جابر عبد المنعم ، قائلاً : (عينها) علَّى عينها العربى ، عينها عين الأعيان ، سيد ولد عدنان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ و(صادها) الصِدِّيق صادها يسرى منه تيار الصديقية فى الصديقين من الصديق الأكبر ، وتيار الصدق فى الصادقين . و(باؤها) باء البدء باء بسم الله الرحمن الرحيم ، الباء المنحدرة فى كل كائن إيجابى جوهرى سعدى أريحى ، والتى ما اندرجت فى شيئ أو إنسابت فى شيئ إلا وكمل ، باء البدء (الحضرة المحمدية حقيقة خير البرية) باء النيابة ، باء الأنبياء ، باء القرابة ، باء الصحابة ، باء الأبواء ، باء أولى الألباب ، باء الأقطاب ، باء النجباء ، ، باء الأبدال ، وهكذا دواليك ، وهكذا من فواح أريجها والشذا . و(تاؤها) تاء التجلى الشارقة فى كل متجلى عليهم : أنباء ، مرسلين ، أولياء ، عارفين ، وبنتها تاء تلبية الحجيج ،كذا وفى تاء اعتمار المعتمرين ، وقس على ذلك من بناتها الفذالك ، السارية فى المالك ، والسالك . و(لهاشمية) آل ... هاشم ، بنو هاشم عن جدهم هاشم ، منْ هشموا الثريد ، سادة الحضر والبيد ، أهل بيت النبى ، الطاهر الذكى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أهل السيادة ، والريادة ، والرفادة ، أهل الجود والكرم ، أولياء النعم ، كل مفرد علم ، فاز بمعيتهم منْ أحبهم ، وسعد منْ سلك سبيلهم ، أبناء العصبة الهاشمية ، ويندرج فيهم كل محب ومحبة ، أينما كانوا فى عصر ، وفى كل مصر من الأمصار ، ببركة النبى المختار ، صافى معينهم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ، نقلاً عن بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " شراب الوصال ، منشور فى ٢٠١٨/٥/٣١م .

يوم القيامة ، وأنت الشفيع لنا ، فقال لىَّ " أنت من محبينا ، وفى عصبتنا الهاشمية ، وعصبتى كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ويستطرد إمامنا قائلاً : " انتبهت من المنام مسروراً ، وحدَّثت بعض الأحباب بهذه الرؤيا ، قالوا كلنا نتبرك بتبعيتنا للعصبة الهاشمية ، ومنذ ذلك التاريخ وُجِدَت عبارة العصبة لهاشمية"[١].

وفى مشهد لجامعية كبرى بين مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وبصحبته الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وبين إمامنا العربى ، أشار النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إلى الإمام على قائلاً :" يا على علمه أمراً يجمع بين أنفاس الطرق كلها ، فقال الإمام على : " العصبة الهاشمية ، والسدنة العلوية المحمدية ، والساسة الحسنية الحسينية " .

وإنطلاقاً من هذا المشهد ، واحتضانها لكل من قال " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وانفتاحها على جميع الطرق الصوفية ، دون تعصب ، أو تفرقة ـ زيد فى اسم العصبة الهاشمية ليصبح اسمها الكامل : " العصبة الهاشمية ، والسدنة العلوية المحمدية ، والساسة الحسنية الحسينية" .

ومن هذا المنطلق ـ أيضاً ـ يقول إمامنا العربى : " أنا خلوتى ، أنا قادرى ، أنا رفاعى ، أنا أحمدى ، أنا شاذلى ، أنا نقشبندى ، أنا العربى الرضوانى ، أنا كل الطرق الصوفية النقية التقية الزكية النبع النابع ، من معين خير المرسلين والراشدين ، وابن عمه الخليفة الرابع ، وكل الأئمة ، أئمة الهدى ، والمأمومين ، والمحبين لخير المرسلين ، وعترته الطاهرين ، وأصحابه ، والتابعين ، وعلى ما جاء فى إجماع الأمة بدءاً ، وابتداءً من الرعيل الأول فى صدرى ؛ تعلقاً ، وتخلقاً من داخل مدارى .

وعن العصبة الهاشمية ، يقول إمامنا : " أنا أخوكم محمد العربى ، قبيلتى قل هو الله أحد ، ولا أعرف ، ولا ارتبط بأحد غير الأحد ، ومن يحب الأحد ، ولا أقف إلا على أرض الافتقار لحضرته ـ جلَّ وعلا .

أُخياتى .. أصحابى .. أحبابى في دائرة { لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }[٢].

---

٢) وردت أقوال إمامنا العربى فى معرض أقواله بتحقيقات نيابة أمن الدولة العليا فى قضية العصبة الهاشمية ، لمزيد من التفصيل انظر : ما سيجئ ذكره تحت في مبحث " كراماته ومحنته " في الفصل الثانى من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

أليس كل إنسان من بنى البشر ينتمى إلى عائلة ، وتلك العائلة تنحدر من قبيلة من بطون القبائل ؟ ، رحم الوداد الإلهى ببركة النبى عريض الجاه ، هي التي تجمع بيننا ، فلا تجمع بيننا قبائل ، ولا ذات أرحام بيننا ، ولا أموال تتعاطونها ، ولا ولا ولا من هذا القبيل .

أنا أخوكم محمد العربى ، وأنتم أُخياتى ، الآن يجمع الله بينى وبينكم ـ ربى الديان في هذا المكان ـ رحم الوداد في حضرته ـ جلَّ وعلا ـ ببركة سيد الوجود خير الورى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ تربطنا رحم الوداد الإلهى ؛ تحققا بقوله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وُدًّا }[1] .

لذا ، ينوه إمامنا ، قائلاً :" إذا سألنى أحد ، وإذا سئلتم معى يا أخياتى ، من أى عائلة أنتم؟ نقول سوياً : نحن من قبيلة اسمها أبناء العصبة الهاشمية ، وكبيرها ، وشيخها هو رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ".

فلم يشأ إمامنا العربى أن ينسب العصبة الهاشمية إليه ، أو أن يُطلَق عليه لقب " شيخ العصبة الهاشمية " ، وذلك هضماً لنفسه ، تلك الصفة التى اتَّسَمَ بها إمامنا ولم تنفك عنه .

وينوه إلى ذلك بقوله :" ألا يستحى منْ يقول على نفسه شيخ ، فى وجود شيخ الأمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حى فيها ، بقوله تعالى : { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ }[2] .

وفى موضع آخر يقول : النبى لم يذهب عنا ، ولم يغب عنا ، ولم يذهب إلى مكان فالله ـ جل وعلا ـ يقول : { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ } ، فأجل ولى ، وأعظم عارف يستحى أن ينسب لنفسه عرفاناً ، أو ولاية ، وولاية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائمة ، وولاية رسول الله تجعل كل من منحهم الولاية ، والمعرفة حقاً ، ألا يرى فى نفسه عرفانا ، أو ولاية ، بل يغيب فى ولاية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مريم : ٩٦ .

(٢) الحجرات : ٧ .

ويضيف إمامنا قائلاً : حقائق أرواح الفحول النهول من آل بيت رسول الله ، تبيت فى قلب جدهم ، فلا تشغلهم مقامات ، ولا ولايات ولا يطلبون فتحا ، ألا يقول ـ جلَّ وعلا ـ { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ }[١] .

وها هو إمامنا العربى ـ مرة أخرى ـ يهضم نفسه ؛ تواضعاً ، وتأدباً مع الله ورسوله ، فتراه يقول : " وأبناء العصبة الهاشمية لايدينون لىَّ ، ولكنهم يدينون بالولاء لله ورسوله ، ومن لم يدن لله ورسوله ليس منا " .

ومازال الحديث عن أبناء العصبة الهاشمية : " أنتم أبناء العصبة الهاشمية امتداد للرعيل الأول من أصحاب المختار في القرن الأول ، فأنتم ـ تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ـ عصبة الخير بخير الملل . جعلنا المولى ـ وهو بنا أولى ـ عباداً لحضرته بلا علل ، هؤلاء الصفوة من أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ اللهم اجعلنا على شاكلتهم ، مشرق من أنوارهم ، ويكون فينا استمرارهم " .

وعن الانضمام إلى العصبة الهاشمية ، يقول إمامنا : " ودخول العصبة الهاشمية كان بلا شروط ، ولاقيود ، ولكن كان استحباباً وتبركاً ، وممكن لأى شخص مسلم الانضمام إليها ؛ محبة فى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ حيث أنها منسوبة لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ".

ويزيد الأمر إيضاحاً : " العصبة الهاشمية كل هائم فى حضرة الرسول ، وعترته بنى هاشم، وكل صادق وصادقة ، وصديق وصديقة ، وكل تقى وتقية دخل تحت سرادقات حضرة الآية { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا }[٢] ، وكساهم الله ـ عز وجل ـ بجلابيب أنوار تجلى حضرة الآية{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }[٣].

---

(١) الأحزاب : ٦ .

(٢) مريم : ٩٦ .

(٣) البينة : ٧ ، وروى السيوطى فى الدر المنثور ، قال أخرج ابن عدى عن ابن عباس قال : لما نزلت { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية } قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لعلى عليه السلام :" هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين " ، وأخرج ابن عساكر ذات المعنى ، وزاد بقوله : " فكان أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إذا قيل على عليه السلام ، قالوا : جاء خير البرية .

أما عن اهتمامات العصبة الهاشمية ، فقد لخصها إمامنا بقوله : " وتهتم العصبة الهاشمية بتقوية الروح ، ومحاربة الشوائب التى فى داخل النفس الأمارة بالسوء ، وإعمال العقل لكونه موهبة من الله[١] .

فإلى جانب تقوية الروح ، وتنقية النفس ـ لم يغفل إمامنا أهمية دور العقل ، وتراه حريصاً على إعماله ، بوصفه موهبة الله للإنسان ، وسوف ترى ـ عزيزى القارئ ـ كيف عَظَمَ إمامنا من قيمة العقل البشرى ، وإلى أي مدى أطلق له العنان فى حدود الشريعة الإسلامية ، من كتاب وسنة ، وبما يحفظه من الشطط[٢] .

ثانيا ـ أفكار العصبة الهاشمية ، ومجمل معتقدها[٣]:

آثرت أن أمسك عن الخوض فى ما هية عقيدة إمامنا العربى ، فهى غيب عن مثلى ؛ إذ تمثل أحد مكبوتات قلبه ، لا يطلع عليها ملك ليكتبه ، ولا شيطان ليفسده ؛ فقد ختم الله على قلب الإمام الختم بالإيمان التام بالله ورسوله ، ثم أنزل السكينة عليه فلا يرتاب أبداً ، ولا يعتريه الشك المنافر .

وفى هذا المعنى ـ يقول السواد الأعظم مخبراً عن إمامنا :" إن العبد المحض الذى جلببه الله بجلابيب الإخلاص البارز خارج الأقفاص ، أى أقفاص الموجودات طُرَا وجعله عبدا محضاً لربه ، وجعل قلبه طور تجلى ، واستودعه أسراره ، وأنواره ، وصار موضع نظره تعالى ، وموضع نظر نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذلك القلب أضحى عرش استواء تجليه" .

---

٩) أقوال إمامنا العربى في تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا في قضية العصبة الهاشمية ، سلف الإشارة إليها .

(٢) انظر : تفنيده لقول الفلاسفة : " العقل رسول " ، مبحث "علوم الختم ، وفرائد تأويله " الفصل الأول من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٣) المعقد لغة : (اعتقد) فلان الأمر : صدَّقهوعقد عليه قلبه وضميره ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٣٦ ، والعقيدة هى ما لايشك معتقد المرء فيه ، كعقيدة وجود الله ، وبعثة الرسل ، أما الأفكار فهى جمع (الفِكْرُ) ، وهو جملة النشاط الذهنى ، أو أسمى صور العمل الذهنى بما فيه من تحليل ، وتركيب وتنسيق ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٧٨ .

ويتساءل : " بماذا وصفه الله ـ جل وعلا ـ فى الحديث القدسى : " الإخلاص سر من أسرارى ، استودعته قلب من أحببت من عبادى ، لم يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده؟ "(١) .

ويجيب : " وَصَفَه بأنه لم يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، فالمكنون فى قلب هذا العبد المحض غَيْبٌ عن المَلَك ، أى السادة الملائكة ، وغيب عن الشيطان ، وكذلك ، هو غيب عن الناس ، ببركة خير الناس ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" .

وينشأ قائلاً(٢) :

فتوحيد من شهدوا الإله منزه * غنى عن الألفاظ والمد واصل
ونفى وإثبات فلا يجدى عندهم * لأنهم شهدوا يروا النفى باطل

وإلى ذات المعنى ، يشير سيدى محى الدين ابن عربى(٣):

إن الإمام هو المبيِّنُ شرْعَ من * شَرَعَ الأمور مبيِّنا لعبيده
منها الذى فى حقهم يَدرونه * وكذلك ما يختصُ فى توحيده

---

(١) عن حذيفة ـ رضى اله عنه ـ قال : سألت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإخلاص ، ما هو ؟ قال : سألت جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإخلاص ، ما هو ؟ قال : سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟ قال : " سر من أسرارى ، استودعته قلب من أحببت من عبادى " ، انظر: أحاديث الراوى ابن عطاء ، رقم : ٢ ، موقع على شبكة المعلومات الدولية (النت) باسم موسوعة الحديث ، وضعَّف بعض رواته.

(٢) السواد الأعظم ، قصيدة من ديوانه " بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" ، من فيض الحضرتين على الإمام أبو المحاسن والحسن العارف بالله تعالى مولانا الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ـ رضى الله عنه ـ جزء ٢ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) الإمام المبين هو الصادق الذى لا يمن (لا يكذب) مجلى ما أحاط به العلم ، وتشكل فيه الكيف والكم ، وحلت به الأعراض ، وفُعل بالإرادات والأغراض ، وانفعلت له الأوعية المراض ، النور الباهر، وجوهر الجواهر ، يقبل الإضافات الكونية ، والاستنادات العينية ، والأوضاع الحُكمية ، والمكانات الحكمية ، رفيع المكانة ، كثير الاستكانة ، عَلَمٌ فى رأسه نار ، عبرة لأولى الأبصار ، يملى جميع ما سَطِر، وما هو بمسيطر ، ما له وجود إلا بما يحمله ، ولا يَفْصِل إلا بما يقبله ، هو المحصى لما عُلم وجُهل وفُصِّل وأجمل ، لكل صورة فيه عين ، وله فى كل صورة كون ، يُمد ويستمد ، ويُعَدَّ له ويَعدَّ منه ، ظهرنا وإياه نُهينا وأُمرنا " انظر : محمد إبراهيم محمد سالم ، إلى الأمام هذا شعار الإمام ، فتح أبواب الاستزادة من العلم النافع لأئمة المحققين من الرجال ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م ، ص٥ ، فيما استخلصه من أشعار سيدى محى الدين بن عربى، الواردة فى الفتوحات المكية ، الباب التاسع والخمسين وخمسمائة ، فى معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة .

ورغم ما اكتنف عقيدته من كتمان ، إلا أن إمامنا العربى ـ فى معرض إجابته عن أسئلة المحققين ـ قد أباح لنا نذراً أَمَمَاً منها[١] ؛ إذ يقول : " أنا مؤمن ، وموحد بالله ـ سبحانه وتعالى ـ الله موجود ومتصرف ، وليس له شريك ، وليس له فى الملك شريك والذى خلق السموات والأرض ، القادر على أن يخلق مثلهم ، وهو الخلاق العليم ، الرزاق ذو القوة ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يكن له صاحبة ، ولا ولد ، ولا متصرف فى الكون إلا الله ، هو الواحد الأزلى ، المعبود المتفرد بوحدانيته وقدرته ، لاتأخذه سنة ولانوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وهو العزيز الحكيم . والله سبحانه وتعالى لم يكن محتاجاً لخلق السموات ، والأرض ، فخلقه لهما لم يزده شيئاً ، وعدم خلقهما لم ينقصه شيئاً ، فهو الخالق والمنظم ، لاتصريف فى شئون الله ، بل الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتصرف فى ملكه كيف يشاء ، لايشرك أحدا ، ولايعينه أحدا ، ولايطلب المعونة من أحد ، بل هو أحد ، إنه فرد صمد قيوم السموات والأرض"[٢] .

ومن هذا المنطلق العقائدى ، يرفض الإمام العربى ما ادعاه البعض بأن أفكار العصبة الهاشمية تقوم على أن الله سبحانه وتعالى انتهت مأموريته بخلقه السموات والأرض ، وأنه ترك مهمة تصريف الأمر فى الأرض للأنبياء ، ولمن بعدهم من الصحابة ، ثم أولياء الله .

ويستطرد الإمام العربى : "وأنا مؤمن بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فالنبى رسول من الله للأمم ، مخلوقٌ عابدٌ ، عَبْدٌ ، { سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ }[٣].

الرسول عبدٌ ، أول العابدين . والرسول مخلوق ، خلقه الله سبحانه وتعالى ، رحمة منه للعباد ، فجاء بالحديث ، والسنة المطهرة ، وناول التنزيل المنزل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين سيدنا جبريل على قلب رسول الله الكريم ؛ ليهدى الله به الخلق ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

---

(١) وإن كنت أرى أن إمامنا فى إجاباته تلك لم يسفر عن عقيدته هو ، وإنما بسط للجهات الرسمية مجمل عقيدة أبناء العصبة الهاشمية ؛ تبرئة لساحتهم مما أثير من طعون فى عقيدتهم ، أودت بالجهات الأمنية إلى اعتقالهم للوقوف على حقيقة الأمر .

(٢) أقواله فى التحقيقات سالفة الإشارة .

(٣) الإسراء : ١ .

والرسول عليه الصلاة والسلام تختلف بشريته عنا ، بحيث أنها بشرية شفافة ، لطيفة ، والرسول رحمة الله المهداة . فالرسول عليه الصلاة والسلام هو المبشر ، والنذير ، وهو حى بيننا فى أعماله ، وحى فى قبره ، وحى فى قوله ، وفعله" .

وعن فكرة المهدى المنتظر – يقول إمامنا : "إن كان الفقهاء يقررون أن هناك مهدى منتظر آخر الزمان ، فإن ذلك لا يخصنى فى التوحيد ، بل توحيدى لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وتقاة الله ، وفعل ما استطعت من خير ، أما إشارة بعض الأصابع إلىَّ بأنى المهدى المنتظر فهو عبث لا أرضاه"[١] .

ويجمل إمامنا العربى أفكار العصبة الهاشمية قائلاً :" كل أفكار العصبة تتعلق بحب الله ورسوله ، وما اجتمعت عليه الأمة الإسلامية خلفاً ، وسلفاً ، وشعارها الحمد والتكبير"[٢].

وفى موضع آخر يقول : " العصبة الهاشمية امتداد ، واستمرار للرعيل الأول من أصحاب المختار – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – وعلى ما جاء فى إجماع الأمة بدءاً وابتداءً من الرعيل الأول فى صدرى تعلقاً وتخلقاً ، من داخل مدار فلك حديث النبى المختار – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :" أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى " ، وتحت وارف ظلال حضرة الآية :{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[٣].

وفى إشارة مجملة إلى عقيدة ، ومذهب العصبة الهاشمية ، يقول : " إذا قيل لكم ما عقيدتكم ؟ قولوا نحن أشاعرة ماتريدية ، وما مذهبكم ؟ قولوا : مالكية ".

والمالكية هم من يتبنون فقه الإمام مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، أو من يقلدونه ، وهو ما يخرج عن نطاق بحثنا هذا .

ونتطرق هنا إلى عقيدة الرعيل الأول ، ومن سار على نهجهم من الأشاعرة الماترودية ، في نبذة وجيزة :

---

(١) أقوال الإمام العربى بتحقيقات النيابة سالفة الإشارة .

(٢) أقوال إمامنا العربى ، في التحقيقات ، سالفة الإشارة .

(٣)) آل عمران : ٣١ ، والحديث الوارد فى المتن ، رواه الترمذى فى سننه (٣٧٨٩) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (١٨٣/١) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما .

فأما الرعيل الأول فيقصد بهم صحابة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتابعيهم ، ويطلق عليهم " السلف الصالح " ، الذين اتخذوا القرآن الكريم نهلاً عذباً يستخرجون منه لآلئ مذهبهم ، تفكروا فى محكمات آياته ، وجعلوها أساساً لتأصيل عقائدهم ، ثم ارتكنوا إلى عقولهم ، وقواعد اللغة العربية ، وأساليبها فى إدراك المتشابهات منها ، ثم التزموا ، وفَوَّضُوا فيما غُمَّ عليهم ، أومما لا تدركه عقولهم .

ويطلق على الأشاعرة ، والماتريدية جماعة أهل السنة ، التى ظهرت فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وأوائل القرن الرابع ؛ للرد على المعتزلة ، والتصدى لفكرهم، وتفنيد حججهم ، فاحتلت مكانها فى الدفاع عن الدين ، وكان ظهورها انتصاراً للفقهاء والمـُحَدِّثين[1] .

وتنطلق عقائد جماعة أهل السنة من عقيدة التوحيد ، التى تدور بدورها فى فلك علم التوحيد ، الذى سُمِيَ كذلك باعتبار أن مبحث الوحدانية أشهر مباحثه ، كما أُطْلِقَ عليه علم الكلام لكثرة القول فى صفة الكلام ، أو لقولهم فى ترجمة مسائله الكلام عن كذا ، والكلام عن كذا .

ويمثل علم التوحيد أهم العلوم الدينية ، وأشرفها بوصفه الأصل ، وما سواه فرع منه ، فإذا لم يثبت إله عالم مُرسِل للرُسُل ، مُنَزِل للكُتب لم يتصور علم تفسير ، وحديث ، وأصول فقه[2] .

ويتعرض علم التوحيد للبحث عما يجب ، وما يستحيل ، وما يجوز فى حق الله ، والرسل ، والسمعيات ، ويستمد حجته من الأدلة اليقينية ـ العقلية والنقلية ـ فهى وسيلته فى دفع الشبهة عن أصول الدين .

يقول أحدهم[3] : " أتدرى لما لايصح لك التوحيد ؟ قيل : لا . قال : لأنك تطلبه بإياك ، فلا يصح التوحيد إلا لمن كان جحدُه إثباتَه ، فسُئِل عن الإثبات ،

---

(١) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مقرر المرحلة الثانوية بالمعاهد الأزهرية ، الجزء الأول ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، ص١٦

(٢) يقصد بالتوحيد فى اللغة: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ، وعلم التوحيد : هو علم الكلام ، كما يقصد به : العلم بأن الشئ واحد ، أو الإيمان بالله تعالى وحده لاشريك له ، وفى الشرع : إفراد المعبود بالعبادة ، أو ما يطلق عليه توحيد الألوهية ، مع اعتقاد وحدته والتصديق به ذاتاً ، وصفاتاً ، وأفعالاً ، أو ما يطلق عليه توحيد الربوبية، انظر : لمعجم الوجيز ، سالف الإشارة ، ص٦٦٢ ، وانظر : حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

(٣) قول الشبلى رحمه الله ، نقلاً عن أبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللُّمَّعٌ فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق، ص٣٨ .

فقال : إسقاط الياءات ، فالموحد فى الحقيقة يجحد إثباته إياه : يعنى إثبات نفسه كقوله : بى ، ولى، ومنى ، وإلى ، وعلى ، وفى ، وعنى ، فيسقط هذه الياءات ويجحدها بسره ، وإن كانت جارية ، من حيث الرسم على لسانه " .

وقد انتهج الأشاعرة ، والماتريدية نهج الرعيل الأول ، فى عقيدة التوحيد ، وكانت طريقتهم فى فهم العقائد ما كانوا عليه ، وتميز هذا النهج بالوسطية ، والجمع بين النقل ، والعقل .

فأما فريق الأشاعرة فهم أتباع أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، المولود بالبصرة سنة مائتين وستين ، المتوفى سنة ثلاث مائة وثلاثين ونيف من الهجرة النبوية ، ولقب بالأشعرى نسبة لجده السابع سيدنا أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه .

وقد ارتبط الأشعرى فى بدايته بالمعتزلة ، إلا أنه خلا بعد ذلك بنفسه ، وساقه البحث إلى مذهبه الذى اعتنقه ، فألفَّ كثيراً من المؤلفات لمناصرة مذهب أهل السنة والجماعة ، وفنَّدَ مزاعم المعتزلة ، فأيده العامة والخاصة ، وتبعه أهل الفقه والحديث واتخذوه إمامهم .

وأما فريق الماتريدية فهم أصحاب أبى منصور الماتريدى محمد بن محمد بن محمود المولود بقرية ماتريد ، أو ماتريت ، من أعمال سمرقند سنة ثمان وثلاثون ومائتين ، و المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة النبوية ، وقد بدأ أبو منصور الماتريدى حنفى المذهب ، ثم نبغ فى علوم الدين ، وأصبح له مذهب فى العقيدة ، أو ما يسمى بعلم الكلام ، وقد تبعه أهل خراسان فيما ذهب إليه[1]

واجتمع الأشاعرة والماتريدية فى مذهبهم ، ومبادئ عقائدهم ، وإن تباينوا فى أمور فرعية ، مما لايُعَد خلافاً حقيقياً فى المذهب ، ولا يلثم فى اتفاقهم حول أمَّات المسائل .

فقد ذهبوا إلى أن طريق وجوب المعرفة هو الشرع ، وأن العالم حادث ، وأن الإيمان هو التصديق ، وأن العمل كمال للإيمان ، وأثبتوا لله صفات المعانى ، كما أثبتوا سؤال القبر ، ونعيمه وعذابه ، وأن البعث للجسم والروح معاً ، وأثبتوا وجود الجنة والنار ، وخلودهما ، وأثبتوا الشفاعة لأهل الكبائر ، وأنه سبحانه لايجب عليه شيئ ، وجوَّزوا رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وحققوا الرؤية

(١) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص١٥ ، ١٦ .

للمؤمنين فى الآخرة ، كما أقروا بحقه تعالى فى الثواب والعقاب ، وإرسال الرسل ، وإرادته الخير ، والشر ، وأنه الخالق لأفعال العباد الاختيارية ، وآمنوا بالقضاء والقدر فيها ، وأن القرآن الكريم قديم ، وأنه لاعصمة إلا للأنبياء ، وأن الإمامة العظمى ليست ركناً من الدين[١].

كما ذهب جماعة أهل السنة إلى زيادة الإيمان ونقصانه ، ولكن بتفصيل ، فالإيمان من حيث محله ثلاثة أقسام ، الأول لايزيد ولاينقص ، وهو إيمان الملائكة ، لأن إيمانهم طبيعى ، والثانى يزيد ولاينقص ، وهو إيمان الأنبياء ، لأن العصمة تمنع النقص ، والثالث يزيد وينقص ، وهو إيمان بقية الأمة من الأنس والجن .

والإيمان لغة[٢] : هو التصديق ، والثقة ، والإيقان ، وشرعاً ، هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، وقد ذهب جمهور الأشاعرة ، والماتريدية إلى أن الإيمان يشمل الاعتقاد ، والانقياد معاً ، فالإيمان هو التصديق ، والإثبات ، والاعتراف بوجود الخالق ـ سبحانه وتعالى .

فضلاً عن القبول عن الله ، والطاعة له ، وتصديق نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ والإذعان ، والرضا ، والقبول فى كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة .

ومعنى علمه بالضرورة أنه اشتهر ، وصار العلم يشبه العلم الضرورى لشهرته ، كالوحدانية ، وإرسال الرسل ، والملائكة ، ووجوب الصلاة ، وتحريم الزنا ، وغيرها[٣] .

ويعتقد الأشاعرة ، والماتريدية أن منْ قال كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وأدى حقها وفريضتها دخل الجنة ، وهو مُعتَقَد القوم المحسنين[٤] .

وينتسب إمامنا العربى إلى جماعة أهل السنة ، فتراه يقول :" أن رؤية الله جائزة، فالرؤية ليست مستحيلة ، بل جائزة عقلا ونقلا ، ولو لم تكن الرؤية

---

(١) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص١٧ .

(٢) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٢٦ .

(٣) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٤) فى تفصيل الأمر راجع : حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق، ص٥٧ وما بعدها ، ولمزيد من التفصيل عن عقيدة العصبة الهاشمية ، انظر : ما أورد ه السواد الأعظم فى تحقيقات نيابة أمن الدولة بالتفصيل الدقيق عن عقيدته ، والتى تمثل عقيدة العصبة الهاشمية فى الله ورسوله ، مؤلفنا " السواد الأعظم ، مرجع سابق ، ص٨٤ ـ ص١٠٣ .

جائزة ، لم يكن سيدنا موسى قد طلبها ، فمن باب أنه طلبها سيدنا موسى فهى جائزة عقلاً ونقلاً " .

ويذهب إمامنا العربى إلى القول بأن الله ـ جل وعلا ـ ارتضى واقتضى ، ارتضى أقواماً أمرهم بالإسلام ، وأراده منهم ، فكانوا مسلمين ، واقتضى أقواماً أمرهم بالإسلام ، ولم يرده لهم ، فكانوا غير مسلمين ، لا يُعصى مغلوباً ، ويطاع بتوفيقه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وكل شيئ عنده بقدر معلوم ، ولله الحجة البالغة .

المطلب الثانى
نهج إمامنا العربى فى تربية أبناء العصبة الهاشمية

إن الأساس الذى يجب أن يقوم عليه المنهج التربوى فى الإسلام ، هو العقيدة الإسلامية ، التى قدمنا لها آنفا ، فعقيدة المسلم هى أساس حياته ، وعماد مجتمعه ، وهى محور العلاقات بين أفراده ، فلا يجوز ـ مثلاً ـ الأخذ بالمناهج التى تحث على العنصرية ، والتعصب ، فالرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول : " ليس منا منْ دعا إلى عصبية "(١).

وتتركز أهم مصادر المنهج التربوى الإسلامى فى القرآن الكريم ، وسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ وآثارهم الفكرية ، والأخلاقية ، والإنسانية ، فهى ـ بحق ـ تراث عظيم يحتاج إليه المسلم ليبلور قيمه الروحية ، ومواقفه الأخلاقية .

ولئن كان نهج المسلم يستقى من القرآن الكريم ، وسيرة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وأهل بيته ، فكيف بنهج منْ جمع ووعى فى صدره القرآن كله ، وتلاه حق تلاوته ، وكان مرآة جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وخيرة أهله .

وقد رسم إمامنا العربى منهجاً ، وقَعَّدَ قاعدة لطلبة العلم بصفة عامة ، وأحبابه ومريديه بصفة خاصة ، فكان يقول :" خذوا كلامى فاعرضوه على كتاب الله ، وسنة رسوله ، فإن وافق ؛ فاعملوا به ، وإن خالف ؛ فاضربوا به عرض الحائط " .

---

(١) رواه أبو داود ، (٥١٢١) عن جبير بن مطعم ، وزيد عن الوارد فى المتن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية .

وإجمالاً ، يمكن القول أن نهج إمامنا العربى فى تربية أبناء العصبة الهاشمية قائم على تأثير المصحوب فى الصاحب ، أو ما يطلق عليه آثارات المعين ، الموروثة فيه من جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

إذ كان الصحابى يجلس هنيهة بسيطة بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فيصير فى التو والآن نسخة محمدية تامة ، ينعكس فيها دين الله كاملاً ، ولو افترض قُبِضَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وجميع أصحابه ، وما بقى منهم إلا ذلك الصحابى ، لأقام دين الله كما أراده الله ، وذلك بفضل آثارات المعين تلك .

وفى فضل الصحبة ، يقول إمامنا : " إذا أحب الله عبداً رزقه صحبة المجتبئين من خلقه ، الصالحين من عباده ، وقد اعتزل السوى والأغيار ، ونزل فى منازل القرب من حضرته المليئة بالأنوار ، وهذا ما أرادوه حينما قال قائلهم[١] :

الزم العزلة تنجوا * ما بقى فى الناس خلة * إن ود الناس أضحى * لنفاق أو لعله

واترك الأصحاب إلا * صاحباً يصحبك لله * وبرزق الله فاقنع * إن فى الحرص مذلة * آخر الدنيا فناء * ثم يبقى الملك لله

أو كما قال الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ كريم الوجه ، ثنى النور ، زوج البتول ، صهر الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

لا تصحب أخا الجهل فإياك وإياه * فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه * وللشيئ على الشيئ مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * وفى العين غنى للعين أن تنطق أفواه

فإذا كانت الصحبة عدواها حميدة ، فإن تيارها – كما اسلفنا – موجب يهدى ، وإذا كانت نقيض ذلك ، أى تيارها سالب إلى قاع الرداءة ، فبصاحبها تتردى ، وكما قالوا[٢] :

---

(١) ينسب هذا البيت ـ على أرجح الأقوال ـ إلى الشيخ / الخديم رضى الله عنه الذى كان يمارس العزلة منذ نعومة أظفاره إلى أن قضى نحبه ، وقال فى حقه الإمام / محمد البوصيرى فى همزيته : ألف النسك والعبادة والخلو *** ة طفلاً وهكذا النجباء .

(٢) إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى ، عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى ... تنسب هذه الأبيات ـ على الأرجح ـ للشاعر الجاهلى عدى بن

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

والصحبة سواء كانت موجبة ، أو سالبة ـ تدور فى فلك ما أشار إليه حديث سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :" إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة "(١) .

وحضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضرب لنا مثلا بالجليس الصالح ، وجليس السوء ، كما قال تعالى :{ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ }(٢) ، وبالأمثال تتضح الأحوال .

والجليس الصالح المشار إليه فى الحديث ، هو العبد الصالح ، العبد التقى ، النقى الذى يأخذ بيدك إلى الله ـ جل وعلا ، والجليس السوء ، أو الصاحب السوء ، يقف بصاحبه على شفا جرف هار ، يهوى بمن اصطحبه إلى قاع الحضيض ، ولهذا يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندرى فى حِكَمِه : " لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله " ، فالمصحوب ـ إن كان صالحاً ـ رقى بصاحبه إلى الله ، لما فوق الفوق ، فما بالك إن كان ولياً تقياً ، وعارفاً زكياً من أهل الحضرة ، والمرء على دين خليله .

كؤوس الصهبا * من دن الصحبة * سقيا راحات * شيخ العصبة(٣) .

وعلى ذلك فإن نهج إمامنا فى التربية ينصب ـ أساساً ـ على هِمَّة الشيخ العارف بربه ، وليس على كثرة الأوراد ، والأذكار التى يلقنها لمريده ، ويقول إمامنا العربى : " إن العارفين إذا رافقهم إنسان رفعوا عنه تكبيرة أو تسبيحة ، أو تحميدة ، أو تهليلة أو ما طاب له من ذكر الله { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } (٤)، لا إله إلا الله قد يقولها العبد وهو عنها غافل ، وهى عند الله كبيرة ، فيستقطبها ويلتقطها العارف بالله بأنامل روحه ، ويستأصل منها الأغيار ، أى ينقيها مما

زيد ، من شعراء ما قبل الإسلام من بنى تميم ، يمتاز شعره برقة العاطفة ،وعمق الثقافة ، وبعد النظر ، قتله النعمان ملك الحيرة عام ٥٨٧م .

(١) من رواية الشيخين ، عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه وأرضاه .

(٢) الكهف : ٣٢ .

(٣) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٤) العنكبوت : ٤٥ .

علق بها من السوى ، ويخلصها من ران الحجب ، ومن ثم يرفعها فتملأ ما بين السماء والأرض .

وإن شئت فقل : تبرز التهليلة ، أو ما شاكلها من ذكر الله من فم المريد السائر إلى الله ، يتناولها يلتقطها العارف بيد روحه من فم السائر ، يلتقطها بأنامل المعية ، ويحملها على رفارف همته ، وبراق أنفاسه ، بعد أن ينقيها ، ويطوى معراجها ، ويرفعها لما فوق العرش ، ويطوفها به فتُسَّبِح ، أو تذكر باسم صاحبها ، يعنى يلتقطها العارف ، وينفض عنها غبار الغفلة وران الحجاب ، يستقطبها ويصفيها ، وينقيها ، ومن ثم يحملها على براق أنفاسه القدسية ، ويعرج بها على براق همته الربانية ، حتى يرفعها إلى العرش ، ويطوفها به ، حينئذ تكون كائن عرشى، ثم تنَمَى له ، فينبثق منها كائنات ملائكية عرشية نورانية ، تُخَلِّص ، أو تنقى بقية التكبيرات ، أو التهليلات الصادرة البارزة من العبد فى ساحة الود .

والفضل يعود للعارف الذى حمل التكبيرة الأولى ، أو التهليلة الأولى ، فهو الواصل الموصول المتصل الموصل ، المأذون له من الحضرة ، والذى يده "كنت يده" ، وفيها سيف الإضاءة ، وسراج البركة ، واليد التى بها المد ، وتحمل سيف الإضاءة ، وتسطع به على حقائق المطلوبين من حيث إذن الدعوة ، وفى الحديث عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح، والتهليل ، والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل ، تُذكِّرُ بصاحبها ، أما يحب أحدكم أن يكون له من يُذكرُ به"[(١)] .

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " إذا قال العبد المسلم لا إله إلا الله خرقت السموات حتى تقف بين يدى الله فيقول الله ـ جل وعلا ـ اسكنى ، فتقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلها ، فيقول ـ جل وعلا ـ وعزتى وجلالى ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له " .

ويسترسل إمامنا قائلاً : هيا بنا فى وقفة على ضفاف حضرة الآية { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }[(٢)].

---

(١) صحيح ابن ماجه ، حديث رقم (٣٠٨٦) ، عن النعمان بن بشير .

(٢) فاطر : ١٠ . وفى تفسير الوسيط قوله :{ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } حض المؤمنين على النطق بالكلام الحسن ، وعلى الإكثار من العمل الصالح ، و(يصعد) من الصعود بمعنى

العمل منْ الذى يرفعه ؟ يرفعه الصالح . أرأيت ؟! يقول تعالى { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } .

الأنفاس الملائكية البارزة من العبد الصالح ترفعه ، أو إن شئت فقل الملائكة المنبثقة ، المتخلقة من أنوار أنفاس العبد الصالح ـ ترفع ذكرك إلى ربك هكذا ، هكذا انظر { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } انعم النظر ملياً {والعمل} ، {الصالح} ، {يرفعه} { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ }[١] ، هكذا ، هكذا"[٢] .

وإلى فائدة الصحبة ، يشير قائلاً : " اعلم أن الصحبة تُعْدِى إما وإما ... لها عدوى إما بالموجب أو بالسالب ، فإن كانت الصحبة تيَّارها موجب نسائمها تهدى وتعدوا بك إلى حضرته تعالى ببركة جد السلالة ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ من باب قوله ـ جل وعلا ـ لحبيبه خير الورى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : { وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ }[٣] ، لاتعدوا عنهم ـ أى أصحابك ـ ولكن اعدوا بهم ، أى اجعلهم موضع نظرك ، وارقى بهم ، احملهم على براق نظرك واعدوا بهم إلى الله حتى يكونوا نسخاً منك ، فالمصحوب الأسمى يترك أثره فى الصاحب ، فيكون مرآة له انعكست فيها أنوار صحبته ، ومظهراً لحضرته ، فافطن لهذا"[٤].

لذا ، يقول أحدهم[٥]: " نحن كالسلحفاة التى تربى أبناءنا بالنظر" .

الارتفاع إلى أعلى والعروج من مكان منخفض إلى مكان مرتفع .. و(الكلم) اسم جنس جمعى واحده كلمة ، والمراد بالكلمة الطيب : كل كلام يرضى الله تعالى من تسبيح وتحميد وتكبير ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وغير ذلك من الأقوال الحسنة ، والمراد بصعوده : قبوله عند الله تعالى ورضاه عن صاحبه ، ...، والعمل الصالح الصادر عن عباده المؤمنين يرفعه الله تعالى إليه ويقبله منهم ويكافئهم عليه ...، ومنهم من يرى أن الفاعل لقوله (يرفعه) هو العمل الصالح ، والضمير المنصوب يعود إلى الكلم الطيب . أى : أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب بأن يجعله مقبولاً عند الله تعالى .

(١) الشرح : ٤ .

(٢) إمامنا العربى ، نقلاً عن : ربيبه وخديم ساحته الشيخ / جابر عبد المنعم .

(٣) الكهف : ٢٨ ، وجاء فى تفسير القرطبى عن هذه الآية :" ولا تعد عيناك عنهم " أى لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم من أبناء الدنيا طلباً لزينتها ، حكاه الزبيدى ، وقيل : لا تحتقرهم عيناك ، كما يقال فلان تنبو عنه العين ، أى مستحقرا.

(٤) قول إمامنا العربى نقلاً عن ربيبه ، وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المنعم .

(٥) هذه المقولة ، تواترت فى كثير من المراجع الصوفية عن سيدى أبى الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه .

وفى " تحفة الإخوان " للمرابى عن بعض الصالحين أنه : رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - فى النوم ، فقال له : ما أفضل الأعمال يا رسول الله ؟ قال :" جلوس العبد بين يدى ولى من أولياء الله تعالى مقدار حلب شاة " . قيل : حيا كان أو ميتا؟ قال :" حيا كان أو ميتا " . وفى رواية أخرى : " جلوسك بين يدى عارف بالله مقدار حلبة شاه أو شية بيضة خير من عبادة ستون سنة ، وإن تقطعت إرباً فى العبادة . قال حياً أو منتقلاً يا رسول الله ؟ قال حياً أو منتقلاً ".

ويجمل إمامنا ، فيقول : " إذا أراد الله بعبد خيراً ساقه إلى شيخ عارف ، أو ساق شيخ عارف إليه ، وإن شئت فقل : السير إلى الله صحبة فى الله ، وإلى الله ، وعن الله"[1].

وفى ذات المعنى ينشأ السواد الأعظم قائلاً[2] :

إن طلبت الوصل فأسأل عن نديما * مُنْبِئاً بالنص عن أمر قديما
سائلى عن كيف تتصل الخليقة * بالذى أوجدها من رمث رميما
الوصول إلى رحاب الله خلى * أنت سائلنى على قصد كريما
فاغتنم منى وعنى فى حديث * مبهم الإفصاح يكفى اللب إيما
طالب الرحمن يسأل عن خبير * قائد بالإذن قوَّاماً زعيما
قد أتاه الله فى الآزال علما * يوم سبت الجمع قد نال الرقيما
أبطحى أريحى أحمدى * خاضب الراحات من عهد عظيما
فى شهود السبت كان له ولاء * بالذى عنه فأضحى به كليما
صدره حاوى إلى مائة ألف علم * وأربع وعشرون ضمه فى القديما
هذه جمع رسالات تسامت * كلها فى عارف بالله شيما
إنه كلى فى التقديس أمرا * ثالثاً فى ضم علاماً عليما
فهو باب الله عنه ومنه قاما * مظهر المختار ممنوحاً رحيما
يوصل الأقوام بالله تو حال * ببراق الحال يسرى بهم سليما
ليس يأمرهم بأوراد وذكر * قبل أن يدنى بهم فوق العتيما
قد يفكك روحهم من قفص نفس * والجاً فوق الطباق إلى النعيما
ويثبت كل روح فى سماء * نفسه ينفى عن القوم الدميما
إن طلبت الله فاسأل عنه خلى * واسأل الله يدلك ع النديما

(١) قول إمامنا العربى نقلاً عن : ربيبه ، وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) السواد الأعظم ، ديوانه" بساتين الجنات ج١ ، قصيدة بعنوان " نفحات التو العربية" ، ص١٣٣ .

وعن واجبات المريدين ، يقول إمامنا : " الأحباب ليس عليهم إلا حفظ الواجبات الدينية ، المعلومة من الدين بالضرورة ، وملازمة الصلاة على النبى – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ويلزم بعد ذلك أن نجعل خصال رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – الحميدة ، وأخلاقه متجسدة فينا ، ولانريد بهذا إلا وجه الله الكريم ، لا دنيا ولا آخرة ، ولا مقاماً من المقامات . ونشهد المنة ، ونحسن الظن الذى يخلق من المعدوم مكنون ، ونفوض ، وإذا دمنا على هذا من غير غرض ، فلنحمد الله دائما" .

ويرى إمامنا أن محبة أهل البيت هي جوهر الإيمان ، وجزء لا يتجزأ من محبة الله ، ورسوله ، فى فلك حديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :" احبوا الله لما يغذوكم به من نعم ، واحبونى لحب الله ، واحبوا آل بيتى لحبى "[1] .

ويقول إمامنا : "أن الله كتب في كل قلب إيجابى أريحى سعدى من قلوب الأمة المحمدية في الشق الأيمن منه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وفى الشق الآخر حُب الإمام على ، والسيدة فاطمة الزهراء ، والحسنين ، وسائر أبناء الدوحة الزكية".

يقول تعالى : { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ }[2]، كتب أي تجلى الله في قلوبهم ، وطبع فيها حب خير المرسلين ، وعترته الطاهرين ، وحب أصحابه الميامين والتابعين ، وذلك جوهر الإيمان".

ويرى إمامنا أن الحب والاشتياق إلى حضرة النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ هو الأساس في التربية ، فالشوق براق السالك ، يحمله إلى ساحة المالك .

وتحتل النصيحة مكانة هامة في نهج إمامنا في التربية ، والنصيحة عنده واجب متبادل ، من الشيخ للمريد ، ومن المريد للشيخ ، عملاً بحديث رسول الله

---

(١) رواه الترمذى ، وكذا الحاكم فى مستدركه ، وقال الترمذى : حسن غريب .

(٢) المجادلة : ٢٢ . وجاء فى تفسير القرطبى : أى خلق فى قلوبهم التصديق ، يعنى منْ لم يوال من حاد الله ، وقيل : كتب أثبت ، وقيل : جعل ، كقوله تعالى : { فاكتبنا مع الشاهدين } أى : اجعلنا ، وقيل : " كتب " أى جمع ، ومنه الكتيبة ، أى لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض . وفى قراءة العامة بفتح الكاف من " كتب " ونصب النون من " الإيمان " بمعنى كتب الله وهو الجود ، لقوله تعالى : { وأيدهم بروح منه }، وخص القلوب بالذكر لأنها موضع الإيمان .

ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" الدين النصيحة قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "[١].

يقول إمامنا : " النصيحة عندنا واجبة بين الأحباب ، وإذا وجد بى الأحباب أى إعوجاج فليقوّموه ، وإذا وجدت أنا فيهم إعوجاجاً ، استمطر الله لهم ، واستجدى عونه فى أن أقوّمه بالتى هى أحسن ، وكأنى أقوم نفسى، ولن أقول ابقوا على ما أنتم عليه، كلّا هذا لاينفع ، ولابنا إلى حضرة الله يدفع ، فحينما يكون فى رهط من الأحباب إلتواء ، وعوج يتسرب ويسرى هذا إلى مَنْ سواهم ، وهذا ما نأباه فى الجميع ، ومن ثم يجب علينا على قدر استطاعتنا ، ووسعنا تنميق الأحباب ، لا تنميق العبارة ".

وتطل ـ مرة أخرى ـ صفة هضم ذاته ، فيقول :"يعلم الله لا أرى فى نفسى شيئاً أكمِل به الناقص ، ولا أرى نقص فى أحد أبداً ، بل أصاحب الأصحاب ببركة النبى الأواب ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ طمعاً فى الله أن يكونوا صالحين . وببركة صلاحهم لا يخزيهم الله فى" .

كذا ، نهج إمامنا العربى فى تربية أحبابه على صون قلوبهم من الأحقاد ، وبغض الناس عامة ، فالحقد كالنمل ، والإيمان كالسكر، وإذا دخل الحقد فى القلب لم يزل بالإيمان حتى يجهز عليه ، ويترك القلب خرباً لا أيمان فيه ، و قيل : عجبت لأمر الحقد إنما يبدأ بصاحبه .

ورأيته لايذكر أحداً بسوء أمام أحبابه ؛ حفاظاً على سلامة قلوبهم من سقم الأحقاد ، وكان يتحاشى الخوض فى أحداث الفتنة الكبرى أمامهم ، تلك الفتنة التى اكتوى بشرها المسلمون ولم تزل ، وراح يعرض لمريديه مشهداً جليلاً فى استشهاد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ يريح عقيدتهم ، ولا يؤذى قلوبهم ، وهَآؤُم اقرأوا كتاب إمامنا فى حقيقة استشهاد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ التى تجسد كمال الفهم عن الله ، وحقيقة صدق المحبة لأل بيت رسول الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

" مؤانسة الحضرة العلية لمولانا ، وسيدنا ، وسيد الأمم ، وحبيبنا الأعظم ، وأمير المؤمنين فى الظاهر والباطن من مبتدأ الزمان إلى الغاية ـ الإمام الحسين ..... مناجاة الحضرة العلية للإمام الحسين فى كربلاء ، يكلمه ربه بالأنس ، والمؤانسة ، والتسلية ، والتهانى ، والهناء ، فى قمة النصر ، والقرب ، والعطاء،

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥) من حديث تميم الدارى ، وله شواهد عند غير مسلم .

والرضى ، والرضاء ، والرضوان ، تريد أن أنصرك عليهم ياحبيب يابن الحبيب ، ياقمة أحبابى ، ونبع عطائى ، ومصدر ضيائى ، أو ترضى بلطفى ، وتجيئ عندى ، وأنت أنا يابن خير خلقنا ، سجد مولانا الإمام الحسين على قبضة الله ، فى غيب غيب ، راضياً مرضياً ، فى قمة النصر الربانى ، فى أعلى شهود ربانى ، لأعلى بطل ربانى : يكفينى عظمة ذاتك ، أتشاورنى فى روح صنعت بأيديكم؟ ، حصل الاستشهاد من عظمة الشهود ، والتجليات ، فى أعلى قمة الاشتياق "(1) .

والمتمعن فى مقالة إمامنا العربى يجد أنها حملت تصويراً لمشهد ربانى فى عبارات وضيئة، ولغة رصينة تلمس شغاف قلوب الأحباب والمريدين ؛ إذ وردت هذه المقالة فى معرض توضيح نهج إمامنا السامى فى تربية أبناء العصبة الهاشمية على محبة آل البيت ، وتنزيه قلوبهم من أى أحقاد ، ودحض مزاعم الشيعة المتطرفة فى حب الإمام الحسين ـ عليه السلام .

وعلى ذات النهج السابق فى تنزيه قلوب أبناء العصبة الهاشمية من مغبة الكراهية والأحقاد ـ حرص إمامنا العربى على عدم الخوض فى السادة الصحابة ، وتبرئتهم من النقص ، أوالقدح فى عدالتهم(2) .

---

(1) مقالة إمامنا العربى فى مشهد استشهاد الإمام أبو عبد الله الحسين ـ عليه السلام ـ مخطوطة متواترة ، ومنسوخة لدى كثير من أبناء العصبة الهاشمية ، نقلاً عن مؤلفنا السواد الأعظم ، ص٢١٣ .

(2) وأذكر هنا ، ما أملاه إمامنا علىَّ ؛ إجابة عن سؤالى لحضرته فيما ورد فى قصة " الشيخان" لطه حسين من أن الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بعد أن تولى خلافة المسلمين ، قال : " أن خلافة الصديق كانت فلتة وَقَىَ الله شرها " ، أى حدثت هفوة بغير روية وإحكام ، إلا أن الله وقى شرها ، أى عيوبها ، وهو ما لم يقبله عقلى ، ويطمئن إليه وجدانى ، ولمَّا عرضت الأمر على إمامنا أملى علىَّ كُرَّاسَة كاملة فى تنزيه الصحابة عن النقص ، مشيراً إلى معنى كلمة "فلته " بأنها ـ بالإضافة إلى المعنى السيئ الذى جاء به طه حسين ـ تعنى : حالة فريدة ومتميزة كقولهم :" كان فلتة زمانه " ، وهو المعنى المقصود إن صح عن الفاروق تلك المقوله ، وأرجع إمامنا أصل الجملة إلى " وقى الله شرها " ، و عَرَّجَ إلى ما جاء فى فضل الحب فى الله ، والبغض فى الله ، والعطاء لله ، والمنع لله ، والموالاة فى الله ، والمعاداة فى الله ، لأن ذلك كله متفرع عن حب الله تعالى ، يقول تعالى : { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله }البقرة :١٦٥ . وروى عن المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أنه قال : " أوثق عُرى الإيمان : الحب فى الله والبغض فى الله " ، وفى حديث آخر قال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :" من أحب فى الله ، وأبغض فى الله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان " سنن أبى داود برقم ٤٦٨١ ، ف ، وقد أشار ابن عباس حبر الأمة ، وترجمان القرآن إلى ذلك فقال :" مَنْ أحب فى الله ، وأبغض فى الله ، ووالى فى الله ، وعادى فى الله ؛ فإنما تُنال ولاية الله

كما نهج إمامنا العربى فى تربية أبناء العصبة الهاشمية على حسن الظن بالناس، ويقول : " أن حسن الظن يخلق من المعدوم مكنون " ، ونحن " نقدم حسن الظن عن الكشف " .

وعملاً بحسن الظن فى خلق الله ـ رأيته إذا جاءه مريداً لشيخ آخر كى يأخذ العهد عنه ، لا يرتضى منه إلا المحبة ، ويرشده إلى اعتقاد الخير ، والصلاح ، والبركة فى شيخه ، فصاحب العقيدة ربحه فى أيده[1] .

كما حرص إمامنا فى توجيه أبناء العصبة الهاشمية إلى مراعاة جبر الخاطر في تعاملهم ، ويقول : "أنه ما عُبِدَ الله بشيئ أفضل من جبر الخاطر" .

وقد ضرب إمامنا العربى المثل الأعلى فى هذا الخُلق العظيم ، فرأيته يتحدث مع وجهاء القبائل من زواره بما أفاض الله عليه من علوم ومعارف لدنية ، والجمع ينصت إليه ، وكأن على رءوسهم الطير ، وإذ بفقير أشعث أغبر بملابس بالية ـ من السائحين على الساحات ـ يقتحم الجمع فى ثورة غضب ، يخاطب إمامنا ، شاكياً إليه شخص قد أساء معاملته ، ثم قال : أيرضيك يا شيخ محمد ؟ فما كان من إمامنا إلا أن قطع حديث العلم ، معرضاً عن الجمع ، متجهاً إلى هذا الفقير بكليته قائلاً : لا واللهى لا يرضينى ، وأخذ يتجاذب الحديث معه فى تفاصيل شكواه ، مبدياً غضبه الشديد مما فعله ذلك الشخص ، ثم أخذ في استرضاء الفقير، ويطيب نفسه ، حتى رَضِىَ ، وهدأت ثورته ، ثم أمر بتقديم الطعام والشراب له ، والاهتمام الشديد به .

بذلك " ، أى إذا أردت أن تكون ولياً من أولياء الله عليك بهذا الأمر . وأضاف إمامنا العربى ـ على ذات النهج ـ "الخير فى الله" ، و"الشر فى الله " ، فالمؤمن يجب أن يقدم الخير فى رضاء الله تعالى ، فيصرفه على فقراء المسلمين ، ومصالحهم ، وفى سبيل الله تعالى ، فيكون خيره فى الله ، وفى المقابل ، يزع بالشر أعداء الله تعالى من أجل الله تعالى ، فيكون شره فى الله . وينتهى إمامنا إلى أن مقولة الفاروق : " أن خلافة أبى بكر الصديق كانت فلتة وفى الله شرها " ، إنما تعنى أنها خلافة متميزة ولا نظير لها ، سواء فى إقامة الدين ، وسياسة الدولة ، وتجهيز الجيوش لمحاربة الردة ، وأدعياء النبوة . وأن جميع ما خلفته حروب الردة من قتلى وسبايا وغيره من شرور ، هى من قبيل الشر فى الله؛ تدعيما ، وتثبيتاً لدعائم الإسلام بعد انتقال نبى الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام . وبهذا الذوق الرفيع ، والمعنى الرقيق ، النافى للجهالة ، المنزه عن الخوض فى الصحابة ، أو القدح فى عدالتهم ، جاء جواب إمامنا العربى شافياً لما حاك فى صدرى مما نسبه طه حسين إلى الفاروق بشأن خلافة الصديق ـ رضى الله عنهما .

(١) راجع ما سبق ذكره عن لقاء السيد علوى المالكى بإمامنا ، وطلبه أخذ العهد على يديه ، ورفض إمامنا ذلك ؛ تواضعاً وهضماً لذاته ـ رضى الله عنه وأرضاه ، هامش ص٥ ، مبحث " اسمه وصفته " الفصل الأول من الباب الأول من هذا لمؤلف ،

ولمَّا سئل من الجمع : يا مولانا أتترك حديث العلم مع وجهاء القوم لتستمع إلى هذا الأشعث الأغبر؟ فرد إمامنا : وإن لم نستمع له نحن فمن يستمع إليه ؟ فواللهى إن حديثى معه بمثابة مناجاة ربى! .

كما كان إمامنا إذا زاره مسكيناً ، وأحضر معه هدية بسيطة ـ قليل من السكر ، أو الشاي ـ فى صُرَّة بيده ، يقدمها فى خجل ؛ استقلالاً ـ رأيت إمامنا يبدى الفرح ، ويشكره ، ويدعو له ، ويعظم من هديته وقيمتها ، قائلاً له : لقد أغثتنا بالذى أحضرته لنا الآن ، فما أحوجنا إلى السكر والشاى ، فقد قضينا أياماً لا نشرب الشاى ، بعد أن نفد السكر والشاى من الساحة ؛ جابراً بخاطر هذا المسكين ، فيتهلل وجهه سروراً من بعد حمرة الخجل .

وأخيراً ، نهج إمامنا فى التربية على مؤاخاة أبناء قلبه ، فآخاهم فى الله ورسوله ، ولم يتعامل معهم كشيخ البتة ، ولايناديهم إلا بألفاظ الأخوة : " يا خيَّاتى " ، ومن تعظيمه لحق الأخوة فى الله ، كان كثيراً ما يقسم بها ، فى ود ، ووداد :" وحياة الأخوة " ، ولا يحنث ، ويقول : " الأخوة فى الله ـ تعالى ـ يتجلى لنا فيها اسم الله الأعظم " .

ويقول :" المحبون فى الله ، والمحبوبون من حضرته ـ جل وعلا ـ وحضرة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الصادقون ، والصديقون دُرَيهِمات الله فى أرضه" .

ومما يُؤثَر عن إمامنا العربى قوله : " اجتمعنا على الوداد الإلهى ، اجتمعنا بكل معنى " ، ويردد الأحباب خلفه ، ويقول لهم : " هذا ما نتعاهد عليه ، ولا نحيد عنه . وهذا ما فيه جوامع الكمالات من لدنه ، ومن أجله خُلِقنا ، وهذا هو وِردِنا ، وورد الصديقين ، بارك الله فيكم" .

ويبشِّر إمامنا العربى أحبابه قائلاً : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ـ كل أحبابى الذين أحببتهم آنفاً على أرض الأزل ، وأحبونى منذ فجر النشأة الأولية ، عُجِنَت حقائق أرواحهم برشاش أنوار من نور حقيقة ذات الحضرة المحمدية ، وهؤلاء كلهم يبعثهم الله ـ جلَّ وعلا ـ وببركة خير الورى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يبعثهم الله أهل حضرة"(١) .

---

(١) بشارة إمامنا العربى ، سمعها ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم ، وذكرها فى تعليقه على بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " Gaber Elaraby " ، منشور فى٢٠٢٠/٦/٢٩م ، وقد توثقت من صحة مضمون الوارد فى المتن .

ويطيب لى ـ عزيزى القارئ ـ أن أختم بأبيات ، يلخص فيها السواد الأعظم منهج إمامنا العربى شيخ العصبة الهاشمية فى التربية ، موضحاً معالم الطريق ، ومحذراً من أدعياء التصوف ، ومبيناً شروط الشيخ الحق ، فيقول[1] :

ببرق الشمئال هَبَ سِر سلمى * قبيل الإيجاد تبدت بشاما
تمسك بشرعه لتحميك درعا * على قدر حال بترك الآثامـا
بترك الأحقاد تنال الإمداد * وخير الأعمال قلوب سلامـا
قليل الأعمال وصحبة أخيار * بها كل فضل وبر تسامـــا
وادى المكتوبا كما هى موقوتا * معاريج فيها وسر تسامـــا
وصحح عقيدة أشاعر متريدا * لفقه العبادة فقلد إمامـــا
ومالك وشافع كلاهم عدولا * وذاك النعمانى وأحمد ضرغامـا
وإجماع أمة كتاب وسنة * لهم قد تقر بفضل تمامـــــا
فإن رمت تسمو وتصفو وتدنو * طريق الجنيد تنال المرامـا
فهم خير قادة وقوم وسادة * أئمة سقاة لكأس المدامـــا
بمحو الرسوما تبدى المكتوما * مطايا العلوما تفادوا الأوهاما
فسر فى ركاب لذاك الجناب * أهيلا أحبابى تلوح الرقامـا
ترقى ترقى ولو عين بقة * بأنفاس صدق تكن فى إنضماما
وزامل صفايا بمد كفايا * وعرب النقايا لتثبت الأقدامـا
تجنب سوفياً بمظهر صوفياً * يبيع الخلود بعاجل إلمامـا
واحذر صوفياً نكوراً لفضل * إذا ماتبدى بغيره إنعامـا
وصوفى متصوف بعلم متطوف * فما اجتاز شبراً لذاك المقاما
إذا كنت طالب لنيل المطالب * فبايع لعارف لسير إماما
شروط العرفانا شهود دواما * وإذن صريح بسند ابن راما
علوم الشريعة وعلم الحقيقة * ببعض يلوح وكل اكتتامـا
به مئة ألف علوم حصية * رسالات قبل بضم المقامـــا

---

(١) قصيدة الفقة الشامخ فى الدين الحنفى السامح لمولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنه ـ من عصماوات قصائد السواد الأعظم ، المتواترة عنه ، مخطوطة ، ولم يتم طباعتها بعد .

وعشرين ألف وأربع آلاف * وهذى بحار بقلب الإمامـا
وكشف صريح وعلم صحيح * نفاذ البصيرة دوام استقامـا
وهذى أوصاف إذا رمت سيراً * وما دون ذلك فسير الكلامـا

ويكتفى بهذا القدر من حديث العصبة ، ومعتقد أبنـائها ، ونـهج إمامنا العربى فى تربيتـهم ، وننتقل بعد ذلك للحديث عن أورادها ، وأذكارها .

المبحث الثانى
أوراد ، وأذكار فتوحية
المطلب الأول
العهد ، والورد الصوفى

العَهْدُ لغةً[1] : (عَهِدَ) فلان إلى فلان – عَهْداً : ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه ، والشيئ : عَرَفَه ، وعاهده : أعطاه عهدا، وتعاهدا : تحالفا ، كما تأتى الكلمة بمعنى : الوصية ، وفى القرآن { وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا }[2] : أى بوصاياه وتكاليفه .

ويعد "العهد الصوفى" أحد الشعائر الصوفية ، ويعنى فى اصطلاحهم : أن يتعهد المريد ـ على يد شيخه ـ بأن يحافظ على ولائه للطريقة الصوفية التى ينتمى إليها الشيخ، أوهو معاهدة بين الشيخ والمريد ، يلتزم بمقتضاها المريد أولاً بالعبادات المفروضة ، وتجنب المعاصى ، ثم بطاعة الشيخ واتباع طريقته ، والإلتزام بقواعد وآداب الطريق ، وأن يداوم على أورادها ، والمشاركة فى شعائرها وطقوسها ، وهو معنى قريب من المعنى اللغوى للكلمة .

كما يرمز "العهد الصوفى" إلى معاهدة بين الله سبحانه وتعالى والمريد ، ويبرز هنا دور الشيخ للمريد ، وأهميته ، فهو كالأستاذ المعلم للطالب ، الذى لايستغنى عنه .

ويجد "العهد الصوفى " تأصيله فى قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ }[3] ، وفى فعله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى بيعة الرضوان وما كان من المؤمنين فى صلح الحديبية ، عندما عاهدوا الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ تحت الشجرة ، على الثبات ، وعلى مناجزة المشركين ـ بعد أن أشيع أنهم قتلوا سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وعلى طاعة الرسول فى كل ما يأمرهم به ، وكان عددهم أربع عشر مائة ، وقال السدى : كانوا يأخذون بيد رسول الله ـ صلى اله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ويبايعونه ابتغاء جنته ورضوانه .

---

(١) المعجم الوجيز ، صادر من مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ، مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

(٢) الأنعام : ١٥٢ .

(٣) الفتح : ١٠ .

لذا ، ينبغى ألا يؤخذ العهد الصوفى إلا على أهل الصدق ، والرغبة التامة فى سلوك طريق القوم، الذين بلغوا من الكمالات مالم يصل إليه غيرهم ؛ إذ هو ميثاق وإلزام لا يكون لمن دونهم .

وبالطبع ، لا سبيل لذلك إلا بمجاهدة النفس ليلا ونهارا ، بهمة قوية ، مع الإخلاص التام لرب البرية ، حتى تتمزق حجب النفس الظلمانية ، وتتبدل بالأنوار والمعارف العلية، وأما من دونهم فلهم التلقين المجرد من العهد .

وعلى ذلك ، ينقسم العهد الصوفى إلى قسمين : عهد المريد أمام شيخه : بأن يداوم على أوراده، والعهد الجماعى ، ويسمى عهد البركة : وهو الذى لاتحكمه أية قيود ، ولايترتب عليه التزامات ، ويجوز للمريد أن يطلبه مرات عديدة من شيخ الطريق ، أو اى شيخ طريق صوفى آخر بغرض إلتماس البركة(١) .

ويرتبط العهد الصوفى بتلقين الذكر ، والذى يمثل ـ عندهم ـ ارتباط القلوب بعضها إلى بعض ، إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ومن ثم إلى الله ـ عز وجل .

وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل فى سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرَّك حلقة نفسه تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إلى حضرة الله ـ عز وجل ، فمن لم يدخل فى طريقهم بذلك ، فليس معدوداً منهم، ولا يجبه أحد إذا حرك حلقة نفسه المنفصلة .

ويستند القوم فى تلقين الذكر إلى ما رواه الطبرانى والبزار ، وغيرهما أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لقن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعة ، وفرادى :

فأما تلقينه جماعة : فقال شداد ابن أوس ـ رضى الله عنه ـ : كنا عند النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقال : " هل فيكم غريب " ، يعنى : من أهل الكتاب ، فقلنا : لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب ، وقال : " ارفعوا أيديكم ، وقولوا لا إله إلا الله" ، فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال ـ صلى الله عليه وآله ـ :" اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة ، وأمرتنى بها ، ووعدتنى عليها

---

(١) مصطفى فهمى ، الفكر الصوفى فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى ، رسالة دكتوراه ، عام ٢٠٠٩ ، نقلاً عن: مقال بعنوان (١١ قرناً من البناء الروحى للصوفيين ٩ إعداد أحمد عامر عبد الله ، صحيفة الأهرام المصرية ، عدد الجمعة ٢٠١١/٩/٢٣ .

الجنة وأنت لاتخلف الميعاد "، ثم قال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :" ألا فأبشروا فإن الله قد غفر لكم "(١) .

وإنما أمر بغلق الباب ، وقال هل فيكم غريب ـ إشارة إلى أن طريق القوم مبنية على الستر ، لا يُشتهر عليها أكثر الناس ، ولا ينبغى أن يُذكر كلامهم بحضرة من ليس من خرقتهم ، ولا من لم يعتقد فيهم(٢) .

وأما تلقينه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لأصحابه فرادى : فقد قال الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه وأرضاه ـ : " سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقلت : يا رسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها علىَّ عبادة ، وأفضلها عند الله تعالى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " يا على عليك بمداومة ذكر الله تعالى سراً وجهراً " ، فقال على ـ رضى الله عنه ـ : كل الناس ذاكرون ، وإنما أريد أن تخصنى بشيئ . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" يا على ، أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله ، ولو أن السموات والأرضين السبع فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة ، لرجحت بهم لا إله إلا الله " . ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : "يا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله " . ثم قال على : يا رسول الله ، كيف أذكر ؟ فقال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" غمض عينيك ، واسمع منى لا إله إلا الله ثلاث مرات ، ثم قلها ثلاث مرات وأنا أسمع ، ورفع بها صوته وهو مغمض عينيه " ثم قالها على ـ كرم الله وجهه ـ ثلاث مرات وهو مغمض عينيه ، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يسمع(٣) .

---

(١) : أخرجه أحمد (١٢٤/٤) والبزار (٢٧١٧) ، والطبرانى فى الشاميين(١١٠٣)عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما .

(٢) من كتاب بعنوان " العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق " تأليف الإمام العارف محيى السنة الشيخ محمود خطاب السبكى المتوفى يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ يوليو سنة ١٩٣٣م ، اعتنى به وحققه أبو سهل نجاح عوض صيام ص ١٠٥ ـ ١١٣ .

(٣) وروى النسائى فى الكبرى (١٠٦٧٠) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال :" قال موسى : يارب ، علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله قال : كل عبادك يقولوا هذا ، قال : قل لا إله إلا الله قال : لا إله إلا أنت " إنما أريد شيئاً تخصنى به ، قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله " .

والوِرْدُ لغة[١] : هو الماء الذى يورَد ، و القوم يردون الماء ، والنصيب من من القرآن ، أو الذكر، كما يعنى : الوظيفة من قراءة ، ونحو ذلك ، والجمع : أوراد .

ويطلق الصوفية كلمة الورد على تلك الأذكار ، التى يأمر الشيخ تلميذه بتلاوتها ، ومعاودتها فى أوقات معينة .

ويشار - هنا - إلى أن الورد بخلاف الوارد ، ويقصد بالوارد فى اللغة : الطارق ، والقادم ، يقال ورد علينا فلان ، أى : قدم .

ويقصد بالوارد عند الصوفية : ما يتحفه الحق تعالى فى قلوب أوليائه ، من النفحات الإلهية ، فيكسبه قوة محركة . وربما يدهشه ، أو يغيبه عن حسه ، ولا يكون إلا بغتة، ولا يدوم على صاحبه[٢] .

ويتلقى شيوخ الطرق الصوفية أورادهم بداية ، إما عن الله مباشرة ، وإما عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - يقظة ، أو مناماً ، وإما عن الخضر - عليه السلام - ثم يتسلسل تلقى هذه الأوراد من الشيوخ إلى من يلونهم من الأتباع ، والمريدين على مر الأزمان ، وهكذا .

وقد درج السلف الصالح - رضى الله عنهم أجمعين - على أن سند تلقين الذكر يُذكر للمريد بعد تلقينه ، وسند لبس الخرقة يذكر قبل لبسها[٣] .

وتتضمن الأوراد الصوفية عامة : آيات من القرآن الكريم ، والتسبيح ، والتحميد ، والتهليل ، والتكبير ، والحوقلة ، والاستغفار، والصلاة على النبى المختار - صلى الله عليه وآله وسلم .

فكل ورد هو مجموعة مختارة من الأدعية والتسابيح ، مرصعة بآيات من القرآن الكريم ؛ تتلى على نظام مخصوص ، يلزم بها السالك نفسه بقصد العبادة ، أو بنية القربى إلى الله تعالى ، وتلك أسمى غايات العابد ، وليس من سبيل قويم إليها إلا بالمداومة على ذكره سبحانه ، حيث يقول الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه -: " أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل "[٤]، ولذلك، روعى فى الورد أن يشغل من الوقت أقله ، ويشمل من الفضل أعظمه .

---

(١) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

(٢) شرح الحكم لابن عجيبة ج١/١٦٠ .

(٣) مدارج السالكين للشعرانى .

(٤) أخرجه البخارى (٦٤٦٥) ، ومسلم (٧٨٣) عن السيدة عائشة - رضى الله عنها -

وبالطبع ، فإن لكل طريقة من الطرق الصوفية وردها الخاص ، ورواتبها الخاصة ، وعلى كل مريد المواظبة على هذه الرواتب ، والأوراد فى الأوقات ، وبالأعداد المرسومة فى طريقته[١] .

وتربتط الأوراد بالأذكار ، فالأوراد ما هى إلا مجموعة من الأذكار المخصوصة ، يقولها الذاكر فى أوقات يعاودها فى اليوم ، والليلة ، فهو مثل الذى يرد الماء ليشرب كلما عطش ، وكذلك الذاكر كلما أشغلته الدنيا ، عطشت روحه إلى ذكر الله ـ تعالى ـ فأتى مورده ، ونهل من معين الذكر ، ليملأ قلبه إيماناً ، وصدره انشراحاً ، وأفضل الأوقات لتلاوة الأوراد ، هو وقت السحر ، أو بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس .

ويقصد بالذكر هنا : ذكر الله ـ تعالى ـ بوصفه أفضل الأعمال بعد الفرائض ، وهو روح الإيمان ، وهو سعادة القلب ، واطمئنان الروح ، وفيه انشراح الصدر ، وقوة اليقين ، ورفع الدرجات ، وكفاه فضلاً أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال :" سبق المفردون" ، قيل : من هم؟ . قال : " الذاكرون لله كثيرا والذاكرات"[٢].

ويمثل الذكر عند أهل التصوف قاعدة مهمة وركيزة أساسية ثابتة شامخة للوصول إلى هدفهم الرئيسى وشغلهم الشاغل ، وهو رضاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن طريق هذه الوسائل ، التى توصل الإنسان بربه على الفور .

ويدل هذا على أن القوم لايصلون إلى الله إلا بذكره سبحانه ، وهنا نصل إلى نقطة مهمة جداً ، ومحورية ، ألا وهى حقيقة الذكر ، فإذا أردت الوصول إلى الله ، فعليك بالذكر الحقيقى ، الذى يقبله الله ، والذكر الحقيقى ، هو أن تذكر الله بقلبك ، ولسانك معاً أما الذكر باللسان دون حضور القلب، فهو ذكر الكذابين ، الذين يكذبون على أنفسهم .

---

(١) من مقال بعنوان " الأوراد عند الصوفية " منشور على موقع باسم المرصد الإسلامى لمقاومة التنصير ، منشور بتاريخ ٢٩/ ١٢ / ٢٠١٤م .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٦٧٦) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسير فى طريق مكة فمرَّ على جبل يقال له جُمْدان ، فقال : سيروا هذا جمدان سبق المفردون ، وذكر الحديث الوارد فى المتن .

وقد تعددت الآيات فى فضل الذكر وفائدته ، منها قوله تعالى { فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ }(١) ، وقال سبحانه { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }(٢)،وقال ـ جل وعلا:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ }(٣) .

كما تعددت الأحاديث النبوية فى فضل الذكر وفائدته ، منها ما سقناه آنفاً ، ومنها ما ورد عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " منْ صلى الغداة فى جماعة ، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين ، انقلب بأجر حجة ، وعمرة "(٤).

وعن عمرة قالت : سمعت أم المؤمنين ـ تعنى عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول : " من صلى صلاة الفجر فقعد فى مقعده ، فلم يلغ بشيئ من أمر الدنيا ، ويذكر الله حتى يصلى الضحى أربع ركعات ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، لا ذنب له "(٥) .

وعن الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت جدى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول :" ما من عبد يصلى صلاة الصبح ، ثم يجلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، إلا كان ذلك حجاباً من النار "(٦) .

ولعل تلك الآيات القرآنية والأحاديث المروية فى فضل الذكر ، وفائدته ، هى ما دعت فقهاء الحنفية إلى القول بأولوية الاشتغال بالذكر بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، حتى عن قراءة القرآن ، حيث قال العلامة الحصكفى صاحب " الدر المختار : " ذكر الله من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أولى من قراءة القرآن "(٧) .

---

(١) البقرة : ١٥٢ .

(٢) آل عمران : ١٩١ .

(٣) الرعد : ٢٨ .

(٤) رواه الطبرانى وإسناده جيد كما فى مجمع الزوائد " ج ١٠ / ص ١٠٤ .

(٥) رواه أبو يعلى والطبرانى كذا فى مجمع الزوائد " ج ١٠ / ١٠٥ " .

(٦) رواه الطبرانى كذا فى المصدر السابق " ج ١٠٦/١٠ " .

(٧) هو محمد بن على بن محمد بن على بن عبد الرحمن المعروف بعلاء الدين الحصكفى (١٠٢٥ ـ ١٠٨٨ هـ) ، فقيه أصولى ، محدث ، مفسر ، ومفتى الحنفية في دمشق ، شرح "حاشية ابن عابدين" على كتاب تنوير الأبصار للشيخ شمس الدين التمرتاشى الغزى الحنفى ، ج ٥ / ص٢٨٠.

ويقول فخر الدين الرازى : " فائدة الذكر إزالة الظلمة البشرية ، فحضرة الربوبية منبع الأنوار، فلا جرم كان الاشتغال بحضرة ذى الجلال يفيد وصول أنوار الربوبية إلى باطن القلب ، فتزول به ظلمات البشرية عن القلب والروح".

وفى ذات السياق ، يقول الإمام القشيرى ، وهو أحد أئمة التصوف : " الذكر ركن قوى فى طريق الوصول إلى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بل هو العمدة فى طريق القوم ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر ، كما أن ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعدائهم ، وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم ، وأن البلاء إذا نزل بالعبد ، فإذا فزع بقلبه إلى الله ، يحيد عنه فى الحال كل ما يكرهه ".

ويقول ذو النون المصرى : "من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة ، نسى فى جنب ذكره كل شيئ ، وحفظ الله تعالى عليه كل شيئ ، وكان له عوضاً من كل شيئ" .

أما الشعرانى فيقول : " أجمعوا ـ يقصد أهل الطريق ـ على أن الذكر إذا تمكن من القلب ، صار الشيطان يُصرَع إذا دنا من الذاكر ـ كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ـ فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما باله . فيقال : أنه دنا من ذاكر فصرع " .

ورغم ما قيل عن فضل الذكر ، وفائدته على النحو المتقدم ـ فقد زعم ابن تيمية اللئيم أن اعتماد الطرق الصوفية على أذكار معينة فى أوقات معينة ، وبأعداد معينة ، وجعلها من الرواتب ـ بدعة، وإنه لم يكن على عهد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أو صحابته مجالس ذكر ، وإن كان هناك مجالس ذكر حقيقة فهى مجالس تعليم القرآن ، ومدارسة الحديث ، والفقه ، والإرشاد والتوجيه ، لما فيه صالح المجتمع فى الدنيا والآخرة(١).

---

(١) جاء فى مختصر الفتاوى المصرية لأبى عبد الله البعلى المتوفى ٧٧٧هـ ، ص ٩٢ ـ قول ابن تيمية :" والاجتماع على القراءة والذكر والدعاء حسن ، إذا لم يتخذ سنة راتبة ولا اقترن ببدعة أ هـ . وقد ورد فى " مجموع الفتاوى (٥٢٠/٢٢) قال : " الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدعاء عمل صالح وهو من أفضل القربات والعبادات فى الأوقات ،... لكن ينبغى أن يكون هذا أحيانا فى بعض الأوقات والأمكنة ، فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها إلا ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم المداومة عليه فى الجماعات من الصلوات الخمس فى الجماعات ، ومن الجمعات والأعياد ونحو ذلك . ويعقب قائلاً : وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس ؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به .

والحقيقة أن موقف ابن تيمية اللئيم ـ فى اعتباره الرواتب فى مجالس ذكر الصوفية بدعة ـ مجاف للحق ، فها هو رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول: " لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"[١] .

وجاء فى الحديث القدسى : " يقول الله تعالى يوم القيامة : سيعلم الجمع مَنْ أهل الكرم" قيل مَنْ أهل الكرم يا رسول الله؟ قال : "أهل مجالس الذكر فى المساجد"[٢].

هذا فضلاً عن أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وصحابته كانوا فى صدر الإسلام مشغولين بتأسيس الدولة الإسلامية ، ونشر دين الله فى كل مكان ، ومحاربة الكفار والمرتدين ، فلم يكن لديهم وقت لمجالس الذكر فى جماعة ، فلمَّا تم نصر الله ، وانتشر الإسلام شرقاً وغرباً ، وبدأ تأثير الحضارات الأخرى فى الثقافة العربية ، واشتغل فريق من المسلمين بالثروة والجاه ، وحب الزينة ، اعتزل فريق آخر زينة الحياة الدنيا ، واتجه إلى زهدها مثل الحسن البصرى ، وكان يدرس للناس فى المسجد ، ويفقههم فى أمور دينهم ودنياهم ، وتطور الأمر حتى أصبح له مجلس ذكر ، وهو يُعَد أول مؤسس لمجالس الذكر[٣] .

ولا تخرج صيغ الذكر ، والأوراد عند الصوفية عن الأوراد التى أرشد إليها ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مثل قول " سبحان الله " مائة مرة ، ويكررها إذا أحب مئات المرات ، وقول " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" ، ويكررها ، وكلما أكثر منها فهو أفضل ، و " الاستغفار" ، وكلما أكثر منه فهو أفضل ، وسنام الأذكار " الصلاة على النبى المختار " ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكلما أكثر منها فهو الأفضل .

ولا ينبغى للسالك فى طريق القوم أن يكون ورده مقصوراً على الأعداد المشار إليها، بل ينبغى له أن يزيد ذكره لله تعالى ، لأن قلب السالك فى ابتداء سيره كالطفل الصغير ، فكما أن الطفل كلما كبر زيدت له كمية الغذاء ، كذلك كلما

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، برقم (٢٧٠٠) عن أبو سعيد الخدرى ، وأبو هريرة ـ رضى الله عنهما .

(٢) رواه أحمد ، وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى .

(٣) عبد الوهاب الشعرانى ، الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية ، نقلاً عن مقال بعنوان " فلسفة الذكر عند الصوفية ، بقلم أحمد الشليحى ، منشور على النت بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٠م .

كبر المريد فى سيره إلى الله تعالى زاد ذكره لله ، لأن الذكر غذاء لقلبه وحياة له .

كما تحدث أئمة الصوفية عن آداب الذكر ، والذاكر ، وقد لخص الإمام الشعرانى فى كتابه " الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية " هذه الآداب قائلاً :" إن الأشياخ عددوا للذكر ألف أدب، ثم قالوا : ويجمع هذه الآداب كلها عشرون أدباً للذكر ، من لم يتحقق بها فبعيد عليه الفتح ، خمسة منها سابقة على الذكر ، واثنا عشر حال الذكر ، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر[١] .

ويمكن إجمال أهم هذه الآداب فى الآتى : التوبة النصوح ، والطهارة فى الثوب والمكان ، والخشوع ، والورع ، والتأدب ، واستقبال القبلة إن كان يذكر بمفرده ، والتحلق إن كان يذكر مع جماعة ، واستحضار معانى صيغ الأوراد ، واستدعاء الذاكر همة شيخه ، وموافقته الجماعة إن كان الذكر مع جماعة ، فلا يتقدم عليهم ولا يتأخر عنهم ، والانصراف فى خشوع وأدب ، مع اجتناب اللغط ، واللهو ، الذى يذهب بفائدة الذكر وأثره .

ولما كان الورد سبيل السالكين إلى الله تعالى ـ قعد الشيطان فى طريقهم ، يصدهم عن ذكر الله تعالى بحجج شتى ، ومغالطات خفية ، وتلبيسات منوعة ، فقد يترك بعض المريدين قراءة أورادهم محتجين بكثرة أعمالهم ، وعدم فراغهم لها ، ويوحى إليهم شيطانهم أن هذا عذر مشروع ، ومبرر مقبول ، وأنه لا بأس بتأجيل الأوراد لوقت الفراغ .

لذا حذر السادة الصوفية مريديهم من الإهمال ، والتسويف وانتظار الفراغ ، لأن العمر سرعان ما ينتهى والمشاغل ، لا تزال فى تجدد ، وفى ذلك يقول ابن عطاء الله فى حكمه :" إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونة النفس " ، وقال الشارح ابن عجيبة : " فالواجب على الإنسان أن يقطع علائقه وعوائقه ، ويخالف هواه ، ويبادر إلى خدمة مولاه ، ولا ينتظر وقتاً آخر ، إذ الفقير ابن وقته "[٢] .

وقد يترك المريد ورده بدعوى أن ذكره لا يسلم من الوساوس ، والذكر لايفيد إلا إذا كان الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى .

وقد فطن شيوخ التصوف إلى هذا المدخل الشيطانى ـ أيضاً ـ فحذروا مريديهم منه ، وفى ذلك ينصح ابن عطاء الله السكندرى:" لا تترك الذكر لعدم

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : الشعرانى ، الأنوارد القدسية فى معرفة قواعد الصوفية .

(٢) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم ج١/ ص٤٩ .

حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع حضور يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز"[١] .

وقد يترك بعض السالكين أورادهم اكتفاءً بالوارد ، وما علموا أن الورد مطلوب منهم للتقرب إلى الله تعالى ، وأن السادة الصوفية لم يتركوا أورادهم مهما بلغوا من مراتب الكمال .

قال أبو الحسن الدراج ـ رحمه الله ـ : " ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله ، وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما اتحفهم الله به من الكرامات ، فقال الجنيد ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ : "العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك" .

وقد رأى رجل الجنيد ـ رضى الله عنه ـ وفى يده سبحة ، فقال له : أنت مع شرفك تأخذ يدك سبحة ؟! فقال : نعم ، سبب وصلنا إلى ما وصلنا فلا نتركه أبدا"[٢] .

ويقول ابن عطاء الله : " لا يستحقر الورد إلا جهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ، وأولى ما يُعتنى به ما لا يخلف وجوده ، الورد هو طالبه منك ، والوارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه"[٣] .

وأخيراً ، فإن المريد إذا ترك ورده لسبب من الأسباب السابقة ، ثم عاد إلى يقظته ، والتزام عهده ؛ فلا ينبغى أن يقنط من رحمة الله نتيجة تقصيره ، وإهماله ، بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى، ثم يقضى ما فاته من أوراد ، إذ الأوراد تقضى كسائر العبادات ، والطاعات .

قال الإمام النووى : " ينبغى لمن كان له وظيفة من الذكر فى وقت من ليل أو نهار، أو عقب صلاة ، أو حالة من الأحوال ففاتته أن يتداركها ، ويأتى بها إذا تمكن منها ، ولا يهملها ، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت ، وإذا تساهل فى قضائها سهل عليه تضييعها فى وقتها، وقد ثبت فى صحيح مسلم

---

(١) إيقاظ الهمم ج ١ / ص٧٩ .

(٢) إيقاظ الهمم " ج١/ص١٦٢ ، وراجع هذا الخبر فى ص ١٨٤ .

(٣) إيقاظ الهمم " ج١/ص١٦٠

ـ كتاب صلاة المسافرين ، وقصرها ـ عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" من نام عن حزبه أو عن شيئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل "[(١)] .

ويكتفى بهذا القدر من التعريف بالعهد الصوفى ، والأوراد ، والأذكار الصوفية ، وننتقل بعد ذلك إلى التعرض للأوراد ، والأذكار المأثورة عن إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وهو ما نتناوله فيما يلى .

---

(١) الأذكار " للنووى ، ص١٣ .

المطلب الثانى

أوراد العصبة الهاشمية

لم يشأ إمامنا العربى أن يكلف أبناء العصبة الهاشمية بأوراد راتبة ، أو التحلق فى مجالس ذكر موقوتة كبقية الطرق الصوفية ، لكنه قام برسم معالم طريق السائر إلى الله ، فالعصبة الهاشمية طريق لا طريقة .

اهتم إمامنا بمعراج الأرواح ، وتهذيب النفوس ، وتغذية القلوب بحب الله ، ورسوله، وآل بيت رسوله ـ قبل تلقين الأذكار ، والأوراد المأثورة ، ويقول في ذلك : " تهتم العصبة الهاشمية بتقوية الروح ، ومحاربة الشوائب التى فى داخل النفس الأمارة بالسوء"(١).

أما العهد الجماعى الذى كان يلقنه أحبابه ـ فهو الاجتماع على ود الله ، أو ما يطلق عليه " الوداد الإلهى " ، يقول إمامنا :" هيا ... قولوا ورائى : " على الوداد الإلهى اجتمعنا ــ اجتمعنا بكل معنى " ، يرددها مراراً ، وأحبابه يرددونها خلفه .

ويوضح :" وهذا ما نتعاهد عليه ، ولا نحيد عنه . وهو العهد بيننا ، وبين حضرته وبينكم إلى أن نلقاه ببركة سيد الوجود ، وحبيبه ومصطفاه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهو وِرْدِنا في السير إلى حضرته ـ جلَّ وعلا ـ وهذا ما فيه جوامع الكمالات من لدنه ، ومن أجله خُلِقنا ، وهذا هو وردنا ، وورد الصديقين ، بارك الله فيكم"(٢) .

وقيل : " أكثروا من الإخوان ؛ لأن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة "(٣) ، قوم تحابوا بروح الله، يعنى لم يجمعهم إلا حب الله ورسوله ، وقال الوداد ما بينى ومابينكم مفتوح، والباب مفتوح .

---

(١) من أقوال إمامنا العربى بتحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، في قضية العصبة الهاشمية ، وأحداث القلعة ، سبق الإشارة إليها .

(٢) قوله ـ رضى الله عنه ـ " ومن أجله خلقنا " قد يكون إشارة إلى قوله تعالى :{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا } الحجرات : ١٣ . وقيل أن علة الخلق ليس المفاضلة بالأنساب ، ولكن بالتقوى ، والود فى الله ، أى التعارف الإيمانى.

(٣) ورد عن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابنا قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة ، وقال استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة ، فإن لهم عند الله يدا يكافيهم بها يوم القيامة .

ويمثل ما تقدم معالم طريق للسائر إلى الله ، رسمه إمامنا لأبناء العصبة الهاشمية، وبالطبع فإن هذه المعالم تصلح لأن يهتدى بها كل سائر فى طريقه إلى الله تعالى ، أو ينتمى إلى أى طريقة صوفية كانت .

وفضلاً عما تقدم ، كان إمامنا كثيراً ما يناشد أبناء العصبة الهاشمية ، وغيرهم بالإكثار من ذكر جملتين : الأولى ، البسملة ـ أى قول " بسم الله الرحمن الرحيم " ، والثانية ، "الصلاة على النبى" ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بأى صيغة تسهل على اللسان ، ويمكن القول أن البسملة ، والصلاة على النبى ، هما الأساس الذى اعتمدت عليه أوراد ، وأذكار العصبة الهاشمية .

وعن فضل وفائدة الورد بالبسملة ـ يقول إمامنا العربى : إن الحق ـ تبارك وتعالى ـ حينما قال بسم الله ، أبرز الأكوان بأسرها ، التى وصفها لنا فى القرآن ، المنزل على قلب سيد ولد عدنان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

ببسم الله أوجد ـ تبارك وتعالى ـ من المعدوم مكنون ، بسم الله مضمون فيها وحدة الوجود ، ومضمون فيها فحو الشهادتين ، بسم الله تعرج بأهلها ، وتصل بهم للآخرة ، بسم الله ترقق القلوب؛ لأن لها شظى ، ولظى ، وشذى، يحطم شظايا الأصنام ... أصنام الران ـ حصن العدو الذى فى داخل الإنسان ـ أو أصنام الأوهام ، التى يصورها الشيطان، فالذاكر المتجه إلى الحق محمول على متن " بسم الله " ، وعلى رفارف فضلها مسافر، يتدفق من حضرة البسملة تيار يحمل شظى صاهر ، يعدم أصنام الأغيار التى فى أرض القلب ببركة المختار ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم "(١) .

ويردف إمامنا العربى قائلاً : " يَهبُّ من " بسم الله " تيار مفعم بشذى ، وأريج ، يملأ وديان القلوب فينقيها ، ويلقحها ويغذيها ، من فحو فلك {وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ}(٢) .

---

(١) يحمل الشيخ / جابر عبد المنعم قول إمامنا فى المتن على معنى : إن الأصنام الغيرية هى الحجب المادية ، والكدورات ، وأوثان الرعونات التى تعرقل السالك عن السير إلى حضرة ربه .

(٢) الحجر : ٢٢ .

واعلم يا هذا أنك لوقلت " بسم الله " ، وقلبك راض بها ، حاضر معها ، مستغرق فيها ، تنتقل بك وتسافر ، تحملك على نجائب فضلها ، وتدخلك فى حضرة الرحمن الرحيم "[١].

ويستطرد الإمام قائلاً : يتدفق تيار تجلى من حضرة " بسم الله " ، وينساب فى طيات ذرات العبد الذاكرة ، فتُبْحِر أمواج التيار البسملى بالقلب الراضى إلى حضرة " الرحمن الرحيم " ، التى هى حضرة " لا إله إلا الله " ، فتلبسه ثوبها إلى كلمة الفصل ، التى هى حضرة " محمد رسول الله " ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

ولو رضوا أهل الكتاب ب " بسم الله " قلباً ، وقالباً ، لكانوا رضوا ب " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ؛ لأن الاختلاف على المضمون فى بطن كلمة " بسم الله " ، ومضمونها أن القرآن كلام الله ، والأنبياء كلام الله { إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ }[٢].

بسم الله فيها أغوار ، وأعماق وديان ، وباؤها باء البدء ، ومن نقطتها المنحدرة أوجد الواجد للأكوان ، ما كان ، وما يكون ، وماهو كائن فى علم الله المكنون .

ويقول أحدهم[٣] : ولو كنت بى من نقطة "الباء" خفضة * رُفعتُ إلى ما لم تنله بحيلة ، فمن فنى فى حضرتها ، وتوارى ، أوقدت قلبه آوارا ـ أى : سخونة لهيب الأشواق ـ وأسرجت روحه منارا ، وغمرته أمطارا "[٤] .

---

(١) يحمل الشيخ / جابر عبد المنعم قول إمامنا على معنى : أن بسم الله تحمل روح الذاكر لها ، الحاضر فى معيتها ، منطلقة على نجائبها ، وتجرى بالروح سابحة ، فى أمواج بحار أجوائها ، منطلقة بذراته الذاكرة فى الحضرة الرحمانية ؛ لأنها عامة ضامة ، ثم يكون مرساها فى الحضرة الرحيمية ، ويقتطف العبد من أشجار خصوصية معيتها ، فالمجرى رحمانى ، والمرسى رحيمى { بسم الله مجراها ومرساها } هود : ٤٠ .

(٢) النساء :١٧١ .

(٣) ابن الفارض ، عمر بن على ، سلطان العاشقين ، الديوان ، من قصيدة " سقتنى حميا الحب راحة مقلتى " ، والخفظة : حركة كسر الباء فى " بسم " .

(٤) أوراد وأذكار فتوحية عن فيح تجليات علية ومؤانسات قدسية "، لمولانا الإمام السيد / محمد أبو الفتوح العربى الإدريسى المغربى ،جمع وإعداد / الشريفة كريمة العربى ، تحت عنوان (الدر اليتيم فى أجواء الذكر الحكيم ببسم الله الرحمن الرحيم) ، ص ١٦٠ ـ ١٦٣ .

أما عن "الصلاة على النبى" ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فإن إمامنا ما فتئ ينصح أبناء العصبة الهاشمية ، ويوصيهم : " أوصيكم بالصلاة على النبى بأى صيغة تستطيعون الصلاة بها ، ولكن صلوا عليه ، فحضرة النبى حى فيكم ، قال الله { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ }(١) .

ويقول : " نحن وردنا الصلاة على حضرة الحبيب ، هو ده كل شيئ لنا ، ولذلك أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز عباده المؤمنين بالصلاة على نبيه ، وصفوته من خلقه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقال جل ثناؤه { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }(٢) .

كما وردت الأحاديث الكثيرة فى فضل الصلاة عليه ، منها قوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " اكثروا من الصلاة علىَّ "(٣).

ولا أشق عليكم وأقول لكم صلوا فى الليلة ألف ركعة ، أو صوموا الدهر كله ، لا . فقط صلوا علىّ ، بالصيغة السهلة على لسانك ، بدون كلفة ؛ لأنها تشريف لا تكليف . قال : "صلوا علىَّ " . يعنى أنا عاوز منكم الصلاة علىَّ فقط ؛ لانتفاعكم أنتم بها .

فوجه الحق أن صلاتنا عليه لا تنفعه هو ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بل تنفعنا نحن ؛ لأنها تقرب الود بينه و بيننا ، مثلما يكون معك أب كبير ، أو ابن ، أو أخ أو صاحب ، وتريد أن تواده ، فتعطيه أعز ما تملك ، وأعز ما عندك ، وتذهب لزيارته وتجلس معه ، وتوادده(٤) .

---

(١) الحجرات : ٧ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) ورد فى فضل الصلاة على النبى أحاديث كثيرة منها : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة " رواه الترمذى وقال حديث حسن ، وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على " فقالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (قال : يقول بليت) قال : إن الله حرَّمَ على الأرض أجساد الأنبياء " رواه أبو داود بإسناد صحيح .

(٤) جاء فى سنن الدار قطنى ج٢ص٢٧٨ح١٩٤ : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى " ورواه الذهبى فى تاريخ الإسلام ج١١ ص ٢١٢ ، ورواه بنص آخر : " من زارنى بعد موتى وجبت شفاعتى " وفى هامش طبقات المحدثين بأصبهان ج٢ ص ١٦٧ ونحوه فى ج١

كذا ، في الدعاء ، يقول إمامنا(١) : " الإنسان لما يحب يدعو الله ، يصلى على النبى أولاً ، ثم يستدعي الدعاء . لقوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فيما معناه :" منْ له حاجة عند الله فليصلى على "(٢).

ويربط إمامنا بين البسملة ، والصلاة على النبى ، فيقول : اعلم يا بنى ، أن الصلاة على النبى ورد ثلجى ، لذا عقلك من نسائمها الهفهافة الشفافة ، لا يتبعثر ولا يتعثر ، أما حضرة البسملة فهى ساخنة حرارية ، فينصهر من شظى حرارتها ، ولهيب تجلياتها عقلك ، لأن تجليها جلالى ، واعلم أن تجليات بسم الله نارية ، وحرارية ، كشمس الصيف فى يوم قائظ ، أما الصلاة على الحبيب الأعظم فهى قمر ، وربيع ، ومثل البدر فى تمامه ، وتيارها المتدفق فى السائر إلى الحق ـ تبارك وتعالى ـ ثلجى بارد ، تثلجك قلباً ، أو قالباً بثلج الفيض ، وترويك ببرد اليقين ، واعلم أن برد ضيائها يُثَبت أركان العقل ، ويحفظ توازنه .

فالورد بالبسملة ، والصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ارتبط كلاهما بالآخر ، ولا غنى عن كليهما ، وليس بمقدورك يا هذا أن تمضى يوماً واحداً ، وتقضى سويعات ليلك ، ونهارك دون شمس ، أو قمر ، فالبسملة بمثابة شمس النهار في يوم صائف ، والصلاة على المختار ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بمنزلة بدر التمام .

ص٥٥ : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة "

(١) سمعته من إمامنا العربى فى تسجيل صوتى لحضرته يتحدث فيه عن فضل الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

(٢) عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، وليصل ركعتين ثم ليثن على الله ، وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لا تدع لى ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين " أخرجه الترمذى وابن ماجة ، وزاد ابن ماجة بعد قوله :" يا أرحم الراحمين " ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يُقَدَّرُ " .

فترد بالبسملة (مائة مرة مثلاً) ، أو ما ييسره الله لك ، ثم تختم وردك بالصلاة على النبى ، الطاهر الزكى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهذا من باب { وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ }[١] .

وورد عن أهل الحضرة أن السيد أحمد الرفاعى ـ رضى الله عنه ـ فتق الله قلبه ببركة كثرة الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكان من أرباب العزائم .

وقيل أنه كان يصلى على النبى فى اليوم والليلة سبعة آلآف مرة ، ففتح الله عليه ، وأضحى ببركتها الرفاعى ، شيخ الشيوخ فى عصره ، وبعد عصره.

هذا عن الورد القولى ، أما عن الورد الفعلى ، فيقول إمامنا : " إطعام الطعام باب من أبواب الله ، يفضى بكم إلى جنة رضوانه ، وأن تكونوا من أعيانه ، قال تعالى { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }[٢] .

فقد اتخذ إمامنا العربى من إطعام الطعام ورداً فعلياً لأبناء العصبة الهاشمية ، وكل سائر في طريق الله ، ولمَّا سئلت العارفة بالله السيدة زكية عبد المطلب ـ رضى الله عنها ـ عن وردها ، قالت الطبلية ، في إشارة إلى إطعام الطعام"[٣].

ولا محاجة فى أن إطعام الطعام للفقراء بسخاء من أفضل الأعمال ، التى تسوق المريد إلى ربه، باعتباره باب من أبواب القبول ، وبه الوصول .

ولا يتم الفضل للسالك إلا بمداومة الذكر بالورد القولى (البسملة ، والصلاة على النبى) ، والسخاء بالورد الفعلى (إطعام الطعام) .

هذا ، وقد ترك إمامنا العربى لأبناء العصبة الهاشمية ـ فضلاً عما تقدم ـ كنزاً زاخراً من الأوراد، والأذكار ، وصيغ الصلوات على النبى وآله ، ما يصلح تجميع بعضها ، وتقسيمها كأحزاب ، على نسق ما يتخذه أبناء الطرق الصوفية فى أورادهم .

---

(١) النساء : ٨٤ .

(٢) الإنسان : ٨ ، ٩

(٣) نقلاً عن : فاطمة الزهراء أحمد الهاشمى ، من أحباب الحاجة زكية ، وهى مقولة متواترة عنها ، سواء من أبنائها ومحبيها ، ومن عاصروها .

وقد تم ـ بحمد الله ـ تجميع بعضها ، وإخراجها فى كتيب من إعداد السيدة / كريمة العربى ـ جزاها الله خيرا ـ وتم طبعه بعنوان (أوراد ، وأذكار فتوحية عن فيح تجليات عَليَّة ، ومؤانسات قدسية) .

ورأيتنى ـ فى هذا المقام ـ شغوفاً بعرض مقتطفات من هذا الكتيب الجامع ؛ تبركاً بما حمله من معارف ، وتجليات عَليَّة ، ومؤانسات قُدسية ، وعلى من يرغب فى الاستزادة وتحصيل جميع هذه الأوراد ، والأذكار ـ السعى فى اقتناء نسخة من ذلك الكتيب الجليل(١).

اشتمل الكتيب على مقدمة بقلم الشيخ / جابر عبد المنعم(٢) ـ جزاه الله خيرا ـ جاء فيها : " تلك الأوراد الفتوحية العربية عن شيخنا سليل الحسنين طيب العنصرين ، السيد الإمام محمد أبو الفتوح العربى بركات الإدريسى الحسنى الحسينى ـ قدس الله سره ـ لهى فيض قدسى إلهى ، وراووق ذاتى ربانى ، تدفق من الحضرتين مفاض عن مشاهد بإيماض ، من غور الغور من غمض الأغماض ، من علياء روابى حظيرة { وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ }(٣) ، التى شيخنا فى متلاطم أمواجها سَبَّاح، يغترف فى حجر روحه عن حصائل عيان ، ويأخذ عن حضرة ديَّان جم الإمناح ، وكما أومأ إلى ذلك ابن قلبه ، وولد مهجته النابه ، الذى أعاره لسانه ، وأرضعه من أندية جنانه ، العارف الشارف سيدى الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنه ـ حينما شدا فى داليته العصماء:

غانى البلبال بمشهود * يحكم عن حضرة معبود
فى مقعد صدق تمايلهم * فى مجمع غار محمود
طابت ألحان مشاربهم * والحب سقاهم مشهود

---

(١) هذه الأحزاب والأوراد عبارة عن تجميع لعدد من الأدعية والأقوال المتفرقة للإمام العربى قدس الله سره ، وبناء على توصية من مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو المحاسن قام الشيخ / جابر عبد المنعم بتقسيمها إلى أحزاب على نسق وشاكلة أوراد الطرق الصوفية بحيث تصلح لأحبابه ومريديه من بعده ، كما تصلح لاعتماد الجهات المعنية والإدارية لإدراج العصبة الهاشمية كإحدى الطرق الصوفية ، وقد اجتهدت السيدة كريمة العربى نجلة إمامنا فى كتابتها على الحاسب الآلى وإخراجها فى صورة كتاب يحمل عنوان "أوراد وأذكار فتوحية عن فيح تجليات علية ومؤانسات قدسية"، على إمام للطباعة، رقم الإيداع :٥٥٤٤ لسنة٢٠١٦ .

(٢) مقدمة الكتيب ، سالف الذكر ، من ص ١٠ ـ ١٣ ..

(٣) البقرة : ١١٥ .

فالأوراد والمورود عن سير إلى حضرة المعبود بالمعبود ، فالأوراد : مساقيها حبيَّة، المورود: عن عناق مشهود ، والمشارب ذاتية صديقية ، عن دوام خُلَّة ودود ، إلى أن يقول معرباً عن مشرب شيخنا الصديقى ، الخليل البليل الناظر بثواقب بصائر أول رعيل:

شيخى أستاذ منصتها * شارق غارب فى المشهود

خلوته تبارك مملكة * أمراً يسرى لا مردودَ

وتلكم الأوراد لقَّنها شيخنا للأحباب خموراً قدسية ، أدارها ساقى من حان معية ، وقد أذن وأجاز بها لأبناء قلبه من بعده ، وهذا من منطلق :

أهيم بليلى ما حييت فإن أمت * وكلت بليلى من يهيم بها بعدى[١]

وأيضاً من منطلق المدار فى رحى فلك { وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}[٢] ، متناوِل ـ رضى الله عنه ـ ومناوِل أبناءه القلبيين طريقةً من إشراق محيط سيد المرسلين ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أعظم حقيقة ، من رواء معين وقطوف بساتين { وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ }[٣] ، وقد أردت أن أجمع مع أوراد شيخنا ـ رضى الله عنه ـ درراً من فضائلها سمعته منه مشافهة ، وأردت أن أضيفه إليها تعقيباً ، وترغيباً للسالكين من باب { وحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ }[٤] ، لكى يعم النفع لمن أراد شق طريق القوم ، والتبحر فى السير إلى الله ، والعوم فيه : {وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا }[٥].

وبعد المقدمة المشار إليها ، بدأ الحديث عن معنى الورد ، والوارد عند إمامنا العربى وتحت عنوان (الورد والوارد لدى شيخنا الغارد) ، يقول كاتب مقدمة الكتاب : " سألت الإمام العربى ـ قدس الله سره ـ فقلت له : نمى إلى علمى

(١) أهيم بليلى ما حييت وإن أمت * قتيل هواها فزت بالعز والسَّعد ، وإن أحرَقَت قلبى بهجرانها فلا * وكلَت بليلى من يهيم بها بعدى ، من ديوان الشاعر اللبناني / المفتى عبد اللطيف فتح الله من شعراء الفصحى في العصر الحديث .

(٢) الأحزاب : ٤٦ .

(٣) الجن : ١٦ ، ١٧ .

(٤) النساء : ٨٤ .

(٥) الإسراء : ١٩ .

أن الورد ما ترتب من عبادات وما واظب عليه السالك من أنماط طاعات ، تملأ الأوقات ، وكما أشار إمامهم[١] : "الدنيا ساعة ، فاجعلها لله طاعة".

قال ـ رضى الله عنه ـ : هذا حقا . فقلت لحضرته متسائلاً : ولكن أهناك ورد أمتطيه براق ، يحملنى إلى حضرة الخلاق فى أقل من لمح بالبصر ، لقوله تعالى{وَسَارِعُوا}[٢] وإن من درجات السرعة ما هو أسرع من البرق الخاطف ، وإن من السرعات ما هو أسرع من كل سريع ، فقال ـ رضى الله عنه ـ : ما وصل الواصلون إلى الحق ـ تبارك وتعالى ـ إلا بذكر الله تعالى فى الخفاء بالليل ، والنهار ، وصحبة الأخيار ، وكثرة الصلاة على المختار ـ صلى الله عليه وآله ـ وحينما تصحب فعليك بمن ينهضك حاله ، ويدلك على الله مقاله"[٣] .

ثم تطرق الكاتب إلى عرض معانى كلمتى (الورد) ، و (الوارد) عند إمامنا العربى فقال : " الورد : سير إلى الله على مطايا الأذكار . الوارد : لوامع وهوامع وسواطع من حضرته ، تصافح مرائى القلب بالأنوار .

واسترسل فى تلك التعريفات حتى قال : الورد : الوقوف القالبى على أرض التكليف يا صاحبى . الوارد : ما ينهمر من مقيل قلبى تحت سماء التشريف ببركة النبى الشريف ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ والجمع بينهما {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ}[٤]، يا عبد الديان .

وعن الورد القرآنى ، يقول إمامنا ـ رضى الله عنه ـ " يا بنى :حينما تتصفح القرآن تمر بك آية فتقربك ، وتسافر بقلبك عند ربك { إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ}[٥] ، وتمر بك آية أخرى فتطير بك ، وهكذا دواليك ، مرت عليك آية فى التسبيح ، فتيَّار التسبيح يتدفق فيك من حضرة محيط الآية ، ويَوُزَع فيك أن تُسَبِح ، مرت عليك ، أو بك آية فى السجود فتيار منها يسرى فيك ، فيدفعك إلى أن تسجد ، واعلم

---

(١) من أقوال الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجه ـ وجاء فيها : " الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة ، والنفس طماعة ، عودها القناعة ، الدنيا إذا حلت أوحلت ، وإن كست أوكست ، وإذا جلت أوجلت ، وإذا أينعت نعت ، وكم من ملك رفعت له علامات ، فلمَّا علا مات ولايبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام" .

(٢) آل عمران : ١٣٣ .

(٣) أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، ص١٤ ، ١٥ .

(٤) الرحمن : ١٩ .

(٥)الأعراف : ٢٠٦ .

أن السائر إذا ما انطوت بشريته وانعدمت محسوساته ، أضحى عبداً ملكياً جوهرياً ملائكياً "[١].

وهكذا ، وهكذا ما فاح أريج شذى ، ويا سعد الذى نهج منهاج شيخ الأبراج ينطوى له المعراج ، ويتوقد فى مشكاة قلبه المسراج ، فالوارد من السادة يطوى المعاريج ، ويعبق منه فى وادى مهجتك الأريج ، وبعده أنت قد دنت وكنت نسيج"[٢] .

وبعد أن سلسل الكاتب نسبة الإمام من جهة أبيه ، ثم من جهة أمه - بدأ فى تقسيم الأوراد إلى تسعة أحزاب ، وأسماها على التوالى : ١- حزب (الورود لمن أراد الشهود). ٢- حزب (سُلَّم الغاية لمن أراد الولاية) . ٣- حزب (الحصن الحصين لمن أراد مناجاة الصديقين) . ٤- حزب (مجامع الحمد والثناء من مشاهد علياء) . ٥ - حزب (الاغتراف من معين رجال على الأعراف) . ٦- حزب (مكالمة الأطوار القلبية من داخل الأسوار القالبية) . ٧- (حزب الشروق والغروب فى تجليات سبحات وجه الحق المحبوب) . ٨ - حزب (أنين الأواه فى داؤديات بلا تناهى) . ٩- حزب (لآلئ الضراعة فى التوسل بشمائل صاحب الشفاعة).

وعقب ذلك ، تحدث عن الأوراد اليومية تحت عنوان (الورد اليومى) ، ثم ذكر أوراد أخرى ، أسماها على التوالى : (لآلئ عربية) ، و(الدر اليتيم فى أجواء الذكر الحكيم) ، و(لؤلؤة عربية ذات وجهين للغرف من البحرين) ، و(الياقوتة الهامعة فى صيغة الاستغفار الجامعة) ، و(حُلَّتك والإكليل فى ذكر التهليل) ، و(أريج نسائم جو من أجواء اسمه "هو") ، وأخيراً (لؤلؤة عربية فى مجلى الآية القرآنية { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }.

وذُيِلَ الكتيب ببعض الصور الفوتوغرافية لإمامنا العربى - قدس الله سره - تحت عنوان (صور وثائقية للإمام العربى - رضى الله عنه) ، ثم فهرس موضوعات الكتيب وصفحاتها .

ويطيب لى - عزيزى القارئ - اقتطاف بعض الثمار من شجرة تلك الأحزاب ؛ تبركاً وأملاً فى الثواب ، وذلك على النحو التالى :

من الحزب الأول : " اللهم علق قلوبنا بقلوب أنت تعرفها وهى تعرفك حق المعرفة وتقرب إليك حق القرب ، وتخشاك حق الخشية بحولك وقوتك ، لا حول

---

(١) السيدة كريمة العربى ، كتيب أوراد وأذكار ، مرجع سابق ، ص ١٩

(٢) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ،ص ٢٠ - ٢٣ .

لنا ولا قوة إلا بك ، يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم يسر سر الجمع ، ويسر سر القرب ، يا علام الغيوب دلنا على تلك القلوب ، أهل حضرتك العلياء ، شموس الحقيقة النجلاء ، أقمار الحق ، ونجوم المعرفة ، وكواكب العرفان ، والاصطفا، ، مواطن رضاك ، الذين نعتهم واصفا : { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }[1]، وعليهم تطل شارفا ، وذلك ما قد أشرت إليه فى محكم التنزيل ، بفحو كلامك القديم ، وكذا قلت فيهم آمراً لنا بالأمرالعظيم ، وأنت تأمرنا دائماً أبدا ، مشيراً إلى أن بهم الاقتدا : { وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ}[2] .

فعطف ـ اللهم ـ قلوب أهل حضرتك علينا ، واجمع بيننا وبينهم ، كما جمعت بين الروح والنفس، واجعلهم روحاً لذواتنا من جميع الوجوه ، فى الدنيا قبل الآخرة ، يا كريم يا كريم ياكريم " .

" يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع بك علينا قلوبنا ، وعقولنا ، وجوارحنا ، وكليتنا بمجمعنا فى حظيرة : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}[3]، واجمع ذاتنا فى حضرة ذاتك ، وادرج صفاتنا بمحوها تحت صفاتك ، واجمعنا بك عليك فى الحضرتين ، وهبنا ـ اللهم ـ قلباً صديقاً ، وحباً فيك عميقا ، فيصدر من حضرتك يا حق وصال بريقا ، يشرق على القلب فينبع منه حقيقا ".

" يا حنان يا منان امنن علينا بالقرب من حضرة نبيك ، وحبيبك ، وصفيك يقظة ، ومناما ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وهبنا من سلسبيل معين حضرته علما من لدنك فيك إليك ، علماً لا جهل بعده أبدا ، وزكِّى أنفسنا ، من كل شائبة ونقص ، من داخل فحو الجامعية الكبرى بحبيبك الأعظم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بزكاة طهور ، تطهرنا بها طهارة غفور ، لا درن ، ولا ران ، ولا رجس بعدها أبدا ، زكاة سامية ، وطهارة متوالية ، بيد حضرتك ، نكون بها موضع نظرك ، ومطلع عينك ، وأقرب رُحما ، واسقنا اللهم من معين ذاتك شراباً قدوساً ، وافض علينا من فيض مواهبك ، كما أفضت على عبادك الحقانيين الذاتيين ، الذين حققتهم بالحق ، فدنوا منك بك فيك إليك" .

---

(١) المائدة : ١١٩ ، التوبة ١٠٠ ،المجادلة : ٢٢ ، البينة : ٨ .

(٢) الكهف : ٢٨ .

(٣) النجم : ٨ : ٩ .

"اللهم أوقد فى قلوبنا قناديل المحبة ، ومساريج المعرفة ، وادر فى أفلاك أرواحنا شموس العرفان الساطعة من حضرتك ، يا عظيم يا ديان ، وارزقنا ـ اللهم ـ صحبة بك متعمقة ، بالشوق لك متوغلة فيك ، صحبة تسجد على أعتابها العقول ، والألباب السامية وتهُب فى أفلاكها نسائم الصدق ، والصديقية الهامية ، وتسبح فى بحارها الأرواح إلى ساحة الكريم الفتاح ، وتتجول الأفهام بدعم من عليم علام ، بالفكر الحاد لمراكز الفهوم فى سوح صحبة فيك ، مع ديمومية تجليك ، صحبة لا يوقف لها على حد ، حدها واحد أحد ، ونهايتها فرد صمد ، صحبة ذاتية بك فيك إليك ، تواصت بالحق واستوصت به"

" اللهم اربطنا بحضرتك برابطة الشوق ، وامزجنا بك فى محبتك بطامَّة التوق ، وامنن علينا بجمع جوامع القنوت ، فى محاريب العبودية السامية ، وتمام التوكل عليك وكمال الإنابة لك ، بحقيقة سر أسرار بطون الأحوال ، مع دوام الجمعية الكبرى ، التى عصامها حبل الله ما دامت السموات والأرض ، وصل اللهم على سيدنا محمد ، شيخ الأنبياء ، وأستاذ المرسلين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين "(١) .

من الحزب الثانى: " اللهم أنت وحدك لا شريك لك ، فهبنا بتوفيقك لنا ، ومننك علينا علم ما لحضرتك على أهل حضرتك من حقوق وواجبات . وأدبنا ـ اللهم ـ من محض فضلك بالآداب الربانية على الدوام ، وخلقنا بالأخلاق المحمدية ، شمائل التهامى ، وهبنا ـ اللهم ـ عقلاً ساميا ، راجحاً ، سابحاً ، رابحاً ، من الله هاميا ، يأخذ عن التهامى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم "(٢) .

من الحزب الثالث: " إلهى ... يا من فى جمال سبحات وجهك ، وعظيم جلال سلطانك ، كل قلب وقع نظرك عليه حار ، وكل عبد له تجتبى ، وتصطفى وتختار ، فى تيه ساحات تسبى عقله فى انبهار" .

---

(١) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب الأول :" الورود لمن أراد الشهود " ، من ص ٣١ ـ٤٢ .

(٢) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب الثانى :" سلم الغاية لمن أراد الولاية " ، من ص٤٣ـ٥٢ .

"إلهى ... إن الحيرة منك وفيك تسطع بجمال جلال تجليك ؛ لذا فالحيرة هى قدس تُقدَّس بها كل من شئت له التقديس ، وعز من حضرتك ما بعده عز ، به الفتى فذ ، وهى حظيرة أنسك لكل أنيس ، كذا بها مصدر النواميس" .

"إلهى ... إن الحيرة فيك تَصَبُبٌ تحمل فى طيها ينابيع العرفان منك لنا ، ومصدر الهدى ، ولوامع السنا ، وجلب البركة من نظرتك ، وفيها خزائن الأرزاق ، ونزول الفرج من سماء حضرتك ، وفى قلب المتحير سكن عزتك".

"إلهى ... إن الحيرة منك وفيك تُطهر بها القلب ، الذى يهفو إلى تجليك ، فتفضَّل علىَّ بذلك القلب ، الذى تكمن فى وديانه القوة الإلهية من لدنك ، والتى تخيب رجاء الشيطان فى كل بقعة وميدان ، يا عظيم يا جليل يا ديان".

" إلهى ... هب لى اللهم الحيرة ، التى يسطع فيها الموجب من شمس حضرتك ، الحيرة التى هى حرب الشيطان ، وجنوده ، وجلب لجيوش الروح ، وتجديد عهوده ، بعساكر ملائكية تعسكر حول العقل السامى ، فيكون رزقه أذواقا ، وتوقدا ، وشوقا ، واشتياقا ، وسيل معانى إشراقا" .

"إلهى ... إن الحيرة السامية باب من أبواب عزتك الجبروتية ، باب من حضرتك العلية ، وتفجير كل جدول تنزيل ، وغدير فينا لأسماءك الأزلية ، فاجعلنا يا جواد ، يا كريم ، يا ودود ، يا عليم ، ممن وقع نظرك عليهم من خاصة عبادك ، وأصبتهم بالحيرة من رشاش نور ودادك ، ووداد رشادك ، تفضلاً منك لا وجوباً عليك ، وقد أوقفتهم بين يديك ، وارتضيت الحيرة أهلٌ لهم ، وهم أهلها ، حيرة تجلب لهم الهجرة الجوهرية للأولين والآخرين ، فى محيط خير البرية ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ حيرة تزج بهم فى مواطن لا يُزاحَمون فيها ، ولا يدركون بالأبصار ولا بالبصائر النبيهة".

"إلهى ... إن فى الحيرة فيك امتناناً لَدُّنيا منك ، جوهرياً عنك ، تمنح فى مكنونها ، ووهج آتونها سَمْعُ حضرتك ، وحضرة نبيك ، وبصيرة نظرتك المطلقة ، التى تحد ولا تُحَد ، بصيرة حبيبك الأعظم صفيك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" .

"إلهى ... إن فى الحيرة الفلك والمدار ، الذى تدور عليه الإشارة ، وهى المُشار ، يُشار إليها بالجمل لا بالتفاصيل ، فتجلب الأنس الصافى لمن اصطفيته خليل ، فطوقنى فيك بكل الحيرة ، وزدنى اللهم فيك تحيراً فى دار الدنيا ، وكذا الآخرة ، مع دوام فكاهات البسط والمسامرة ، وتدفق وابل المواهب الهامرة ".

" يا وهاب يا جواد يا كريم ...اجعلنى عبد المُنعِم لا عبد النعيم ، عبدك المحض يا منان ، لا عبد مننك الحسان ، يا ودود يا فتاح يا عليم " .

" وخالل ذرَّاتى ممتلئة بتجليك الذاتى ، بلا اتصال ولا انفصال لحضرتك آنية ، منك مباشرة مع ديمومة حسن المعاشرة ، لحضرة ذاتك واعية ، وبك لكل شيئ راعية . آمين آمين آمين!!! بحق طه يسن ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" .

"إلهى ... امنن علىَّ بفهم منك شافى ، وسير إليك صافى ، وتأجج اشتياق فيك ، تنطوى عليه لفائف أصدافى ، واجعلنى اللهم شبهاً محمدياً كاملا ، بل وكلنا بمجمعنا ، محمديون مبنى ومعنى ، دائرون فى رُحى فلك كتابك المصون ، وسنة نبيك عروس مملكتك ، الممدوح فى النون ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم "[1] .

من الحزب الرابع **: " الحمد لله الذى شرف أهل حضرته تشريفاً ربانياً إلهياً ، تشريفاً محمودياً محمدياً أحمدياً ، ونحمدك اللهم بجميع محامدك ، بكل ألسن الحمد على جميع نعمك الظاهرية والباطنية ، الذى شرفتنا بحبك ، والاشتياق إليك ، والوقوف بين يديك ، والوجد فيك ، والاصطلامة ، والهيام فى شهود مرائيك ، والتعمق فى سوح حضرة قدسك ، والتزمل بوابل أنسك:{ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[2].**

من الحزب الخامس **: " اجعلنى عبداً لك وحدك ، تحتاطه بودك ، إذا قام فبقيموميتك قائم ، وإذا نام كله فيك هائم ، ليس له فى الدنيا استقرار ، وإذا أشار ففى حضرتك القرار ، لا ينتهى فيك اضطراه ، وإليك دائم افتقاره ، اجعلنى اللهم عبداً لك خالله أنسك ، وعطاه قدسك ، موضع نظرك النجيب ، شَمْلٌ إذا كان غريب**

---

(١) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب الثالث :" الحصن الحصين لمن أراد مناجاة الصديقين " ، من ص٥٣ت ٧٢ .

(٢) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب الرابع :" مجامع الحمد والثناء فى مشاهد علياء" ، من ص ٧٣ ـ ٨٢ ، سورة الجاثية : ٣٦ ، ٣٧ .

، قوم إذا كان وحيد ، قرب وسناء إذا كان بعيد ، ولا بُعد أبداً ، ولا قرب أبداً ، لدوام شهود الشهيد"[١] .

من الحزب السادس : " إلهى ... هذا حال كل عبد فيك ولهان ، موله فى التيه حيران ، اللهم إن الحيرة فيك تهدى من تحير إلى جم الصواب فور الآن ، ولا يتحير المتحير إلا إذا قبل أن يكون مريداً ، فمراداً كان ، وقبل أن يكون طالباً ، فمطلوباً فى حضرة الإحسان ، وقبل أن يكون محباً ، فمحبواً من الديان "[٢].

من الحزب السابع : " اللهم كما لا نهاية لفضلك أبدا ، كذا لا نهاية لفقر المفتقرين إلى جنابك ، مهما أوتوا من ومن ومن ... يا ذا الجود ، والعطاء ، والمن : { رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ }[٣] ، ولا غنى لى عن فضلك أبدا . فاوقفنا اللهم بين يديك فقراء إليك على باب حضرتك ، وسق أنفسنا إلى علياء ذاتك سابحات فى فلك دائرة : { حَرِيصٌ عَلَيۡكُم }[٤] ، فى ذرى الأكم "[٥].

من الحزب الثامن :" يا من عز عن الكنه ، والوصف ، يا من خلق الأين، وتنزه عن الأينية ، وأوجد الكيف ، وتعالى عن الكيفية ، يا من يحول بين المرء ، وقلبه " .

" إلهى ... عبدك حائر ليس له سواك من أحد يأوى إليه ... كيف لا يتحير عبدك ، وهو بين اثنين ، بين تيار مد وجزر ، إما وإما ، بين جيوش الروح التى

---

(١) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب الخامس :" الاغتراف من معين رجال على الأعراف " ، من ص٨٣ ـ٩٨ .

(٢) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب السادس :" مكالمة الأطوار القلبية " ، من ص ٩٩ ـ ١١٠ .

(٣) القصص : ٢٤ .

(٤) التوبة : ١٢٨ .

(٥) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب السابع :" الشروق والغروب فى سبحات وجه الحق المحبوب " ، ص١١١ ـ ص ١٣٢ .

تروم جذبة إلى عليين ، وجنود النفس التى تروم الإنحدار به إلى أسفل سافلين"[١] .

من الحزب التاسع : " اللهم صل على الذات المحمدية الأحدية الفردانية ،

الحجاب الأعظم ، الحقيقة الكلية التى شمائلها الندية تنزيلية ، شارقات متجلية فى أجساد نورانية ، لطيفة شفافة جوهرية وذوات ملكية ملائكية أحمدية ، منبثقات من ذات روح حبيبك الأعظم خير البرية ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهن بجهاتنا الست محيطات كنزية ، المعقبات من بين أيدينا ، ومن خلفنا بالكلية ، الحافظات لنا من أمر حضرتك العلية ، وعلى آله العترة الندية ـ وسلم تسليما كثيرا ـ عد خلقك ، ومداد كلماتك ، وزنة عرشك ، ورضاء نفسك: { لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }"[٢].

" اللهم إن شمائل الغالى الشفيع ، أسرع فى إقبالها ، لمن استمطر نوالها من سرعة كل سريع، وأبرق من كل برق نصيع ، وأسنى من كل سنى لميع ، وأجمل من كل جمال صنيع ، فافننى فيها ، واصطفى قلبى طور تجليها ، المتسربل فى السماوات والأرضين رحمة للعالمين ينابيع ، بجمالها

وجلالها وكمالها البديع ، اللهم إن الشمائل الزكية الجوهرية المزمل بها خير البرية ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ السبب فى كل موجود ، هن الدوافع ، والروافع ، والشوافع ، وكل وازع، وازع الهمم ، بل ومصادر القمم ، وينبوع كل علم ، فاحطنا بها من جهاتنا الست ، فتكون مالكة أزمتنا ، سالكة بنا ربة أسرتنا ، على أوجز درب إلى حضرة قرب القرب "[٣].

من (لآلئ عربية) : ١ـ _حلتك والإكليل فى ذكر التهليل_[٤] :

---

(١) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب الثامن :" أنين الأواه فى داؤديات بلا تناهى " ، من ص١٣٣ ـ ص١٤٠ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، الحزب التاسع :" لآلئ الضراعة فى التوسل بشمائل صاحب الشفاعة" ،ص١٤١ ـ ١٥٧ .

(٤) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، ١٦٩ .

يذكر فيه قول إمامنا : " قل : لا إله إلا الله تلقيناً كما أمر ، لا نفى ولا إثبات ، فما يوجد آلهة حتى تنفيها أو تثبتها ، ولا تنفى ما لا وجود له أصلاً ، ولا تثبت ما هو غنى عن الإثبات ، وكما قيل على لسان السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها : وهل غاب حتى يستدل عليه ؟! .

وإن كان ولا بد من النفى ، فنفى آلهة وهمية ، تشخصت شخوصها فى أذهان الكفار والمشركين فألهوها ، بيد أنه لا وجود لها أصلا ، فنفيها هنا توحيد من باب : نفى النفى إثبات ، فننفى المعدوم ، وننفى اللاوجود له ؛ لكى يُفهم القصد ، وننفى الآلهة الحجرية المتمثلة فى مخيلة العقول المقتضئة ـ أى العقول السلبية المريضة ـ وننفى الحجب فى أوهام الصنف السالب من البشر ، وننفى أصنام الأغيار ، وأوثان السوى الموهوم فيمن لا عقل لهم ، وليس فيه موجب، ونفى النفى إثبات ، وإلا فلا آلهة لها حكم الوجود أصلاً لكى لها ننفى ، أو نثبت" .

وفى ذات السياق يقول السواد الأعظم : " ما هناك آلهة أصلاً ، ولها وجود كى أنفيها أو أثبتها، كما أشار شيخى إلى ، غير أنى أروم عرفان لآلئ (لا إله إلا الله) وأشهد

شموس التجلى فى كل لام ، حتى تلم حقيقتى فى آلائه ، وأشاهد به عنه ، وأدرك به عنه ، فإذا ما ثبتت حقيقتى فى معيته، ثبت قالبى ، أو ثبت بدنى على أرض المتابعة ، ويومها يكون المؤمن كالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن الله ".

٢ـ *لؤلؤة عربية فى مجلى* :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }[١] :

يتحدث هنا عن قول إمامنا ، فى معرض حضرة الآية : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }[٢] (قل) : تفصيل لمجمل آت ، (هو) : ذكر المقربين ، وهو ذكر السادة الأقطاب ، من جعلهم الله لحضرته أبواب .

و(الله) : اسم علم للذات ، للمقتدئين بجمع المثنى ، أى : صفوته ، ونخبته ، وخاصته أولئك الذين وقعت عليهم تجليات حضرة " لا إله إلا الله " ، وأشرقت عليهم شموس مجاليها ، ووقعت عليهم تجليات حضرة " محمد رسول الله " ، وسطعت عليهم مجاليها، فكانت قلوبهم بواديها ، فهم مجمع البحرين ، ولهم

---

(١) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، ص١٧٧

(٢) الإخلاص : ١ .

جامعية بالحضرتين ، فوقع لهم التجلى الذاتى ، وكذا التجلى الصفاتى، وأما (أحد) : فهو ذكر المحسنين ، ألا وهم المشاهدين ، السابحين فى أعماق محيط النبى الأمين ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهو ذكر سيدنا بلال بن رباح ـ رضى الله عنه ـ ومن على شاكلته يا صاح ، فرواء روح بلال ذكر الأحد المتعال .

وروى فى بساتين السيرة الغراء ، لجميل المحيا الوضاء ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أن المشركين ألهبوا ظهر سيدنا بلال بالسياط ، وطرحوه أرضاً فى صحراء مكة ، المتوقدة فى حر الظهيرة ، ووضعوا على صدره حجر ثقيل ، وهم يقولون له ـ لا يتوقفون عن ضربه بالسياط ـ قل : هبل ، واكفر بدين محمد ، فيقول : (أحدٌ أحدٌ)، فما أضرمهم غيظاً ، إلا ذكره (أحد) .

واعلم أن (الله) : اسم علم لذاته ، ولا يختلف فيه اثنان ، بيد أن الأحدية لها مظهر ، ألا ومظهرها هو الحضرة المحمدية يا أُخيَّا ، فإن قيل لك : هل فى الدار من أحد ؟ تقول: فلان ، فرسول الله أحد داره ، ومشرق أنواره ، ومظهر أسراره ، ومصب تجلياته ، ومهبط رحماته فافهم أ هـ " .

ويكتفى بهذا القدر من الحديث عن الأوراد ، والأذكارالفتوحية ، للعصبة الهاشمية نفعنا الله بها ، ووفقنا إلى تلاوتها حق تلاوتها حتى نتذوق حلاوتها.

الفصل الثانى

{دوره الاجتماعى ، ومسجده ، وساحته}

يتناول هذا الفصل الدور الاجتماعى ، والوطنى للإمام العربى ، وكذا دوره في إقامة مسجد ، وساحة الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ في مبحثين :

يستعرض المبحث الأول دور إمامنا الاجتماعى في الإصلاح بين الناس ، ومشاركته الشعبية ، وكذا دوره الوطنى ، ويعرج المبحث الثانى إلى عرض دور مسجد ، وساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ في إثراء التكافل ، والتفاعل المجتمعى ، وعلى النحو التالى

المبحث الأول

الدور الاجتماعى ، والوطنى

ينبع الدور الاجتماعى والوطنى لإمامنا العربى من باطن الشريعة الإسلامية الغراء ، فقد فرض الإسلام الزكاة على المسلمين ، التى تؤخذ من غنيهم ، وتُرَد على فقيرهم ، كما سَّنَ الإسلام الصدقة ، وأوجب نصرة المسلمين ، في بيان واضح لتحقيق الُّلحمة الواحدة فيما بينهم .

وفي رواية من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما : أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه سلم ـ فقال : يا رسول الله ! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله ؟ فقال : " أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل ، سرور تدخله على مسلم ، تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعا ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة ، أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد ، يعني مسجد المدينة شهرا"[١].

ويفيد الحديث أن من تعدى نفعه للغير ، هو من خير الناس ، وهو من أحبِّ الناس إلى الله ، وأعظمهم أجرا ، وأن الأصل في المسلم سعيه لنفع الآخرين ،

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) .

في كل شأن من شؤون دينهم ، ودنياهم، وأن النفع المتعدي ـ المشى مع أخ فى حاجته ـ أفضل من النفع القاصر ـ الإعتكاف فى المسجد النبوى الشريف ـ وأن تقديم النفع يكون لكل أحد ، أياً كان جنسه ، أو دينه ، فخير الناس أنفعهم للناس عامة، دون تخصيص .

ورَغَّبَ الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ المسلمين فى السعى فى قضاء حوائج الناس ، وبَيَّنَ فضل ذلك ، فقال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس ، حببهم إلى الخير ، وحبب الخير إليهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله يوم القيامة "(١).

ولئن كان هذا فى الناس عامة ، فمن باب أولى أن يكون بين المسلمين ، والمؤمنين فرابطة الدين هي أعظم وأقوى الروابط ، التى لا تنفك أبدا ، قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }(٢) ، ومن حقوق تلك الرابطة أن يشعر المسلم بارتباطه بإخوانه المسلمين ، فيتألم لآلامهم ، ويفرح لأفراحهم ، ويبذل ما يستطيع لتفريج كُرُباتهم .

وفى الحديث الشريف ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطُفهم وتراحمهم ؛ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ ، تَدَاعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى "(٣).

وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ تجسيداً حياً لرحمة الله ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، وبالمؤمنين رءوف رحيم ، فقال تعالى :{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ }(٤) ، وقال سبحانه : { لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ}(٥).

تجلت رحمة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ واهتمامه بأمر المسلمين حين أتاه قوم من مضر عليهم علامات الفقر ، وهُمْ حفاة الأقدام ، مُمَزَّقوا الثياب، ليس لديهم من حطام الدنيا شيء ؛ فتغيَّر وجهه ـ صلى الله

(١) فى المعجم الكبير للطبرانى ، وفى مسند الشهاب .

(٢) الحجرات / ١٠ .

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٦) ، وقال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ، البخارى (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

(٤) الأنبياء : ١٠٧ .

(٥) التوبة : ١٢٨ .

عليه وآله وصحبه وسلم ـ ، وجعل يدخل ويخرج مهمومًا حزينًا ، ثم صعد المنبر ، فحرض المؤمنين على الصدقة لكفاية هؤلاء الفقراء ، فقال: " تصدق رجل من درهمه ، من ديناره ، من صاع بُرِّه ، من صاع تمره ، ولو بشق تمرة" ، فجاء رجل بصُرَّةٍ تعجز عنها يده ، وتتابع الناس ، عندئذٍ تهلَّل وجهه الشريف ، وعاد إليه إشراقه وتبسُّمه[1] .

ولقد بلغ من اهتمامه بأمته ، وولايته بهم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أنه كان يتحمل الدَيْن عمن مات منهم ، حين وسَّع الله عليه ، فكان يقول : " أنا أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمَن مات وعليه دَين ؛ فعلينا قضاؤه ، ومَن تَرَكَ مالًا فلورثته "[2] .

وسار أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ على ذات النهج النبوى ، فكما قال الله : { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ }[3] ، قال سبحانه : { وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ }[4] ، ولمَّا هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ، وآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ـ اقترح الأنصار على النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أن يقسم نخلهم بينهم وبين المهاجرين ، وأن يشاطروهم أموالهم ، وأن يطلق الرجل من الأنصار إحدى زوجاته ليتزوجها أخيه المهاجر ، وحتى التوارث ، فكان إذا مات الأنصاري يرثه المهاجري ، وإذا مات المهاجري يرثه الأنصاري بالتآخي ، واستمر هذا فترة من الزمن حتى نُسخ ذلك بقوله تعالى : { وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ }[5] .

وبهذا ضرب الأنصار المثل الأعلى فى الإيثار ، والتكافل ، والتآلف ، والترابط بين المؤمنين ، لذا ؛ مدحهم الله بقرآن يتلى إلى يوم القيامة ، قال تعالى

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧)

(٢) رواه البخارى (٢٣٩٨) ، وفى تفسير القرطبى لقوله تعالى : { النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم } هذه الآية أزال الله تعالى بها أحكاما كانت فى صدر الإسلام ، منها : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان لا يصلى على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال : الحديث الوارد فى المتن .

(٣) الأحزاب : من الآية ٦ .

(٤) التوبة : من الآية ٧١

(٥) الأنفال : ٧٥ ، ويذكر أن الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قد آخى بين خمسة وأربعين من المهاجرين وبين خمسة وأربعين من الأنصار .

: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[١] .

وتابع السلف الصالح أداء دورهم الاجتماعى تجاه أمتهم ، وهكذا كان حال الرجال المؤمنين الصادقين مع إخوانهم على مر الزمان ، ويشهد التاريخ الإسلامى بما أبداه هؤلاء الرجال من اهتمام بالغ بأمر المسلمين ، ومدى تأثرهم بأحوالهم[٢].

كما لعب أشياخ التصوف دوراً بارزاً ـ على مر العصور ـ فى التفاعل مع مجتمعاتهم وتعايشوا مع جميع طبقات شعوبهم ، ونشروا قيم التسامح ، والصفح بين أهليهم ، حتى لوحظ أن المشاكل ، والجرائم تقل فى المجتمعات التى يكثر بها شيوخ التصوف ، فالشِّيَاخَة مسؤولية مجتمعية ، قبل أن تكون مزية .

ويتفجر من هذا المنطلق الدور الاجتماعى لإمامنا العربى ، فلم يألوا جهداً لخدمة مجتمعه ، بل ضرب المثل الأعلى ، والأرقى فى هذا المجال .

ورث إمامنا هموم قومه ، وواقع أمته ، وبيئته ، فاقتلع وجدانه من مواطن القرب ، وصيِّرها في أرض الوقت ، ليكون وجهُه في كلِّ زمن شاهدًا على الكمال المتروك .

فهو قبضة تنوَّرتْ من أثر جده الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ارتدَّتْ إلينا ، فتعلَّقتْ بذرَّاتها أرواحُنا ، وانتفعت ببركاتها حياتنا .

وقد تبلور الدور الاجتماعى لإمامنا العربى فى صور عدة ، ومظاهر شتى ، تعرب عن مشاعر الرحمة ، والتراحم ، والتوادد ، والتكافل بين أبناء الأمة ، التي أثمرت عن حقن دماء المسلمين ، والإصلاح بين الناس ، فضلاً عن دوره في خدمة المجتمع ، ومعايشته والسعى في تنميته .

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) على سبيل المثال : نقل عبد الغافر الفارسي في ترجمة شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني -رحمه الله- في ذكر سبب وفاته، أنه دُفع إليه كتاب ورد من بخارى ، يشتمل على ذكر وباء عظيم وَقَع بها، واستدعى فيه أغنياء المسلمين بالدعاء على رءوس الملأ ، في كشف ذلك البلاء عنهم، واشتد الأمر على عامَّة الناس . فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، وأثَّر فيه، وتغير في الحال، وغلبه وجع البطن من ساعته، وأنزل من المنبر، وبقي أسبوعًا لم يسكن ألمه، ولم ينفعه علاج، حتى توفي رحمه الله ، ولمزيد من التفصيل ، انظر : موقع على الشبكة العنكبوتية الدولية (النت) باسم " رابطة العلماء السوريين" ، رابطة خطباء الشام ، مقال بعنوان :" من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" ، منشور فى الخميس ١٨ ذو الحجة ١٤٣٩ - ٣٠ أغسطس ٢٠١٨ .

ويتناول هذا المبحث دور إمامنا في حقن دماء المسلمين ، والإصلاح بين الناس ، ونبذة عن بعض المظاهر الأخرى لمشاركته الشعبية في مطلب أول ، ثم نتبعه بدوره الوطنى في مطلب ثانى ، وذلك على النحو التالى :

المطلب الأول
الإصلاح بين الناس ، والمشاركة الشعبية

شاء الله أن يقطن إمامنا العربى أقصى صعيد مصر ، وأعتى البلاد دموية ، وأبشعها صراعاً قبلياً ـ فنهض بهِمَّته العالية ، وحكمته البالغة ؛ لأداء دوره نحو مجتمعه .

لم تمنعه الخلوة أن يسود في الجلوة ، ولم يقنعه الصلاح عن قيادة الإصلاح ، فتفاعل مع أبناء مجتمعه ، معتمداً على صدق نيته ، وما مَنَّ الله به عليه من خير ، ولما لا ؟ وهو من عباد الله الذين اختصهم بقضاء حوائج الناس ، حببهم إلى الخير ، وحبب الخير إليهم.

يقول السواد الأعظم : " جاد الزمان ، ورقت الأجواء بالوفاء ، والصفاء ، وشيخنا العربى فعل الله المطلق ، من خلوته ما خرج ، وربط سيناء بأسوان ، جعلهما ساحة واحدة، فكم من قائم في حمى نائم"(١) .

رمق إمامنا العربى ، تلك الحَمِيَّة القبلية ، المتوغلة فى صدور أهل الصعيد ، فهو بها خبير ، وبمخاطرها عليم ، ويملك بيده مفاتيح أبوابها ، فقاد من داخل خلوته جولات ، وصولات في الإصلاح بين الناس ، وإنهاء الخصومات ، وتسوية المنازعات فى أعتى مواطن الصراعات القبلية ، والثأرية فى صعيد مصر .

شرع إمامنا فى أداء رسالته ، والتصدى لتلك الصراعات ، وإنهاء الخصومات ، ووقف سلسال الدم ، وقطع سلاسل البغضاء ، والحزن ، والخوف ، التى خضعت لها رقاب أهل تلك البلاد ، وأدخلتهم نفق الثأر المظلم ، الذى ساقهم إلى مصيرهم المحتوم .

---

(١) من حديث للسواد الأعظم عن شيخه إمامنا العربى جاء فيه أيضاً : " شيخى بدأ بالنهايات ، أحيا الموالد الميتة فى كل مكان ، الوقت وقته أبو قميص ، خمسة وعشرون سنة على دكة من غير مسند ، وقال : وكأنه ربى لوحدى أنا قاعدله كده أها ، أى ساحة فيها عيش فيها محمد العربى ، شيخنا ما أكل الصدقة ولا أكلها لى ، وما بنى البيت من الروشتات ولا أكلها ، كنت آخذها لبيوت بهوات وبشاوات دار عليها الزمان ، يقول لى : لِمَّها من تحت دكتى ، بالعشرة آلاف ، أشيلها ، وأمشى ، يقول لى : متخليش حد يشوفك ؛ حفظاً لماء وجوههم ، وقال لى : خليهم يقولوا على الروشتات ، أنا بنفذ قول الله لنبيه { خذ من أموالهم صدقة } .

وساعدته رحابة صدره ، وإقباله على الجميع بلا تمييز ، وإحاطته بأحوال قومه ، مع رأفته ، ورحمته ، وحرصه عليهم ـ فارتضوه ، ولم يجدوا فى أنفسهم حرجاً من قضائه فيهم ، وسلموا تسليما .

فى أواخر السبعينات من القرن العشرين ، وفى الصعيد الأعلى من جنوب مصر ، وعلى وجه التحديد فى قرى ونجوع " السمطا ، وحمرادوم ، وأبو حزام ، والسَلَمية ، والشَعَّانية ، وهِوْ " ، وغيرها من قرى مركزى دشنا ، ونجع حمادى بمحافظة قنا .

كان الناس يعيشون فوق صفيح ساخن ، وأتون مشتعل بنار الثأر ، لا يأمن منْ غدا منهم ، أو راح ، سواء في وضح النهار ، أو الليل الديجور ، فحروب الثأر دامية بينهم لم تنقطع منذ نصف قرن من الزمان ، أو يزيد ، وأتت على الأخضر ، واليابس فى هذه البلاد.

ألهاهم السعى وراء الثأر عن السعى للقمة العيش ، أو تربية الأبناء ، وتعليمهم ، وحدا بالأم التى يقتل عائلها ، أو أحد أقاربها إلى بيع تلك البقرة الحلوب ، التي تعيش الأسرة على ألبانها ، وأجبانها ، ولا تملك من حطام الدنيا سواها ، حدا بها إلى أن تبيعها كى تشترى بثمنها سلاحاً ، تقلده صغيرها ، وتحرضه على أخذ الثأر من القاتل ، وترضعه فى المهد لبناً ممزوجاً بالكآبة ، والغل ، والكراهية .

فيشب الصغير على هذا اللبن ، وقد غذَّاه غلاً ، وتصميماً على أخذ الثأر ، والقتل ، فـ" الرضاع يؤثر فى الطباع "(١)، وقال الشاعر :

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفتيان مِنَّا * على ما كان عَوَّدَهُ أبوه

---

(١) دار هذا الحديث فى حوار بين إمامنا العربى ، وربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم ، الذى ترجع أصوله إلى قرية السمطا ، وقد نقلته عنه ، ويذكر أن إمامنا قبل أن يوضح له المقصود من قوله "البيت الكبير والكنز" ، سأله : فهمت ما هو البيت الكبير ؟ ما هو ؟ اخبرنى ؟ ما الكنز الذى إليه العودة ، وما هو البيت الكبير ؟ قال : الكنز والبيت الكبير أبناء الهادى البشير ، والسراج المنير ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .فأردف إمامنا العربى قائلاً : حسناً أصبت . نعم أهل بيت النبوة ، هم البيت الكبير ، وهم أهل الكنز ، وهم الدوحات الكنزية ، وهم العروش الذاتية ، كما جاء فى المتن .، وبعدها أفصح إمامنا عن لقبه " الجالى والمحك للرجال " ، وقد أوردناه عند عرض أسم إمامنا وكنيته وألقابه ، في مستهل الفصل الأول من الباب الأول من هذا المؤلف .

وما دانَ الفتى بِحِجىً ولكِن * يُعَلِّمُهُ التَدَيُّنَ أقربوه[1]

سادت ظاهرة الثأر فيهم ، وتوارثها الأبناء والأحفاد ، جيلاً بعد جيل ، وأصبحت لغة القتل ، والدم على ألسن الرجال ، والنساء ، بل الأطفال ، حتى باتت جرحاً غائراً لا يندمل وشرخاً متجدداً في جدار الأسرة ، والوطن ، ولا مناص من التصدى لها .

عزم إمامنا على هذا التصدى ؛ أخذاً بقوله تعالى : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[2] .

كيف لا ، وهو ابن الإمام السبط أبو محمد الحسن ـ عليه السلام ـ الذى نعته جده بالسيد ، ومدَحَه بالإصلاح بين الناس ، فقال : " إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين "[3]، وها هو إمامنا كذلك ، فالعرق للفرع نازع .

---

(١) أبو العلاء المعرى ، ودان الحجى : الحجى : العقول ، والمقصود ساس عقله وقاده للطريق الصحيح . والمقصود من الأبيات : أن الرجل بما علمه أبوه والأقربون منه يتخلق بأخلاقهم .

(٢) الحجرات : ٩ ، ١٠ . جاء فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما } ، فسماهم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخارى وغيره على أنه لايخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وقوله : { فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيئ إلى أمر الله } أى : حتى ترجع إلى أمر الله ، وتسمع للحق ونطيعه . وقوله : { فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين } أى : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض ، بالقسط وهو العدل ، { إن الله يحب المقسطين } قال ابن حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ، حدثنا عبد الأعلى ، عن معمر عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " إن المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدى الرحمن ، بما أقسطوا فى الدنيا " ، وقوله : { إنما المؤمنون إخوة } أى : الجميع إخوة فى الدين ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " . وقوله : { فأصلحوا بين أخويكم } يعنى : الفئتين المقتتلتين ، {واتقوا الله } أى : فى جميع أموركم . { لعلكم ترحمون } أى : وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه.

(٣) ثبت فى صحيح البخارى من حديث الحسن ، عن أبى بكرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطب يوماً ومعه على المنبر الحسن بن على ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : " إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " فكان كما قال ـ صلوات الله وسلامه

فالمؤمن يألم بما يألم به المؤمنون ، وعن سهل بن سعد الساعدى ، عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : " إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان ، كما يألم الجسد لما فى الرأس "[١] .

تألَّم إمامنا ، وهَمَّه حال قومه من أمة جده الرءوف الرحيم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فيأتيه نداء الحق ـ بداخل خلوته ـ من أعلى عليين : أخرج أحمد أبو الحسن أى : أئذن له بالخروج فى هذه المهمة ، للإصلاح بين الناس ، وحقن دماء الأمة .

وأُعجِمَ الأمر على البعض ، كيف يهتم إمامنا بهذه البلاد ، وهؤلاء القتلة ، ويحبهم هذا الحب ، ويصبر عليهم ، ولا يضيق بهم ذرعاً ؟ أليس من الأولى أن يحظى الأحباب وصالح العباد بذلك ؟

يوضح إمامنا الأمر ، فيقول : " هذا هو الوجه المعتم من الإناء الذى على السطح ، ومخبوء تحته وجه آخر مضيئ ، ورسالتنا أن ننفض الغبار الذى على السطح ، فيتبخر ، ويتوارى الوجه المعتم ، ويظهر الوجه المضيئ .

هذه البلاد ظاهرها القسوة ، والشراسة ، لكن معادن أهلها أصيلة ، وجوهرها نقى ، وأبناؤها إما أشراف من عضا الزهرة النقية ، بضعة خير البرية ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وإما أحفاد صحابة ، قبائل عربية أصيلة دخل أجدادهم مصر إبان الفتح العربى ، والموجات التى توالت بعدئذ" .

ويردف إمامنا قائلاً : رسالتى أن أعيدهم إلى الكنز ، وأعيد مَنْ على الشاكلة إلى حضرة " كنت كنزاً مخفياً " ، هكذا أمرتنى الحضرة ، أن أعيدهم إلى البيت الكبير ، أن أعيد الفرع إلى أصله ، وأن أعيد الجدول إلى بحره ، فيرشح معين الجوهر ، على الصدف فيبرق ، والبيت الكبير، هو بيت النبوة، وأهل الكنزً هم أهل البيت ، هم الدوحات الكنزية ، والعروش الذاتية ، لذا نحبهم ، ونصبر عليهم" .

يسكت إمامنا هنيهة ، ثم يقول : " والفتن القبلية ، كالتى بين العرب ، والهوارة ـ أحدثها المستعمر ، أتراك ، ومماليك ، وغيرهم ـ منذ زمن غابر ـ

عليه ـ ، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق ، بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة ، ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى ، به ، وهذ إسناده جيد قوى ، رجاله على شرط الصحيح .

(١) رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

تطبيقاً لخبث سياسة "فرق تسد" ، وثمة تجار سلاح تنتفخ جيوبهم بالأموال ، ويثرون ثراء فاحشاً من زرع تلك الفتن ، واستمرارها بين القبائل.

ويضيف إمامنا : "دخلت هذه البلاد ـ السمطا ـ وأعرفها جيداً اسماً اسماً ، ولعبت العصا فى سياحتى مع متولى السمطى فى مولد سيدى عبد الرحيم القنائى ، وكان صاحبى، وهذه البلدة غالبها أشراف من أبناء الزهرة" .

ويستدرك : قلت للشيخ أحمد أبو الحسن : " يا أحمد لففت هذه البلاد ـ السمطا ، ومجاوراتها، وكل القرى الملتهبة ـ فى لفافة ، وأودعتها فى أحشائك ، فاحملها حمل الأم لجنينها فى أحشائها ، وهذه أمانة فصنها ، وما يلزم فافعله" .

يقص السواد الأعظم : " شرفنى الله ـ جل وعلا ـ ببركة خير الورى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ذات مرة كنت فى رحاب شيخى السيد محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه ـ بالكلح ، فقال لى : " يا أحمد اعلم أن صلاة الجمعة لا تصح فى بلاد " السمطا ، والمجاورات ، و أبو حزام ، وحمرا دوم ، والسَلَمية ، والشعَّانية ، وأبو عزوز، ونجوع العرب ، وهوارة ، وغيرها " .

يا أحمد : نريد أن نصحح الجمعة فى تلك البلاد ، لأنه من شروط صحة الجمعة الأمن، فإن لم يتوفر الأمن ، فالجمعة باطلة ، ولا صلاة لملتفت قط ، يذهب الرجل إلى المسجد فى تلك البلاد ليصلى الجمعة ، ويتلفت متخوفاً يميناً ويساراً ؛ خشية أن يكون خصمه مترصداً له ، أو رابطاً له بين زراعات القصب ، بالله عليك أى صلاة تلك ؟ لا صلاة له ، فلا صلاة لملتفت قط .

يا أحمد : نريد أن نؤمن تلك البلاد ، ونصلح ذات البين فيها ، حتى تصح الصلاة فى مساجدها ، وأريد منك يا شيخ أحمد أن تشد الرحال إلى تلك البلاد ، داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا" .

يقول السواد الأعظم : فى بادئ أمرى تهيبت ، وثَقُلَ علىَّ هذا الذى كلفنى به ، وقلت فى نفسى أنا لست أهلاً ، وتلك البلاد صعبة المراس ، فإذا بسيدنا الإمام العربى يرد على خاطرى قائلاً : " يا أحمد ، قل : { وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا}[1] .

---

(١) الإسراء : ٨٠ .

يا أحمد : انطلِق ، يفتح الله عليك ، وابدأ بالسمطا ، واقم فيها ما شاء الله ، واصلح ذات البين فيها ، وانطلق منها ، قد أَذِنَ الله ورسوله لنا ، واذِنّا لك ، والمأذون مأمون .

شِدْ الرحال ، يؤيدك الله ، ورسوله ، ويشيّدك صفوة الرجال ، ويؤيدك ملائكة الله ، وجمع أهل بدر ، ويؤيدك راكب الجمل الأحمر ، ولا تلتفت إلى الورا ، بل التفت إلى شمائل خير الورى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكن منى ببرق الحجاز ، الذى عنه الإيجاز ، توكل على الله وربنا ينصرك!" .

يستكمل السواد الأعظم الأحداث : ركبت السيارة ، وحينما وصلت إلى الشارع الرئيسى أمام قرية السمطا قبلى ، رأيت جملاً أحمر ، يعتلى سنامه رجل يشع نوراً من ظهره ، يرتدى قميصاً، وإذ به يلتفت إلىَّ ، فرأيته شيخى مولانا الإمام العربى ـ رضى الله عنه ـ فلوَّح لىَ بيده جهة السمطا ، وقال لى تارة أخرى : { وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا } وقد جعل الجاعل يفتح الله عليك !، هيا بورك فيك!"[1] .

حزم السواد الأعظم أمره ، وشَدَّ رحاله بِمَرَّةٍ ، وهَمَّ فى تنفيذ ما كلَّفه به شيخه ، وصحب معه خاصة أحبابه ، ومريديه ، يشد بهم أزره ، ويشركهم فى أمره[2].

ويتابع قائلاً : " كلفنى الإمام العربى بقضاء حوائج الناس ، والإصلاح بينهم ، وإن كلفنى هذا عمرى ، وأنا أصلح بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، مستمداً العون من إيمانى بالله ـ عز وجل ـ وحبى لرسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يحب أمته ، مستعيناً بالله ورسوله ، ومهيمناً بصدق سلطان حاله ، ومحبة الناس فيه ، والنصيب الوافر فى قوله تعالى : {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي }[3] .

---

(١) سمعته من ربيب إمامنا وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المنعم ، نقلاً عن السواد الأعظم مولانا العارف بالله تعالى الحاج احمد أبو الحسن .

(٢) يذكر أن إمامنا العربى قال : أن من يصحب الشيخ أحمد أبو الحسن فى هذه البلاد يكتب له أجر غزوة فى سبيل الله مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

(٣) طه : ٣٩ ، وقد جاء حديث السواد الأعظم الوارد فى المتن ، فى معرض أقواله بتحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، فى واقعة القلعة ، مرجع سابق .

ولم يألو السواد الأعظم فى سبيل الإصلاح بين الناس جهداً ، أو وقتاً ، أو مالاً ، فبذل الغالى والنفيس ، لإصلاح ذات البين ، وطال مكثه فى نجوع السمطا ، ومجاوراتها أكثر من سنتين ، يصول ويجول ، بلا كلل ، ولا ملل ، حتى أنه مكث فى إحدى جولاته للإصلاح فيها ستة أشهر متواصلة ، بعيداً عن أهله ، وبلده ؛ إذ أن حقن دماء المسلمين ، ورضاء الله ورسوله ، والوفاء بعهد شيخه ـ عنده ـ أولى مما سواهم[1].

فكم أصلح بين المتقاتلين ، وأَلَّفَ بين قلوبهم ! . فأصبحوا - ببركته – إخوانا . وكم أحيا ضمائر ماتت ، وقلوباً قسيت ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ! . فلمَّا سطعت عليها شمس الهداية ، فتقت العناية رتقها ، فاهتزت ، وربت ، وكم أطلق أرواحاً بعد أسرها ، فأدخلها على الله ورسوله! .

وكم فكك أغلال الضغائن بينهم ، ومَزَّق عقود الكراهية من جيدهم ، وصيرهم فى فرح وسرور من بعد طول أحزان ! .

وكم من مساجد خربت ، ومُنِعَ أن يذكر فيها اسمه ، أصبحت عامرة ، تقام فيها الصلوات ، ويجتمع فيها المسلمين للجمعة ، والجماعة ! .

وكم مدارس مغلقة ، فتحت أبوابها ، وأشرقت بشمس العلم ، وطلابه ، وأزالت ظلام الجهل ! .

وكم أسواق مهجورة خالية ، امتلأت بالسلع والتجار ، وعاد إلفهم إلى الأسواق ، بيعاً وشراء!.

وبفضل الله ، وعنايته ـ تحقق مراد إمامنا العربى ، وصارت هذه البلاد آمنة مطمئنة يتباهى أهلها بنعمة الأمن ، وذلك كله ببركته ، وصدق غايته ، فجزاه الله عن أمة الإسلام خير الجزاء.

---

(١) يحضرنى - هنا - واقعة حدثت وكان الشيخ فى إحدى جولاته للإصلاح بين أهالى قرية السمطا من أعمال مركز دشنا ، وبين قبائل العرب والهوارة بقرى مركز نجع حمادى بمحافظة قنا ، فى أقصى صعيد مصر ، وقد طال بالشيخ المقام ، واستغرقته الأحداث ، والمصالحات بين الناس ، من بيت إلى بيت ، ومن قرية إلى أخرى ، وتجاوزت إقامته فى هذه الجولة - وحدها - مدة ستة أشهر متوالية ، فالخصومات متوارثة بين أهالى هذه القرى سنوات وسنوات ، وتشعبت بين القبائل ، بل والعاقلات . وتصادف أن رُزِقَ الشيخ بمولود - خلال تلك الفترة - وبُشِرَ فلم يعبأ به ، واستمر فى الإصلاح بين المسلمين ، وفى خضم انشغاله بمجالس الصلح فى تلك القرى ، مرض وليده مرضاً شديداً ، حتى لقى ربه رضيعاً ، كل هذا ولم يقطع الشيخ جولته فى الإصلاح بين المسلمين ، ولم ير ابنه الذى وُلِدَ ومات بعيداً عن ناظره ، فوقع أجره على الله .

ولم يكتف إمامنا العربى بذلك ، بل أوصى السواد الأعظم على أهل السمطا ، قائلاً له: " أريدك يا شيخ أحمد تضع السمطا وسط عيونك ، ووسط حشاك ، وتعتبرها جنين فى بطنك ، وضناك ، تتوجع بوجعها ، ولا تغضب منهم ، هيا يا خيى ، أغلبهم أشراف من ذرية سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ نجبر بخاطرهم من أجل خاطر جدهم ، فيجبر الله بخواطرنا.

ما عَكَمَ السواد الأعظم عن تنفيذ وصية شيخه ، وما وهن حتى قضى نحبه ، وفى آخر زيارة له إلى السمطا ، أوصاهم بقوله : " يا أهل السمطا لعلى لا أراكم بعد عامى هذا ، ولقد جئتكم بأبناء شيخى ؛ كى لاينقطع العهد الذى بينكم وبينه ، وهو يحبكم ، ولقد قال لى: يا أحمد افتح فمك ووضع لى السمطا فى بطنى، حتى إذا عجوز نادت علىَّ : يا أبو الحسن ! فإن مصارين بطنى تتحرك .

حافظوا على العهد ، واعلموا أنى لا أنحاز إلى أحد دون أحد ، فقد قال لى شيخى : يا أحمد إن ذهبت عند ناس فلان بثوب أبيض ، لا تبدله إن ذهبت عند ناس علان ، حتى لايقولوا لبس ثوب أسود هنا ، ولبس ثوب أبيض هناك ، ولكنى أقف مع أضعفكم ، ومع أصدقكم ، فلا تقطعوا العهد بينكم وبين شيخكم "[1].

وبعد انتقال السواد الأعظم ، لم يفرط أبناء إمامنا فى وصية أبيهم ، مستكملين مسيرة السواد الأعظم فى وداد ، وموالاة أهل السمطا ، وزيارتهم ، ومشاركتهم في أفراحهم ، وأحزانهم[2].

فها هو السيد / أحمد العفيفى نجل إمامنا الأكبر ـ لم يزل وفياً بعهد أبيه ، حافظاً لوصيته ، مستكملاً لمسيرة شيخه السواد الأعظم ، يوالى أهل تلك البلاد بزياراته المتكررة، ومشاركته مناسباتهم ، والاهتمام بشئونهم ، وهو ذات المسلك الذى كان ينهجه أخوه السيد / على البدرى ـ رحمه الله ـ و يسير على خطاه حتى اليوم ، أخوه السيد / أحمد البدوى ، فهى ذرية بعضها من بعض .

---

(١) سمعته من شيخى ... السواد الأعظم فى آخر زيارة له لقرية السمطا ، وكنت أحد مرافقيه رضى الله عنه وأرضاه ، وجزاه عن الأمة خيرا .

(٢) ويشار إلى أن أهل السمطا قاموا مؤخراً بتشييد مقام للسيد / على البدرى ابن إمامنا تعبيراً عن حبهم ، وإعراباً عن فضله ، وتخليدا لذكراه ، ولعل بهذا المقام تتحقق إشارة إمامنا العربى حين قال فى منتصف عام ١٩٧٥م :" ستشرق فى ربوع بلدة السمطا – ذات يوم – شمس ساطعة لن تغيب أبدا .

خدمة أهل بلده ، ومشاركته الشعبية :لم يقتصر دور إمامنا الاجتماعى على إصلاح ذات البين ، وحقن دماء المسلمين ـ على النحو المتقدم بيانه ـ بل تعداه إلى خدمة أهل بلده ، ومشاركته الشعبية ، وفيما يلى نبذة يسيرة عن هذا الجانب الاجتماعى في حياة إمامنا :

سخَّرَ إمامنا العربى ما حباه الله به من مهنة الطب لخدمة أبناء مجتمعه ؛ إشفاقاً عليهم ورحمة بمرضاهم .

يقول إمامنا :"أوتيت فضلاً من الله وببركة رسول الله علم ٣٦٥ مهنة ، أقلها الطب".

ويروى أن أحد العارفين[١] رأى حضرة النبى يلقنه علماً يُقرأ ، ويُكتَب من الشمال إلى اليمين ، ثم أمره أن يلقنه إلى إمامنا العربى ، حتى لا يحتاج إلى أحد ، فأخذ يلقنه هذا العلم، وهو علم الطب .

ذاع صيته ، واشتهرت كرامته فى علاج الحالات المستعصية ، فوَفَدَ إليه كل منْ يئس الأطباء من علاجه ، يكتب له إمامنا تذكرة بالدواء (روشتة) ، يصرفها من الصيدلية ، ويعافى بإذن الله .

وكان يقول :"تسعين فى المائة من العلاج ذو طابع نفسى ، والباقى من تأثير الأدوية".

وقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة صحة مقولة إمامنا ، فالحالة النفسية ، والمعنوية المرتفعة هى العامل الفعال فى تقوية الجهاز المناعى للإنسان ، والذى بدوره يقاوم المرض ويسرع من شفاء المريض .

ولمَّا ثار الجدل فى أوساط الحاقدين عن أخذه مقابل مادى رمزى من بعض المترددين عليه ـ أوضح السواد الأعظم الأمر بأن إمامنا كان منفذاً لقوله تعالى:{

---

(١) يشير البعض أنصاحب الرؤية هو العارف بالله الحاج أحمد رضوان ، ويروى أنه كان يجلس فى حلقة علم مع أحبابه ، وفجأة نهض قائما لبرهة ثم جلس ، فسأله ابنه الشيخ محمد أحمد رضوان : يا والدى أراك قد نهضت فجأة ما الذى حصل ؟ قال له : يا ولدى رأيت سيد الوجود رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وقد قال لى أن ابنى محمد العربى أستاذ الطب فى العالم فقمت متأدباً لذلك. وقد أوضحنا من قبل أن إمامنا العربى مكث في صحبته بالساحة الرضوانية فترة طويلة ، انظر : " زياراته في البدايات" ، الفصل الثانى من الباب الأول من هذا المؤلف . وإن كنت أرجح أن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقن إمامنا مباشرة علم الطب دون واسطة ، إلا أن صفة هضم الذات دعت إمامنا إلى أن ينسب ذلك التلقين إلى العارف بالله الحاج أحمد رضوان ، تواضعاً لله ، وهضماً لنفسه .

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[(١)] .

وفى الحديث الشريف ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "داووا مرضاكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وأعدوا للبلاء الدعاء"[(٢)] .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر أراد إمامنا أن ينشغل الناس بأمر الروشتات ، ويتفرغ السواد الأعظم لنشر الدعوة في التعريف بفضل ، ومناقب آل البيت ، والسادة الصحابة على الوجه الصحيح ، بعدما توارى العلماء ، بل والأولياء عن ذكر مناقبهم ؛ مخافة الوقوع في مظنة التشيع .

وفى سياق متصل ، ينوه السواد الأعظم إلى أن إمامنا العربى ما أكل من أموال الروشتات ، باعتبارها من الصدقات ، ولا أكَلَها لأبنائه ، أو أحبابه ، وما بنى منها بيته ، أو مسجده ، أو ساحته[(٣)].

لِمَ لا ، فقد جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد "[(٤)].

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعمل الأرقم الزهرى على السعاية ، فاستتبع أبا رافع مولى رسول الله ، فأتى

---

(١) التوبة : ١٠٣ . جاء فى تفسير القرطبى : { خذ من أموالهم صدقة } مطلق غير مقيد بشرط فى المأخوذ والمأخوذ منه ، ولا تبيين مقدار المأخوذ ولا المأخوذ منه ، وإنما بيان ذلك فى السنة والإجماع ، وفى تفسير البغوى لهذه الآية : { تطهرهم } من ذنوبهم ، { وتزكيهم بها } أى : ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين ، وقيل تنمى أموالهم .

(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، وغيرهما .

(٣) أذكر ـ ذات مرة ـ حملنى إمامنا العربى لفافة كبيرة مغطاة بورق الجرائد ، ومربوطة بإحكام بدوبارة ، وأمرنى بان ألقى بها فى وسط نهر النيل ، ففعلت ، وما كنت أعلم ما بداخلها ، فلما رجعت إلى الساحة لقينى مولانا الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه ، وسألنى عن الأمر ، فذكرت له أمر اللفافة ، فسألنى هل تعلم ما بداخلها ؟ فقلت له : لا . فقال : هى أوراق مالية كبيرة من حصيلة علاج المرضى ، ولأنها من قبيل الصدقات ، وأوساخ الناس ، حرَّمها إمامنا على نفسه ، وعلى أولاده ، وأحبابه ، وزواره ، وتخلَّصَ منها بالكيفية التى فعلت .

(٤) اخرجه مسلم برقم ٢٥٣٠ ، ٢٥٣١ ، وأبو داود ٢٩٨٥ ، والنسائى ٢٦٠٩ ، واحمد ١٧٩٨١ ، ١٧٩٨٣ ، عن عبد المطلب بن ربيعة ـ رضى الله عنه

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :" يا أبا رافع ، إن الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد ، وإن مولى القوم من انفسهم "[١].

ويستطرد السواد الأعظم حديثه عن تلك الأموال ، فيقول أن إمامنا كان يكلفه بجمعها وتوصيلها إلى بيوت ـ بهوات وبشاوات ـ دارعليها الزمان ، وينبه أن يتخفى حتى لا يراه أحد ؛ حفظاً لماء وجوههم .

ومن مظاهر المشاركة الشعبية لإمامنا العربى ـ أيضاً ـ اهتمامه الزائد بما يهتم به أهل الصعيد من سيَّر شعبية ، ومنها سيرة أبو زيد الهلالى ، التى قدمتها الإذاعة المصرية ـ آنذاك ـ لما توقظه في النشْ من روح البطولة والفداء ، وتثير في نفوسهم حميَّة الحق ، ومحاربة الباطل[٢] .

حرص إمامنا على تسجيل حلقات السيرة كاملة على شرائط كاسيت ، كما حرص على سماعها ، وحث أحبابه على متابعتها ، وطالما تحادث مع السواد الأعظم فى مجرياتها ، وفصول بطولاتها ، وإبراز دور الأم "خضرة الشريفة" فى تربية ابنها أبو زيد ، حتى نشأ بطلاً هصورا .

وناشد إمامنا العربى زعماء القبائل ـ ممن يوفدون إليه ـ لتوجيه خطابات شكر للشاعر المبدع عبد الرحمن الأبنودى ، مؤلف السيرة الهلالية ، وقام بجمعها ، وأرسالها إليه ؛ تشجيعاً له ، وشحذاً لهمته في إنتاج مثل هذه الأعمال الفنية ، والسير الأدبية الراقية ، التي تبث في أبناء المجتمع قيم الشجاعة ، والشهامة ، والمروءة ، والوقوف بجانب العدل والحق ، ومحاربة الظلم والباطل[٣] .

وفى ذات السياق ، كان إمامنا كثيراً ما يتحدث عن سيرة " حميدو " فتوة الأنفوشى ، بمحافظة الأسكندرية ، ويثنى عليه ، وعلى ما ينطوى فيه من أخلاق حميدة ، في نصرة الضعفاء المظلومين ، والثأر ممن ظلمهم .

---

(١) أخرجه أبو داود ، حديث رقم ١٦٥٠ ، وأحمد فى المسند ، ٢٤٥٩٢ ، ٢٤٦٠١ ، ٢٧٩٤٤ .

(٢) أرجح من جانبي أن اهتمام إمامنا بالسيرة الهلالية كان له غرض آخر بجوار الغرض الوارد بالمتن ، وهو أن هذه السيرة تمثل سيرة إمامنا ذاته ، وغزواته التي قام بها على يد السواد الأعظم لحقن الدماء في بلاد السمطا ومجاوراتها سالفة الذكر ، في ملمح إلى أن السواد الأعظم ، مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن هو أبو زيد الهلالى أو الأسمر سمارة في هذا العصر .

(٣) مما شرفنى به إمامنا أن سلمنى كرتونة كبيرة مليئة بكراسات ، وخطابات الشكر هذه ، وأمرنى بالسفر بها إلى القاهرة لتسليمها إلى الشاعر عبد الرحمن الأبنودى بنفسى ، وتم بفضل الله ذلك .

وأخبر إمامنا أنه ألتقى مع " حميدو " ، ويقول : " كان حميدو الفارس فتوة الأنفوشى وبحرى من أصحابى "[١] .

ومما يذكر أن سبب تسميته " حميدو الفارس " أن صراعاً دائماً كان بين منطقة رأس التين ، وبين منطقة السيالة على زعامة حى "بحرى" ، وكان هناك مهرجان سنوى كبير بين أهل المنطقتين فى التجديف بالقوارب يحضره عدد كبير جداً من سكان "بحرى" ، والفائز يلقب ب "زعيم بحرى" .

وكانت العادة أن يمثل رأس التين رجل يدعى " طلبة " بينما يمثل السيالة رجل يدعى"دجيش"، وفى أحد السباقات كان "دجيش" مريض فاستعان أهل السيالة ب "حميدو" كى يمثلهم فى السباق ، وتصادف فى ذلك اليوم وجود الخديو عباس حلمى الثانى يشاهد السباق ، وكان الحماس شديداً جداً ، وفى النهاية فاز "حميدو" بالسباق ، وأعجب الخديوى به ، فألقى له على الأرض بعض الريالات الفضية ، فاعتبرها "حميدو" إهانة ، ورفض أن يلتقطها من الأرض .

غضب الخديو ، وقام باستدعاء "حميدو" إلى قصر التين ، وطلب منه أن ينازل خامه وكان رجل من الأفارقة صاحب بنيان قوى جداً .

وافق "حميدو" ، وقال للخديو : ربنا كبير يا أفندينا ، وفى ثوانى وجه ضربة رأس قوية إلى خصمه ، فسقط على الأرض مغشياً عليه ، وأعجب الخديوى بقوة "حميدو" ، وأطلق عليه لقب "فارس" ، ومن يومها أصبح اسمه "حميدو الفارس" بفرمان خديوى .

وسمعت من إمامنا أن "حميدو الفارس" كان إذ دُعِىَ لمنازلة أحد الفتوات يتوجه أولاً إلى مقام سيدى أبو العباس المرسى ، ويناجيه قائلاً : أنا فتوتك ، فاسترنى ، ولا تخزنى فتشمت بى الأعداء"، ثم يذهب بعد ذلك إلى خصمه ، فيصرعه .

ويذكر إمامنا بأن "حميدو الفارس" كان ولياً من الصالحين لمعتقده الراسخ فى أهل الله ، وسيدى المرسى أبو العباس ، ويقينه بأن أولياء الله لهم مايشاءون عند ربهم ، واعتماده على الله وليس على قوة بنيانه ، كما أنه كان كثير البكاء ، والندم ، والإنابة إلى الله .

وتمثل هذه اللمسات صوراً راقية لأوجه المشاركة الشعبية ، وخدمة المجتمع لإمامنا العربى ، في إبراز النماذج المشرقة فى السِّير الشعبية ؛ تحفيزا

---

(١) سمعته مشافهة من إمامنا العربى ، من داخل خلوته ، مادحاً أخلاق الفتوة ، والشهامة في "حميدو" ، وعقيدته الراسخة في أهل الله ، وسيدى المرسى أبو العباس ، كما سيأتى ذكره .

لأبناء مجتمعه على الاقتداء باصحاب تلك السيَّر من جهة ، ومن جهة أخرى ؛ تشجيعاً للأدباء والشعراء لتقديم هذا النوع من الفن الشعبى الهادف ، الذى يسمو بأخلاق المجتمع ، ويثير فيهم نوازع الفتوة والنبل ، والوقوف بجانب الحق ، مهما كلفهم من تضحيات .

ولم يغب عن إمامنا ـ كذلك ـ مشاركة أهل بلدته فى رياضة التحطيب هوايتهم ، التى سادت بينهم ، وبرعوا فيها ، فانبرى يباريهم فيها ، وظهر عليهم ، فأُعجِبوا بجسارته وقوته ، وانبهروا من حرفيته رغم حداثة سنه .

وعن مهارة إمامنا فى التحطيب وفروسيته ، يروى الشيخ / جابر عبد المنعم حديث دار بينه ، وبين إمامنا العربى ، فيقول :" ذات مرة فى غضون عام ١٩٧٣م ، نادى علىَّ إمامنا العربى : يا جابر قلت نعم سيدى . فقال لى : فى مستهل الستينات ، كنت فى ميدان السيد عبد الرحيم القناوى ، الأسد ، أثناء الاحتفال بمولده ، فتباريت فى حلبة التحطيب مع رجل من أعمام العصا الكبار اسمه متولى السمطى ، وهو من جانب أم أبيه ينتمي إلى بيت النجار من ذرية النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكان علماً مفرداً فى هذه اللعبة فكان يطوح عصاه فى الهواء بارتفاع قصبتين ، كأنه يكتب كتوبة ، حتى منحه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر جائزة رياضة التحطيب على مستوى القطر المصرى ، ومن قبله منحه الملك فاروق جائزة مثلها" .

ويستطرد إمامنا : "وكنت آنذاك صغيراً فى السن جداً ، فنزلت ألعب أمامه فى حلبة التحطيب ، إلا أنى استغرقت فى ربى هنيهة ، فجاب فىَّ باب ـ أى : تمكن من أن يصيبنى بعصاه ـ فدخلت إلى مقصورة سيدى عبد الرحيم القنائى وأنا غاضب ، وعاتبته بشدة قائلاً: أنا ضيفك ، ومتولى السمطى يعلِّم علىَّ ، ويجيب فىَّ باب ، هل هذا يرضيك ؟

فخرج لى السيد عبد الرحيم القنائى من مقصورته ، وفى يده شومة (عصا كبيرة قوية من خشب الشُّوم) ، وقال لى : أنا لا يرضينى هذا ، خذ هذه الشومة وخذ حقك ، وسيعيد الله لك اعتبارك ببركة جدك ، هيا تبارى معه فى حلبة العصا فى رحبة ميداننا مرة أخرى ، وخرج مع السيد عبد الرحيم من المقصورة السيد أحمد البدوى ، وفى يده كوب كبير من العصير ، فأعطانيه ، وقال لى : هيا اشرب هذا يا فارسنا الأول، فرجعت إلى الحلبة ونازلت متولى السمطا مرة أخرى ، ولفة ، واثنين ، وثلاثة ، جبت فيه باب ، وعلَّمت عليه ، أي: أصبته .

ثم ضحك إمامنا طويلاً ، وأردف قائلاً : ورغم هذا يا جابر كان متولى السمطى صاحبى جداً جداً جداً ، ثم استغرق تارة أخرى فى ضحكه"[١] .

ويكتفى بهذه النبذة اليسيرة تدليلاً على مشاركة إمامنا أهل الصعيد ـ الذى يعيش بينهم ـ اهتمامهم بالسير الشعبية البطولية .

المطلب الثانى
الدور الوطنى لإمامنا العربى

ارتدى بعض المتصوفة خرقة الزهد ، واعتزلوا الخلق ؛ تقرباً للخالق ، وجهاداً للنفس، وترقية للروح ، وعزفوا عن الدنيا وملذاتها ؛ تجنباً لفتنتها ، أوالانشغال بها ، مما حداهم إلى الترفع عن الخوض فى معترك السياسة .

إلا أن شيوخ التصوف الحق ـ ومنذ نشأته ـ كانوا متفاعلين مع مجتمعاتهم ، فاعلين فى أداء دورهم نحو وطنهم ، فعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " منْ أصبح وهمه الدنيا فليس من الله فى شيئ ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا"[٢] .

وبرز تأثير هؤلاء الشيوخ فى الحياة العامة ، لاسيما مع انتماء أعداد كبيرة من المجتمع إلى الطرق الصوفية ، الأمر الذى فرض نفسه على التنظيمات السياسية فى دولهم .

هَبَّ الصوفية للدفاع عن أوطانهم ، ومقاومة الفساد الاجتماعى ، فالعبد المؤمن سيفٌ فى يد القدرة ، تقذف به على الباطل فيدمغه[٣] .

---

(١) سمعته مشافهة من الشيخ جابر عبد المنعم ربيب إمامنا وخديم ساحته . ويشار إلى أن إمامنا كان يمسك عصاه فى حلبة التحطيب ، وهو مستغرق فى ربه ، ثم يطوح بها فى الهواء كاتباً " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، فيصيب خصمه ، ويغلبه، أياً كانت مهارته .

(٢) أخرجه الطبرانى فى " المعجم الأوسط " (١/٣٩) .

(٣) جدير بالذكر هنا أن للصوفية تاريخ عريق فى الجهاد ضد العدو ، والنضال ضد المستعمر، مثل ما فعل سيدى «أحمد البدوي» (تنسب إليه الطريقة البدوية)، أثناء الحملة الصليبية على مصر، ووقوفه ضد ظلم المماليك، وهناك مقولة في التراث الشعبي المصري «الله الله يا بدوي جاب اليسرى» أي أن البدوي جلاب الأسرى، تدل على دوره هذا. كما تذكر كتب «الأحمدية البدوية» دوره في تحرير الأسرى، والمساهمة في معارك المصريين ضد الصليبيين قرب مدينة المنصورة، وأسر «لويس التاسع» ملك فرنسا في ذلك الوقت، وتجهيزه للجنود للقتال ضد الصليبيين، إضافة إلى أن الصوفيين الذين يتبعون «السيد

يدعو أحدهم[1]: " واقذف بى على الباطل بأنواعه ، فى جميع بقاعه ، فأدمغه بالحق، على الوجه الأحق "

وعندما شعر المستعمر بخطر الصوفية فى أفريقيا ، قيل[2]: " إن خصمنا هو الشيخ ، أو الدرويش صاحب النفوذ فى أفريقيا أكثر مما هو فى فارس".

وها هو أحدهم[3] ، يدافع عن وطنه ، الذى تبذل فيه المهج ، رغم الجهاد الذى كان يبذله فى الدعوة إلى الله ؛ إذ ترك مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان ـ رضى الله عنه ، أولاده ، وذهب إلى بورسعيد ، ومكث ثلاثة أشهر للمشاركة فى حرب عام ١٩٥٦م ضد العدوان الثلاثى على مصر؛ ليكون فى صفوف جيش بلاده ، وكان يتفقد الجنود ، ويحفزهم ، ويذكِّرهم بالله ، وبما كان عليه سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكان يحمل إليهم الطعام ، كما كان دائم الدعاء لبلاده أن يحفظها الله من كيد الكائدين ، وكان يدعو ـ رضوان الله عليه ـ : " اللهم لاتميتنى حتى أرى يوماً فى إسرائيل !" .

وبعدما سمع بهزيمة جيش بلاده فى حرب الخامس من يونيو١٩٦٧م ، قال :" إلهى غضبت عليهم ، ولم تقبل رجائى فيهم ، فخذنى إليك ، وارحمهم " ، وعلى إثر ذلك فاضت روحه الطاهرة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ فى الحادى عشر من شهر يونيو ١٩٦٧م .

ولم يفت إمامنا العربى اهتمامه بالشأن العام لوطنه ، والتعايش مع الأحداث الجارية ، التى تشغل أهله ، و دعمه التآخي الوطني ، والسلام الاجتماعي.

البدوي» حينها؛ أظهروا بطولة نادرة بالمنصورة وغيرها من المدن .وفي ليبيا برزت مواقف كلٍ من الشيخ «عمر المختار» و«محمد إدريس السنوسي» ضد الاحتلال الإيطالي في ليبيا، ومن ساروا على دربهما في كثير من البلدان الإسلامية.أما في الجزائر فبرز الأمير «عبدالقادر ابن محيي» وهو زعيم الطريقة القادرية، في التصدي للاستعمار الفرنسي، إلى جانب الطريقتين «الرحمانية السنوسية، والدرقاوية الطيبية»، لمزيد من التفصيل انظر : نورا بنداري ، الدور السياسي للصوفيّة.. طبيعته وتقييمه ومستقبله ـ دراسات وأبحاث استشراف حول الإسلام الحركى ، منشور على موقع "المرجع" الشبكة العنكبوتية العالمية للمعلومات ، فى ٢٠١٨/١٢/٢١ م .

(١) سيدى أبى المواهب الشاذلى، نقلاً عن : حسن الشافعى ، مقال بعنوان "دور التصوف فى الجهاد" ، موسوعة التصوف الإسلامى ، ص ٣٩٠ .

(٢) الندوى أبو الحسن : ربانية لارهبانية ، دار الشروق بمصر ، ط٢ ، بدون تاريخ ، ص١١٨ .

(٣) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان ، مقال بعنوان :" الصوفية والوطن ـ ٢" ، نقلاً عن بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " فضيلة العلامة العارف بالله الشيخ أحمد رضوان رضى الله عنه" ، منشور فى ٢٠١٩/٩/٢٨م ، بعد التوثق من صحة المنقول فى المتن ..

مَثَّلَ إمامنا العربى نموذجاً وطنياً ، وثورياً فريداً ، فمنذ نعومة أظفاره ، وهو مهموم بشئون وطنه ، وقد أشرنا من قبل ، كيف كان يردد ـ قبيل خروجه فى سياحته ـ عبارة : "سقط العرش ، سقط العرش" ، مستشرفاً قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م ، ولم يَعِ سامعوه معنى عبارته ، إلا بعد سقوط عرش الملك فاروق ، إثر تلك الثورة المجيدة(١) .

وظل إمامنا العربى قائماً على أمن وطنه ، حريصاً على استقراره ، محافظاً على قادته ولم تثنيه المحنة التى تعرض لها ، وحبسه سياسياً دون وجه حق ـ كما سنرى(٢) ـ عن دعمه ، ورعايته لمصر ، وتأييد رؤسائها .

وقد تجلى دورإمامنا الوطنى فى صورتين أساسيتين ، الصورة الأولى فى منافحته الجماعات الإرهابية ، وخوارج هذا العصر من جانب ، والشيعة المتطرفة المقيتة من جانب آخر، بينما تجلت الصورة الثانية ، فى محافظته على استقرار وطنه ، وقوميته العربية ، على النحو التالى :

١ـ دوره فى مكافحة الجماعات الإرهابية ، والشيعة المتطرفة(٣)

---

(١) تجدر الإشارة ـ هنا ـ إلى ما سره إلىَّ إمامنا العربى ـ ذات يوم ، وبصفتى ضابطاً ـ من أنه شارك فى ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢م ، ويُعَد أحد رجالها ، وأنهم لو رأوه لعرفوه جيداً إلا أنه يخفى نفسه عنهم ، وإنى على يقين وأشهد بصدق ذلك ، فلا غرو أن يكون إمامنا له دور ما فى ثورة يوليو المجيدة ، وذلك من واقع ما لمسته فيه ـ ويشهد به الجميع ـ من فتوة وبطولة ثورية فى جميع تصرفاته ، وصدق مع الله ، وجبلة دأبت على هضم نفسه ، تمنعه من التباهى ببطولاته ، أو محاولة التقرب والتودد لرجال الثورة بعد حكمهم للبلاد ، ويؤيد ذلك أيضاً واقع الحال فعقب مقولته الواردة فى المتن بسقوط العرش ، خرج إمامنا من بلدته وتغيب عن أسرته ، وهو فتى يافع ، وفى عمرى ثورى بطبيعته ، وعاصر ذلك قيام الثورة ، وقيل فى ذات السياق إن روح إمامنا العربى شهدت غزوة بدر الكبرى ، وحرب عام ١٩٤٨م ، ولاجناح فى ذلك أيضاً ، فالأرواح قديمة طليقة ، إنما الأشباح حادثة ، وعقيدتى التسليم بكل ذلك ، دون فرض على غيرى، راجع ما ورد ذكره فى مبحث "النشأة والسياحة والخلوة والأسرة " ، الفصل الثانى من الباب الأول من هذا المؤلف .

(٢) انظر ما سسأتى ذكره في مبحث " كراماته ومحنته " في الفصل الثانى من الباب الرابع من هذا المؤلف .

(٣) أبتليت مصر بتلك الجماعات الإرهابية وبدعها ، ووحشيتها فى سبعينيات القرن العشرين ، وقد ولدت جميعها ـ باختلاف مسمياتها ـ من رحم أفكار محمد بن عبد الوهاب ، التى تبناها مدعى السلفية ، وجماعة الإخوان المسلمين ، كما أطلت على مصر ـ فى توقيت معاصر ـ حملات التشيع البغيض ، ودعوات التقريب بين المذاهب (بين المذهب السنى وبين المذهب الشيعى) .

تقلد إمامنا العربى ـ وهو بداخل خلوته ـ سيف الإضاءة ؛ للتصدى للجماعات التكفيرية، ومقاومة الشيعة المتطرفة ، وما يمثلانه من تهديد خطير لأمن واستقرار مصر ، وترويع أبنائه .

بعد أن اتخذت الجماعات الإرهابية ما يطلق عليه " الإرهاب الدينى " ؛ وصولاً لسدة الحكم ، وحملوا السلاح ، وشرعوا فى مقاتلة الحُكام المسلمين ـ بزعم عدم إقامتهم للدين ـ وأباحوا دماءهم، وروَّعوا الآمنين ، وماج الناس فى الفتنة ، وأصبحت الدماء الذكية رخيصة ، وكثر الهرج والمرج فى الأمة ، وعاث خوارج هذا الزمان فى الأرض فسادا ؛ تهافتاً على السلطة ، وطلباً لعرضها الزائل، لولا تداركها الله برحمته .

وفات هؤلاء أن ذلك يخرجهم من زمرة المسلمين ، فقد ورد عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ : " مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا "(١). وعن أَبى هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ "(٢).

كما ضَلَّت هذه الجماعات الشاردة عن مقصود الإسلام فى المحافظة على النفس ، بوصفها أهم المصالح الكلية الخمس : الدين ، والنفس ، والنسل ، والعرض ، والمال ، والتى حرص النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على صونها ، بل وسد الذرائع المؤدية إلى تعريضها للخطر ، فنهى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مجرد التهديد بها ، فعَنْ جَابِرٍ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ نَهَى أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً(٣)، وعن عَبْدِ اللَّهِ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِىَّ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قَالَ : " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ "(٤) .

كما حث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على طاعة أولى الأمر ، حتى لاتكون فتنة ، ويحدث الهرج، ويتقاتل المسلمون ، فعَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ عَنِ النَّبِىِّ

---

(١) صحيح البخارى ، الديات ، حديث رقم ٦٨٧٤ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

(٢) صحيح مسلم ، البر والصلة والأدب ، حديث رقم ٦٨٣٢ ، نقلاً عن:موسوعة الحديث الشريف ،مرجع سابق.

(٣) سنن أبى داوود ، الجهاد ،حديث رقم ٢٥٩٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف .

(٤) صحيح البخارى ، الإيمان ، حديث رقم ٤٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ : " اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ "[١].

وقد لاقت مصر الويلات من هذه الجماعات الإرهابية ، وكادت الفتنة تحرق الأخضر واليابس ، بعد أن أباحوا دماء ، وأموال أهل الذمة ، وأفتوا بإهدارها ، وعزموا على قتل كل من يقف فى مواجهتهم ، فراحوا يقتلون رجال الدولة من الشرطة ، والجيش ، وغيرهم بلا جريرة ، كما جعلوا رؤساء مصر غرضاً لهم[٢].

انتفض إمامنا العربى ـ من داخل خلوته ـ منافحاً عن مصر ، فمصر ـ عنده ـ ليست مجرد وطن يقيم فيه ، بل هي ـ أيضاً ـ موطن إيمانى ، ذكرها الله كثيراً فى قرآنه ، منها قوله تعالى : { ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ }[٣]، ومدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جندها ، فعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً ، فذلك الجند خير أجناد الأرض ، فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ولِمَ يا رسول الله ؟ قال : " لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة "[٤] .

وأوصى النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بأهلها خيرا ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رضى الله عنه ـ قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا

---

(١) صحيح البخارى ، الأذان ، حديث رقم ٦٩٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

(٢) يذكر أن الزعيم جمال عبد الناصر تعرض لمحاولة اغتيال من تدبير جماعة الأخوان المسلمين حال إلقائه خطاب فى المنشية بالأسكندرية ، كما فشلت محاولة جماعة منهم فى اغتيال الرئيس محمد حسنى مبارك أثناء مشاركته فى مؤتمر القمة الأفريقية المنعقد بأثيوبيا ، وتمكنت الفئة الباغية من اغتيال الزعيم الراحل محمد أنور السادات ، بعد أن قاد حرب العاشر من رمضان ، السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣م ، وعَبَرَ بمصر من الهزيمة إلى النصر، ورسَّخَ بحكمته دعائم السلام ، وأعاد لمصر مكانتها الدولية .

(٣) يوسف : ٩٩ ، وقد ذكرت مصر فى القرآن بكلمة " مصر " خمس مرات : الآية المذكورة فى المتن ، وفى الآية : ٢١ من سورة يوسف أيضاً ، وفى الآية :٦٠ من سورة البقرة ـ حسب قول بعض المفسرين ، والآية : ٨٧ من سورة يونس ، والآية : ٥١ من سورة الزخرف، كما ذكرت بشكل غير مباشر فى عشرات المواضع والآيات القرآنية .

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا ". أَوْ قَالَ " ذِمَّةً وَصِهْرًا فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِى مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا "[1].

هذا فضلاً عن اختيار أهل البيت مصر مأوى لإقامتهم ـ بعد محنة كربلاء ـ ولم تزل مصر عش الصالحين ، وكنانة الله فى أرضه .

وما برح إمامنا العربى ـ منذ مطلع سبعينات القرن الماضى ـ يعرى ذلك التنظيم الموبوء الذى أسسه حسن البنا الساعاتى ، وأطلق عليه كذباً وبهتاناً اسم " الأخوان المسلمون "، والإسلام منهم براء .

وأخذ إمامنا ـ بما آتاه الله من علم ، وبصيرة ثاقبة ـ فى كشف ضلالاتهم ، وفضح نواياهم ، وخلع عنهم ثوب الدين الذى يستترون فيه ، وبه يتجرون.

ومافَتَرَ إمامنا من تحذير أبناء وطنه ـ حكاماً ومحكومين ـ من خطر تلك الجماعة الضالة المضلة، وسوء مكرهم ، وها هو ينادى : " يا إخوتى وأخواتى ، يا أبناء أرض الكنانة ، يا كل مصر ، يا أبناء وطننا مصر ، يا حكام مصر ، يا محكومين ، يا وزارة الداخلية ، يا مسئولين عن هذا البلد ، احذروا هؤلاء الذين يزعمون أنهم إخوان مسلمون ، وديننا منهم براء ، هم لا إخوان ولا مسلمين ، ولا دين لهم" .

ويشير إمامنا إلى مصدر تمويلهم ، فيقول :" وتمويل هذه الدعوة الضالة المضلة ، تمويلها من جيوب مليارديرات الصهاينة فى إسرائيل ، اعلموا هذا جيداً يا حكومة مصر ، وحكامها على التوالى، فهؤلاء الغوغاء المأجورون ، اعلموا أن تمويلهم من جيوب صهاينة اليهود ، ومن جيوب اللوبى الصهيونى فى امريكا ".

ومافتئ إمامنا يحذر قائلاً :"احذروا حركة حسن البنا الساعاتى ، هذا الأفعى يهودى الهوية ، ويهودى الجذور ، يا داخلية مصر كونوا عيون مصر وانتبهوا ، هؤلاء لا دين لهم ، إنما أعينهم على مقعد السلطة ، وخبيثة ، نواياهم الوثوب على كرسى الحكم ، والجلوس عليه ، والتخلص من خيار أبناء مصر وشرفائها ، ومن كل وطنييها ، وكل منْ يجدوا فى قلبه ، وعقله الغيرة على مصر ، وحبها كوطن له ، فحذارى منهم وألف حذارى، فهؤلاء لو وصلوا إلى سدة الحكم ، التى أعين أتباع حسن البنا ، وحسن الهضيبى ، وسيد قطب عليها ، واللهى يفعلون

---

(١) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، حديث رقم ٦٦٥٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

بمصر الأفاعيل ، يحرقون مصر ، ويذلون أعزة أهلها ، أقولها مراراً وتكراراً ، ولن أكف من تحذيركم ، حتى ولو بح صوتى"

ويتمثل إمامنا مخاطر تلك الجماعات الضالة ، وأهدافهم ، فيقول :" هؤلاء أعينهم على سدة الحكم فى مصر ، وحكم العالم ، ومخادعتكم فى ثوب استعادة الخلافة التى يدعونها ، بل هم خلفاء الشيطان، وهم شرار الناس فى زماننا هذا ، وهم خوارج عصرنا ، هم إياهم متمثلين فيمن يزعمون ـ زوراً وبهتاناً ـ بأنهم إخوان مسلمون ، وهم إخوان الشياطين ، وأصحاب الفكر الوهابى ، الوهابية ، أصحاب المساجد الضرار الذين يزعمون أنهم أنصار السنة ، ودين سيد الوجود الذى بعثه الله ـ جل وعلا ـ به برئ منهم ، فحذارى منهم وألف ألف حذارى ، ولو فرض جدلاً ، وقدر الله تعالى ، وحكموا مصر ، سترون كلامى هذا عيانا فى قابل الأيام ، وتقولون صدق محمد العربى[1].

فخذوا بالكم يا خياتى يا حكام مصر ، ومحكوميها ، يا داخلية مصر ، يا جيش مصر ، يا خير أجناد الأرض . وربنا يحفظ مصر من هؤلاء الثعابين ، والأفاعى ، خوارج زماننا { فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }[2]".

وفى موضع آخر ، يقول إمامنا العربى : " إن منْ يدعون أنفسهم بتنظيم الإخوان المسلمين ، والإسلام منهم براء ، هذا التنظيم الدولى ، والذى نفقه تمويله من جيوب مليارديرات اللوبى الصهيونى فى أمريكا ، وأوربا ، وأينما عشعشوا فى أركان بقاع العالم، ولكن مصر محمية الله ـ جل وعلا ـ ببركة سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مصر المحروسة فى عين الله ، رغم أنف ثعالب بنى صهيون ، ورغم أنف إخوان الشياطين ورغم أنف ألف ألف حسن البنا ، ومنْ على شاكلته ، ورغم أنف ألف ألف حسن الهضيبى وألف ألف سيد قطب ، ورغم أنف ألف ألف الخيبة الراكبة أى داعى فيهم يدعى استرداد

---

(١) صدقت ـ إمامنا ـ حقاً وصدقاً ، في كل ما ذكرته وحذرت منه ، فقد قدر الله ـ بعد ما يقرب من نصف قرن من حديثك في مطلع السبعينات ـ أن استولى تنظيم " الإخوان المسلمين " على حكم مصر عقب أحداث يناير ٢٠١١م ، وكشف عن أهدافه الخبيثة ، ومخادعته المصريين ، وادعائه استعادة الخلافة الإسلامية بعد تمكنه من حكم مصر ، وشرع في التخلص من خيار أبناء مصر وشرفائها ، إلا أن الله لم يمهل ذلك التنظيم سوى عام واحد ، حتى سقط في أيدى المصريين ، وثار الشعب المصرى على قياداته ، وأزاحوهم عن سدة الحكم ، وحفظ الله مصر من شرورهم ، ببركة دعاء إمامنا العربى ، وحبه لمصر ، فجزى الله إمامنا العربى عنا وعن مصر ، وأهله خير الجزاء .

(٢) يوسف : ٦٤ .

الخلافة ، رغم أنف كل الحاقدين على الحبيبة مصر ، هؤلاء الحمقى أحلاف الشياطين ، وأخوته ، واشقائه ، ومواليد أرحامه الضالة المضلة" .

ويطمئن إمامنا أهل مصر قائلاً :" مصر المحروسة ، محمية "كنت يده ، وكنت سمعه، وكنت بصره" ، وكل كنتيات حضرته ـ جل وعلا ـ وحفظ الله أرض مصر الكنانة ، وعين الله ناظرة إليها ببركة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ، وأهل بيته ، وببركة أصحابه"[1] .

وعَلّ الكنتيات التى ساقها إمامنا العربى فى حديثه الآنف ـ يشير إلى ذاته ، وفى الحديث القدسى، عن أبى هريرة ـ رضى اله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن الله قال : " من عادى لى ولياً فقد آذنته بحرب منى ، وما تقرب لى عبدى بشيئ أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، وقدمه التى يمشى بها ، وإذا سألنى لأعطينه ، وإذا استغفرنى لأغفرن له ، وإذا استعاذنى أعذته"[2].

كما اثنى إمامنا ـ فى مطلع سبعينات القرن العشرين ـ على أمير الشعراء أحمد شوقى مستحسناً أقصوصته الشعرية الرمزية التي قال فيها :

برز الثعلب يوماً * فى شعار الواعظينا
فمشى فى الأرض يهذى * ويسب الماكرينا
ويقول : الحمد لله * إله العالمينا
ياعباد الله توبوا * فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير إن ال * عيش عيش الزاهدينا
واطلبوا الديك يؤذن * لصلاة الصبح فينا
إلى أن قال :
إنـهم قالوا وخير ال * قول قول العارفينا :
مخطئ من ظن يوماً * أن للثعلب دينا

---

(١) حديث إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ـ سمعه مشافهة عنه : ربيبه ، وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، حديث رقم (٦٥٠٢) ، وقد روى الحديث الإمام البخارى ، وأحمد بن حنبل ، والبيهقى .

إذ غدت هذه الأقصوصة لاسيما بيتها الأخير مثلاً يجرى مع الأمثال ، يضرب للمحتل ، والمحتال معاً ، وقد أسقط إمامنا رمز هذه الأقصوصة الشعرية على الضال المضل حسن البنا الساعاتى ، وجماعته الماكرة .

وما فتئ إمامنا العربى يحث أحبابه من أبناء العصبة الهاشمية على الولاء لمصر، وفدائها ، ومحاربة كل من أراد بأهلها سوءاً ، فحب مصر ـ عنده ـ من الإيمان ـ كما ذكرنا آنفا .

راعى السواد الأعظم كلام شيخه عن حب مصر ، ووعى رسالته البيّنة فى حبها ، والتصدى لأعدائها ، فلا بد له من محاربة هذه الجماعات ، التى ابتلى الله بها بلاد المسلمين، تقتل أبناءهم ، وتقيض أركان دولتهم ، فأخذ بزمام الأمر ، وما عكم عن مناصبتهم العداء بكل ما أوتى من قوة .

قاد السواد الأعظم كتيبة فداء مصر ضد تلك الجماعات ، فراح يشاهرهم العداء أينما ثُقِفُوا ، أو ذُكِروا ، يقارع بالحجة حججهم ، ويفضح بالدليل معتقداتهم ، وكانت كلماته عليهم أشد من ضرب الرقاب بالسيوف ، وطعن الأجواف بالرماح .

وذهب السواد الأعظم إلى حد إبطال صلاة منْ ائتم بهم ، وقال أن النظر فى وجوههم معصية ، وأن فى قتلهم أجر ، وتقرب إلى الله تعالى ، مستشهداً بقول أحد شيوخ الأزهر الشريف ، حينما سئل ما رأيك فى "الوهَّابية؟ . فقال : غير شاك فى كفرهم ، فقيل له ، وما الدليل . قال : "يكرهون تعظيم النبى ، ومن يحقر النبى يكفر"(١).

وقد درجت هذه الجماعات على التطاول على قدر النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وحقوقه على الأمة ، وكرهوا تعظيمه ، وتوقيره ، فلا يسودوه ، ويحرمون الاستشفاع به ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

---

(١) رد الشيخ المغربى عن سؤال الشيخ الدجوى وكلاهما من مشايخ الأزهر الشريف ، تأسيساً على قوله تعالى فى سورة الفتح : { لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } ، حيث جاء فى تفسير القرطبى للآية : وَتُعَزِّرُوهُ أي تعظموه وتفخموه ، قاله الحسن والكلبي ، والتعزيز : التعظيم والتوقير. وقال قتادة : تنصروه وتمنعوا منه ، وقال بعض أهل اللغة : تطيعوه وَتُوَقِّرُوهُ أي تسودوه ، قال السدي والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية ، وهو أمر واجب على جميع المسلمين ، بأن يسودوه فيدعوه بلفظ السيادة (سيدنا محمد) ، أو بالرسالة والنبوة .

لم يدع السواد الأعظم مجلساً إلا وجهر بتطرف تلك الجماعات ، وخروجها عن الملة وإجماع الأمة ، كما جابه مخططاتهم الإرهابية ، وفضح حقيقة أفكارهم المضللة ، وعَنَيهم بأمر الرسول الكريم بقتلهم ، فعن الإمام عَلِىّ ـ كرم الله وجهه ـ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَقُولُ : " سَيَخْرُجُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(١).

وظل السواد الأعظم فى عراكه معهم ، يُسَفِّه آرائهم ، ويكابد أذاهم ؛ منتصراً للحق ، ومؤدياً واجبه تجاه وطنه ، حتى قضى نحبه ، وهو موفى بعهد شيخه .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر حارب إمامنا العربى الشيعة المتطرفة ؛ باعتبارها الخطر الداهم، والتهديد المحدق على أمن مصر ، وسلامها الاجتماعى ، والأولى بالمجابهة(٢).

وبإيجاز ، يمكن تأصيل نشأة الشيعة فى الأمة الإسلامية فى هؤلاء النفر من بنى هاشم، والصحابة ، الذين مالوا إلى الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وتمنَّوا تقديمه فى ترتيب الولاية بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ثم تجاوز الميل إلى الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ إلى تفضيله وتقديمه فى الترتيب بين الخلفاء الراشدين ، وتطور الأمر بعد ذلك إلى الاعتقاد أن إمامة الإمام على بن أبى طالب ، والأئمة من بنيه إنما وردت بالنص الإلهى ، والتعيين ، والوصية التى بلَّغَها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأمة كما بلغ أصول الدين ، من باب قوله تعالى { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ}(٣) .

(١) صحيح مسلم ، الزكاة ، حديث رقم ٢٥١١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

(٢) الشيعة لغة : الفرقة والجماعة ، والأتباع والأنصار ، وفرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حب الإمام على وآله ، وأحقيتهم بالإمامة . واصطلاحاً : اشتهرت كلمة الشيعة للدلالة على الفرقة ، أو الفرق لذين يتولون ويشايعون الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) ، وآل بيته ، حتى صار مصطلح الشيعة اسماً خاصاً بهم ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٥٧ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قاس الشيعة الإمامة بالنبوة ، فجعلوها كالنبوة اصطفاء إلهياً، لا اختيارا بشرياً ، وجعلوا للإمام العصمة التى للأنبياء ، ثم تطرفوا فقالوا بعلو مكانة الإمامة على مكانة النبوة ، لأن النبوة – عندهم – " لُطف خاص" ، أى انتهى دورها ، بينما الإمامة " لُطف إلهى عام " ، لأنها مستمرة بأداء رسالة النبوة ، بعد انتهاء طور النبوات[1] .

ويُعَد موقف إمامنا العربى المناوئ للشيعة المتطرفة من أقوى مواقفه السياسية ، وأشدها حدة ، لاسيما بعد أن أطلت أعناق فى الأزهرالشريف تدعو إلى التقريب بين مذهب أهل السنة ، وبين مذهب الشيعة ، وهو ما يلزم أن يحتاط منه الساسة ، ويستشرفوا خطورته على استقرار أرض الكنانة ، وشعبها .

فقد حذر إمامنا مبكراً ـ من خطر الشيعة البغيضة ، واتخاذهم من محبى آل البيت غرضاً لهم ، ودأبهم على دس السم فى معسول الكلم ، وتسليطهم الضوء على أحداث الفتنة الكبرى ، وتوابعها من مآسى لحقت آل البيت ، واستشهاد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ فى كربلاء .

وأخذ الشيعة فى إشعال نار النقم والكراهية ، يشاهرون بحراب السب والتحريض على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بزعمهم محبة آل البيت ؛ آملين أن يثنوا صدور المحبين على بغض وكراهية سُلَّة من السادة الصحابة ، وأمهات المؤمنين ـ رضى الله عنهم .

وفى ذلك ، يقول السواد الأعظم : " لا أخاف على مصر من الفرق الوهَّابية المتنطعة ولا من جماعات الإسلام السياسى ، ولكنى أخشى ما أخشاه على مصر من الشيعة المتطرفة"[2].

ويرجع السواد الأعظم ذلك إلى أن شعب الكنانة مجبول على حب آل البيت ، وتسعى الشيعة إلى استثمار، وتوظيف هذا الحب فى نشر دعوتهم الضالة ، وجذب عوام المسلمين من محبى آل البيت ، يدسوا لهم السم فى الدسم ، حتى يوغلوا صدورهم بنار البغض لصحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بزعم تشيعهم للإمام على ـ كرم الله وجهه ، وعترته .

---

(١) فى تفصيل التعريف بالشيعة انظر: محمد عمارة ، مقال بعنوان (الشيعة) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ٨٣٧ -٨٤١ .

(٢) سمعته مشافهة من شيخى ... السواد الأعظم ـ رضى الله عنه وأرضاه .

وعَلَّ المعنى السابق ، هو الذى حدا بإمامنا العربى أن يبدأ بتشييد مسجد ، ومقام الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بالكلح ، ليقيم حجته ، ويباهى بمحبيه حقاً ، وينكر الشيعة الذين زعموا محبته ، وهو ما سيتضح عند الحديث عن مسجده وساحته[١] .

نهض السواد الأعظم فى إعلان دعوة شيخه ، وحربه على الشيعة المتطرفة ، فما كَلَّ ولا مَلَّ ـ من خلال خطبه ، وأحاديثه ـ فى توضيح خبايا ، وفساد المذهب الشيعى ، وكشف أساليبهم الخبيثة فى استدراج محبين أهل البيت ، مصرحاً بأنهم : " نَجَس يجب التطهر منه" ، منبهاً ساسة الدولة إلى خطر الشيعة على أمن ، واستقرار مصر الوطن ، مصر الموطن الإيمانى .

كما أَلَّفَ السواد الأعظم كتيباً سماه : (الحجج القوية المُعرِفة للرد على خبايا الشيعة المتطرفة)[٢]، طرح فيه موقف العصبة الهاشمية المناوئ للشيعة ، وكشف زيفهم ، وزيغ مذهبهم ، ودحض حججهم، وبرأ فيه الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وعترته مما نسبوه إليهم ، ورفع الريب ، واللبس ، والالتباس عن عقيدة العصبة الهاشمية فى حب آل البيت، فدع عنك الجدل .

وإجمالاً ، يحذر إمامنا العربى من تلك الفرق الضالة ومنْ على شاكلتها ، قائلاً :" الإخوان المسلمون ، والسلفيون ، والجماعات التكفيرية ، والشيعة ، واليهود ـ خرجوا من منبت واحد ، ألا وهو منبت الضلال ، ومن عباءة الفجور والغواية ، ولا يتبعهم إلا مأجور، أو مَوْتُور ، والمأجور لا يقيم ديناً ، بل يتجر بالدين ، والدين منه براء ، والمَوْتُور لا عقل له ، فاحذروهم فهم لا دين لهم ، وهم خوارج زماننا هذا "[٣] .

---

(١) راجع فى السبب الحقيقى من بناء مسجد ومقام الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ المبحث التالى "مسجده ، وساحته"، الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا المؤلف .

(٢) لمزيد من التفصيل عن كتيب " الحجج القوية المعرفة لخبايا الشيعة المتطرفة" انظر مؤلفنا : "السواد الأعظم" ، مرجع سابق ، ص٢١٤ ـ ص٢٢١ ، كما ألف السيد أحمد الفاتح العفيفى ابن إمامنا العربى كتيب بين فيه موقف العصبة الهاشمية المعادى للشيعة وسماه " الدرب الصحيح " في الرد على مزاعم الشيعة .

(٣) قول إمامنا العربى ، سمعه عنه مشافهة ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم ، ويذكر الشيخ جابر أن حديث إمامنا المشار إليه مضاه لمقولة : " الكفر ملة واحدة " ، وان إمامنا قد سبق الجميع فى تحذير القائمين على حكم مصر والمسئولين على أمنها من خطر تلك الفرق الضآله على الوطن ؛ إذ سُجِلَ

٢- دورإمامنا فى المحافظة على استقرار وطنه ، وقوميته العربية

تجلى هذا الدور الوطنى لإمامنا العربى فى دعمه ، وتأييده ، ورعايته لرؤساء وطنه ، وغَيرَتَه على القومية العربية .

فقد كان إمامنا العربى من أشد المؤيدين ، والراعين لرؤساء مصر فى عصره[(١)] ، ويرى أن استقرارالوطن يعتمد أساساً على قوامة رئيسها ، وقوة شخصيته ، ومن ثَمَّ ، يجب رعايته روحياً ، ومعنوياً ، وإعانته ، ودعمه مادام متبعاً الحق[(٢)] .

فرأيته ينصف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ويفصح أنه مات كيوم ولدته أمه ، لا عليه شيئ من تبعات الحكم ، رغم ما كيل له من اتهامات ، وتحميله مسئولية الهزيمة فى حرب ١٩٦٧م، وغيرها ، كما هيمن إمامنا بروحه ؛ ليحفظ الرئيس جمال عبد الناصر من تدبير ، ومكائد أعدائه .

يقص السواد الأعظم قائلاً :" فى ذات يوم أرسل لى سيدنا الإمام العربى من داخل الخلوة ، وقال لى : يا شيخ أحمد : الرئيس جمال عبد الناصر ذاهب إلى الاتحاد السوفيتى (دولة روسيا) ، واليهود عاملين له مكيدة ، بوضع السُم له فى الطعام والشراب ، بحيث لا يظهر تأثيره إلا بعد أربعين يوماً من تناوله ، وهو ابن الحاج أحمد رضوان ـ يعنى كان من أحبابه ـ ونحن نريد واحد من الدراويش بتاعتنا يذهب مع عبد الناصر روسيا ، لكن دون أن يراه أحد ، ولا يعلم بخبره أحد .

وكانت مهمة هذا الدرويش أنه كلما مدَّ عبد الناصر يده إلى شراب ، أو طعام يشفط ـ يسحب ـ السم قبل تناوله ، وبعد انتهاء الرحلة ، ورجع عبد الناصر إلى مصر ، وبعد ثلاثة أسابيع أرسلت روسيا وزير صحتها فى زيارة إلى مصر،

عنه هذا التحذير فى مستهل عام ١٩٧٤م ، وهو زمن متقدم على انتشار تلك الفرق فى المجتمع المصرى .

(١) عاصر إمامنا كل من الملك فاروق ، والرئيس محمد نجيب ثم الرئيس جمال عبد الناصر ثم الرئيس محمد أنور السادات ، وأخيراً الرئيس محمد حسنى مبارك ، ولم يؤثر عنه أن ذكر أحد منهم بسوء ، حتى الملك فاروق فقد أنصفه إمامنا ، وقال عنه يكفيه فضلاً أنه افتقر لأن ينتسب إلى آل بيت النبوة .

(٢) خطب سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ عقب توليه الخلافة ، وطلب فى نهايتها من رعيته أن يعينوه قائلاً :" .... أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن زغت فقومونى ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم " .

بحيث إذا ظهرت الأعراض على عبد الناصر ، وباعتباره أكبر طبيب فى أكبر دولة فى العالم - سيتولى هو أمر علاج عبد الناصر ، وتمر الأسابيع وعبد الناصر لم يظهر عليه أى أعراض ، ومكث وزير الصحة الروسى أكثر من شهر ، ولم تظهر على عبد الناصر أى أعراض .

فرجع إلى روسيا ، واجتمع الوزير مع اللوبى الصهيونى ، وقص عليهم ما حدث ، فقال كبير اليهود : " طالما أن ما فعلناه لم يؤثر فى عبد الناصر إذن فالكون أصبح فيه محمد تانى" ، يقصد أنها معجزة لعبد الناصر ، كمعجزات النبى محمد - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[١] .

كما حظى الرئيس المؤمن أنور السادات بعناية ورعاية إمامنا العربى منذ توليه حكم مصر، فأخذ يمتدحه ويشيد به ، ويُعَرِف بقدره ، ومنزلته ، ونسبه الشريف ، فى الوقت الذى كانت الألسنة تتطير به ، وحاكت له مراكز القوى المؤامرات والدسائس ، ووَضَعَوه وحَطُّوا من قدره مقارنة بقدر عبد الناصر ، حتى صار محلاً لنكاتهم .

وقف إمامنا العربى فى الميدان منفرداً ، شاهدا على العصر ، وعلى عظمة السادات ، وقدرته على تولى مسئولية حكم مصر ، مشيداً بكفاءته ، وعدالته ، حتى ذكر إمامنا أن ميزان العدالة فى قلب السادات يعادل ما فى قلب الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - كلاً بحسب الوقت الذى قُيِدَ له .

وجاء نصر أكتوبر المجيد ، وهتف الجميع بكفاءة السادات ، وأقروا بحنكته فى تضليل العدو ب - خطة التمويه - وتحقيق عنصر المفاجأة ، الذى مَثَّلَ بدوره أهم مفاتيح النصر، كما اعترفوا بحكمته فى توقيت شن الحرب ، وخبرته فى إدارتها ، ومجرياتها حتى خرج منها منتصراً بفضل الله .

وتفاعل إمامنا العربى بدوره مع احتفالات شعب مصر بالنصر ، وأخذ يشيد بالسادات كرجل دولة متميز ، ولسان حاله يقول : " ها هو رجلنا الذى بشرنا به من قبل ، وقد كنتم عنه معرضين " .

---

(١) سمعت هذه الرواية متواترة عن إمامنا والسواد الأعظم ، ويعلق أحد من نقلوها ، وهو الحاج عيسى السمان من الرعيل الأول من أبناء العصبة الهاشمية ومن احباب الشيخين بالغردقة بقوله :" وأنا أشهد أنى سمعتها من مولانا الإمام الحاج أحمد أبو الحسن لكن من ذهب إلى هناك – روسيا – هما الاثنان أى : إمامنا العربى ، والسواد الأعظم " .

ويسهب إمامنا فى التعريف بالسادات ، وبيته ، ونسبه الحسينى الشريف ، وبيان فضله ودوره البطولى فى إنجاز النصر لمصر ، قائلاً :

" إن خالد الذكرى ، رَجُلَنا السادات ، رجل لا يُشَق له غبار ، والحق ـ جل وعلا ـ أيَّده ، وشيَّده، وهو ينحدر من بيت عريق ، يدعى البيت الساداتى ، وقد خرج من هذا البيت قمم فى البركة والصلاح، وأعلام فى الهدى والعرفان ، وأنا أعرف بيته جيداً فى ميت أبو الكوم ، وهو ينحدر من فروع الدوحة النبوية ، والعترة الندية ، وينتهى نسبه إلى جده الأعلى ولى النعم ، مولانا الإمام أبو عبد الله الحسين ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وينتمى إلى هذا البيت الشيخ محمد السادات ، نقيب السادة الأشراف إبان حكم محمد على باشا ، وبرز من هذا البيت السيد الشيخ عبد الحميد الساداتى ، وكان من كبار الأولياء فى المنزلة وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى فى الخمسينيات ، ولى معه صحبه ، وود خاص " .

وعن ملابسات نصر أكتوبر ، وما اكتنفه من تأييد السماء ـ يردف إمامنا العربى قائلاً: " السادات كرجل دولة متميز ، شاء الله تعالى له أن يحكم مصر ، أرض الكنانة ، قد حمل فى طيات رأسه محتوى ثلاثة عقول : احتوى أفضل ما فى عقل محمد على باشا ، وأسمى ما فى عقل عبد الناصر من محاسن، وتجنب ما لم يحالفه فيه التوفيق ، فضلاً عما خَصَّه الله به من عقله هو . وكان داهية حقا ، أنام العالم بأسره ، بمعسكريه الغربى والشرقى ، ساسة وشعوباً ، حكاماً ومحكومين ، قادة ومنقادين ، على سرير دهائه ، وما استطاعوا أن يقرأونه جيداً ، أو يسبروا غور هذا العملاق[١] .

عام بعد عام ، أعوام متوالية ، يقف السادات خطيباً على منبره الرئاسى ، يعلن على أسماع العالم، والمصريين ، هذا عام الحسم ، وعروض عسكرية ، وإعلان عن تعبئة من تشكيلات ألوية الجيش ، وكتائبه ، وتحريك تشكيلات من القوات المسلحة ، وعلى الفور تعلن إسرائيل رفع حالة الطوارئ ، والتعبئة العامة ، التى تكلف العدو ، وتربكه كثيراً ، ثم يتوقف السادات تماما.

---

(١) سَبَرَ : فى اللغة بمعنى قاس عمقاً ، أو سعة ، أو قاس غوراً وامتحنه ليعرف مقداره ، وسبر قدرته : اختبره ، وجربه . والمسبار : اسم آلة من سبر : أداة تتخذ للفحص أو الاختبار ، وهى أشكال ، ومنها المسبار البحرى ، أوالطبى ، أوالفضائى ، وهو مركبة فضائية لاستكشاف الفضاء الخارجى ، انظر : المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٠٠ .

ثلاثة أعوام على هذا النحو ، كل عام يقول : هذا عام الحسم ، ثم يتبين أنه لا حسم ، ولا شيئ من هذا القبيل ، بمعنى لاحرب ولا سلم ، وهلم جرا ، حتى اعتقد العالم بأسره ساسة ، ومحللين أن السادات ليس برجل حرب .

ومن دهاء السادات أيضاً ، بعث ببعض كبار ضباط الحربية مع ذويهم ، وأهلهم إلى السعودية لأداء مناسك العمرة ، قبيل انتوائه الحرب مباشرة ، وأوعز إلى المسئولين فى الإعلام المصرى ، والصحف أن يسلطوا الضوء على سفرهم .

و تمويهاً ، يقوم بعض الضباط ، وضباط الصف ، والجنود بالجلوس القرفصاء على رمال الجبهة الأمامية غرب القناة ، ويمتصون أعواد القصب ، وهم يتسامرون ، وبالطبع عيون العدو الإسرائيلى ترصدهم ، فيوقع فى أذهانهم ، أن حال هؤلاء الجند ليس بحال حرب .

وتخدَّرت عقول قادة إسرائيل ، وناموا على فراش الخديعة ، وغطَّتهم ألحفة دهاء السادات ، وألقى الصياد الطعم فى الشباك ، فالتقطته السمكة جولدا مائير، والقادة فى تل أبيب ، والبنتاجون فى واشنطون ، ومن لف لفهم فى الغرب .

وإن شئت فقل ، أنه ببركة الرسول ، وأبو البتول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ سطعت على مرآة عقل السادات أشعة حضرة الآية {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[1].

مكر القادة فى إسرائيل ، بجهاز مخابراتهم ، وما جيَّشوا من جيوش ، ومكر الله بهم فى شخص السادات ، الذى أوقع بهم فى حبائل شباك دهائه ، وتوَّههم ، فى أرض تيه ، وصارت حالة اللاحرب واللاسلم بمثابة فخ للعدو ، وحجزهم بين سدين ، سد حالة اللاحرب وسد حالة اللاسلم : { وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا } ، حينئذ { فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ }[2] .

وكانت المفاجأة ، وجاء نصر الله ، وابتلعتهم الطامة ، وكان ما كان ببركة سيد ولد عدنان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ هكذا ، فحرب العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر هى بدر أخرى فى زماننا هذا ، بدر التوأم ، بدر أخت بدر الأولى فى الصدر الأول" .

---

(١) آل عمران : ٥٤ .

(٢) يس : ٩ .

ويتحدث إمامنا عن عالم الحقائق ، فيقول : " اجتمع أهل الديوان ، وهم خاصة أهل الله ، وانعقد الديوان فى أفق أعلى ، ما بين السماء والأرض ، فوق هذا المسجد فى الساحة المباركة - يعنى : ساحة الإمام على بالكلح ، وأخذوا قرار الحرب ، وسطعت شمس هذا القرار على عقل السادات ، حاكم مصر ، فكان عزيز القصر ، وكان النصر ، هكذا " .

ويبادر السواد الأعظم بسؤاله عن أهل الديوان ؟ فيجيب إمامنا العربى : " أهل الديوان هم قوم يجتمعون على أمر يعلمونه فى مكان يريدونه ، وأما ساعة الديوان ، فهى الساعة التى وُلِدَ فها النبى - صلى الله عليه وآله وصحبه وسسلم - وهى ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير ، التى وردت بها الأحاديث كحديث : " ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : منْ يدعونى فاستجب له ؟ ، منْ يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ "[١] .

والنزول هنا بلا كيف ، ولا حيث ، ولا أين ، ولا مكان ، ولكن نزول تجلى على عباده"[٢].

وعن ملابسات توقيت الحرب ، يقص السواد الأعظم : " أرسل السيد الرئيس محمد أنور السادات ستة من رجال الدولة - آنذاك - منهم العسكريين ، ومنهم غير العسكريين إلى الصعيد ، وقال لهم : اذهبوا إلى صعيد مصر ، عش الصالحين - واستشيروا أهل الصلاح والتقوى من أولياء الله ، فهم أهل الحل والعقد ، وهم النخبة والقمة من هذه الأمة ، وسلوهم فى أمر الحرب مع إسرائيل ؟ .

وعندما هبطوا بالطائرة على أرض مطار الأقصر - يَمَّموا صوب الساحة الرضوانية ، وبعد استقبالهم بالحفاوة اللائقة ، أرشدوهم إلى الذهاب إلى إمامنا العربى بأدفو ، وعندما وصلوا أدفو ، دَلُّوهم على ساحة مولانا الشيخ مصطفى عبد السلام - رضى الله عنه - فانطلقوا إليها ، وسألوه عن الإمام العربى - رضى الله عنه - فابتسم ، وقال لهم : هذا المبارك ، صاحب الخلوة ، أبو قميص ، شيخنا

---

(١) هذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، وطرقه كثيرة صحاح بألفاظ متقاربة ومعنى واحد .

(٢) حديث إمامنا نقله الشيخ جابر عبد المنعم ، وورد فى بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " كريمة العربى " ، بعنوان :" بروق ورعود من التاريخ المشهود : الشيخ والسادات وحرب العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر المجيد" ، منشور فى ٢٠١٩/١٠/٧م ، وقمت بالتوثق من صحة حديث إمامنا الوارد بالمتن من حيث المضمون .

، فى كلح المفالسة شرق النيل ، فاقرئوه منى السلام ، وادعوا لنا هناك ، وفقكم الله! .

وصلوا إلى ساحة الإمام العربى ، ووافق أنى كنت هناك ، وكان إمامنا في خلوته المباركة ، فطلب منى أحدهم لقاء الشيخ العربى ، والانفراد به فى أمر هام ، وبالطبع ، لم يخبرونى عن هويتهم ، فقلت لهم : الشيخ فى خلوة ، وقد يكون لديه عذر ما يمنعه من الخروج ، ابلِغونى رسالتكم أبلغها له ، فرفضوا إلا لقاءه ، فأبلغت الشيخ برغبتهم بمعرفة وصيفته آسيه ، وبدورها أبلغته ، ثم عادت تقول لهم : يقول لكم أخوكم محمد العربى : نزلتم أهلاً ، وحللتم سهلاً :

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

ثم دخلت تارة أخرى ، وبعد قليل خرجت ، وقالت : الشيخ يرحب بكم ، ويقول لكم : يا بهوات خذوا واجبكم العربى ضيافة ، وما أتيتم من أجله من القاهرة ابْلِغُوه إلى أخيكم أحمد أبى الحسن ، فهو منى بمنزلة السمع والبصر، وهو يبلغنى به ، لأنى فى خلوة ، فسامحونى" .

فوجدتهم انتحوا بعيداً عنى ، وتناجوا فيما بينهم ، ثم قال أحدهم : لك كل الاحترام ، ولكن لابد أن نجلس مع الشيخ على انفراد لبالغ سرية ما جئنا له ، لا بأس سنذهب ونعود مرة أخرى ، ورَحَلوا .

وما هي إلا دقائق وشيخنا الجليل يرسل وصيفته آيسه ، تبلغنى أن الشيخ يأمرنى أن الْحَقْ بهم قبل أن يغادروا القرية ، وهمست فى أذنى برسالة من الشيخ كى أبلغهم إياها ، فلحقت بهم عند الشارع الرئيسى ، وأبلغتهم بالرسالة ، وهى : " الشيخ يقرئكم السلام ، ويقول لكم : قولوا لمن أرسلكم ، يا سيادة الرئيس ، يا أخانا يا سادات : اطرد الروس ، واصبِح حارب إسرائيل ، ينصرك الله عليهم ، وإنى أرى فى وجهك النصر ، وتصحبكم السلامة "(١).

"نظر بعضهم إلى بعض ، وأخذتهم الدهشة ، وإذ بأحدهم يسأل : وكيف عرف هذا الشيخ بما أتينا من أجله ، ولم نلتق به ، ولم نبلغه بشئ ؟!، إنه حقاً

---

(١) وثق تلك الواقعة ، الشيخ جابر عبد المنعم ربيب إمامنا وخديم ساحته ، وقد حدث ذلك على الأرجح فى شهر مايو ، أو شهر يونيو من عام ١٩٧٢م ، ويذكر أن خمسة عشر ألفاً من الخبراء العسكريين الروس كانوا متواجدين على أرض مصر فى ذلك الوقت ، وقد قام الرئيس الراحل محمد أنور السادات بإصدار قرار بطردهم ، ، ومثل هذا القرار أحد بنود خطة التموية ، والتضليل ، التى نسجها السادات للعدو ، وتوطئة لإصدار قراره بالحرب على إسرائيل .

لشيخ مبارك عظيم الشأن عند ربه نفعنا الله به ، فقلت لهم مبتسما : أطلعه ربه الذى اختاره ولياً له ، وعارفا بحضرته ، أما قال تعالى فى كتابه : { وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ }[1] .

بمعنى : يُطلِع خاصة عباده على ما غاب فى سرائرنا ، وأودعه خواطرنا ، ويقول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، وينطق بتوفيقه "[2] ، وعقَّب أحدهم ، قائلا : صدق ما قاله لنا سيادة الرئيس من أن صعيد مصر عش الصالحين ، لاسيما أعالى الصعيد محافظتى قنا وأسوان ، نشكر الله لكم ، وادعوا لنا بالتوفيق ، والخير والسلام عليكم ، وركبوا حافلتهم ورحلوا "[3].

بعد انتصار أكتوبر المجيد ـ ظل إمامنا العربى من داخل خلوته يرعى السادات ، ويواليه ويؤيد خطواته ، وتعليقاً على زيارته لإسرائيل ، يقول إمامنا : " أن درويشاً من أهل الله خطف السادات بيده وفاجأ به إسرائيل ، وتولى حفظه حتى عاد إلى مصر سالماً غانماً"[4].

كما يذكر أنه بعد مرور أربعين يوماً على استشهاده ـ قام إمامنا العربى بإقامة حفل تأبين جليل ومهيب للشهيد الراحل محمد أنور السادات فى ساحة الإمام على بالكلح ، ذُبِحَت فيه الذبائح ، وأحياه كبار المقرئين ، وعلماء الأمة ، كما تكرر ذلك الاحتفاء فى ذكرى مرور عام على استشهاده ؛ إقراراً بفضله ، وتقديراً لدوره الرائد فى قيادة مصر إلى أعظم نصر .

---

(١) التوبة ١٠٥ .

(٢) عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله" ، ثم قرأ قوله تعالى : { إن فى ذلك لآيات للمتوسمين } ، وقد ورد عن بعض أهل العلم فى هذه الآية قوله : للمتفرسين ، والفراسة من التفرس بالشيئ كالتوسم ، وهى خاطر يهجم على القلب ، ويثب عليه وثوب الأسد على فريسته ، وهى أنواع متعددة ، وتختلف باختلاف الأشخاص ، والأحوال ، وقوة القلب ، وصفائه ، وقوة الإيمان ، وضعفه .

(٣) توثيق الشيخ جابر عبد المنعم ، وعلى لسانه ، نقلاً عن بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " محمد النبوى " ، مع خديجة الكبرى ، منشور فى ٢٠١٩/١٠/٦م ، وقد تواترت تلك الواقعة الوردة بالمتن بين الأحباب ، وتأكدت من صحتها .

(٤) ويترجح ـ عندى ـ أن إمامنا العربى بقوله "درويشاً " الواردة بالمتن يكون قد عرَّضَ بنفسه ، أو للسواد الأعظم . فافهم .

ويشار إلى أنه فى بداية ثمانينات القرن العشرين ـ أثناء تواجد إمامنا بالقاهرة ـ زار قبر الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، وقرأ الفاتحة ، ودعا له .

إذا كان ما تقدم بعض من مظاهر الدور الوطنى لإمامنا العربى فى الظاهر ـ فما خُفِىَ كان أعظم ، ويحكى السواد الأعظم يقول : " سمعت إمامنا العربى فى يوم عرفة يقول لى: " يا خى يا أحمد عارف المدعوكة التى اسمها "القنبلة الذرية" ؟ قلت : نعم يا مولانا قال : " عاملين يا أحمد فى نظامها ، وتركيبها أنها عندما تجرب فى بحر ، أو نهر ، يصيب ناتج التجربة المنطقة العربية ـ وبالذات مصر ـ بفيروس ،إلا أن أنفاس سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى مصرعاملة حاجز صد ، ورد عليهم ، فيصابوا هم بالمرض ، والفيروس ، الذى كانوا يبغون أن تصاب به مصر . فمصر محروسة بحضرة النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وآل البيت "[1] .

وإلى دور إمامنا فى الذود عن مصر ، والدفاع عنها ، ينشأ السواد الأعظم[2]:

أرى أن ذاتى بضم الحانات * يغنى الكردان بضرب الآلات
هلكنا عِدانا بمد أتانا * بكر الكرار بجمع السادات
تدور الرُحَىَّ بنفس علىّ * رفعنا المهند نَوَم الحومات
وقوم تقَوَّم بجند القيوم * أسرنا عِدانا ملكنا الجهات
وبارليف سُدنا به الجيش قدنا * ببعل لزهرة هلكنا العُصاة
شهدتُ المعارك مع الختم دارك * وربى شهيد عليم بذاتى
وكفُّ المعاد جيوشى أولادى * أخذت بثأرى بعزم الشَدّات
وختمى يصول ربيب الفحول * فتى قوى أسرنا الجهات
تسيل الدمايا بحُسن الرماية * بعزم موكل حروف القدرات
وخط كخيبر وختم كحيدر * وعزم كعزم وريث الحضرات

---

(١) السواد الأعظم ، نقلاً عن : عبد الكريم الناظر ، من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا ، وحرره فى بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " رجال الله فوق العاديات " ، منشور فى ٢٠٢٠/٣/٣م ، وقد استوثقت من صحة الرواية المنسوبة لإمامنا فى المتن .

(٢) من كتاب بعنوان { فتح الودود فى مديح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، من فيض الحضرتين على الإمام أبو المحاسن والحسن ، العارف بالله تعالى مولانا ، الحاج / أحمد أبو الحسن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه ، رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٧/٢٧٩٧٢م ،ص ١٧٥ -١٧٦ .

دمشق حشدنا به قد وردنا * حصرنا أمريكا أسرنا العداة
أنا العربى ورثت على * وجدى المشرف إمام السادات
أحِد عُلاها وسرى ملاها * تبارك كفى بضم الخلوات
ووقتى صفا لى رقيت المعالى * وسيلى دوى حميت الفرات
أخذت القنايا أذيق المنايا * تسربلت عزاً أسرت القوات

ولم يتوان إمامنا العربى ـ أيضاً ـ عن الدفاع عن قوميته العربية ، كيف لا ، وهو العربى اسماً ، وصفاتاً ، وفى مطلع عام ١٩٧٥م ، وما أن أظهر الساسة اللبنانيون رواغهم للعرب ، وخديعتهم للقضيّة الفلسطينيّة ، وقالوا جملتهم المشهورة " سايروا العرب ، ولا تسيروا معهم " ـ إلا ونهض إمامنا بهمته ، وغَيْرَته وراح ينتصر لعروبته ، ويبطش بلبنان ومن فيها ، مستنكراً هذا الموقف المذبذب ، فلاهم إلى هؤلاء، ولا هم إلى هؤلاء ، وأعلن متوعداً : "ساضرب لبنان بيدىَّ حتى اجعلها أكوام أكوام أكوام" ، أى : حُطام ، أو مقسمين إلى طوائف متنازعة ، يقاتل بعضهم بعضا .

وبالفعل ، وفى الثالث عشر من شهر أبريل من ذات العام ١٩٧٥م ـ بدأت الحرب الأهلية فى لبنان، واستمرت حتى عام ١٩٩٠م ، وأجهزت على الأخضر واليابس ، حتى خلته حطام وأكوام .

وكان السبب الظاهرى لتلك الحرب ، وجود عوامل داخلية اقتصاديّة ، واجتماعيّة طبقيّة ناتجة عن الفقر ، والعوز ، وعوامل سياسيّة طائفيّة ، يجسّدها انقسام بين مطالب المسلمين والمسيحيّين .

لكن جوهر الخلاف وحقيقته تمحور حول انتماء لبنان العربيّ ، ودوره في القضيّة الفلسطينيّة ، وقضيّة المقاومة الفلسطينيّة ، والكفاح المسلّح ، وخطر التوطين حيث كانت الحركة الوطنيّة من الداعمين لفصائل منظّمة التحرير الفلسطينيّة ، الذين أخذوا من لبنان مركزاً لعملهم الفدائيّ ضدّ العدوّ الصهيونيّ عبر جبهة الجنوب اللبنانيّ ، وفق ما نصّت عليه اتفاقيّة القاهرة

بيد أنّ قوى اليمين اللبنانيّ وجدت في توسع الانتشار الفلسطينيّ المسلّح ، عملاً يقوّض سيادة الدولة اللبنانيّة ، ويضع النظام السياسيّ وتوازناته في خطر شديد ، وأمام هذا التباين في المواقف بين الطرفين وجدت الحركة الوطنيّة اللبنانيّة نفسها قادرة على إحداث التغيير من خلال الحسم العسكريّ ، مدعومة بالفلسطينيّين، كما وجدت القوى اليمينيّة نفسها قادرة أيضاً على الحسم من موقعها المدافع عن النظام السياسيّ ، أي السلطة الحاكمة ، مستفيدة من بعض

المواقف الإقليميّة ، والدوليّة الداعمة لها في وجه القوى اليساريّة ، فاندلعت الحرب الأهليّة اللبنانيّة لهذه الأسباب .

قُدِّرَ عدد ضحايا تلك الحرب بـأكثر من (١٥٠) ألف قتيل ، و(٣٠٠) ألف جريح ومعوق ، و(١٧) ألف مفقود ، وهجّر أكثر من مليون نسمة في بلد كان عدد سكانه ثلاثة ملايين ، ونزح نحو (٦٠٠) ألف شخص من (١٨٩) بلدة وقرية مسيحيّة ، وإسلاميّة ، أيّ ما يعادل (٢١,٨ %) من مجموع السكّان .

وقدّرت خسائر الحرب المباشرة التي أصابت رأس المال الإنشائيّ والتجهيزيّ في القطاعين : العام والخاصّ بنحو (٢٥) مليار دولار أميركيّ ، إلا أن من أخطر نتائج تلك الحرب الأهليّة ، تفكّك الدولة اللبنانية ، وتجذّر الانتماءات المذهبيّة والطائفيّة فيها ، والتى لا تزال تخيم بآثارها البغيضة على لبنان وشعبه حتى وقتنا الحاضر[١] .

ولا غرو فى قدرة إمامنا على تنفيذ وعيده ، فما بطشه إلا بالله ، وفى الحديث القدسى السابق الإشارة إليه : " كنت يده التى يبطش بها "[٢].

ويكتفى بهذا القدر من الحديث عن الدور الوطنى لإمامنا العربى ، الذى تجلى فى حرصه الشديد على أمن ، واستقرار بلاده ، وحفظ السلام الاجتماعى بها ، ودعم ساستها ، وقوميتها العربية .

المبحث الثاني
مسجده ، وساحته

يستكمل هذا المبحث مظاهر الدور الاجتماعى لإمامنا العربى من خلال تشييده مسجد ، وساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بوصفهما صرحين شامخين ، ومنارتين سامقتين في عنان السماء ، سيظل أثرهما باقياً ما بقيت سيرته ، وسيظل تأثيرهما ناطقاً عن دوره الفعال في خدمة مجتمعه ، ولاعباً أساسيا في التنمية والتوعية الاجتماعية ، وهو ما نتناوله في مطلبين ، على الوجه التالى :

---

(١) الموسوعة الحرة، الحرب الأهلية اللبنانية :
http://www.wikizeroo.net/index.php?q=aHR٠cHM٦Ly٩hci٥٣aWtpcGVkaWEub٣JnL٣dpa٢kv٢KfZhNit٢LHYqF_Yp٩mE٢KPZh٩mE٢YrYqV_Yp٩mE٢YTYqNmG٢KfZhtmK٢Kk ، نقلاً عن موقع "رؤية بيديا β" .

(٢) راجع ما سبق ذكره عن الكنتيات في الحديث الشريف ، الذى أخرجه البخارى وغيره ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، حديث رقم (٦٥٠٢) .

المطلب الأول

إقامة مسجد الإمام علي ـ كرم الله وجهه

تُعَدُّ المساجد من أحب بقاع الأرض إلى الله ـ تعالى ، فهى بيوته التي يذكر فيها اسمه ، ويسبح فيها بحمده ، وفيها يعبد المسلمون ربهم .

وشهد الله لعمار مساجده بالإيمان ، قال تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ }[1] ، وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال : "إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان"[2] .

ورَغَّبَ النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى عمارة المساجد ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : " من تطهَّر فى بيته ، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضى فريضة من فرائض الله ، كانت خطوتاه ، إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة"[3].

كما حثَّ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على بناء المساجد ، ورتب على ذلك الأجر الكبير، فعن سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله"[4].

---

(١) التوبة : ١٨ .

(٢) رواه الترمذى ، وفى رواية : (يتعاهد المسجد) قال : حديث حسن غريب ، قال ابن العربى : وهذا فى ظاهر الصلاح ليس فى مقاطع الشهادات ، فإن الشهادات لها أحوال عند العارفين بها فإن منهم الذكى الفطن المحصل لما يعلم اعتقادا وإخبارا ومنهم المغفل ، وكل واحد ينزل على منزلته ويقدر على صفته ، انظر : تفسير القرطبى للآية ١٨ من سورة التوبة .

(٣) رواه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشى إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات ، ١ / ٤٦٢ (٦٦٦) .

(٤) رواه البخارى(٤٥٠) ومسلم (٥٣٣) .

وسجل التاريخ الإسلامي كيف كان السلف الصالح يهتمون ببناء المساجد ، وتعميرها مادياً بتشييدها ، وصيانتها ، وتعميرها معنوياً بمداومة الصلاة فيها ، وعدم هجرها[1] .

ولعبت المساجد دوراً اجتماعياً بارزا منذ فجر الإسلام ، وحتى وقتنا الراهن ، فقد كان السلف الصالح يتخذون المسجد محلاً لاجتماع الوفود ، وإرسال البعوث ، وتجهيز الجيوش وتوزيع الزكوات، والصدقات من الأغنياء على الفقراء ، والمساكين ، وبقية المصارف الشرعية .

هذا فضلاً عن دور المسجد البارز فى التوعية ، والوعظ ، والإرشاد ؛ تعقد فيه حلقات العلم ، والدروس الدينية بصفة يومية ، وأسبوعية فى خطب الجمعة ، وأثناء الاحتفال بالمناسبات الدينية المختلفة على مدار العام .

ولم يتوار الدور الاجتماعى للمسجد فى العصر الحديث ، بل تنامى ، وتعاظم ، فأُلْحِقَ بالمسجد قاعات تعقد فيها الاجتماعات العامة لروادها ، ويحتفل بها بالمناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة ، وتقام فيها مراسم التعازى ، ويحتفل بها بعقود القِران[2] .

كما ازدادت حاجة الدولة ـ فى الآونة الأخيرة ـ إلى الاستعانة بالمساجد فى توعية مواطنيها ، وإبلاغهم بمشكلاتها ، وما ينتابها من أحداث ، وما تتخذه من خُطَط ، وإجراءات لمجابهتها ؛ فيكون المواطن فاعلاً إيجابياً فى سير هذه الأحداث ، ولاعباً أساسياً فى إنجاز تلك الخطط .

---

(١) للمزيد انظر : طلال عبد الرحمن مشعل ، أهمية بناء المساجد وعمارتها في الإسلام ، شبكة المعلومات العنكبوتية ، موقع " موضوع " أكبر موقع عربى بالعالم ، منشور في ٢٠ / ٦ / ٢٠١٨م .

(٢) وفضلاً عن الدور التقليدى للمسجد فى عهد سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقد لعب المسجد دوراً اجتماعيا آخر؛ إذ اتخذه المسلمون أيضاً كساحة للترويح عن النفس فى أيام الأعياد ، ففى الحديث الشريف قالت السيدة عائشة : رأيت النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يسترنى وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :" دعهم ، أَمْناً بنى أرفدة " ، انظر : العلامة الزبيدى ، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى المولود ٨١٢هـ ١٤١٠م المتوفى ٨٩٣هـ ١٤٨٨م ، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، مختصر صحيح البخارى ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، ص١٢١.

ولم يغب عن الدولة الاستفادة من رواد المساجد فى تمرير قراراتها السياسية ، حتى أضحى المسجد ـ الآن وبحق ـ منارة المسلمين فى كل شئون حياتهم.

لمس إمامنا العربى حالة الجهل ، والفقر فى أبناء المجتمع الذى يعيش فيه ، وما من سبيل لتنويرهم ، وتعلم شئون دينهم ، ودنياهم إلا المسجد ، فبنى ـ رضى الله عنه ـ مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ليكون منارة علمية ، وثقافية ، واتبعه بناء ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ لتكون ملاذاً للفقراء ، ومأوى لعابرى السبيل ، ومتسعاً للشباب الفار من براثن الأفكار المتطرفة ، وحافظاً لهم من أوكار المخدرات ، والإدمان المدمرة .

واتساقاً مع ماسبق ، وبناء على أمر جده المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بدأ إمامنا العربى بتشييد المسجد قبل بناء منزل له ، وأتقن تأسيسه أيَّمَا إتقان[1] .

اشترى إمامنا العربى قطعة أرض تقع على الضفة الشرقية لنيل مصر ، مجاورة لمنزله القديم بقرية كلح المفالسة من أعمال مركز أدفو بمحافظة أسوان ؛ لبناء المسجد ، والساحة[2].

وفى غضون عام ١٩٧٦م ، أَذِن إمامنا العربى ـ من داخل خلوته ـ ببناء المسجد على مساحة من هذه القطعة ، وأمر بتأسيسه بالخرسانة المسلحة ، وكان البناء بالخرسانة المسلحة نادراً فى قرى الصعيد فى ذلك الوقت ، وعَلَّه كان من أوائل المساجد التى تبنى بالخرسانة المسلحة في قريته .

وعَنِىَ إمامنا العربى عناية خاصة بتصميم ، وتأسيس المسجد ، بما يليق بقدسيته ، ودوره المتنامى فى المجتمع الاسلامى ، فصب فى قواعده ، وأعمدته ، وسقفه كمية من الخرسانة المسلحة تفوق كثيراً ما يصب فى غيره من المساجد ، وبما يضمن تحملها للاهتزازات ، والتغيرات الجيولوجية على مر الزمان .

---

(١) غنى عن البيان أن أول ما بدأ به النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد هجرته إلى المدينة هو بناء المسجد ؛ تعظيماً لدوره فى بناء الدولة ديناً ودنيا .

(٢) بعد قضاء فترة سياحته فى البلاد ـ اتخذ إمامنا العربى من قرية كلح المفالسة موطناً له ، وأقام بأسرته فى منزل قديم مبنى من الطوب اللبن ـ اشتراه ، وسدد ثمنه بعد حين ـ يقع بجوار الشاطئ الشرقى للنيل وفى الغرب الأقصى للقرية ، واتخذ من إحدى حجراته خلوة له ، كما خصص حجرتين ملحقتين بالمنزل كمضيفة (الساحة القديمة) لاستقبال ضيوفه فيها ، وكان بين خلوته بالمنزل وبين المضيفة كوة (شرفة) يتواصل من خلالها الحديث مع أضيافه .

كَلَّف إمامنا العربى ـ وهو متنسكٌ داخل خلوته ـ مولانا السواد الأعظم بمباشرة بناء المسجد ، ومتابعة إنشاءاته ، وعهد بالتنفيذ إلى اثنين من المقاولين من أحبابه ، وهما السيد / عبد النعيم خليفة من مركز دشنا بمحافظة قنا ، والمقاول / محمد بحر من قرية حجازة من أعمال مركز كوم أمبو بمحافظة أسوان ؛ لما لهما من خبرات سابقة فى أعمال البناء .

وبالإضافة إلى المستخدمين من العمال محترفى البناء[١] ـ حرص إمامنا على أن يضرب أبناء العصبة الهاشمية بسهم فى بناء المسجد ؛ ليحظوا بشرف المشاركة فى تشييد بيت من بيوت الله ، التى رتب عليها الله ـ تعالى ـ ثواباً عظيماً ، باعتبارها من أفضل أعمال البر والخير، وصدقة جارية باقية لصاحبها إلى ما بعد الموت[٢].

فعن سيدنا جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من بنى مسجداً لله كمِفحَصِ قَطَاةٍ ، أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة "[٣] .

(١) يذكر أن من تولى أعمال البناء الخاصة بتجهيز خلطة الأسمنت ، وصبها هو الريس سلامة ، من نجع عزوز بمركز دشنا وطبليته ـ أي مجموعة عماله ـ وهم أهل مهنة ، وخبرة متميزة في هذا المجال ، وقد أخلصوا في عملهم بوصفهم من محببين الأشياخ أيضاً .

(٢) أذكر أنه عقب انتهاء أداء إحدى لجان امتحاناتى فى الثانوية العامة عام ١٩٧٦م ، فوجئت بأحد أخوتى فى الله يقف أمام باب اللجنة مستقلاً سيارة ليصطحبنى مع اثنين آخرين من الزملاء من أحباب إمامنا العربى ، وينطلق بنا مسرعاً من أمام اللجنة بكوم أمبو إلى الكلح بأدفو ، وفى الطريق أخبرنا أن السواد الأعظم كلفه بذلك كى نحظى بشرف المشاركة فى صب سقف المسجد ، ولمَّا وصلنا إلى هناك وجدنا السقف قد تم صبه بالفعل إلا جزء محدود حجزه السواد الأعظم حتى وصولنا ، وبحمد الله قمنا بالمشاركة فى صب هذا الجزء المتبقى الأمر الذى يبرز فضل تلك المشاركة ، وحرص إمامنا العربى ، وشيخنا السواد الأعظم على أن نحظى بهذا الشرف والفضل ، ناهيك عن الأجر والثواب .

(٣) رواه ابن ماجه (٧٣٨) ، وصححه الألبانى ، والقطا : طائر معروف ، ومفحص القطاة : موضعها الذى تبيض فيه ، وخصصت القطاة بهذا لأنها لا تبيض فى شجر ولا على رأس جبل ، إنما تجعل بيتها على بسيط الأرض دون سائر الطيور ، فلذلك شبه به المسجد ، وقال أهل العلم: وهذا مذكور للمبالغة ، أى ولو كان المسجد بالغاً فى الصغر إلى هذا الحد ،

كما حرص إمامنا العربى أن يتوج المسجد بمأذنة شاهقة ، لا نظير لها فى قريته ، أو فى القرى المجاورة ؛ لتكون منارة للمسلمين ، ومتاعاً للمقوين ، ومأوى للوافدين ، وشهادة على علو صوت الحق ، والدين[1] .

وأسند إمامنا العربى بناء المأذنة إلى رجل شهير فى بناية المآذن ـ يدعى نوبى من الحواتكة ـ محافظة أسيوط ، وكان قد بلغ من العمر ثمانين عاما .

ويذكر أن الرجل عندما علم بالعلو المطلوب فى بناء المأذنة ـ وهو ستة وثلاثون متراً ـ أخذته وهلة ، واعتذر إلى إمامنا العربى ، وطلب إعفاءه من هذه المهمة الخطرة ، لما يعترى الأجواء المرتفعة من عصف الرياح ، فضلاً عما أصاب يده من رعشة مع تقدم سنه.

شَدَّ إمامنا العربى على يد الرجل ، وطمأنه ، وأمَّنَه ، وقال له : " يا عم نوبى يابركتنا الدهن فى العتاقى ـ أى : لم تزل القوة باقية فى الكبار ـ ويدك تُلّف فى حرير ـ أى : ذات قيمة ، لا عيب فيها ـ لا تخف أبداً ، وستكون فيك همم ألف بَنَّاء مآذن ، فضلاً من الله تعالى وببركة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ هيا توكل على الله ، الذى وَهَبَك تلك المهنة يا غضنفر ، وقل{ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }[2]، يد الله قبل يدى ، وستذهب منك رعشة اليد ، وتعود فتى ابن العشرين" ، فرد الرجل: أنا ساستند عليك يا مولانا ، وأن تكون فى ظهرى .

تبسم إمامنا ، واحتضنه معانقاً ، وقال له : " توكل على الله ، وأنا من الخلوة ، ومن سطح بيتى سأقول : هيلا هيلا هوب ، ويا جعفر الطيار ، وستكون الرياح فى خدمتك ، كما كانت لسليمان ، ولن تسقط ، هيا يا واد" ، ثم سأله : كم عمرك يا واد يا نوبى ؟ قال الرجل ضاحكاً : أما قلت لك ياامولانا أنى دخلت على الثمانين من عمرى ، وقد أكون قد اتممتها ، فقال إمامنا ، وهو يداعبه ضاحكاً :

---

(١) أذكر أن قواعد تأسيس المأذنة صُبَ فيها كمية كبيرة من الخرسانة المسلحة تصلح لحمل ناطحة سحاب ، كما أذكر الاحتفاء الشديد الذى حظيت به المأذنة لدى الأشياخ والأحباب ، ووما واكب بنائها من أجواء فرح وبهجة غشيت جميع الأحباب الحاضرين ، مما دعاهم إلى إلقاء أنفس ما لديهم أسفل قواعدها ، وأثناء صب خلطة الأسمنت فيها ، فكم من عملات معدنية ، ومشغولات ذهبية ألقيت منهم بداخلها ؛ فرحاً وابتهاجاً برفع قواعد لمأذنة .

(٢) هود : ٤١ .

أنسيت عمرك ؟ . أنت ابن العشرين عاما ، ثم كرر سؤاله مداعباً : كم تبلغ من العمر؟ ، فرد الرجل وهو يضحك متهلل الأسارير فرحاً : عشرين عاماً يا مولانا .

وقد مثَّلت عملية بناء المأذنة تحدياً سافراً لقوة الرجل البدنية ، الذى عاد ـ ببركة إمامنا ـ وكأنه شاب فى مقتبل العمر ، حتى فرغ من بنائها على أكمل وجه[١]، واعتبرت كرامة بيّنة لإمامنا العربى[٢].

وهضماً لنفسه ، لم يشأ إمامنا إطلاق اسمه على المسجد ، فأطلق عليه " مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه " ، وأقيم بصحنه ضريح ، ومقام لسميه.

لعب مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ دوراً اجتماعيا واسع النطاق ؛ إذ وفد إليه جموع أهل القرية ، والزوار ـ يصلون فيه ، ويتعلمون أمور دينهم ، وما فيه صلاح دنياهم.

واستعمل أهل القرية ميضأة المسجد ، المزودة بالصنابير ، ودورات المياه النظيفة ، وآثروا الاغتسال ، والوضوء فيها عن منازلهم البسيطة .

ولم يقف الدور الاجتماعى لمسجد الإمام على عند هذا الحد ، بل تعداه ليكون مأوى ، وملاذاً لأهل القرية فى الشدائد ، والكوارث الطبيعية ، كما شهد ذلك المسجد كثيراً من الأحداث الجسام .

وأذكر أنه فى أواخر السبعينات من القرن العشرين ـ هطلت على القرية أمطار غزيرة تبعتها سيول جارفة غمرت المنازل ، وتداعت الأسقف ، وتقطعت السبل بأهل القرية ، وتملكهم الهَلَعَ ، وجَزِعوا جزعاً شديدا .

وهنا ، يأمر إمامنا العربى باستخدام مكبرات الصوت بمسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وأخذ يناشد أهل قريته ، ويناديهم : " هلموا إلى مسجد الإمام

---

(١) سمعته من الشيخ جابر عبد المنعم ، ربيب إمامنا العربى وخادم ساحته .

(٢) ومما يذكر فى هذا المقام أيضاً ، أن الدكتور/ فاروق القاضى من الرعيل الأول لأحباب إمامنا العربى ـ علاَّمة وأستاذ جامعى ، واستشارى هندسى ـ عندما شاهد المأذنة بهذا الارتفاع الشاهق جال فى خاطره أنها قد تكون عرضة للكسر أو التنكيس من شدة الاهتزاز تأثراً بعوامل الجو ، وللتأكد ـ ودون أن يلحظه أحد ـ أجرى تجربة عملية من واقع خبرته فأسند ظهره على جدرانها ، وأخذ يتحسس تردد اهتزازها على وقع عموده الفقرى ، فتأكد أنها فى المستوى الآمن المسموح به هندسياً ، وأسرها فى نفسه ، ولم يبدها لأحد ، إلا أنه عقب إجرائه التجربة مباشرة فوجئ بإمامنا العربى من داخل خلوته بالبيت القديم يرسل له قائلاً ما مضمونه : "أتأكدت من سلامة المأذنة يا دكتور؟ إنها تتهادى مع الريح ، ولا تنكسر أبداً "، فأقر بأنها كرامة بيّنة لإمامنا ؛ إذ كاشفه على الفور بما كان منه ، وما جال فى خلده .

على" ، للاحتماء تحت سقفه المسلح ، فيعصمكم من ماء السيل " ، الذى كاد أن يغرقهم ، بعد أن أغرق ديارهم .

ولم يجد أهل القرية بُداً من الفرار للنجاة بأنفسهم ، مخلفين ديارهم بما فيها ، قاصدين مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ متخذينه مأوى لهم .

ونهض إمامنا العربى فى تجهيز وتقديم الوجبات الساخنة ، والغطاء اللازم ، لأهل قريته، كما تداعى السواد الأعظم للكارثة التى حلَّت بقرية شيخه ، فأسرع بإرسال المِيرَة ، والمؤنة اللازمة من لمساعدة أهل القرية المنكوبة.

وتكفَّل إمامنا العربى بتوفير الغذاء ، والغطاء ، والمأوى ، لمن لاذوا بالمسجد ، وذلك طوال فترة إقامتهم ، حتى انقشعت الكارثة ، وعادوا إلى ديارهم ، فى ملحمة إنسانية ، ومشهد جليل للتكافل الاجتماعى ، وصورة حية للدور الاجتماعى لمسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ الذى شيده إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ـ بإذن جده رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وقد شهد مسجد الإمام ـ كرم الله وجهه ـ مؤخراً أعمال تجديد وتطوير شاملة ، واستبدلت بمقصورات الأضرحة الخشبية القديمة ، مقصورات معدنية رائعة[1].

ولئن كان هذا بعضاً من الدواعى الظاهرة لتشييد مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فإن الحقيقة الإيمانية من ورائه أعظم ، وأجل .

وقد أبان إمامنا العربى عن هذه الحقيقة بقوله : " هذا المسجد ، مسجد الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وفيه مقام لبدنه الشريف ، الذى نقله الله ـ جل وعلا ـ من العراق إلى صعيد مصر ، بأرض الكلح ؛ ليكون حجة يوم القيامة على الشيعة ، الذين يسبون الشيخين سيدنا أبى بكر ، وسيدنا عمر ـ رضى الله عنهما ـ ونفر من أصحاب ، وزوجات النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

يأتى هذا المسجد يوم القيامة شافعاً ، وشاهداً لكل من زاره من المحبين صادقاً محتسباً، ويمر بهم على الصراط فى الركاب الأحمدى ، الذى يضم الجميع حتى يدخل بهم إلى أرض الجنة " .

ويوضح إمامنا الأمر ، فيقول : " يتباهى الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ بهؤلاء المحبين على رؤوس الأشهاد ، ويقول ، وهو ينظر إلى كل من زار هذا المسجد صادقاً محتسباً ، وإلى سائر المحبين لعترة النبى الأمين ،

---

(١) تمت أعمال تطوير وتجديد مسجد ، وساحة الإمام على ، وتغيير المقصورات الخشبية بأخرى معدنية عام ٢٠٢٠م ، على يد السيدة الشريفة / كريمة العربى ، جزاها الله خيرا .

وأصحابه ، مسروراً ، ومفتخراً بهم قائلاً : " هؤلاء يا ربى ، هؤلاء هم أحبائى حقاً ، الذين كانوا فى الدنيا ، وكانوا يحبون عترة نبيك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وعترتى " ، ويتساءل يومها الشيعة : ونحن يا إمام ، أليس أحبابك ؟ يشيح الإمام على بوجهه معرضاً عنهم ، ينكرهم ، ويزدريهم، ولا ينظر إليهم ، ويتبرأ منهم ، قائلاً لهم : " لا أعرفكم ، وأنتم لستم بأحبابى ، ولا بأحباب عترة رسول الله ، وعترتى ".

وعن مكانة مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فى عالم الحقائق ، يقول إمامنا : " وحقيقته فوق العرش ، والفرش ، وكل الأفلاك الجوهرية : فلك الكرسى ، وفلك العرش ، وفلك السدرة ، وفلك حملة العرش الكروبيين ، إلى آخره ، هل تدرون أين حقيقة هذا المسجد ؟ حقيقته فى عماء الكنز ، حقيقته تبيت فى غيابات معية الله الكبرى ، بلا أين ، ولا بين ، ولا كيف ، ولا حيث ، حقيقته حيث حقيقة الكرار ، السيل المدرار ، أبو الحسنين، وحيث حقيقة الحضرة لمحمدية ، والتى معها حقائق كل المحبين ، الذين زاروا ، وصلوا فى هذا المسجد المبارك ، صادقين محتسبين "[١] .

وينشأ السواد الأعظم ـ مبيناً دور شيخه ، في إقامة المسجد ، وحجة الإمام على قائلاً[٢]:

فقد خصه الله الكريم إحاطة * يوضح بها أمراً ويظهر لحجة
فخافت رجال الله في كل وقتهم * لتوضيح حجته لثقل القضية
بنى مسجد الكرار فيه مقامه * تقام به الصلوات جمعاً وجمعة
بإذن رسول الله تم بناؤه * وفيه عليٌ حق ورب البرية
هنيئاً لمن زار ابن عم المصطفى * بمسجده بالكلح نال العطية

(١) سمعته من السواد الأعظم ، حيث ذكر أنه وعلى مثال ما جاء فى قوله تعالى لسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام { وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب } ـ يأتى الإمام على كرم الله وجهه يوم القيامة ، فيسأله ربه ـ وهو سبحانه أعلم وأعلى ـ عن هؤلاء الشيعة الذين اتخذوه إماما ، وادعوا حبه ، وحب عترته ، ويكرهون الصحابة ، ويسبونهم ، وأدخلوا فى الدين ما ليس فيه ، فلا يصلوا فى مسجده بالنجف فى الكوفة بالعراق جمعة ولا جماعة ، فيحتج الإمام على لربه بمسجده فى الكلح ، وأحبابه الذين يحبون صحابة رسول الله ،كما يحبونه ويحبوا عترته معا ، على النحو المتقدم فى المتن .

(٢) مولانا الحاج احمد أبو الحسن السواد الأعظم ، قصيدته القوقامية ، مخطوطة ، ومطلعها : بدأت ببسم الله نظم قصيدتى * فافتح بها يارب باب الإجابة .

فمن زاره بالكلح أو صلى أو دعا * يجيب له الرحمن في التو دعوة
فلو علم الزوار ما في مقامه * لجاءوا له من كل وعر وسهلة
مقام على بالعراق بكوفة * فليس به صلوات لجمع وجمعة
وليس به إلا زخارف مرسمة * وقوم لقد ضلوا يُسَمَّوا بشيعة
يسبون أصحاب النبى وزوجه * وقد تركوا الصلوات جماعة وجمعة
إذا سُئلوا عن الجماعة وتركها * يقولوا فلا جمعة بموت الأئمة
وتسألهم من أين جئتم بنصكم * يقولوا علىّ قاله يوم بيعة
فو الله بهتاناً وزورا مقالهم * وحاشا علىّ يرضى هدم الشريعة
وقد فارقوا الدين الحنيف بما أتى * إذا سُئلوا قالوا نوالى لعترة
فو الله كفار ولا دين عندهم * برئ رسول الله منهم وعترة

وتوضح هذه الأبيات أن إمامنا العربى بنى مسجد ، ومقام الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بإذن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لكونه أمر عظيم ، وقول ثقيل ألقاه الله على عاتق الختم العربى ، وخصه به ، بعد أن توارى عنه جميع رجال الله فى أوقاتهم .

كما بيَّن السواد الأعظم أن مسجد الإمام على ، ومقامه بالكلح ، سيكون حجة له عند سؤاله عن هؤلاء الشيعة ، المارقين عن الدين الحنيف ، المدعين لمحبته ؛ إذ يتبرأ الإمام على منهم ، وينكرمحبتهم له ، ويستشهد ـ آنذاك ـ بهذا المسجد الذى يحمل اسمه ، ومشهده، وتقام فيه الجمعة ، والجماعة ، ويتباهى بعمارته من المحبين ، الذين يحبون الله ورسوله ويحبونه ، ويحبون عترته ، جنباً إلى جنب لمحبتهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

كما يبطل السواد الأعظم فى هذه الأبيات مزاعم الشيعة بأن الإمام على هو منْ أمرهم بعدم إقامة صلاة الجماعة ، أو الجمعة بالمسجد ، ويكشف زيفهم ، وبهتانهم ، ويصفهم بالكفر البوان ، ومفارقة الدين الحنيف ، الذى أتى به الرسول الكريم ، وأنه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ برئ من هؤلاء الشيعة ، كما يبرأ منهم الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وعترته .

أما عن حقيقة المأذنة ، فيقول إمامنا العربى : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، لقد صببت فى تلك المأذنة ـ مأذنة مسجد الإمام على ـ القرآن كله (١١٤) سورة ، وعجنت درجات سلم المأذنة ، وشرفاتها التى تطل على الساحة بماء أمطار سيول سحب تجليات الآيات ، وهى ودائع تنتظر أصحابها من المحبين

حينما تهل مواقيتهم { يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ }[١]، ولو علم الأقوام ما أودع الله ـ جل وعلا ـ فيها من تجلى لأتوا إليها حبواً" .

وينشد إمامنا العربى قائلاً :

والنبى واللهى قال لى * عَلْىّ الموادن عَلْىّ

وشيخ العصبة قال لى * عَلْىّ الموادن عَلْىّ

فها هو مرة أخرى يهضم ذاته ، فانياً ، ومنوّهاً إلى جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مخاطباً السواد الأعظم ، قائلاً له : " وشيخ عصبتنا على الإطلاق هو سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وكل المحبين ، والمحبوبين ، وأهل حضرة الله حقا ، ومحمد العربى ، وأنت يا أحمد ، والشيخ أبو رضوان ، والشيخ الطيب ، وغيرهم تحت لواء أستاذ الأنبياء والمرسلين ، وشيخ الأولياء والعارفين، هكذا يا خياتى هكذا " .

ويلمح المتمعن فى هذين البيتين إلى أن بناء المأذنة كان بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ كما هو الحال فى بناء المسجد[٢] .

المطلب الثانى
تشييد ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه

بعد بناء مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ جاء دور المضيفة (الساحة) ، وعلى ذات المنوال، أُسِّسَت الساحة الجديدة فى الناحية الجنوبية بجوار المسجد ، وأسماها ـ أيضاً ـ " ساحة الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه " نسبة إلى أبوه وجده ، ولم ينسبها إلى ذاته ونفسه ، فما برح إمامنا في كل موضع يهضم ذاته ، وحقه .

وقد انعكست في ساحة الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ جميع الصفات الحميدة التي تحلَّى بها سميها الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ من إيمان ، وعلم ، وجود ، وكرم ، وفتوة ، وتجسدت تلك الصفات واقعاً ملموساً في ردهات الساحة ، وأخلاق القائمين عليها.

وتقوم ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بدور اجتماعى فاعل ، وواسع لاسيما فى استقبال الضيوف ، وإكرامهم ، وإيواء الفقراء ، والمساكين ، وعابرى السبيل .

---

(١) البقرة : ١٨٩ .

(٢) سمعته من ربيب إمامنا وخديم ساحته ، الشيخ / جابر عبد المنعم .

وفضلاً عن ذلك ، تمثل ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ منارة إعلامية ، وثقافية لأهل البلدة ، والزوَّار الوافدين إليها من جميع محافظات مصر ، والدول الإسلامية ، ويحتفل فى عراصها بالموالد الصوفية ، والمناسبات الدينية المختلفة(١) .

وغنى عن البيان أن إقامة الموالد ، والاحتفالات الصوفية تمثل ظاهرة دينية ، واجتماعية ، تعقد فيها الاجتماعات ، والندوات الفكرية ، والتوعوية لنشر صحيح الدين ، وترسيخ المعانى الميسرة للشريعة السمحاء ، فتجذب إليها المريدين ، وتستقطب شباب المسلمين من براثن التطرف والإرهاب البغيض ، الذي تروِّج له الجماعات التكفيرية .

وبغير مين فإن هذه الموالد ، والاحتفالات تجذب إليها الشباب من جميع فئات المجتمع وقد يجد المنحرف أو المدمن منهم فى تلك الأجواء الروحية التى تعم هذه الاحتفالات ـ الأمل فى صلاح حالهم ، وإعادة ما هُدِرَ من كرامتهم ، وفقدوه من ثقتهم بأنفسهم ، فيجهدوا ، ليحظوا بمزيد من هذه الثقة ، وينخرطوا فى أوجه الطاعات ، التى تسود فعاليات تلك الموالد، ويندمجوا فى زمرة المحتفلين ، ويعودوا ـ بالتالى ـ إلى أحضان مجتمعهم صالحين.

أما عن التأصيل الشرعى لهذه الشعائر ـ موالد ، واحتفالات دينية ـ فثابت فيما أراده الله من عباده بتذكر نعمه ، وتعظيم شعائره ، والتعرض لنفحاته(٢).

---

(١) جدير بالذكر أن ساحة الإمام على بالكلح تعج بالزوار والأحباب والمريدين الذين يوفدون إليها من جميع محافظات مصر ، بل وأصقاع البسيطة ، حيث لا ينقطع الأحباب والمريدين من دول أجنبية كماليزيا ، وغيرها عن حضور فعاليات المناسبات الدينية التى تقام بها .

(٢) ترجع مرجعية الاحتفالات الدينية إلى قوله تعالى { وذكرهم بأيام الله } إبراهيم/ ٥ ، وجاء في تفسير ابن كثير : أي بآياديه ونعمه عليهم . وقوله تعالى { ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب } الحج / ٣٢ ، وجاء في تفسير الوسيط ، قال القرطبى : والشعائر : جمع شعيرة ، وهى كل شيئ لله ـ تعالى ـ فيه أمر أشعر به وأعلم ، فشعائر الله : إعلان دينه لاسيما ما يتعلق بالمناسك ، فتعظيمها دليلاً على تقوى القلوب وحسن صلتها بالله ـ سبحانه ـ وخشيتها منه ، وحرصها على رضاه ـ عز وجل . كما جاء في الحديث الشريف رقم (١٥٢٥٧) من كتاب المعجم الكبير للطبرانىعن محمد بن مسلمة الأنصارى ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، لعله يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا) ، وفى شرحه يقول الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر السابق : هذا الحديث قصد به النبى الحث على اغتنام الأيام الفاضلة ، والساعات المباركة ، واستباق الخيرات ، وتحين الفرص ، كالدعاء يوم عرفة ، وليلة القدر ، وغيرها .

هذا فضلاً عن دور هذه الشعائر الدينية في تزكية النفوس ، وعلو الهمم ، وسمو الأرواح ، ومساعدة الشباب في المحافظة على أوقاتهم ، والتفاعل مع مجتمعاتهم .

فضلاً عن دورها في تصحيح الاعتقاد الخاطئ بأن التصوف لا علاقة له بالعمل الخدمي أو العلاقات الاجتماعية ، وقصره على مجرد الممارسات الروحانية ، وهو ما يتطلب التغيير من خلال نشر الثقافة الصوفية العلمية ، وإحياء الممارسات الاجتماعية النافعة فى الطرق الصوفية ، وتنميها .

ناهيك عن دور ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فى إعانة الأسر الفقيرة ، وذوى الاحتياجات الخاصة فى المنطقة المحيطة بها ، وكذا دورها فى تنظيم مسابقات حفظ القرآن، وإقامة سباقات الخيل، التى تجرى على هامش احتفالاتها[١].

---

(١) انطلق الدور الاجتماعى لساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فى الآونة الأخيرة إلى آفاق جديدة أكثر اتساعاً، وذلك من خلال امتداد فروعها فى كثير من محافظات مصر ، وخارجها ، وكذا ، من خلال الدور الفاعل الذى تبنته السيدة الشريفة المصونة / كريمة العربى بنت إمامنا فى المشاركة الاجتماعية إنطلاقاً من أرض الساحة إلى أرض الواقع ، بوصفها من فضليات سيدات الأعمال والمجتمع فى صعيد مصر ، ورئيسة " مؤسسة الفتح العربى "، وهى المؤسسة المعنية بالأنشطة الخدمية والاجتماعية والتعليمية . ويتجلى هذا الدور فى تسخير موارد مشروعاتها الانتاجية والاستثمارية للإنفاق على الأنشطة الاجتماعية بعدما اتجهت إلى العمل الخيرى والتنموى والإنسانى ، وتولى السيدة كريمة العربى اهتماماً كبيراً بمجالى التعليم والصحة ، بوصفهما أساس التنمية البشرية فى أى المجتمع ، ولا تفتر السيدة كريمة العربى عن تقديم أوجه الخير لكل من يقصدها ، وحث أقرانها من رجال وسيدات الأعمال على المساهمة فى أعمال البر والخير ، وتوطيد كل ذلك للنهوض بالمجتمع الصعيدى ، وتقديم الخدمات لأهله ، وتكرس السيدة كريمة العربى جهدها فى القرى الأكثر احتياجاً ، وتعمل بالتعاون مع البنك التجارى على تغطية الاحتياجات ، والأجهزة الطبية بمستشفيات تلك القرى المهمشة ؛ سعياً لتقديم خدمة صحية لائقة بأهلها ، وكذا مساعدة المدارس فى نطاق هذه القرى ، والعمل معها على توفير متطلباتها من الأدوات المدرسية ، والوسائل التعليمية ، وكذا مد يد العون ـ مادياً ومعنوياً ـ لتلاميذ تلك المدارس ؛ تشجيعاً للعملية التعليمية ، وتخفيفاً للعبء الواقع على كاهل أسر هؤلاء التلاميذ جراء تعليمهم ، كما تخصص السيدة الشريفة كريمة العربى نصيباً وافراً من نشاطها الاجتماعى إلى المدارس الفكرية ، وروادها من ذوى الاحتياجات الخاصة ، وتسعى إلى مساعدتهم فى صورة إنسانية لا تجرح مشاعرهم ، كتنظيم المسابقات لهم ، وتقديم المساعدة فى شكل جوائز الطلبة . ولا يقتصر دور السيدة كريمة العربى على ذلك ، بل يمتد لعقد المؤتمرات ، والندوات التثقيفية بمشاركة المسئولين الإداريين لمناقشة الاحتياجات اللازمة للنهوض بمستوى القرى الأكثر احتياجاً فى بلدان الصعيد ، وتقدم لهم التبرعات والمساعدات المادية والمعنوية ، وتشارك السيدة كريمة العربى جامعات الصعيد فى مجال تطوير التنمية البشرية لأهل الصعيد ، لاسيما

وإجمالاً ، تُعَد ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وبحق ـ موئلاً ، وملاذاً للفقراء ، والمحتاجين ، وعباد الله السائحين في أرض الله ، وطلاب العلم ، والأحباب ، والمريدين .

ومن نافلة القول ، أن جميع الشعائر الدينية التى تقام فى ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ تمارس فى نطاق شرعى ، حيث تؤدى خلالها الصلوات المفروضة في أوقاتها في مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ويمنع فيها الاختلاط بين الرجال النساء ، وكل ما لحق ببعض الطرق الصوفية ـ مؤخراً ـ من بدع ، وشبهات لاتتفق مع شرعنا الحنيف .

وتتزين ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فى تلك الموالد ، والاحتفالات بالأنوار ، ورفع الرايات والأعلام الصوفية ، وتفرش السرادقات الفخمة ؛ لاستقبال الوافدين إليها ، وتثج الذبائح ، وتمد الموائد بأطايب الطعام ، ويعج الحاضرون بالتكبير، والتهليل ابنتهاجاً وفرحاً بنعم الله ، ونفحاته الطيبة التى تعم الساحة فى تلك الموالد(١).

ويطيب لى ـ عزيزى القارئ ـ أن أشير بإيجاز إلى مراسم الاحتفالات الراتبة ، التى تقام فى ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ علَّنَا نعيش أجوائها ، أو يصيبنا من نفحاتها ، وذلك على الوجه التالى :

١ـ *الاحتفال بالعيدين* :

لدى المرأة ، وترعى أنشطة هذه الجامعات الموجهة إلى هذا المجال ، ومن ذلك رعايتها لمؤتمر " الاعلام والاستثمار والتنمية المستدامة " ، الذى أقامته كلية الإعلام بجامعة جنوب الوادى ، وللسيدة كريمة العربى باع طويل أيضاً فى المجال التوعوى لتنمية المجتمع الصعيدى والنهوض به ، وذلك من خلال لقاءاتها الإعلامية عبر القنوات التليفزيونية الأقليمية ، وغيرها من القنوات المهتمة بالمجال الاجتماعى فى المجتمع الصعيدى ، وكل ذلك إنطلاقاً من ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ومنهج صوفى مستنير ، فجزاها الله كل الخير .

(١) يُعد التكبير والتهليل بصيغة : " الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر والعزة لله ورسوله ، الله أكبر والعزة لبنى الزهراء ، الله أكبر والعزة للعصبة الهاشمية " من السمات المميزة فى احتفالات ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ التى يرددها المحتفلون خلف شيخهم أو احد أبنائه أو أحبابه ، كما يصدر القائمون على مطبخ الساحة صيحاتهم : " كله من بركاته صلى الله عليه وسلم ، كله من نفحاته صلى الله عليه وسلم ، كله من إمداده صلى الله عليه وسلم) إيذاناً ببدء غرف الأطباق وتقديم الوجبات على المائدة ، فى إشهار بأن كل خيرات الساحة من إمداد سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وأنه لا فضل لأحد غيره فى ذلك .

تحتفل ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وتهنأ مع المسلمين بعيدى الفطر ، والأضحى بوصفهما من شعائر الله ، التى تميز المسلمون ، وينبغى إحياؤهما ، وإدراك مقاصدهما ، واستشعار معانيهما .

وفى الحديث الشريف : " قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال : ما هذان اليومان ، قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ، ويوم الفطر"(١).

وتحيى ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ هذين العيدين بإستقبال الزوار ، والأحباب والمهنئين، وتبدأ فعاليات الاحتفال برفع التكبيرات والتهليلات ، وإقامة صلاة العيد بمسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وبعد انتهاء الصلاة ، واستماع خطبة العيد ، يخرج المصلون إلى ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ويتبادلون التهنئة ، ويقدم إليهم أطايب الطعام ، والحلوى ، والطيب ، ثم يجلس الحاضرون لسماع آيات الذكر الحكيم ، وكلمات الوعظ والإرشاد ، لاسيما المبشرات ، ثم ينشد أبناء العصبة الهاشمية المديح فى المليح .

ويستمر الاحتفال طوال أيام العيدين ، تعج فيها الساحة بالزوار ، والأحباب ، وتُمَد خلالها موائد الطعام للوجبات الثلاث ، ويعم الجمع البهجة ، والمسرات ، ومظاهر الترويح عن النفس ، والأهل ، وعلى هامش الاحتفال بالعيدين تقام في فناء الساحة حلقات التحطيب(٢).

٢ـ *الاحتفال بمولد الإمامين* :

يعد الاحتفال بمولد الإمام العربى ـ شيخ العصبة الهاشمية ـ وصنوه السواد الأعظم ـ العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنهما ، من أهم الاحتفالات التى تقام بساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ، وغالباً ما يبدأ من يوم السبت حتى يوم الخميس الأخير من شهر صفر(٣) .

---

(١) سنن أبى داود ، رقم (١١٣٤) ، عن سيدن أنس ـ رضى الله عنه .

(٢) فى مشروعية الترويح عن النفس والأهل يوم العيد ، جاء فى صحيح الإمام البخارى ، روت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : " رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً على باب حجرتى والحبشة يلعبون فى المسجد ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسترنى بردائه ؛ أنظر إلى لعبهم "

(٣) انتقل مولانا الإمام العربى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر صفر عام ١٤٠٥ هـ ، بينما انتقل السواد الأعظم فى السادس من جمادى الأولى عام ١٤١٤ هـ . انظر : ما سيجيئ ذكره عن وفاته وضريحه ، في الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا المؤلف .

أما عن مراسم الاحتفال بمولد الإمامين ، فهى ذات المراسم التى تتبع في احتفالات العصبة الهاشمية ، حيث يبدأ البرنامج بعد صلاة العشاء بسماع آى الذكر الحكيم من مشاهير القراء ، ثم كلمات الوعظ والإرشاد ، ثم الإنشاد الدينى ، والمديح في المليح من كواكب العصبة الهاشمية ، والمدَّاحين ، فتقشعر جلود الحاضرين ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فترى الجمع تحلقوا للذكر نشاوى ؛ طرباً بمديحه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وعلى هامش الاحتفال بمولد الإمامين تعدو العاديات فى مضمار الخيل ، وتنطلق الفرسان ، مدفوعة بحماس المشجعين ، ويستمتع بالمشاهدة الآلاف من جمهور الحاضرين والزائرين ، وتوزع الكئوس والجوائز على الفائزين في جو مفعم بالبهجة ، والسرور .

كما تنصب على هامش الاحتفال حلقات التحطيب (لعب العصا) ، بوصفها هواية رجال الصعيد الأكثر شعبية ، التى تثير حميَّة الفروسية ، والفتوة فيهم.

٣ـ *الاحتفال بالمولد النبوى الشريف :*

يبدأ الاحتفال بالمولد النبوى الشريف في ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ اعتباراً من الأول من شهر ربيع الأول من كل عام ، ويستمر حتى ليلة الثانى من عشر من ذات الشهر ، ويتبع فيه ذات البرنامج المعهود فى احتفالات العصبة الهاشمية ، سالف الذكر ، ويضاف إليه قراءة قصة المولد النبوى الشريف فى كل ليلة ؛ إحياءً لسيرته العطرة ، التى تبعث الشوق لحضرته ـ صلى الله عليه وأله وصحبه وسلم ـ وتزيد الارتباط ، والتأسى بأفعاله ، والتحلى بأخلاقه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وفى عصر يوم الحادى عشر من ربيع الأول ـ يخرج المحمل مزيناً ، ومزفوفاً بالمدائح النبوية من أبناء العصبة الهاشمية ، ويطوف أنحاء البلدة ، فى جو تملأه مشاعر البهجة ، والفرح ، والسعادة بمولد النبى صاحب السيادة ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

٤ـ *الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج :*

تحتفل ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب من كل عام ، ولايختلف برنامج الاحتفال بهذه الليلة عن بقية ليالى العصبة الهاشمية ، سالفة الذكر .

٥- احتفالات الساحة بشهر رمضان المبارك ، وليلة القدر:

يختص شهر رمضان المبارك بطقوس ، وشعائر خاصة في احتفالات العصبة الهاشمية ، بما يتواكب مع هذا الشهر الفضيل ، حيث تُمَد فى ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ على مدار الشهر موائد الإفطار ، والسحور للفقراء ، والمساكين ، وعباد الله السائحين ، والزوار ، والأضياف المتواجدين بالساحة.

وبعد صلاة العشاء والتراويح بمسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ تبدأ السهرة الرمضانية ، حيث يصطف الحاضرون لسماع القرآن الكريم ، وحتى موعد السحور .

كما يقام في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر المبارك احتفالاً عظيماً بليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، يدعى فيها الأحباب من كل مكان ، ويتوافد المدعوون من كل صوب وحدب ، وتمد موائد الإفطار في كل مكان في الساحة ، والمسجد ، وتقدم أشهى الأطعمة ، والأشربة في مشهد جليل ، يسر الناظرين .

وعقب أداء صلاتى المغرب ، العشاء ، والتراويح في مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يبدأ برنامج الاحتفال كالمعتاد في بقية احتفالات العصبة الهاشمية ، ويتخلل برنامج الاحتفال تقديم أطيب الحلوى ، والمشروبات الرمضانية حتى موعد السحور ، ومطلع الفجر.

ويشدو السواد الأعظم ناشئاً :

أتينا ليلة القدر * في ساح قد سمت قدرا

وفيها قد ظهر بدرا * سلام مطلع الفجر

وعلى غرار ما أسلفنا عن حقيقة مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ، يقول إمامنا العربى : " قد يكون العبد الصالح ، العبد الذى ربه اجتباه ، العبد الذى ربه اصطفاه ، العبد الذى ربه اختاره ، العبد الذى ربه أناره ، مسجلة في صدفة عالم تكوينه، في طى روحه ، كطى السجل للكتب ، مسجلة فيه ببركة النبى الوجيه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ألف ألف ليلة قدر ، وقد يجتمع في مكان ، وتشرق ليلة قدر من غار صدره ، ومن طى روحه على خلق ، أو على قوم ، فيجتبيهم الله ، وهذا عطاء الله لايزيده التحدث ، ولا ينقصه الكتمان "[١].

---

(١) سمعته من ربيب الإمام وخديم ساحته ، الشيخ / جابر عبد المنعم .

وتمثل هذه الموالد اجتماعات عامة يلتقى خلالها أبناء العصبة الهاشمية ، يطلعون على أحوال بعضهم البعض ، تجدد بينهم أوصر المحبة ، يقول السواد الأعظم : المولد مورد للخير ، ومُوَلِّد للمحبة، والمعرفة ، والشوق ، والذوق ، والتوق ، والهمة ، والصدق ، فالأرواح تلقح بعضها بعضا .

ويبسط في الشرح قائلاً : " تتجلى فائدة المولد فى مشهد ليلة المولد بحضور أهل الله ـ رضى الله عنهم ـ إلى مكان المولد ، وقيامهم برفع صاحب المولد على منصة التنصيص، ثم يتشرف المجلس بحضور شيخ الأنبياء ، وأستاذ المرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومباركته ، وهنا تكتب لكل من شهد المولد جمعية بحضرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا ما وضع الميزان فى عرصات القيامة ثقلت موازينه بهذه الجمعية ، فينجو ويربح ، ويدخله الله بفضله ومَنِّه فى جنته " . اللهم اجمعنا بحضرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الدنيا والآخرة بفضلك ومنك يا معروف بالإحسان!

وفى بيان فضل ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ينشأ السواد الأعظم قائلاً[١]:

وساحة المرتضى كونوا بها خدما * منها تُمَدُّوا وطول العمر راقينا
وساحة مجدت فوق العروش سمت * بها الإمام عليٌّ مصدر الدينا
وساحة قُدِّمَتْ فالختم ساكنها * يُمِدَ منْ أَمَّها فتحاً وتعيينا

وفى أخرى يقول :

إن رمت أن تنفذ من الأقطار * فاذهب إلى ساح بها الكرار[٢]

ويستشرف السواد الأعظم مستقبل ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ قائلا : " سيأتى يوم تكون ساحة الإمام على هى أكبر ساحة ، وستكون مثل الحرم النبوى ، والمكى ، وستقوم وزارة الأوقاف على أمور المسجد ، والساحة ، وسوف تنزع ملكية البيوت التى حول الساحة ، وتهدم ، وتضم إلى الساحة ، وتدخل فى توسعاتها ، حتى تصل هذه التوسعات إلى شريط السكة الحديد".

ويستطرد السواد الأعظم ، قائلاً : " سيعلو بنيان الساحة ، وسيشيد فيها عمارات باسقات كناطحات السحاب الزجاجية فى أمريكا ، وأشار إلى مكان هذه

---

(١) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة مخطوطة و غير منشورة ، مطلعها : فما عدلت عن المهدى ودعوته * ولم أقل عن ختام القوم مهدينا .

(٢) السواد الأعظم ، بيت من قصيدة بعنوان : "معيات عربية فى الحضرة العلوية" ، ديوانه " بساتين الجنات في المدائح والصلوات على سيد السادات ، ج١ ، ص١١٥ .

العمائر، وأضاف بأن كل الساحة ستجلَّد بالرخام، وتزود جميع غرفها ، وطوابقها بمكيفات الهواء ، وسيخصص فيها استراحات لكبار الزوار ـ وحدد منْ هم كبار الزوار قائلاً : والله يشهد أنهم من الوزراء ـ كما سيفد إلى الساحة من كل الأجناس ، واللغات ، من كل أنحاء العالم ، ومن كل فج عميق مثل الحج ، حتى أنه من كثرة الناس ، والزوار ، وازدحام الساحة بهم لن تستطيعوا الدخول لزيارة المقامات" .

ويضيف قائلاً : " أن كل شريف من الأشراف ، أو شريفة من الشريفات من أبناء إمامنا العربى سيكون له أحباب ، وخدمة خاصة به ، وتتعدد تلك الخدمات احتفالاً بمولد إمامنا العربى .

وعن توقيت حدوث تلك التطورات ، أكد السواد الأعظم قاسماً بالله أن ذلك سيحدث قريباً ، وستشاهديه ـ أي : السيدة / الزهراء كريمة إمامنا العربى ـ حال حياتك"[١].

والمتابع لتطورات ما يحدث فى ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يلمس بوضوح تحقيق الكثير مما استشرفه السواد الأعظم لمستقبلها ، فها هى طوابق علوية إضافية ، شيدت فوق أدوار الساحة ، وها هو الرخام يكسوها ، ومكيفات الهواء تملأها ، ونرى الزوار والوافدين عليها يتزايدون يوما بعد يوم ، وفدوا إليها فرادى ، وجماعات من كل فج عميق ، على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ، وها عينى ترى علْية القوم يسعون إليها ، كما استقبلت ردهاتها وزراء ، منهم من وُلِدَ من رحمها[٢].

---

(١) حديث خاص دار بين السواد الأعظم وبين السيدة الشريفة الزهراء ـ كريمة إمامنا العربى ، بساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ونقل عن حضرتها ، لمطالعة الحديث كاملاً : تصفح : (تطبيق فيس بوك) بوست على صفحة باسم " الفتح العربى " ، منشور فى ٢٠١٩/٨/٣١م ، وتم التوثق من صحة مضمونه .

(٢) يشار إلى أن الأستاذ الدكتور مهندس/ هشام عرفات أحد أبناء العصبة الهاشمية ، وساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ المترددين عليها ، ومن أخلص أحبابها ـ كان قد تولى وزارة النقل المصرية فى تعديلات وزارة المهندس / شريف سليمان فى فبراير ٢٠١٧ ، واستمر فى منصبه فى وزارة مصطفى مدبولى حتى قدم استقالته من منصبه فى ٢٠١٩/٢/٢٧ م ، ويعد الدكتور / هشام أحد أبرز خبراء الطرق بمصر ، و أكفأ وزراء النقل ، وقد أشرف خلال فترة توليه على المشروع القومى للطرق ، الذى أحدث طفرة ملحوظة فى البنية التحتية للطرق فى مصر ، وتقدم على أثره ترتيب مصر عالميا فى هذا المجال .

ولا يخامرنى أدنى شك أن بقية ما استشرفه السواد الأعظم لمستقبل ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ من عمارة ، وعلو ، وانتشاراً سيتحقق ، وفى الموعد الذى ضَرَبَه ، بإذن الله تعالى .

اللهم اجعل فى هذه الساحة حشرنا ونشرنا يوم العرض عليك ، حتى تمر بنا على الصراط ونحن بأهلها فى أتم رباط ، وشفعهم فينا . اللهم لا أقول اكرمهم ، ولكن أقول اكرمنا بهم . اللهم اكرمنا بذرية شيخنا ، وبأحباب شيخنا ، وانفعنا بأحباب شيخنا ، واوصلنا بأحباب شيخنا ، وعطف علينا قلوب أحباب شيخنا . اللهم رَقِّنا فى خواطرهم ، وبخواطرهم واجمعنا بهم فيك يارب العالمين . اللهم سُق إليها عبادك المؤمنين ، آمين "[1] .

ولعل هذا القدر من الحديث عن دور إمامنا العربى الاجتماعى من خلال إقامته مسجد، وساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يكون كافياً لما أردت بلوغه ، ولا يسعنى فى الختام إلا القول : " هذا ما بدا لى ، وما خفى كان أعظم ".

---

(١) من دعاء وتوسل السواد الأعظم ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ بشيخه ، وأبنائه ، وأحبابه ، وساحته .

الباب الثالث

{ مقام ، ومرتبة ختم الأولياء }

نحاول من خلال هذا الباب التعرف على مقام إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ـ ومرتبته في الولاية ، وذلك من خلال فصلين ، يتعرض الفصل الأول لتعريف المقام ، والمرتبة الختمية ، والرد على حجج المنكرين لها .

بينما يخصص الفصل الثانى للختم العربى ، و بيان نسبة المرتبة الختمية إلى الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه ـ وشواهد ذلك ، وعلى النحو التالى

الفصل الأول

{ مرتبة الختم ، والرد على منكريها }

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين : الأول ـ المقام ، ومرتبة ختم الولاية المحمدية ، والثانى ـ الرد على حجج المنكرين لهذه المرتبة وذلك على النحو التالى

المبحث الأول
مرتبة ختم الأولياء
المطلب الأول
المقام ، والمرتبة الصوفية

المقام ، والمرتبة ، وغيرهما ، مصطلحات تعارف عليها أهل التصوف ، ورمزوها فى كلامهم ، وأحاديثهم عن أولياء الله ، ومنزلتهم ، وقدرهم ، كالمكاشفة ، والمشاهدة ، والسكر ، والصحو ، والأقطاب ، والأبدال ، ونحو ذلك .

وغنى عن البيان أن عالم الولاية هو عالم الحقائق الباطنة ، والأسرار المكنونة ولذلك ستره الحق تعالى عن عامة خلقه ، لأن العقول المعقولة ، والنفوس المصفدة والقلوب المحجوبة تعجز عن إدراك كنه الحقائق ، وتكل عن استشراف الأنوار، ودقائق المعانى والأسرار ، فاستأثر الحق تعالى بأوليائه ، وعَزَّ بمعرفة أقدارهم عن العامة ، ووسمهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بالضنائن ، فقال فيما معناه : " إن لله تعالى ضنائن من خلقه يغذوهم فى رحمته ، يحييهم فى عافية ، ويميتهم فى عافية ، وإذا توفاهم توفاهم إلى جنته ، أولئك الذين تمرعليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافيه"[1].

ولا غَرْوَ فى حق الصوفيه أن تكون لهم مصطلحاتهم التى يعبرون بها عن معارفهم ؛ صوناً لأسرارهم عن العامة ، وغُلْفِ القلوب ، مهما كان لهؤلاء من نصيب فى العلم الكسبى ، أو ضربوا فيه بسهم ، فلكل أهل فن من العلوم مصطلحاتهم الخاصة بهم ، ولم يعترض عليهم ، أو ينازعهم فيها أحد ، كمصطلحات علوم القرآن والحديث ، وأصول الفقه ، والنحو والصرف ، بل ومصطلحات ، الطب ، والفلك ، والهندسه ، وغيرها[2].

---

(١) رواه الطبرانى وأبو نعيم عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) أنكر بعض المحدثين السلفيين هذه المصطلحات الصوفية ، فتراهم يقولون إن هى إلا بدع منكرة ، ويجحدون مراتب الأولياء وألقابهم الإصطلاحية ، ومنازلهم الروحية ، ويزعمون أنها تفتقر إلى دليل شرعى ، أوعقلى . ولعل أبلغ ما يدحض إنكار هؤلاء المحجوبين ما أقر به أحد كبارهم ، وهو الحافظ ابن كثير ـ تلميذ ابن تيمية ـ فى موسوعته التاريخية (البداية والنهاية) ، فقد صَرَّحَ بمصطلحات الصوفية ومراتبهم ، وكذا بأحوالهم ومكاشفاتهم ؛ إذ يقول فى ترجمة الشيخ العارف عبد الله الأرمنى رضى الله تعالى عنه مانصه : " أحد العباد الزهاد ، الذين جابوا البلاد ، وسكنوا البرارى ، والجبال ، والوهاد ، واجتمعوا بالأقطاب ، والأبدال ، والأوتاد ، وممن كانت لهم الأحوال ، والمكاشفات ، والمجاهدات ، والسياحات فى سائر النواحى

وقد أصَّلَ العلماء المنصفون لمصطلحات الصوفية ، وأثبتوا شرعيتها بالكتاب ، والسنة ، والآثار، والنقول ، فضلاً عن إدراكها ذوقاً وكشفاً ، كما تحققت لديهم هذه المصطلحات بالمنهج التجريبى ؛ باعتباره أقوى براهين الثبوت فى عالمنا المعاصر ، وعند كبار العلماء والمفكرين فى الشرق والغرب على حد سواء .

ونشير فيما يلى بإيجاز إلى بعض هذه المصطلحات المتعلقة بالبحث ، والتى قد تختلط على الكثير ، وذلك على النحو التالى :

أولاً ـ الأحوال ، والمقامات :

الأحوال مثل : حال البسط ، والقبض ، والخوف ، والشوق ، والقرب ، والمراقبة ، والرجاء ، وأمثال ذلك .

والحال عندهم : " نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم"(١) ، أو هو : " ما قام بالقلوب من المواهب الإلهية والجذبات القدسية ، وقيل أنه : " ما أقام العبد به دين الله في قلبه وجوارحه مثل التعظيم لله تعالى ، والحب له ، والمكاشفة بجلاله وإكرامه ، وعظمة شأنه ، والحياء منه الموجب لاستقامة الظاهر ، وصفاء الباطن"، وقد يطلق العامة مصطلح الحال ـ أيضاً ـ على خوارق العادات "(٢) .

وأما المقامات مثل : مقام الرضا ، والتسليم ، والورع ، والزهد ، والفقر ، واليقظة ، والتوبة وأمثال ذلك .

والمقام عندهم : " مقام العبد بين يدي الله ـ عز وجل ـ فيما يقام فيه من العبادات ، والمجاهدات ، والرياضات ، والانقطاع إليه سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى { ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }(٣) ، { وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ}(٤).

والجهات " ، فحقا أنها شهادة إنصاف بمنأى عن شطط الهوى ، وقَتَام التعصب المذهبى البغيض !! ، نقلاً عن : القطب أحمد الرفاعى ، أنواع الأولياء ومراتبهم وديوان الصالحين ، منشور بموقع باسمه على شبكة المعلومات العالمية .

(١) حُكي ذلك عن إمام العارفين وسيد الطائفة الجنيد ، رحمه الله .

(٢) الواسطي ، رحمه الله .

(٣) إبراهيم : ١٤ .

(٤) الصافات : ١٦٤ .

أو هو " ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ، مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف ، فمقام كل واحد في موضع إقامته عند ذلك"(١).

ووضع الصوفية علامات ، وشروط لا تصح بها الأحوال ، والمقامات إلا بتوافرها ، ومن هذه العلامات :" ما وافق كتاب الله ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وجذب إلى الله ، وآثرهما قرباً من الله ، وعَبَدَ الله بذلك الحال ، فاتصلت عبودية العابد بذلك الحال بالله ، وكان الله ـ عز وجل ـ هو المعبود به ، والمعظم فيه ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الداعي إليه ، والعابد له فيه ، وكان العبد هو الذليل الفقير ، الراجع إلي مولاه بالافتقار ، والالتجاء إليه ، كما أنها تُزهِّد صاحبها في الفاني ، وتُرغِّبه في الباقي ، وتُغَيِّبه عن الخلق ، وعمَّا في أيديهم ، فيتصل غِناه بالله ، وفقره إليه ، وينفصل عن العالم ، وعن الأشياء مما سوى الله تعالى"(٢).

ويشترط عندهم " أن لا يرتقى العبد من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ، ومن لا توبة له لا تصح له الإنابة ، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد " ، كما لا يصح عندهم " منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ؛ ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة "(٣).

وفرَّقَ الصوفية بين الحال ، وبين المقام : فالحال سُمِّي حالاً ؛ لتحوله ، والمقام سُمِّي مقامًا ؛ لثبوته واستقراره ، والحال من المواجيد ، والمقام طرق لهذه المواجيد .

لذا ، فإن صاحب الحال مترقٍ عن حاله ، وصاحب المقام متمكن في مقامه ، والحال معنى يَرِدُ على القلب من غير تعمد ولا اكتساب ، بينما المقام ما يقام فيه العبد ويتحقق بالعبادات ، والمجاهدات ، والمكاشفات .

والحال تبطن فيه المكاسب وتظهر المواهب ، بينما المقام تبطن فيه المواهب وتظهر المكاسب(٤) .

---

(١) الطوسي ، رحمه الله .

(٢) الإمام الواسطي .

(٣) : القشيري .

(٤) الإمام الواسطي .

وبالطبع ، فإن التفرقة بين الحال والمقام ما هى إلا محاولات نظرية للتمييز بينهما ، وباستقراء كتابات الصوفية تلمس بجلاء عدم الفصل التام بينهما ، فالحديث عنهما يأتى ـ غالباً ـ فى سياق متصل ، والقول بأن الحال يحصل للعبد وهباً من الله ، بينما يُنَال المقام بالكسب والمجاهدة قول مرجوح ـ لديهم ـ لأن كليهما يعتمد أساساً على الوهب الإلهي ، والتوفيق من عنده سبحانه وتعالى للعبد .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الشيء بعينه قد يكون حالاً ثم يصير مقاماً أو العكس ، وذلك بحسب ما يجرى على العبد السائر إلى الله من تجارب ذاتية ، وبقدر ما يُفتَح به عليه من أحوال زَكيَّة ، أو مقامات عَليَّة[1]

ثانياً ـ مراتب الأولياء ، وخصائصهم :

المراتب مثل : الختم ، والأفراد ، والقطب الغوث ، والإمامان ، والأمناء ، والأوتاد، والأبدال ، والنجباء ، والنقباء ، وأمثال ذلك .

والمرتبة فى اللغة[2] : الرتبة ، والرتبة تعنى المنزلة والمكانة ، أو المنزلة الرفيعة، ودرجة من درجات الشرف تمنحها الدولة مَنْ ترى تكريمه.

أما فى مصطلح الصوفية : المراتب تعبير لبيان طبقات المتصوفة ، ومكانتهم ، وقدرهم ، وقدرتهم ، واختيارهم على الخلق ، وأعدادهم ، وقد تشير إلى نوع الولى ، ومنزلته ، وخاصِيَّته فى دائرة الولاية ، وهو معنى قريب من المعنى اللغوى .

والخاصِيَّة لغة[3] : هى صفة لا تنفك عن الشيئ وتميزه عن غيره ، واختص فلان بالشيئ : انفرد ، واختص الشيئ : اصطفاه واختاره .

وعند الصوفية : الخاصِيَّة غالباً ما تشير إلى ما خص الله به عبده من اصطفاء ، واجتباء ، وما ناله من مواهب ومنن إلهية ، وما عيَّنَه الله فيه من مكانة ومنزلة ، أوكَلَّفَه به من أعمال ظاهرة ، وباطنة تميزه عن بقية عباده الصالحين .

---

(١) ابن عربى ، الحال والمقام عند الصوفية ، مؤسسة الشيخ الأكبر للدراسات العرفانية والصوفية ، ابن عربى للدراسات العرفانية والصوفية ، ٢٠١٦م ، موقع على شبكة المعلومات العالمية .

(٢) المعجم الوجيز ، الصادر عن مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، ص ٢٥٤ .

(٣) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص١٩٨ .

وأصح ما ورد عن مراتب الأولياء ، هو ما رواه الإمام أحمد فى مسنده (١١٢/١) ، حدثنا أبو المغيرة ـ عبد القدوس بن الحجاج ، ثقة بلا خلاف ـ ثنا صفوان ـ بن عمرو بن هرم ، ثقة ـ حدثنى شريح ـ يعنى ابن عبيد ـ قال : ذُكِرَ أهل الشام عند الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه ـ وهو بالعراق فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين . قال : لا . إنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً . كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً . يُسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويُصرَف عن أهل الشام بهم العذاب".

كما رُوِىَّ عن الطبرانى ـ فى الأوسط ـ عن سيدنا أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : " لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن ، بهم يسقون ، وبهم ينصرون ، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر" ، قال قتاده : لسنا نشك أن الحسن منهم ـ أى البصرى ـ رضى الله عنه ـ قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى مجمع الزوائد : إسناده حسن .

وخَرَّج الإمام الحافظ السيوطى عن الإمام أحمد ـ فى مسنده ـ وأبى داود ، وابن أبى شيبة ، وأبى يعلى الحاكم ، والبيهقى بإسنادهم عن السيده أم سلمة زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " يكون اختلاف عند موت خليفه فيخرج رجل من المدينه هارباً إلى مكه فيأتيه ناس من أهل مكه ويخرجوه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكه والمدينه ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه " .

وخَرَّجَ الإمام السيوطى عن الحافظ ابن نعيم ابن عساكر عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : " إن لله عز وجل فى الخلق ثلاثمائه قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، ولله فى الخلق سبعه قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، ولله فى الخلق خمسه قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله فى الخلق ثلاثه قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام ، فاذا مات الواحد أبدله الله مكانه من الثلاثه ، واذا مات من الثلاثه أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من

الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، بهم يحيى ويميت ويمطر ، وينبت ، ويدفع البلاء ـ قيل لعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه : وكيف كان بهم من يحيى ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ، ويدعون على الجبابرة فينقصون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنبت لهم الأرض ما يدعون ، فيدفع بهم انواع البلاء".

ونتناول فيما يلى قطوف مما قيل عن مراتب الأولياء ، و خصائصهم ، وأعمالهم الظاهرة ، والباطنة :

النقباء : أى نقباء الأقطاب ، وهم ثلاثمائة ، وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ولهم عشرة أعمال أربعة ظاهرة ، وستة باطنة ـ فأما الأربعة الظاهرة فكثرة العبادة ، والتحقق بالزهادة ، والتجرد عن الإرادة ، وقوة المجاهدة ـ وأما الباطنة فهى التوبة، والإنابة ، والمحاسبة ، والتفكر ، والإعتصام ، والرياضة .

والنجباء : أربعون ، وقيل : سبعون ، وهم منشغلون بحمل أثقال الخلق ، فلا ينظرون إلا فى الحق ، ولهم ثمانية أعمال أربعة باطنة ، وأربعة ظاهرة ـ فأما الظاهرة فهى الفتوة ، والتواضع ، والأدب ، وكثرة العبادة ـ وأما الباطنة فالصبر ، والرضا ، والشكر ، والحياء ، وهم أهل مكارم الاخلاق ، والعرفان ـ

والأبدال : سبعة رجال ، وهم أهل فضل ، وكمال ، واستقامة ، واعتدال ، وقد تخلصوا من الوهم والخيال ، ولهم أربعة أعمال باطنة ، وأربعة ظاهرة ـ فأما الظاهرة فالصمت ، والسهر ، والجوع ، والعزلة ، ولكل من هذه الأربعة ظاهر وباطن ـ أما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله ، وأما باطنة فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأخبار ـ وأما السهر فظاهره عدم النوم ، وأما باطنه فعدم الغفلة ـ وأما الجوع فظاهره جوع الأبرار لكمال السلوك ، وباطنة جوع المقربين لموارد الأُنس ـ وأما العزلة فظاهرها ترك المخاطبة للناس ، وباطنها ترك الأنس بهم.

وأما الأعمال الباطنة : فهى التجرد ، والتفرد ، والجمع ، والتوحد ، ومن خواص الابدال : أنه مَنْ سافر القوم من مواضعه ، وترك الجسد على صورته ، فذلك هو البدل لا غير ، والبدل على قلب سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدم عليهم ، يأخذون عنه ، ويقتدون به ، وهو قطبهم ، وقيل

الأبدال أربعون ، وسبعة هم الأخيار ، أو النوادر، وكل منهم له إمام منهم هو قطبهم[١] .

والأوتاد : عبارة عن أربعة رجال منازلهم أربعة أركان العالم ، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومقام كل واحد منهم تلك الجهة ، ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة . فأما الظاهرة فكثرة الصيام ، وقيام الليل والناس نيام ، وكثرة الامتثال، والاستغفار بالأسحار .

وأما الباطنة فالتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم ، ولهم واحد منهم هو قطبهم .

والأمناء : وهم الملامية ، أو الملامتية ، وهم الذين لم يظهر مما فى بواطنهم أثرعلى ظواهرهم ، فلا يظهروا خيراً ، ولا يضمروا شراً ، تشربت عروقهم طعم الإخلاص والحب ، وتحققوا بالفتوة والصدق ، فلا يجب أن يطلع أحد على حالهم وأعمالهم ، وتلامذتهم فى مقام أهل الفتوة .

والإمامان : فردان ، أحدهما عن يمين القطب ، والآخر عن شماله . فالذى عن يمينه ينظر فى الملكوت ، والذى عن شماله ينظر فى الملك ، وهو أعلى من صاحبه، وهو مرآة ما يتوجه من المركز القطبى إلى العالم الروحانى من الإمدادات ، التى هى مادة الوجود والبقاء .

والقطب الغوث الفرد الجامع : وهو واحد فى كل زمان ، ولا يكون القطب قطباً إلا إذا اجتمع فيه جميع صفات ، وملكات هؤلاء الذين تقدم ذكرهم .

والأفراد : وهم الرجال الخارجون عن نظر القطب ، وهم من قمم الأولياء ، وكَمَلَة أهل الأرض[٢] .

والنوادر : ويقال لهم الأخيار ، أو السبع المثانى ، وقد يكونوا هم من يعبرعنهم بالأفراد سالفى الذكر : وهم سبعة فى كل زمان ، وقيل هم سبعة على

---

(١) يقول ابن عربي على الأبدال ، أنهم : سبعة، لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله تعالى بهم الأقاليم السبعة (= الأقاليم المناخية السبعة)؛ وكلٌّ بدل "على قدم" نبي: الأول على قدم إبراهيم، والثاني على قدم موسى، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم ، على الكلِّ السلام. وتتأكد هنا، مرة جديدة، علاقة التبعية التي بين الأولياء والأنبياء. هناك، كلٌّ ولي من الأوتاد الأربعة ينوب عن النبي الحيِّ بجسمه؛ وهنا، كلٌّ بدل من الأبدال السبعة على قدم نبي من الأنبياء السبعة، سكان السموات السبع ، سعاد الشرقاوى ، خاتم الأولياء ، النبوة والولاية في مذهب ابن عربي .

(٢) فى تفصيل ذلك انظر : الإمام المحدث العارف ضياء الدين أحمد الكمشخانوى النقشبندى رضى الله عنه ، موسوعته جامع الأصول فى الأولياء وأنواعهم وأوصافهم .

مر الزمان لا يزيدون ولا ينقصون ، وهم القائمون على دوائر الأرض السبعة ، ويقومون بقضاء حوائج الخلق ، وتسيير أمور الخلائق ، على مراد الخالق .

وقد أفصح عن هذه المرتبة الرفيعة ـ لأول مرة ـ إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ، بوصفه شيخ النوادر ، ويحكمهم ، ويسطع فيهم ، وهم مظاهر له ، ونوافذ لحضرته عبر الأوقات ، يتحدثون بلسانه ، ولا يفعلون شيئ إلا بأمره ، ولا يتصرفون فى شيئ إلا بإذنه ، فهم مجلى لحضرته ، يرتدون زيَّه فى أزمانهم حتى إذا رأيت أحدهم حسبته الختم ، بل أن منهم من يشير إلى نفسه أنه الختم ، وهو ما أوقع الخلط عند البعض فى شأن تعدد ختم الأولياء ، إلا أن الختمية لا تورث ، وإن شئت فقل : الختم فرد يتعدد فى هؤلاء السبع النوادر .

وجدير بالذكر أن الأئمة السابقين أو المحدثين قد توقفوا عن درج هذه المرتبة بين مراتب الأولياء ، وقد يعود ذلك إلى أن هؤلاء السبعة فى مرتبة رفيعة لايُحَاط بها أو لا يطلع عليها أحد إلا من كان منهم ، حتى أنهم يخرجون عن نظر القطب الغوث الذى يتربى فى أحضانهم ، كما قال إمامنا العربى ، رضى الله عنه .

وقد صرح إمامنا العربى ـ رضى الله عنه ـ بأنه شيخ النوادر ، وختمهم ، كما سنرى فيما هو آت .

أما أعظم المراتب ، وأكملها فهى مرتبة قطب الأقطاب ، وخاتم الأولياء ، وهو باطن النبوة ، المختص بالإرث المحمدى الكامل ، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[1] .

وللختم هذا شأن عجيب ـ كما سنرى ـ ولله فى ولد آدم عجائب ، وخلقهم لأمر عظيم ، ولما عرف العاقل أن الله وَلِىَ خلق آدم بيده علم أن هذه خطة فيها أمور عظام .

---

(١) الختم عند معظم الصوفية نوعان : خاتم الولاية العامة ، ويقصد به سيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله فى الأرض فى آخرالزمان يحكم على شريعة خاتم المرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتختم به الولاية العامة ، وخاتم الولاية الخاصة أو خاتم الولاية المحمدية ، وهو واحد فى الخلق غير معلوم زمانه ، ويكون على قلب سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وهو المشار إليه بخاتم الأولياء هنا ، ويذكر الصوفية أن هناك ختم ثالث يطلق عليه خاتم الأولاد ، وهو آخر مؤمن يولد على وجه الأرض وبوفاته تقوم الساعة.

ولما عرف أنه سَمَّاه " خليفة " علم أن ههنا عجائب : فإن الخليفة شعبة من ملك المستخلف .

عَلَّ تلك النبذة التمهيدية الموجزة عن مصطلحات الصوفية ـ تكون قد غمرت القلوب شغفاً بذلك الختم ، والتعرف على مرتبته الرفيعة ، وهو ما نستشرفه من خلال المطلب التالى .

المطلب الثاني
ختم الأولياء في عيون الصوفية

يقتضى الحديث عن مرتبة ختم الأولياء تتبع تأصيل هذه المرتبة ، وعرض أقوال علماء التصوف ، وأئمتهم ، الذين أثبتوا وجود هذه المرتبة الرفيعة.

ويعتبر الحكيم الترمذى ـ القرن الثالث الهجري ـ أول من أصَّلَ المرتبة الختمية ، أو مرتبة ختم الأولياء ، بوصفها أعلى منازل الأولياء ، ومراتبهم ، وخصص للختم كتاباً أسماه "ختم الأولياء" .

وقد ارتبط طرح مرتبة ختم الأولياء ـ عند الترمذى ـ بمفهوم الولاية ، والعلاقة بين النبوة ، والرسالة ، والولاية بشخص الرسول ، أو النبي ، أو الولى ، فإن كان العلماء ورثة الأنبياء ، وكانت النبوة خُتِمَتْ بشخص سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فإنه ينشأ عن ذلك أن تُختَم الولاية بشخص الختم .

والقاعدة ـ هنا ـ أن الولاية هى الأصل ، وأن كل رسول نبى ، وولى ، وأن كل نبى ولى ، وليس العكس ، أى ليس كل نبى رسول ، وليس كل ولى نبى ، أو رسول.

ولعل هذا ما دعا سيدى عبد القادر الجيلاني إلى القول بأن الولاية : هي "ظل النبوة"[1]. ثم جاء من بعده سيدى محى الدين ابن عربى ، الملقب بالشيخ الأكبر ـ المولود فى رمضان عام ٥٥٨ هـ ـ قبل عامين من وفاة سيدى عبد القادر الجيلانى ـ وحصر طبيعة الولاية فى أنها : "قُربة" ؛ يتحدد شكلها بفعل الوراثة الموجود بين الولي الوارث ، والنبي الموروث ، فولاية الولي ليست إلا انتسابه إلى ولاية النبي .

وتنقسم الولاية ـ عندهم ـ إلى مطلقة ومقيدة ، ويقصد بالولاية المطلقة : الولاية الكلية التى جميع الولايات الجزئية أفرادها ، وبالمقيدة : تلك الأفراد ؛ وكل منهما ــ أى من الكلية والجزئية ــ يُطْلَب ظهورها .

---

(١) سعاد الحكيم ، ختم الأولياء ، مرجع سابق .

والأنبياء عليهم السلام ، لم يظهروا بالولاية بل بالنبوة ، على ما أعطاهم الاسم "الظاهر" ، فقد ظهر فى هذه الأمة المحمدية مَنْ يمثل جميع ولايتهم ، على سبيل الإرث منهم . وإليه أشار الكُمَّل : فلان على قلب موسى ، وفلان على قلب عيسى ، أى والظاهر فى ولايته على سبيل الإرث ، ففى الحديث الشريف : " العلماء ورثة الأنبياء " ، والأولياء العارفون هم العلماء الحق الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، وفى الحديث القدسى ، عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال لله تعالى : " من عادى لى ولى فقد آذنته بالحرب"(١) .

إلا أن ابن عربى يميز ـ هنا ـ بين ورثة النبي بالطريق غير المباشر، وورثته بالطريق المباشر ، فكلَّ وليِّ وارثٍ لنبي فإنه لا يرثه مباشرة ، وإنما من حيث الحقيقة المحمدية .

ويقصد بالحقيقة المحمدية ـ هنا ـ النور المحمدى المشار إليه فى قوله تعالى : { وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا }(٢) ، وقوله تعالى :{ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ }(٣).

---

(١) حديث : " العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر" ، رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى ، قال أبو حاتم بن حبان رضى الله عنه : (فى هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذى ذكرناهم الذين يعلمون علم النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره من سائر العلوم ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو ترجمان القرآن العزيز أن قوله سبحانه وتعالى :{ إنما يخشى الله من عباده العلماء } فاطر : ٢٨ إنما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله ، دون العارفين بأحكامه ، ولا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام ؛ لأن الغالب عليهم عدم الخشية ، وخبر الله صدق ، فلا يحمل إلا على من عرفه وخشيه ، أما حديث "من عادى لى ولى فقد آذنته بالحرب " فقد رواه البخارى .

(٢) الأحزاب : ٤٦ .

(٣) المائدة : ١٥ ، وجاء فى تفسير الوسيط فى قوله تعالى : {وداعياً إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً } قال صاحب الكشاف : جلى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ظلمات الشرك ، فاهتدى به الضالون ، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به . أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر ، كما يمد بنور السراج نور الأبصار . ووصفه بالإنارة لأن من السراج مالا يضيئ إذا قل سليطه ـ أى :زيته ودقت فتيلته " ، كما جاء فى تفسير الجلالين فى قوله تعالى : { يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين }: أن النور هو النبى ، وفى تفسير البغوى : النور : يعنى محمد ، وفى تفسير الوسيط : " المراد بالنور هنا : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو نور الأنوار كما يقول الألوسى ، والمراد بالكتاب : القرآن الكريم الذى أنزله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، والجملة الكريمة مستأنفة مسووقة لبيان أن فائدة مجيئ الرسول صلى الله عليه وسلم ليست

كما جاء فى كتب السيرة أن النور المحمدى : هو ذلك النورالذي كان بين عيني والده سيدنا عبد الله بن عبد المطلب ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ـ ورأتْه امرأة عَشِيَّة زواجه بالسيدة آمنة بنت وهب الزهرية ـ عليها وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ـ وفارقه عندما رأتْه مرة ثانية صبيحة اليوم التالي .

إنه نور النبوَّة المنتقل في الأصلاب الطيبة ، والأرحام الطاهرة ، بقوله تعالى : { وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ }(١) .

منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه ، بل له منافع أخرى لا تحصى . قال ابن جرير ما ملخصه ، قوله تعالى { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين } : يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب : " قد جاءكم يا أهل التوراة والإنجيل من الله نور هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أنار الله به الحق ، وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك ، قوله { وكتاب مبين } يعنى : كتاباً فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم ... " ، وفى الحديث الشريف : رُوِىَ عن عبد الرازق بسنده في كتابه (جنة الخلد) عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال :" قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شيئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال صلى الله عليه وسلم :" يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا أنس ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ؛ فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الجزء الثانى اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أُنْسِهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله .. ثم نظر إليه فترشح النورعرقاً فتقطرت منه مائة ألف قطرة وعشرين ألفا وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبى ورسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة ... فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون من نورى والرحمانيون من نورى ، والجنة وما فيها من النعيم من نورى ، والشمس والكواكب من نورى ، والعقل والعلم والتوفيق من نورى ، وأرواح الأنبياء والرسل من نورى ، والسعداء والصالحون من نتائج نورى ، ثم خلق الله آدم من الأرض ، وركب فيه النور، وهو الجزء الرابع ، ثم انتقل منه إلى شيث ، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ، ومنه إلى وجه أمى آمنة ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، هكذا بدء خلق نبيك يا جابر" .

(١) الشعراء : ٢١٩ ، وهو تفسير سيدى محى الدين ابن عربى أيضاً ، الفتوحات المكية ،(٣٣: ٤٦) ، نقلاً من سعاد الحكيم ، ختم الأولياء ، وفى تفسير البغوى : وقال عطاء عن ابن عباس : أراد تقلبك فى أصلاب الأنبياء من نبى إلى نبى حتى أخرجك فى هذه الأمة ، وفى تفسير القرطبى : قال مجاهد وقتادة : فى المصلين ، وقال ابن عباس : أى فى أصلاب الآباء آدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه نبياً .

وعلى هذا ، فالحقيقة المحمدية هى أصل الحقائق الجوهرية ، ونور الأنوار الذى استمدت منه بصائر الموحدين من أنبياء ، ومرسلين ، وأولياء ، فإن كلَّ ولي هو ولي محمدي في شكل من الأشكال ، إما أن تكون وراثة مباشرة ، أو وراثة غير مباشرة .

والورثة المحمديون بالطريق المباشر تظهر عليهم صفاتٌ تميِّزهم عن غيرهم من الأولياء ، أي عن الأولياء الذين لا ينتسبون للوراثة من النبي إلا بواسطة غيره من الأنبياء .

فالوارث غير المحمدي ـ أى الوارث من سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وراثة غير مباشرة ـ يرى الناسُ ولايتَه بما يظهر على ظاهره من علاماتها ، كالكرامات وخوارق العادات ، وعلى العكس ، فإن الوارث المحمدي يجهله الناس، ولا يعرفه إلا النخبة ، لأن خوارق الطبيعة لا تظهر على ظاهره ، وإنما تتنزَّل في قلبه على هيئة علوم ، وأحوال روحية .

ونبينا ، صلوات الله عليه ، هو صاحب الولاية الكلية ، من حيث إنه صاحب دائرة النبوة الكلية ، وباطن تلك النبوة المطلقة الكلية ، الولاية المطلقة الكلية ، فولايته ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قسمان : كلية ، وجزئية ، وكُلِيَتها من حيث كُلِيَة روحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسمى بالعقل الأول ؛ وجزئيتها من حيث روحه الجزئى المدبر لجسده ، فالظاهر بولايته الكلية ، هو سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، والظاهر بولايته الجزئية ، هو ختم الأولياء(١).

وخاتم الرسل ـ من حيث ولايته ـ نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه ، فإنه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الرسول النبى الولى ـ وخاتم الأولياء (هو) الولى الوارث ، الآخذ عن الأصل ، المُشاهد للمراتب ؛ وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل ، سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مقدم الجماعة ؛ وسيد ولد آدم فى فتح باب الشفاعة(٢).

وبالرغم مما تقدم ، فإن حقيقة الولاية ، ومرتبة ختم الأولياء مازالت تمثل إشكالية كلِّ عالِم ، أو ولي يظهر ، ويلمع أمام العامة ، أو الخاصة ، كما أن إشارات الحكيم الترمذى فى كتابه عن خاتم الأولياء ، أمثال قوله إنه : "حجة

---

(١) قيصرى:(ختم الخلافة)، نقلاً عن : الترمذى، ختم الأولياء، ص٤٩٨ .

(٢) فصوص الحكم ، لابن عربى ، الفص الشيثى .

الله على الأولياء" ، أو أنه : "سيد الأولياء" : أو"حكيم الحكماء" ـ إنما هى تشير ، ولا توضح الكثير عن ذلك الإمام الختم .

أما الأسئلة المائة والسبعة والخمسون ، التى أوردها الترمذى فى كتابه "ختم الأولياء" ، مثل : أين مقام الأنبياء من الأولياء؟ ، ومن الذي يستحق خاتم الأولياء ، كما يستحق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ خاتم النبوة؟ ، وما سبب الخاتم وما معناه ؟ ، وما صفة ختم الاولياء ؟ إلخ ـ إنما هى مجرد أسئلة ، فالترمذى يطرح السؤال ، ولا يجيب ، فقد تم طرحها على سبيل التحدى لمدعى الولاية ، لا أكثر .

وجاء ابن عربى فواجه ذلك التحدى ، وأجاب في كتابه المسمى "الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم" عن هذه الأسئلة جميعها .

كما تناول فى كتابه "الفتوحات المكية" تلك المسائل أيضاً ، وأوضح ماهية الختم ، وهويَّته .

فكلمة "ختم" ـ عنده ـ تعنى : خصوص اسم على أمر لا يوصل إليه إلا بعد إزالة ذلك الاسم ، فمعناه الحجر والمنع "[١].

ويرسم ـ ابن عربى ـ دوائر الولاية وأختامها ، فيتبع عن ختم النبوة أن تُختَم الولاية أيضاً ، لأنها إرث نبوي ، وخاتم الولاية ، هو شخص لم تقطع النصوص في هويته ، يختم الله به الولاية المحمدية ، فلا يكون فى الأولياء المحمديين أكبر منه .

وثَمَّ ختم آخر يختم الله به الولاية العامة ، من آدم إلى آخر ولى ، وهو سيدنا عيسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ فهو الولى بالنبوة المطلقة ، فى زمان هذه الأمة ، وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع ، والرسالة ، فينزل فى آخر الزمان ، وارثاً خاتماً لا ولى بعده ، بنبوة مطلقة ، فهو ختم الأولياء ، كما كان ختم دورة الملك ، فله يوم القيامة حشران : يحشر فى أمة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويحشر رسولاً مع الرسل عليهم السلام .

وهناك ختم ثالث هو ما يطلق عليه "خاتم الأولاد" ، وهو آخر مؤمن يولد على وجه الأرض ، وبوفاته تقوم الساعة ، ويرى ابن عربى أن ختم الأولاد هذا يولد في الصين ، وبعده يرتفع الإيمان ، والعلم من قلوب الناس ، وتسرع الدنيا نحو الزوال[٢].

---

(١) الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢ب .

(٢) ابن عربى ، الفتوحات المكية ٩/٢ ، نقلاً عن الحكيم الترمذى ، خاتم الأولياء ، ص ٤٧٩ .

ولئن كان كلام ابن عربى يجزم بوجود ختم الولاية المحمدية ، إلا أنه اختلف فى تعيين شخص هذا الختم ، فيذكر فى بعض كتبه أنه عَلِمَ بالختم فى فاس ، ورآه سنة خمسمائة وخمس وتسعين ، وأورد هذا فى قصائده ، فى ديوانه الكبير ، وفى قصيدة كبرى مطلعها : " لما انتهى للكعبة الحسناء " ، بالجزء الأول من كتابه الفتوحات المكية .

وهو ما ذكره ـ أيضاً ـ فى خطبة مقدمة الجزء الأول من كتابه " الفتوحات المكية" ، وأورد مبشِّرات تهادتْ إليه في رؤية منامية ، لكنه ـ بعد وصوله إلى المشرق ـ قال بحصوله على مرتبة ختم الولاية المحمدية ، كما أن تلامذته يؤكدون أنه هو خاتم الولاية المحمدية .

وقد كَثُرَ الجدال ـ بعد ابن عربى ـ حول تعيين شخص ختم الولاية المحمدية ، فالشعراني ـ رضى الله عنه ـ حقق أن هذه المرتبة تظهر فى كل عصر ، وأشار في كتابه " الطبقات الكبرى" ، عند ترجمته للصوفي الكبير محمد وفا (ت ٨٠١ هـ) ، أن ابنه علي وفا يقول عن والده إنه ختم الأولياء .

كما لقب أبناء الطريقة الميرغنية بالسودان مؤسس طريقتهم السيد / محمد عثمان بن محمد أبو بكر عبد الله الميرغنى بالختم ، إشارة إلى أنه خاتم الأولياء ، ومنه اشتهر اسمها بالطريقة الختمية .

وهو ما أشار به ـ أيضاً ـ أبناء الطريقة العزمية عن شيخهم ، وهكذا ما حدث في كثير من الطُرُق الصوفية ؛ إذ كانت تُظهِر أشياخها على أنه "ختم الأولياء". فكلٌّ جمع تجمَّع حول وليٍّ كبير من أولياء الصوفية المتأخِّرين رأى فيه ملامح الختم المحمدي .

وحقق الأستاذ / محمد إبراهيم سالم أن هذه المرتبة درجة فى العلم بالله رفيعة ، إذا بلغها العارف الكبير نطق بها[(١)] .

وبمثل ما اختلف عليه الصوفية فى تعيين شخص الختم ـ اختلفوا أيضاً فى تحديد عدد الختم فى الأزمان ، فابن عربى يقول أن الختم واحد فى العالم ، لا فى كل زمان ، بينما يقول غيره أن هذه المرتبة تظهر فى كل عصر .

والقول الفصل ، الذى تنجلى به هذه المسألة بمَرَّةٍ ، هو ما ألمح إليه إمامنا العربى ، وأجمل فى معناه بأن : الختم فرد واحد الآحاد ، متعدد المظاهر

---

(١) محمد إبراهيم محمد سالم ، كشف الغطاء عن أسرار العنقاء ، شرح وتحقيق كتاب : عنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب لسيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص٤ من مقدمة الكتاب .

فى السبع النوادر ، يرتدوا ردائه ، ويسطع عليهم بتجلياته فى كل زمان حتى تنجلى صورته فى صورهم ، تَجلِّى يُبْهِرهم ، وينبهم عليهم الأمر ، فيقولوا شيخنا هذا هو الختم ، وما هو إلا مطلع له يتحدث بلسانه ، حتى إذا طبعت صورة الختم فى صورته تماماً ، يفنى هو ، ويظهر الختم فيه .

فختم الأولياء ـ بوصفه الفرد المتعدد ـ يسطع بحاله على أكمل العارفين فى كل زمان ، فيكون ذلك العارف وعاء ، ولسان لحضرة الختم يتحدث به إلى أهل زمانه ، ويضحى مظهراً للختم ، أو نائباً عنه ، فإذا ما تحقق فى العارف بالله ذلك ، يقول بلسان ختم الأولياء : إنما أنا ختم الأولياء[١]، ولا تثريب عليه إذن .

وقريب من ذلك ، يقول آخر[٢]: أن الختم حال ورداء يرتديه من يرتديه ، ويبقى الجلباب لصاحبه .

وأما صفة ختم الولاية المحمدية ـ من واقع استقراء كتابات ابن عربى ، والحكيم الترمذى وغيرهما ـ فهو رجل من العرب ؛ من أكرمها أصلاً ويداً ، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق فى سره من العلم به .

---

(١) سمعته مشافهة من الشيخ جابر عبد المنعم ، ورأيتنى أعول عليه ، بل أراه القول الفصل فى هذا الأمر ؛ فقد صدر من ربيب إمامنا العربى ، الملازم لحضرته ، المتناول من رواء علومه ومعارفه ، بل احسبه معبراً عن فحوى كلام إمامنا العربى ، الذى ورد فى المتن قبله.

(٢) لمَّا سئل أحد تلامذة السيد / محمد إبراهيم سليمان عن قول الأخير فى كتابه " كشف الغطاء عن أسرار العنقاء ، شرح وتحقيق كتاب : عنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب لسيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م " قوله : "أن كثير من الأولياء نسب إلى نفسه مرتبة الختمية " رد ذلك التلميذ بقوله المذكور فى المتن .

وهو رجل نسق فى خلقه ، وهو ربعة من الرجال ، ويشبه أباه[١]، وهو أعجمى[٢]، ختم به دورة الملك ، وتختتم به الولاية ، روحانى المحتد ، أنسى المشهد[٣] ، وله وزير[٤] .

وكما ختم الله بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدى الولاية ، التى تحصل من الورث المحمدى المباشر ، لا التى تحصل من سائر الأنبياء ؛ فإن من الأولياء من يرث إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدى ، إنما لا يوجد ولى على قلب سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد هذا الختم المحمدى ، وهذا معنى ، وصفة خاتم الولاية المحمدية[٥] .

---

(١) ارجح أن تكون كلمة " أباه " هنا عائدة على الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ فهو أبو العترة ، ويشار إلى أن إمامنا العربى كان نسق في خلقه ، أي: معتدل ومنتظم في خلقه ، وكان ربعة من الرجال ، أي وسيط القامة ، وكان يشبه أباه الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ راجع ما سبق ذكره في مبحث " اسمه وصفته " الفصل الأول من الباب الأول من هذا المؤلف .

(٢) يقصد بالأعجمى أنه لا ينطق بالكلام الفصيح ، ولو كان عربياً ، و كان في لسانه لُكْنَةٌ ، فهو أعجم ، وأعجم الكلام : أبهمه وذهب به إلى العجمة ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٠٨ . ويشار إلى أن إمامنا العربى كان يتكلم باللغة العامية لأهل الصعيد ، وليس باللغة العربية الفصحى ، كما كان ـ رضى الله عنه ـ له لكنة في لسانه ، أو ما تسمى " لازمة لسان " : "أه أه أه" تأكيداً لفهم كلامه .

(٣) روحانى المحتد ، أنسى المشهد : روحانى نسبة إلى الروح ، والروح : ما به حياة الأجسام ، والمَحْتِد : الأصل ، يقال : إنه لكريم المحتد ، و- : الطبع ، يقال : رجع إلى محتده ، والإنسِيُّ : واحد الإنس ، وآنس فلان : لاطفه وأزال وحشته ، والمَشْهَدُ : ما يُشاهَد ، انظر: المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٢٧ ، ص ١٣٣، وص ٢٨١ ، وص٣٥٣ ، ويلاحظ أن جميع تلك الأوصاف التي قالها سيدى محى الدين ابن عربى تنطبق تماما على إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه .

(٤) آزر فلانا : عاونه ، والوزير : رجل الدولة الذى يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شئون الدولة ، المعجم الوجيز ، ص١٥ ، ص٦٦٦ ، ولا مراء في أن إمامنا العربى كان له وزيراً هو السواد الأعظم مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنه ـ يشدد به أزره ، ويشركه في أمره ، أي أمر الدعوة إلى الله ، وأقسم له إمامنا قائلاً : والله الذى لا إله غيره ، وحياة الأخوة ، لولا أنى سمعت نداء الحق في عليين : أحمد أبو الحسن يخرج للدعوة ما أخرجتك " ، وقال عنه : أنه رجل مأذون من الحضرتين ، وقال : " أحمد أبو الحسن دلال أرضى ، فمن لم يدله ، ومن لم يقس له فى أرضى فليس له نصيب عندى ، وإن كان أعلم أهل زمانه " ، وقال: " بحثت له فى الست قارات بعين بصيرتى فلم أجد له مثيلا " ، في منزلة السواد الأعظم لدى إمامنا العربى انظر : مؤلفنا " السواد الأعظم" مرجع سابق ، ص ٢٣١ ـ ص ٢٣٨ .

(٥) ابن عربى ، الفتوحات ، والجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم ، نقلاً عن : الترمذى ، خاتم الأولياء ، ص١٦١ .

وهكذا تتضح الرؤية : فختم الولاية المحمدية ، هو شخص لم يتحدَّد بشكل قاطع، وهو الذي لا يوجد بعده ولي يرث كامل الإرث المحمدي ، أما ختم الولاية العامة ، فهو سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، الذي لا يوجد بعده ولي مطلقًا .

وأما الصفة التى استحق بها خاتم الولاية المحمدية أن يكون خاتماً ، فبتمام مكارم الأخلاق مع الله . وجميع ما حصل للناس من جهته من الأخلاق ، فمن كون ذلك الخُلق موافقاً لتصريف الأخلاق مع الله . وإنما كان ذلك كذلك لأن الأغراض مختلفة . ومكارم الأخلاق عند من يتخلق بها معه ، عبارة عن موافقة غرضه ؛ سواء حمد ذلك عند غيره أو ذم . فلمَّا لم يتمكن فى الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل ، الذى هو عنده جميل ، نظر فى ذلك نظر الحكيم ، الذى يفعل ما ينبغى كما ينبغي لما ينبغى . فلم يجد ختم الأولياء فى الموجودات صاحباً مثل الحق ، ولا صحبة أحسن من صحبته . ورأى أن السعادة فى معاملته ، وموافقة إرادته ، فنظر فيما حده وشرعه ، فوقف عنده واتبعه .

وكان جملة ما شرعه ، أن عَلَّمَه كيف يعاشر ما سوى الله ، من ملك مطهر ، ورسول مكرم ، وأمام جعل الله أمور الخلق بيده ، من خليفة ، وعريف ، وصاحب ، وصاحبة ، وقرابة ، ودابة وحيوان ، ونبات ، وجماد – فى ذات ، وعَرَض ، ومِلْك ، إذا كان مما يملك . فراعى جميع من ذكرناه ، بمراعاة الصاحب الحق : فما صرف الأخلاق إلا مع سيده ، فلما كان بهذه المثابة ، قيل فيه مثل ماقيل فى رسوله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(١).

وقد وصفت السيدة عائشة - رضى الله عنها - سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : " كان خُلُقَه القرآن"(٢) ، يحمد ما حمد الله ، ويذم ما ذم

---

(١) القلم :٤

(٢) وصف السيدة عائشة : " جاء فى حديث طويل فى قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة ، وأتى السيدة عائشة رضى الله عنها يسألها عن بعض المسائل ، فقال : (قلت : يا أم المؤمنين ! أنبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . قال : فهممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيئ حتى أموت ...الخ " رواه مسلم ٧٤٦ ، وفى رواية أخرى : " قلت : يا أم المؤمنين ! حدثينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : يا بنى أما تقرأ القرآن ؟ قال الله : { وإنك لعلى خلق عظيم } خلق محمد القرآن " أخرجه أبو يعلى ٢٧٥/٨ بإسناد صحيح ، قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم ٢٦٨/٣ معناه : العمل به

الله ، بلسان حق ، { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ }[1] ، فلما طابت أعراقه ، وعمَّ العالم أخلاقه ، ووصلت إلى جميع الآفاق أرفاقه ــ استحق أن يختم ، بمن هذه صفته الولاية المحمدية[2] .

ولا نظير لختم الأولياء من حيث تقواه وخشيته وخوفه من الله ـ فلو قسم خوفه على أهل الأرض لوسعهم ، فخوف المنفرد لا يوصف ، وكل شعره منه بحيالها قد اخذتها هيبة الله ـ عز وجل ! ، وكل عرق منه قد امتلأ من عظمة الله ـ سبحانه ! ، وانفرد صدره ، وقلبه لوحدانيته . واكتنفته رحمة الله ، وشملته رأفته ، فبهما يتصرف فى أموره ، ويتبسط[3].

وعلى ذلك ، فإن مقام ختم الأولياء فى أعلى منازل الأولياء ، فى ملك الفردانية ، وقد انفرد فى وحدانيته ، ومناجاته كفاحاً فى مجالس الملك ، وهداياه من خزائن السعى ، وهى ثلاث خزائن : المنن للأولياء ، وخزائن السعى لهذا الإمام القائد ، وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام .

كما تقدم ختم الولاية المحمدية على جميع الأولياء ، واحتاجوا إليه بما أعطى من ختم الولاية : فبالختم تقدمهم ، فصار حجة الله على أوليائه . فكما أن النبوة أعطيت الأنبياء ، عليهم السلام ، ولم يعطوا الختم فلم تخل تلك الحظوظ من هَنَّات النفس ، ومشاركتها ، وأعطى نبينا سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وختمت له نبوته ، كالعهد الذى يكتب ثم يختم ، فلا يصل أحد إلى أن يزيد فيه ، ولا أن ينقص منه .

فهذا الختم يسير الله ـ جل وعلا ـ به على طريق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنبوته ، مختوماً بختم الله . فكما كان سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة على الأنبياء فكذلك يصير هذا الولى حجة على الأولياء : بأن يقول الله ـ تعالى ـ لهم : معاشر الأولياء ، أعطيتكم ولايتى فلم تصونوها من مشاركة النفس . وهذا أضعفكم ، وأقلكم عمراً قد أتى بجميع الولاية صدقاً ، فلم يجعل للنفس فيها نصيباً ، ولا تلبيساً .

، والوقوف عند حدوده ، والتأدب بآدابه ، والاعتبار بأمثاله وقصصه ، وتدبره ، وحسن تلاوته . وقال ابن رجب فى " جامع العلوم والحكم " ١٤٨/١ : " يعنى أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه ، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه ، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه .

(١) القمر : ٥٥.

(٢) ابن عربى، فتوحات : ٢:٤٩-٥٠ ، نقلاً عن: الترمذى، خاتم الأولياء ،ص١٦٢ .

(٣) الترمذى ، ختم الأولياء ، ص٣٦٨ .

وكان ذلك فى الغيب من مِنَّة الله ـ تعالى ـ على هذا العبد ، حيث أعطاه الختم لتقر به عين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الموقف . حتى قعد الشيطان بمعزل وآيست النفس ، فبقيت محجوبة – فيقر له الأولياء يومئذ بالفضل عليهم .

فإذا جاءت تلك الأهوال لم يك مقصراً ، وجاء سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالختم فيكون أماناً لهم من ذلك الهول ، وجاء هذا الولى بختمه فيكون أماناً لهم بصدق الولاية ، فاحتاج إليه الأولياء[1] .

وخاتم الأولياء مقامه من خزائن المنن ، ومتناوله من خزائن القرب ، فهو فى السعى أبداً ، فمرتبته ههنا ، ومتناوله من خزائن الأنبياء عليهم السلام ! قد انكشف له الغطاء عن مقام الأنبياء ، ومراتبهم ، وعطاياهم ، وتحفهم[2].

والختم عبد قد ولى الله استعماله ، فهو فى قبضته يتقلّب ، به ينطق ، وبه يسمع وبه يبصر ، وبه يبطش ، وبه يعقل . شَهَرَه فى أرضه ، وجعله إمام خلقه ، وصاحب لواء الأولياء ، وأمان أهل الأرض ، ومنظر أهل السماء ، وريحانة الجنان ، وخاصّ الله ، وموضع نظره ، ومعدن سره ، وسوطه فى أرضه ، يؤدب به خلقه ، ويحيى القلوب الميتة برؤيته ، ويرد الخلق إلى طريقه ، وينعش به حقوقه .

مفتاح الهدى ، وسراج الأرض ، وأمين صحيفة الأولياء ، وقائدهم ، والقائم بالثناء على ربه ، بين يدى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! – يباهى به الرسول فى ذلك الموقف ، وينوه الله باسمه فى ذلك المقام ، ويقر عين رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم!

قد أخذ الله بقلبه أيام الدنيا ، ونحله حكمته العليا ، وأهدى إليه توحيده ، ونزه طريقه عن رؤية النفس ، وظل الهوى ، وائتمنه على صحيفة الأولياء ، وعرَّفه مقاماتهم ، وأطلعه على منازلهم . فهو سيد النجباء ، وصالح الحكماء ، وشفاء الأدواء ، وإمام الأطباء . كلامه قيد القلوب ، ورؤيته شفاء النفوس ، وإقباله قهر الأهواء ، وقربه طهر الأدناس .

---

(١) الترمذى ، خاتم الأولياء ، ص٤٣٢ .

(٢) الترمذى ، ختم الأولياء ، ص ٣٦٧ .

وهو ربيع يزهو نوْره أبداً ، وخريف يجنى ثماره دأباً ، وكهف يلجأ إليه ، ومعدن يؤمل ما لديه ، وفصل بين الحق والباطل ، وهو الصديق ، والفاروق ، والولى ، والعارف ، والمحدّث[1] .

ولا حرج على فضل الله أن يخص الله ختم الأولياء باختصاص مفرد ؛ إكراماً لنبيه الخاتم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فهو من أعراقه وعلى عظيم أخلاقه ، فقد كَمَّله الله بأحسن الأخلاق ، على شاكلة جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ والعرق للفرع نازع .

لئن كان ما تقدم يمثل قدراً أَمَمَا من التعريف بمرتبة ختم الأولياء ، وخاتمهم ـ فإن تفنيد حجج المنكرين لهذه المرتبة الرفيعة سوف يزيدها إيضاحاً ، وهو ما نعالجه من خلال المبحث التالى .

---

(١) : الحكيم الترمذى ، خاتم الأولياء ، ص٤٥٧ ،٤٥٨ .

المبحث الثاني
الرد على منكرى ختم الأولياء

حتى تزيد المرتبة الختمية إيضاحاً ، وعمقاً ـ لدى القارئ ـ رأينا عرض ما واجه هذه المرتبة ، من أوجه نقد لدى المنكرين لها ، والرد على هذه الأوجه بما يدحضها .

ولا مين أن ابن تيمية يَقْدُم أولئك المنكرين للمرتبة الختمية ، أو مرتبة خاتم الأولياء ـ أولئك الذين استخفهم فاطاعوه ، واتبعوا قوله ، فأرداهم المهالك .

فهذا اللئيم المدعو بشيخ الإسلام ما هو إلا شيخ الملاحدة ، وقد نعته السواد الأعظم بقوله : "أن علمه أكبر من عقله "، أي : قراية بلا دراية ـ وإذا خرج العلم عن دائرة العقل تخبط ، وضل سعيه ، وتناقضت أدلته ، فالعقل وعاء العلم ، فإذا ما انسكب العلم خارج وعائه هدر ، وسال ، وانماع ، وحمق صاحبه ، وسخف عقله .

ومن أشهر ما يدل على سخافة عقل ابن تيمية ، وإلحاده ، قوله بحوادث لا أول لها لم تزل مع الله ، أى لم يتقدم الله جنس الحوادث ، وإنما تقدم أفراده المعينة ، بمعنى أن كل فرد من أفراد الحوادث بعينه حادث مخلوق ، وأما جنس الحوادث فهو أزلى كما أن الله أزلى ، أى لم يسبقه الله تعالى بالوجود .

وقد رد الإمام بهاء الدين الإخميمى فى كتابه (رسالة فى الرد على ابن تيمية فى مسألة حوادث لا أول لها) على ابن تيمية قائلاً : أنه قول مفض إلى اعتقادات خطيرة : " كالقِدَم النوعى . وكون الله موجباً بالذات ، لا فاعلاً بالاختيار ، مما يلزم عنه كون الله مجبوراً على خلق الحوادث " .

وفى ذات السياق ، يقول الشيخ عبد الله الهررى فى كتابه (المقالات السنية فى كشف ضلالات أحمد بن تيمية) : " وهذه المسألة من أبشع المسائل الاعتقادية التى خرج بها ابن تيمية عن صحيح العقل ، وصريح النقل ، وإجماع المسلمين ، وقد ذكر هذه العقيدة فى سبعة من كتبه هى : ١ـ كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، ٢ـ كتاب منهاج السنة النبوية ، ٣ـ كتاب شرح حديث النزول ، ٤ـ كتاب شرح حديث عمران بن حصين ، ٥ ـ كتاب نقد

مراتب الإجماع ، ٦ ـ مجموعة تفسير من ست سور ، ٧ ـ كتاب الفتاوى ، وكل هذه الكتب مطبوعة " .

ثم أورد الشيخ الهررى بعض النصوص من كلام ابن تيمية إلى أن قال :" فهذا من عجائب ابن تيمية الدالة على سخافة عقله قوله بقِدَم العالم ـ أى أن العالم قديم أزلى لا أول له ، وأنه غير مخلوق ـ القِدَم النوعى مع حدوث كل فرد من أفراد العالم.

وقال الكوثرى ـ فى تعليقه على " السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل " ـ ما نصه :" وأين قدم النوع مع حدوث أفراده ؟ وهذا لا يصدر إلا ممن به مس ، بخلاف المستقبل ".

ويصر ابن تيمية ـ في كتابه (منهاج السنة النبوية) على عقيدته الفاسدة ، فيقول ما نصه :" فإن قلتم لنا : فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب ، قلنا لكم : نعم ـ وهذا قولنا، الذى دل عليه الشرع ، والعقل" .

وقال أبو يعلى الحنبلى فى (المعتمد) : والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافاً للمُلحدة أهـ .

وهو من أئمة الناظم ـ يعنى ابن القيم ـ فيكون هو ، وشيخه من الملاحدة على رأى أبى يعلى هذا ، فيكونان أسوأ حالاً منه فى الزيغ ، ونسأل الله السلامة ".أهـ .

ورغم أن الإمام بهاء الدين الأخميمى قد سلك فى رده الأسلوب العلمى المؤدب إلا أنه لقى نقداً شديداً ، وتعصباً من بعض أتباع ابن تيمية بسبب رده عليه فى هذه المسألة ضمن كتابه (المنقذ من الزلل) ، والذى احتوى على هذه الرسالة ، والتى كتبها الإمام الأخميمى رداً على أحد أولئك الأتباع ، وذلك بالتماس من بعض أهل الخير من أصحابه .

يقول الأستاذ سعيد فودة :" وليس نقد الإمام الأخميمى لبعض عقائد ابن تيمية بدعاً من القول ، بل لقد رد على ابن تيمية فى عقيدته من معاصريه كثيرون ، كشيخ الإسلام تقى الدين السبكى ـ شيخ المصنف ، والعلامة أبى حيان الأندلسى ، والإمام الكمال ابن الزملكانى ، والحافظ العلائى ، والفقيه الشهاب

ابن جهبل ، والإمام البارع أبى العباس السروجى الحنفى ، والشيخ الإمام كمال الدين ابن الشريشى ، وغيرهم ، هذا فضلا عمن جاء بعده من العلماء[١] .

وأكثر من ذلك ، عندما سئل ابن تيمية عن قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[٢] ، أجاب : جلس كجلوسى هذا ، وكان واقفاً فجلس على كرسى المنبر ، الذى كان يخطب عليه ، ممثلا استواء الله تعالى باستواء المخلوق ، فسبحان الله تعالى عما يدعى ، فهو ـ جل جلاله ـ لا يشبهه أحد فى ذاته ، ولا يشبهه أحد فى صفاته ، ومن شبه فقد كفر .

وقد خالف ابن تيمية بعقيدته الفاسدة ـ فى استواء الحق ـ عقيدة أهل السنة والجماعة ، والسلف الصالح ؛ إذ يقول أهل السنة فى ذلك : إن الله مستو على عرشه بلا تشبيه ، بائن من خلقه ، وعرشه فوق سبع سماواته ، وهذا ما دل عليه القرآن والسنة وأجمع عليه سلف الأمة ، وصدق الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ حينما سئل عن ذلك ، فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب . فلم تقل الآية الكريمة (الله) على العرش استوى ، إنما قالت (الرحمن) ، والرحمن صفة من صفات الله . وقيل لا تشبه ، أو تتخيل حتى تجسد كالمعتزلة ، ولا تنزه حتى تنفى ، وابتغى بين ذلك سبيلا .

وجاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ما نصه : ذهب الشيخ أبو الحسن ، وغيره أنه مستو على عرشه بغير حد ، ولا كيف ، كما يكون استواء المخلوقين ، وقال ابن عباس يريد خلق ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وبعد القيامة .

أما إمامنا الختم العربى ، فحينما سئل عن هذه الآية قال : الرحمن علا ... ثم سكت هنيهة ، وتنحنح ، وطلب ماء يشربه ، ثم قال : العرش استوى ، فى إشارة بديعة إلى الفصل بين علو الرحمن من جهة ، وبين استواء العرش من جهة أخرى ، وهو كلام أهل الحضرة ، الحديث عهد بالله .

---

(١) الإمام بهاء الدين الخميمى من علماء القرن الثامن الهجرى ، رسالة فى الرد على ابن تيمية فى مسألة حوادث لا اول لها ، حققها وشرح عباراتها وذيل عليها الأستاذ الدكتور / سعيد عبد اللطيف فودة ، الناشر : دار الرازى ، ودار الذخائر ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٤ .

(٢) طه : ٥ .

هذا بعض ما قيل فى ابن تيمية ، زعيم طائفة المنكرين بوجود خاتم للأولياء ، عَلَّ القارئ يقف على زيغه ، وضلاله ، وجرأته على الله ، فلا غرو إن تجرأ - إذن - أو أنكر ختم الولاية المحمدية .

يقول أحدهم[١] : " واعلم يا أخى أن كل من وقف مع عادته ، ومعلومه دون أن يتحقق بحال أعلى من حاله ، وعلم أدق من علمه كان منكراً للحال ، مجادلاً فى المقال ، وهذا هو الجهل المركب ، الذى عن الحق تنكب ، وإياك والبحث معه ، والجدال ، فإن ذلك يوسع المجال - والجاهل لا ينصف المحقق ، والممارى لا يرجع إلى المدقق ؛ لا سيما من لم يفهم وهو الكثير - ومن يدقق يقل له النصير :

قصور الفهم عن إدراك ذوق * يقلل ناصر الرجل المحقق
يجل الذوق عن إدراك قوم * فيقضوا للمخل على المدقق.

وقد سرد ابن تيمية أوجه النقد ، وإنكار فكرة خاتم الأولياء فى كتابه (حقيقة مذهب الاتحاديين)[٢] .

ومع تسليمى بأن الواجب يقتضى الإلتفات عن ابن تيمية وأشياعه المنكرين ، وإهمالهم بالكلية ، وقيل[٣] : " إذا رأيت من فقد الآداب فلا تكرمه بالخطاب " .

من لم يكن يوماً لقولك يفهم * فالرأى عندى معه لا تتكلم .

إلا أن تفنيد أوجه النقد ، وإدعاءات المنكرين فى هذا المقام أوجب ، الأمرالذى يدعو إلى عرض الأوجه ، التى تستأهل الرد ، ومن ثم دحضها ، وقد حصرتها فى ثمانية أوجه ، مع طرحى كل ما تم هدمه من هذه الأوجه فى ثنايا عرض أقوال المؤيدين لمرتبة الختم - على النحو المتقدم بيانه في المبحث

---

(١) جمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، المكتبة الأزهرية للتراث خلف الجامع الأزهر بالقاهرة ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م ، ص ١٠١ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : ابن تيمية ، حقيقة مذهب الاتحاديين ، ص ١١٥- ١٢٣ ، نقلاً عن : أبى عبد الله محمد بن على بن الحسين الحكيم الترمذى – ختم الأولياء ، تحقيق/ عثمان إسماعيل يحيى عضو المركز القومى للأبحاث العلمية فى باريس شعبة الحضارة الإسلامية – بحوث ودراسات بإدارة معهد الآداب الشرقية – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ص ٥٠٦ - ٥٠٨ .

(٣) جمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

السابق ـ فضلاً عن عدم خوضى فى الوضيع منها ، أو الخبيث غرضها ، مما لا يسوغها المنهج العلمى السليم ، المترفع عن كل وضيع ، المجافى لاتباع الهوى ، وذلك على النحو التالى :

النقد(١): يزعم اللئيم أن الولى ليس معصوماً ، ولامحفوظاً ؛ لمخالفة ذلك للكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، فكل يؤخذ منه ، ويرد إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

الرد : هذا الزعم مردود بالقول : إن كان كل يؤخذ منه ويرد إلا سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عصمة إلا لنبى إلا أن الولى ليس معصوماً ، بمعنى : أنه لا يعصم من الكبيرة ، ولا ينقصه الصغيرة ، لكنه محفوظ ، بمعنى : أنه يُحفَظ من الكبائر ، وتغفر له الصغائر ، فالولى إن استغفلته النفس البشرية ـ لا يدوم على اتباع الشيطان ، بل يرغمه بالمتاب ، وكلما وقع آب . بمعنى أن الولى إذا ارتكب ذنباً ، لا يصر عليه ، ولكن يقر به ، ويبادر باللجوء إلى الله مستغفراً إياه ، فيغفر الله له الذنب وهو المقصود بحفظ الأولياء[١] .

وفى ذات السياق ، يفرق القشيري ـ بين "معصوم" وبين "محفوظ" ، فيقول : عصمة النبي تكمن في أنه لا يجد في نفسه الرغبة في معصية ؛ أما الولي فإنه ليس في ملجأ من الإغراء ، ويمكن أن يضعف ـ أحياناً ـ أمام الغواية ، ولكن المنَّة الإلهية تحفظه من الإصرار على الخطأ[٢].

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، يقول الله ـ عز وجل ـ فى حديث قدسى : " لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً " ، أى سمعاً بأخبار الإلهام ، وبصراً بأنواع عناية الاصطلام ،

---

(١) جمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، مرجع سابق ، ص٥٦ .

(٢) قول الإمام القشيرى ورد في كتابه (لطائف الإشارات) ، نقلاً عن : سعاد الشرقاوى ، خاتم الأولياء ، الفصل الثانى " من يراك يرانى"، ص ٤١ ـ ص٦٤ .

ويداً بالتأييد ، ومؤيداً بالتسديد ، ومن كان فى هذا الحال فهو محفوظ بالله لا محال[1] .

كما أنه إذا أراد الله أن يوالى عبداً من عباده ، فتح عليه باب الذكر ، ثم فتح عليه باب القرب ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب : فيريه الفردانية المشاهدة . ثم أدخله دار الفردانية ، ثم كشف عنه الكبرياء والجمال . فإذا وقع بصره على الجمال بقى بلا هو . فحينئذ صار العبد فانياً وبالحق باقياً ، فوقع فى حفظه ، سبحانه! وبرئ من دعاوى نفسه[2].

النقد (٢) : بطلان القول بأن الولى يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ عن الله من وراء حجاب تكليماً كموسى ، أو بالملك ، أو بالايحاء ، وأن للأولياء نصيب من الأخير ، ولكن من داخل دائرة المرسل إليهم .

الرد: هذا الزعم مردود عليه بقول أحدهم : أخبرنى قلبى عن ربى قال : من أنكر أن الله تعالى لم يكلم إلا موسى الأكبر قلنا : موسى عليه السلام ، اختصه الله بالكلام ، والولى يمنحه الله خبر الإلهام ، وهو وحى الأولياء ، الذى هو دون وحى الأنبياء ، وداخل دائرتهم ، ففرق بين خبر، وبين كلم ، يا من أنكر وتوهم ، ويكفيك دليلاً ما حكاه الله فى سورة الكهف من قصة سيدنا موسى والخضر ـ عليهما السلام .

النقد (٣)ـ: يزعم اللئيم أن الترمذى ذكر فى كتابه " ختم الأولياء " ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة ، ولو أنها التطوّعات المشروعة أفضل فى حق الكامل ذى الأعمال القلبية . وهذا أيضاً خطأ عند أئمة الطريق ، فإن أكمل الخلق سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخير الهدى هدى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما زال محافظاً على ما يمكنه من الأوراد ، والتطوعات البدنية إلى مماته .

---

(١) جمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٢) انظر : عين القضا الهمذانى ،كتاب التمهيدات ، مخطوط ، المكتب الهندى رقم ٤٤٥ .

الرد : هذا الزعم مردود بأن اللئيم لا ينسب إلى الترمذى القول بترك الأعمال صراحة ، بل يقول : " ما يشعر" بذلك ، ولا يعتمد ـ فى مجال البحث العلمى الموضوعى ـ على مجرد شعور لا يستند إلى دليل ، فما بالك من شعور عقيم من سقيم لئيم .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنما مقصدهم من كلامهم بشأن الأعمال ، هو ما اشترطوه على السالك فى ترك الأعمال التى تورثه كبراً ، وزهواً وتبعده عن الله ، فلينشغل بالمفروض من الطاعات مع شعوره بالتقصير فى أدائها ، وذلك عندهم أفضل من التزود من النافلات التى تورثه عجباً ، وليحفظ قلبه مع ربه خير له من الإنشغال بسواه ، ولو فى التطوع من العبادات ، وهذا ما يقصدونه من كلامهم .

أما قول أحدهم[١] : يصل الولى إلى رتبة تزول عنه فيها كلفة التكليف ، فمعناه : سكون الولى أولاً يجد كلفة التعب ، فإذا وصل وجد بالتكليف الراحة ، والطرب من باب " ارحنا بها يا بلال " ، ذلك مقصد الرجال .

النقد (٤) : يزعم اللئيم أن القول بوجود ختم للأولياء لا أصل له فى الكتاب والسنة ، ولا عند السلف ، ولا أئمة المسلمين ، ولم يذكره أحد من العلماء قبل الإمام الترمذى فى كتابه "ختم الأولياء" . وأن ختم الأولياء مرتبة موهومة ، لا حقيقة له ، وادعاها لنفسه ، أو لشيخه طوائف كثيرة ، كصاحب "الفصوص ، وصاحب كتاب "الحروف" ، وغيرهما[٢] .

الرد : يدحض هذا الزعم بالقول أن ختم الأولياء يُعَد من السنن الإلهية الكونية ، بوصفها طريقة حكمته ـ سبحانه وتعالى[٣] ، أو كما يصفها ابن تيمية

---

(١) جمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٢) كتاب فصوص الحكم لابن عربى ، وكتاب الحروف للفارابى .

(٣) انظر : الراغب ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٤١٥ .

نفسه بأنها : " العادة التى تتضمن أن يفعل فى الثانى مثل ما فعل بنظيره الأول "(١) .

وتتسم هذه السنن بالاطراد ، فالله ـ جل وعلا ـ لا ينقض سننته ، يقول تعالى : {سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }(٢) ، ويقول : { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا }(٣) ، ولولا هذا الاطراد ما كان لمطالبتنا بالاعتبار بالماضى معنى .

كما تتسم هذه السنن بالعمومية ، أى تسرى على الجميع دون محاباة ، أو تمييز بين إنسان وآخر ، حتى أنها تسرى على الأنبياء ، والمرسلين ، ومن هذه السنن : سنة النصر ، والتمكين ، وسنة الابتلاء ، والتمحيص ، وسنة المداولة ، وسنة الحفظ وسنة الاستخلاف ، ونحو ذلك من السنن .

ولمَّا كان للدنيا بدء ونهاية – وهو ختمها – قضى الله سبحانه ، أن يكون جمع ما فيها بحسب نعتها : له بدء وختام . وكان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع ؛ فختم الله هذا التنزيل بشرع سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان خاتم النبيين ، وكان الله بكل شيئ عليما .

وكان من جملة ما فى الدنيا ـ أيضاً ـ الولاية العامة ، ولها بدء من آدم ، وختمها الله بعيسى : فكان الختم يضاهى البدء { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ}(٤) ، فختم بمثل ما به بدء .

فكان البدء لهذا الأمر ، بنبى مطلق ، وختم به أيضاً ، أما سمعت الله يقول: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ }(٥)، وجميع أنواع المخلوقات فى الدنيا أمم . وقال تعالى : { كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } فى أثر قوله :{ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ

(١) مجموع الفتاوى : ١٣/٢٠ .

(٢) الفتح : ٢٣ .

(٣) فاطر : ٤٣ .

(٤) آل عمران : ٥٩ .

(٥) الأعراف : ٣٤ .

فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى }[١]، فجعل لها ختاماً ، وهو انتهاء مدة الأجل ، { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ }[٢]، فما من نوع إلا وهو أمة .

ولما كانت الولاية ثابتة بالكتاب فى أولياء الله ، يقول تعالى { أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[٣] ، فلا غرو والحال هذه وجود ختم لهؤلاء الأولياء ، تختم به دائرة الولاية[٤].

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الزعم بعدم وجود أصل لمراتب الأولياء ، ومنها ختم الأولياء ، وأن الأخيرة مرتبة موهومة ـ لهو إفك كبير ، وافتراء ، وتزييف للحقائق ؛ إذ وردت الأحاديث بذكر مراتب الأولياء ، منها ما أخرجه السمرقندى فى كتاب الأبدال : أن علياً بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الأبدال ، فقال هم ستون رجلاً ـ فقلت : يارسول الله ، صفهم لى ، فقال : ليسوا بالمتنطعين ، ولا بالمبتدعين ، ولا بالمتعمقين ، لم ينالوا ما نالوه بكثرة صلاة ، ولا صوم ، ولا صدقة ، إلا بسخاء النفس ، وسلامة القلب ، والنصيحة لأئمتهم ، إنهم يا على فى أمتى أعز من الكبريت الأحمر .

وعندما شاع فى عصره إنكار وجود مراتب للأولياء ـ صنَّف الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ رضى الله عنه ـ رسالة قيمة عن مراتب الأولياء سمَّاها (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) ضمن مجموع الحاوى لفتاويه ـ ساق فيها عديداً من الأحاديث الشريفه ، والآثار المروية عن سيدنا الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وخَرَّجَها من كتب السنة ، وحَسَّنَها علماء الحديث[٥] .

---

(١) لقمان : ٢٩ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) يونس : ٦٢ .

(٤) فتوحات : ٢:٥٠ . ،ص٤٢١ ، نقلاً عن : الحكيم الترمذى ، خاتم الأولياء ، ص :١٦٣ .

(٥) راجع ما سبق ذكره في المبحث السابق في هذا الخصوص .

كذا ، فإن ختم الأولياء أجمع عليه أكابر علماء الأمة ، وأوليائها ، منذ زمن الجنيد ، شيخ الطائفة ـ رضى الله عنه ـ وإلى الآن ، كما ذكره الأئمة الأعلام ، مثل الحكيم الترمذى فى كتابه " ختم الأولياء " ، وابن عربى فى " الفتوحات المكية " ، وغيرهم من الثقاة ، كما سبق ذكره .

فالله تعالى لما قبض نبيه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل فى أمته أربعين صديقاً ، بهم قوام الدنيا ، لأن الله جعل الأولياء والعلماء للناس ، بعد الأنبياء خلفاً ، قال تعالى :{ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ }[1] ، ليكونوا للخلق غياثاً ، فبهم يسقون ، وبهم يرزقون ، وهم غياث الخلق ، كلما مات منهم رجلاً خلفه آخر ، حتى إذا انقرض عددهم ، ابتعث الله ولياً اصطفاه ، واجتباه ، وقربه ، وأدناه ؛ فهو على منهاج سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ! حفظه ، وحماه عن كيد النفس ، والعدو ، فإذا برز الأولياء فهو سيدهم .

ساد الأولياء كما ساد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأنبياء . فينصب له مقام الشفاعة ، فيثنى على ربه بمحامد ، فيقر الأولياء بفضله عليهم فى العلم بالله . فلم يزل هذا الولى مذكوراً فى البدء ، أولاً فى الذكر ، وأولاً فى العلم . ثم (هو) الأول فى المشيئة ، ثم الأول فى المقادير ، ثم الأول فى اللوح ، ثم الأول فى الميثاق، ثم الأول فى المحشر ، ثم الأول فى الوفادة ، ثم الأول فى الشفاعة ، ثم الأول فى الجوار ، ثم الأول فى دخول الدار ، ثم الأول فى الزيارة . فهو فى كل مكان أول الأولياء ، كما كان سيدنا محمد أول الأنبياء . فهو من سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الأذن ، والأولياء عند القفا[2].

فهذا عبد مقامه بين يديه فى ملك الملك ، ونجواه هناك فى المجلس الأعظم ، وهو فى قبضته ، والأولياء من خلفه ، دونه درجة درجة ؛ ومنازل الأنبياء مثال بين عينيه "[3].

---

(١) الأعراف : ١٢٩ .

(٢) الحكيم الترمذى ، ختم الأولياء ، ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٣) عمار بن محمد البدليسى ، بهجة الطائفة صوم القلب ، تحقيق بدين إدوارد ، دار النشر فرانزشتاينر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م ومخطوط برلين ٢٨٤٢/ ٤٣ب-٤٤أ .

وأما القول بادعاء كل طائفة لشيخها مقام الختم ، إنما يُحْمَل على كون كل طائفة ترى فى شيخها : "نائب" الختم المحمدي ، أو كما قيل أنها ترى على صفحة شيخها "القمرية" انعكاس صفات الختم "الشمسية"[١] ، وسنزيد هذا الأمر إيضاحاً في الفصل التالى .

يتضح مما تقدم ، أن إنكار وجود ختم الأولياء لا يعود إلى افتقاره إلى نص يُؤصله ، إنما يعود إلى عِلَّة فى المنكرين ذاتهم ، وما ذلك إلا لغلبة حرمانهم { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ }[٢].

النقد (٥) : ينتقد اللئيم ما نقل فى كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذى من

أن الرسل تابعين للختم من حيث العلم بالله الذى هو أشرف علومهم ، وأن ختم الأولياء يتقدم فى هذه المعارف والحقائق العلمية على الرسل ، ولا يتقدم الرسل على ختم الأولياء إلا بالتشريع فقط ـ هو باطل . وإن كان الترمذى لم يقل بهذا الكلام ، وهو أعقل من ذلك إلا أن بعض الجهمية فَرَّعَ على ذلك بأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الرسل فى بعض الوجوه .

الرد ـ: هذا النقد مردود بقول اللئيم ذاته بأن :" الترمذى لم يقل بهذا الكلام ، وأنه أعقل من ذلك ، ولكنهم فرعوا ذلك عن خطأه " ، أما ما فرَّعَه الجهمية عن اقوال الترمذى فلا يسأل عنه الترمذى ، ولسنا هنا فى مجال الدفاع عن هؤلاء الجهمية ، ولا يقر أحد بعقائدهم الفاسدة .

ويبسط ابن عربى فى شرح علم خاتم الأولياء بقوله : " فهو ـ أى : الحق ـ مرآتك فى رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته فى رؤيته أسماءه ، وظهور أحكامها ، وليست سوى عينه . فاختلط الأمر وانبهم ، فمنا من جهل فى علمه فقال " والعجز عن درك الإدراك إدراك " ، ومنا من علم فلم يقل مثل هذا ـ وهو أعلى القول ـ بل أعطاه العلم السكوت ، ما أعطاه العجز . وهذا هو أعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء . وما يراه أحد من الأنبياء ، والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ؛ ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم ؛ حتى إن الرسل لايرونه ؛ متى رأوه ؛ إلا من مشكاة خاتم الأولياء

---

(١) سعاد الحكيم ، خاتم الأولياء ، مرجع سابق .

(٢) الحج : ٤٦ .

. فإن الرسالة ، والنبوة – أعنى نبوة التشريع ورسالته – تنقطعان ، والولاية لاتنقطع أبداً . فالمرسلون ، من كونهم أولياء ، لايرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فكيف منْ دونهم من الأولياء ؟ "

ويضيف ابن عربى قائلاً : "وإن كان خاتم الأولياء تابعاً فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لايقدح فى مقامه ، ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فإنه من وجه يكون أنزل ، كما أنه من وجه يكون أعلى . وقد ظهر فى ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا إليه فى فضل عمر فى أسارى بدر بالحكم فيهم ؛ وفى تأبير النخل .

ولمّا مثَّل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك اللبنة ، غير أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايراها إلا كما قال : لبنة واحدة .

وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثَّله به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ ويرى فى الحائط موضع اللبنتين ، واللَّبِن : من ذهب ، وفضة ، فيرى اللبنتين ، اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما : لبنة ذهب ، ولبنة فضة . فلا بد أن يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين ، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط .

والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين ، أنه تابع لشرع خاتم الرسل فى الظاهر ، وهو موضع اللبنة الفضة ؛ وهو ظاهره ، وما يتبعه فيه من الأحكام . كما هو آخذ عن الله فى السر ، ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه – لأنه يرى الأمر على ما هو عليه – فلا بد أن يراه هكذا ، وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن : فإنه أخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك ، الذى يوحى به إلى الرسول .

فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع بكل شيئ . فكل نبى ، من لدن آدم ، إلى آخر نبى ، ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين . (وهو) وإن تاخر وجود طينته ، فإنه بحقيقته موجود (أزلاً) ، وهو قوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ :" كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ". وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعث .

وكذلك خاتم الأولياء : كان ولياً وآدم بين الماء والطين ؛ وغيره من الأولياء ، ما كان ولياً إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية ؛ فى الاتصاف بها : من كون الله تسمى ب " الولى الحميد "[١] .

وأخيراً ، فإنه ما يلزم الكامل أن يكون له التقدم فى كل شيئ وفى كل مرتبة ، وإنما نظر الرجال إلى التقدم فى رتبة العلم بالله : هنالك مطلبهم . وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها . فتحقق ما ذكرناه !"[٢] .

النقد (٦): يزعم اللئيم أن ابن عربى يقول أن الأولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لختم الأولياء ، وأخذوا من مشكاة واحدة ، وهذا باطل ، لأن المتقدم لا يأخذ من المتأخر ، والرسل لا يأخذون من غيرهم .

الرد : هذا الزعم مردود بتوضيح ابن عربي لمقصود قوله ؛ إذ يقول ابن عربى: " فإذا رأيت النبي يتكلَّم خارج عن التشريع فمن حيث هو وليٌّ عارف ؛ ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم ـ أى : أوسع ـ من حيث هو رسول ، أو ذو تشريع وشرع .

فإذا سمعت أحدًا من أهل الله يقول أو يُنقَل إليك عنه أنه قال : "الولاية أعلى من النبوة"، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه ، لا أن الولي التابع أعلى من النبى المتبوع . فإن التابع لا يدرك المتبوع أبدًا فيما هو تابع له فيه ، فرجع الرسول ، والنبي المشرِّع إلى الولاية ، والعلم .

وما قيل[٣]: أن الولاية أفضل من النبوة ، لا يصح مطلقاً إلا بقيد ، وهو أن ولاية النبى أفضل من نبوته التشريعية ، لا التبيينية . لأن نبوة التشريع متعلقة بمصلحة الوقت ، والولاية ، ونبوة التبيين مطلقا ، لا تعلق لهما بوقت

(١) ابن عربى ، الشيخ الأكبر ، نقلاً عن : الحكيم الترمذى ، ختم الأولياء ، ص ٤٧٨ ، ٤٧٩.

(٢) الحكيم الترمذى ، تم الأولياء ، مرجع سابق ، ص ٤٧٩ .

(٣) فصوص ١: ١٣٤-١٣٥) ، نقلاً عن : خاتم الأولياء النبوة والولاية في مذهب ابن عربي* سعاد الحكيم أستاذة التصوف في الجامعة اللبنانية وعضو جمعية ابن عربي الدولية.

دون آخر ، بل سلطانهما إلى قيام الساعة من بداية الأمر إلى نهايته ، وكما احتاج بيانه إلى مثل هذا التأويل ، فليس من الأدب إطلاق القول فيه

أما قول أحدهم[١]: " مقام النبوة فى برزخ * فويق الرسول ودون الولى "

يعنى عندهم : أن النبوة تعطى الأخذ عن الله بواسطة وحى الله ، ومقام الرسالة يعطى تبليغ أمر الله لعباد الله . ومقام الولاية آخذ عن الله بالله . أى الولاية الخاصة دون العامة يا من فهم عن الله ، وهذه الحقائق موجودة فيمن كان رسولاً ، فافهم التحقيق من كلام أهل الطريق ، ولا تظن إنهم يعتقدون تفضيل الولاية عن النبوة والرسالة ، ونزههم عن ذلك فإنه ضلالة ، فإنهم ينطلقون من كون كل رسول نبى وولى ، وكل نبى ولى وليس العكس ـ كما ذكرنا آنفاً.

قال أحدهم[٢] : " النبى مشرع للعموم ، والولى مشرع للخصوص ، قلنا : أى الرسول النبى الولى مبين للعوام برسالته ، ومبين للخواص بولايته ، لا أن الولى يشرع الأحكام الشرعية ، لكن تتبين له الحقائق الكشفية بطريق الوراثة للأنبياء ، وهذا لا ينكر على السادة الأولياء .

النقد(٧) : يزعم اللئيم أن الحكيم الترمذى ذكر فى كتابه "ختم الأولياء":"

أنه يكون فى المتأخرين مَنْ درجته عند الله أعظم من درجة أبى بكر وعمر ، وغيرهما".

الرد : الرد على ذلك متضمن فيما ذيله اللئيم ذاته عقب سرد ذلك النقد

بقوله : أن الترمذى لمّا حكى عن بعض الناس " أن الولى " يكون منفرداً عن الناس " ، فأبطل ذلك واحتج بأبى بكر وعمر ، وقال :" يلزم هذا أن يكون أفضل من أبى بكر وعمر " وأبطل ـ أى الترمذى ـ ذلك ، أى أن الحكيم الترمذى أنكر

---

(١) جمال الدين محمد أبى المواهب الشاذلى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، مرجع سابق ، ص٥٩ .

(٢) أبو المواهب ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، ص٦٤ .

هذا القول ، وما قد يترتب عليه من تفضيل درجة الولى على درجة الشيخين ـ رضى الله عنهما ـ فأبطله.

النقد (٨)ـ: يزعم النيم بأن القول بأفضلية خاتم الأولياء ممن تقدم من الأولياء ، وأنه بالنسبة لهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء وينعته بالقول الباطل ، ويرى اللئيم أن موجب لفظ خاتم الأولياء يمكن أن ينصرف إلى آخر مؤمن تقى فى الدنيا فكل مؤمن تقى عنده هو لله ولى ، وعلى ذلك فإن كان خاتم الأولياء هو آخر مؤمن تقى فى الدنيا ، وليس هو أفضلهم ، كما أن حديث خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم يعنى أن المتقدمين أفضل من المحدثين.

*الرد*ـ: هذا الزعم مردود عليه بأنه من المتصور ـ عقلاً ونقلاً ـ تفضيل المتأخرعلى من تقدم من جنسه ، ولا ينتقص هذا مَنْ جاء فى آخر دورات الكيان ، وقَدَّمَه فضله على الأفاضل والأقران ، قال أحدهم[1] :

فقد أخر الله النبى محمدا * وقدمه فى رتبة المدح والذكر

كما أن القاعدة أن المفضول يجوز أن يختص بخصلة ليست فى المجموع الحاصل للفاضل من الفضائل ، وحينئذ فقاعدة الأفضلية أن يكون المجموع الحاصل للفاضل من الفضائل دون المجموع الحاصل للمفضول ، وقاعدة المزية والخاصية ، أن يختص المفضول بخصلة لم تحصل فى مجموع الفاضل ، ومن استقرى ذلك فى المخلوقات وجد له أمثلة كثيرة :

منها ما ورد فى الصحيح عن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال :"إذا أذن المؤذن ولى الشيطان وله ضراط فإذا فرغ المؤذن من الأذان أقبل فإذا أقيمت الصلاة أدبر فإذا أحرم العبد بالصلاة جاءه الشيطان فيقول له اذكر كذا اذكر كذا حتى يضل الرجل فلا يدرى كم صلى " ، فحصل من ذلك أن الشيطان ينفر من الأذان والإقامة ولا ينفر من الصلاة ، وأنه لا يهابها ، ويهابهما مع أنهما وسيلتان إليها ، والوسائل أخفض رتبة من المقاصد ، وأيضاً أين هى منهما ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " أفضل أعمالكم الصلاة "

---

(١) أبو المواهب ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، مرجع سابق .

ـ كما جاء فى الأثر أن عمر ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى عماله ، أن أهم أموركم عندى الصلاة .

ومنها ما ورد فى الحديث الصحيح عن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : " أقرؤكم أبى ، وأفرضكم زيد ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقضاكم على " إلى غير ذلك مما ورد فى فضل الصحابة مع أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أفضل من الجميع ، وعلى بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أفضل من أبى ، وزيد ـ رضى الله عنهما ـ ومع هذا فقد فضلاه فى الفرائض والقراءة ، وما سبب ذلك إلا أنه يجوز أن يحصل للمفضول ما لم يحصل للفاضل .

ومنها قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعمر : " ما سلك عمر وادياً ولا فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره " ، فأخبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الشيطان ينفر من عمر ، ولا يلابسه ، وأخبر عن نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " أنه قد تفلَّت علىَّ الشيطان البارحة ليفسد علىَّ صلاتى ، فلولا أنى تذكرت دعوة أخى سليمان لربطته بسارية من سوارى المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة " .

ومنها ما جاء فى حديث الإسراء ، أن شيطاناً قصده ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشعلة من نار ، فأمره جبريل ـ عليه السلام ـ بالتعوذ منه فلم ينفر الشيطان منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما نفر من عمر ، وأين عمر منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ غير أنه يجوز أن يحصل للمفضول ما لا يحصل للفاضل.

ومنها أن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أفضل من الملائكة على الصحيح ، وقد حصل للملائكة المواظبة على العبادة مع جميع الأنفاس ، يُلهم أحدهم التسبيح كما يلهم أحدنا النفس ، إلى غير ذلك من الفضائل ، والمزايا التى لم تحصل للبشر ، ومع ذلك فالأنبياء أفضل منهم ؛ لأن المجموع الحاصل للأنبياء من المزايا ، والمحاسن أعظم من المجموع الحاصل للملائكة .

ومنها ما أُثِرَ عن الإمام مالك من أن المدينة أفضل من مكة ، وإن كان العمل فى مكة أكثر من العمل فيها ؛ لأن أسباب التفضيل لا تنحصر فى مزيد المضاعفة ، فالصلوات الخمس بمنى عند التوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة ، وإن انتفت عنها المضاعفة ، ومنها أن فى الشعير من الخواص الطيبة ما ليس فى البر ، وفى الخواص النافعة بالحال ، وغيرها ، ما ليس فى الذهب .

ومنها أنه قد يكون فى المدينة فقير عنده ابنة حسناء ، أو تحفة غريبة ليست عند مَلِكها ، ومجموع ما حصل للملك قدر ما حصل لذلك الفقير أضعافا مضاعفة .

وبالجملة فبسبب قاعدة أن المفضول يجوز أن يختص بما ليس للفاضل ـ كان الأذان ، والإقامة مما ينفر منهما الشيطان ، ولا ينفر من الصلاة ذاتها ، وبالتالى ، يزول اللبس والخلاف فى كون الختم أفضل ممن تقدم عليه من السُلاَّف ، والله أعلى واعلم(١) .

ويتضح من جماع ما تقدم أن أوجه النقد ، وإنكار فكرة ختم الأولياء أنما ترجع إلى حرمان المنكرين ، وجحودهم لفضل الله في أوليائه ، مهما كانت درجتهم من العلم الكسبى ، فعلمهم حجاب ، باعتبار التكثر بالصفة العلمية في حضرة الذات العلية.

هذا فضلاً عن أن كلام أهل الطريق لايفهم إلا بالتوفيق ، والتحقيق ، وهو معمى على من دونهم ، ولغز لا يحله إلا من كان منهم ، أو أخذ عنهم ، فهم ضنائن الحق ، الغرباء في الأكوان لما جمع لهم من حقائق العرفان .

وقد ذكرنا في بداية الباب أن أهل الحقائق اللدنية لهم مصطلحاتهم التى يعبرون بها عن معارفهم ، ويعجز أهل العقول المعقولة ، والنفوس المصفدة والقلوب المحجوبة عن إدراك كنه تلك الحقائق والمعارف ، وتكل أعينهم عن استشراف هذه الأنوار، ودقائق المعانى والأسرار(٢) .

وإذا أراد محروم أن يفسر كلامهم تراه مضطرباً في فهم مقصودهم ، لا يقوم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، فيقع في مستنقع الإنكار ، وفرية أهل النار ، كما سقط ابن تيمية اللئيم ، وشيعته في إنكار ما جاء عن ختم الولاية من أخبار ، ونعوذ بالله من تلك الحال .

(١) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكى لشهير بالقرافى ، أنوار البروق فى أنواع الفروق ، الجزء ٢ ، الفرق الحادى والتسعون" الفرق بين قاعدة الأفضلية وبين قاعدة المزية والخاصية"، ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٢) راجع ما ذكرناه عن مصطلحات الصوفية في المطلب الأول من المبحث الأول من هذا الفصل .

ويكتفى بهذا القدر ، وننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن نسبة مرتبة ختم الولاية المحمدية إلى إمامنا العربى ـ رضوان الله عليه ـ وشواهد ذلك ، هو ما خصصنا له الفصل التالى .

الفصل الثانى

{ الختم العربى }

يمكن القول أن كل ذي مِرَّة جَزْلِ الرَّأى حَصِيفِ العقل مُنصِف ـ يشهد بأن إمامنا العربى ، صاحب تلك السيرة ، هو خاتم الأولياء ، في الولاية المحمدية .

ويتناول هذا الفصل الشهادة البيّنَة على ما تقدم ، من خلال مبحثين ، الأول بعنوان " الإمام العربى خاتم الولاية المحمدية " ، والثانى بعنوان " شواهد المرتبة الختمية في إمامنا العربى " ، على النحو التالى

المبحث الأول

الإمام العربى خاتم الأولياء

لاتزال الأمة المحمدية ـ خير أمة أخرجت للناس ـ تجود بالرجال ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فيما معناه : " أمتى كالمطر ، لا يدرى الخير فى أوله أم فى آخره " ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك "[(١)] .

أَطَلَّ علينا القرن الرابع الفرد ، بعَلَمٍ مفرد ، هو الإمام العربى محمد ، فعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إن الله اختار أصحابى على جميع العالمين ، سوى النبيين والمرسلين ، واختار من أصحابى أربعة : أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا ، فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير ، واختار أمتى على سائر الأمم ، واختار من

---

(١) حديث أمتى كالمطر لايدرى الخير فى أوله أم فى آخره أخرجه الإمام أحمد فى المسند من حديث أنس ، وحديث لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ...أخرجه مسلم والبخارى بنحوه وغيرهما ، عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة ، وهو مخرج فى : الصحيحة " فانظر صحيح الجامع " ٧١٦٤ . ٧١٧٣ ".

أمتى أربعة قرون ، القرن الأول ، والثانى ، والثالث تترى ، والقرن الرابع فرداً "(١).

لِمَ لا ، وقد قال له جده رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى إحدى مشاهداته : " يا محمد يا بنى أنت نور طلتى ، وخيرتى من عترتى وعصبتى "(٢) .

ويقول إمامنا العربى : " ومما منَّ الله به علىَّ ـ منذ ولدتنى أمى لم يغب عنى رسول الله طرفة عين"(٣).

وبعد بيان المرتبة الختمية ، أو مرتبة خاتم الأولياء ، من خلال عرضنا لأقوال المؤيدين والمنكرين لها ـ نعرج فيما يلى إلى آفاق الدوحة المحمدية ، والدرة الفاطمية ، الختم الدامغ ، البراق اللامع ، مولانا الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ نستشرف ما يُتاح لنا من ثنايا برقه الحجازى بالإشارة إلى مرتبته ، ومقامه بإيجاز .

بداية ، لم يقف أحد على مرتبة ومقام إمامنا العربى ـ حال حياته أو بعد انتقاله ـ فإذا كان الأفراد ، وهم قمم الأولياء ، و كَمَلَة الرجال يخرجون عن نظر القطب الغوث فما بالك بمن أشرق علينا غيباً معمياً ، وعاش بين ظهرانينا لغزاً مخفياً ، حتى غرب عنا سراً مطوياً ، لا تراه البصائر ، ولا تحيط به المدارك ،

---

(١) قاله السيوطى فى الخصائص الكبرى ١٧٩/٣ ، أخرجه ابن جرير فى كتاب " السنة " ، نقلاً عن :الإمام على بن محمد الأجهورى المالكى (ت ١٠٦٦ هـ) ، شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية ، الجزء الثانى – تحقيق إبراهيم ربيع محمد - و منى شحاتة حسن – مراجعة الدكتور / على جمعة محمد – صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مركز السيرة والسنة - القاهرة : ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م ، هامش ص ٣٥٧ . وتترى أى : تتواتر ، ويتبع بعضهم بعضا ، إلا أن بين كل واحد وبين الآخر مهلة ، وقال غيره : المواترة التتابع بغير مهلة .

(٢) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ / جابر عبد المنعم ، مؤلفه "العصبة الهاشمية ونهج سبيلى" .

(٣) جاء هذا القول بمناسبة سؤاله من أحد الزوار : يا مولانا هل ترى رسول الله كثيراً ؟ فأجابه الإمام بما جاء فى المتن ، كما نقل عن د. محمد منير ـ من الرعيل الأول من أحباب الإمام ـ ذات المعنى ؛ إذ يقص : أنه في يوم أثناء العمل في إنشاء الساحة .. أخذنى مولانا الإمام العربى وصعد بى على سقالة ، ومشى حتى منتصفها ، وأنا مرعوب من تعلقنا في الهواء .. ثم قال لى :" تحدثاً بنعمة الله ، لا يغيب عنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طرفة عين حياً ومنتقلاً " ، فظللت أرقص فوق السقالة .

احتار أهل العرفان فى فهم كونه ، أو معرفة كنهه ، فمن ذا الذى يقف على مرتبته ، أو مقامه ؟!.

يقول إمامنا : " أنا أَحِّدُ ، ولا أُحَّد "(١)، فإن فى الأذواق الدقيقة حضرة عزيزة لايُدْرَك كُنْهها ، وما كل موجود يحس ويدرك بالعقل ، وإن للحس والعقل حدودا يقفان عندها .

فإمامنا العربى كينونة ذاتية ، ومرآة محمدية ، يستحيل التعبيرعن مقامه ، أو رتبته بالمقال ، وتتضاءل فى حضرته منازل الرجال ، ولا يسع المرء أمامه إلا الوقوف تَعَجُبَا ، يلهج قائلاً بلسان الحال : وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الفضلَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ! .

وما للقوم إلا اجتهادات لتفسير المبهمات ، مع الإقرار بأن إمامنا العربى كان ، ولم يزل رمزَ الشَّفْرَة ، وتجسيداً لفذلكة القُدرة .

كيف لا وهو القائل :" أنا من العباد الذين سَيَرَهم الله بيده لنفسه لا لغيره "(٢)، "أنا عبده الذاتي المتوغل فى حضرته"(٣).

---

(١) يقول مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه : أنا عشت معه خمسة عشر سنة لأعرف من أبيه؟ ومن جده؟ ومن أيت أتى ؟ فما قدرت ، وتطلعت في العارفين ليعرفوه لى فما عرفوه ، فقال لى إمامى عبارته الواردة في المتن .

(٢) جاء هذا القول على لسان الإمام محمد أبو الفتوح العربى رضى الله عنه وأرضاه بتاريخ ١٩٨٤/٢/٢٩ ، بمنزل أحد أحبابه هو الدكتور/ فاروق القاضى ، بمصر الجديدة ، القاهرة ، وكان الإمام العربى لايقيم فى القاهرة إلا فى منزله ، ويذكر العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن أن بيت الدكتور فاروق خير وأشرف بيوتات مصر المحروسة ، ولو وجد الإمام العربى أن هناك منزل يفضله لنزل فيه ، سمعته من الحاج / سيد البواب تاجر جملة بكوم أمبو ، من خاصة أحباب الأشياخ ومحبوبهم .

(٣) نقلاً عن الشيخ / جابر عبد المنعم قال سمعت سيدنا الإمام العربى يقول لوصيفته الحاجة آسيا قولى لى : محمد يا غول ، وأنا أقول لكى : آسيا يا غولة ، وبعد ترديدهما هاتين الجملتين لفترة طويلة (ربع ساعة تقريباً) توقف سيدنا الإمام وقال قولته الواردة بالمتن ، وفى اللغة ، معنى وغل فى الشيئ ـ (يَغِلُ) وُغُلاً : أمعن فيه ، و (أوغل) فى الأمر :بالغ وتعمق وأبعد ، (تَوَغَّلَ) فى البلاد : أوغل فيها، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦٧٥ .

ويقول :" كأنه ربى لوحدى أنا قاعد له كده أها"[١]، و" تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، لقد أرضعنى الله من ألبان تجليه كفاحاً بلا كيف ، ولا أين ، ولا حيث ، واجتبانى صِدِّيقاً ، وجعلنى خيار من خيار من خيار"[٢].

وفى موضع آخر ، يقول : " شاهدته فى شهدوا ، ولم أحجب عن الله لا فى البطون ، ولا فى الظهور ، لا فى العصور ، ولا فى الدهور ، لا فى الأعوام ، ولا فى الشهور ، لا فى البرد ، ولا فى الحرور ، وكنت أعقل إذا تنازلت بالعقل ، وأعدم علىَّ الجواب " .

" ما غبت عن حضرته مِن شهد الله ، وما شغلنى غيره ، وما شغلنى غيرعباد ذاتيين اتخذهم صفوة له ، ومنهم وعلى رأسهم الحاج أحمد رضوان ، فأنتم المقصود لا الخيم * أنتم المقصود لا العلم ، أنتم المقصود الأجل ، الأفخم ، السامى ، لا أروم فتحاً ، ولا أرغب فى ولايات ، ولا أرى أنى ولى ، كل غايتى أن أكون عبداً لذاته ، إنما مقصودى الحبيب الأعظم وعترته ، لا أرى سواهم ، و لا تشغلنى مقامات ، ولا منازل قرب "[٣] .

تسامى ـ إمامنا ـ عن روم مقام ، فمراده القيوم ، ولا يرى فى نفسه ولاية ، ولا يرغب فيها ، أو في فتح ؛ تواضعاً ، وهضماً لنفسه ، وإخلاصاً فى العبودية ، فما شغله إلا الله ، وعباده الذاتيين ، ورأيته يقول : " لاتشغلك المنة عن المنان "[٤] .

---

(١) مقولةالإمام العربى ، نقلاً عن مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن فى حديث عن مناقب شيخه الإمام العربى رضى الله عنهما ، يقول فيه : شيخى بدأ بالنهايات ، أحيا الموالد الميتة في كل مكان . الوقت وقته أبو قميص ،خمسة وعشرون سنة على دكة من غير مسند ، قال لى : وذكر مقولة شيخه الواردة بالمتن ، وكلمة (كذه أها) تعنى هكذا .

(٢) نقلا عن الشيخ جابر عبد المنعم ؛ سماعاً من حضرة الإمام العربى مشافهة .

(٣) يشار أن السواد الأعظم حينما تلقى حديث إمامنا العربى عن مقصود إمامنا العربى أنشأ قصيدته الشهيرة ، ومطلعها : أنتم المقصود لا الخيم * أنتم المقصود لا العلم . ديوانه " لآلئ عرشيه في مديح خير البرية ، طبعة حديثة ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٤) جاء هذا فى سياق قول إمامنا : أنتم المقصود لا الخيم * أنتم المقصود لا العلم ، والتى طلب أن ينسج عليها مولانا الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه قصيدة بذات المطلع ، فى تفصيل الواقعة استمع إلى : حديث للشيخ / جابر عبد المنعم فى مولد مولانا الإمام الحسين عام ٢٠١٩م ، بساحة احتفال العصبة

وعن هؤلاء الذاتيين ، يقول إمامنا : " لحضرة ذاته خلقهم سبحانه وتعالى لنفسه ، واصطنعهم بيده على عينه لحضرته ونفسه ، لاحول لهم ولا قوة إلا به جل شأنه ، لايفعلون شيئ إلا بأمر من الله . تجلى لهم بالخير كله ، وبالرحمة والرحمات، فبيده سبحانه وتعالى فعلوا الخير بجميع التراحم والرحمات ، فداموا فى ترقى ، وفى شهود للحق دائماً وأبداً ، عباداً بالحق بحقيقة العبودية للمعبود الواحد الأحد ، فهم السعداء دنيا وأخرى ، وجعلهم الله سبحانه وتعالى أهلاً لحضرته ، وجعلهم أهلاً لنظره فهم أهل قبلته ، خلقهم الله سبحانه وتعالى للمشاهدة لحضرته ، وللنظر إلى وجهه الكريم مستغرقين بالحق مع الحق دائماً وأبداً ، مُخَلَّصِين بيد القدرة الإلهية من جميع الشوائب ، ومن جميع العلائق ، ومتجهين عن جميع الأكوان ، لايرون إلا الله فى كل معنى ، بلا كيف ، ولا انحصار ، ولاجهة ، ولامكان "(١) .

وفى إشارة إلى إمامنا ـ يقول السواد الأعظم : " إن العبد المحض الذى جلببه الله بجلابيب الإخلاص البارز خارج الأقفاص ، أى أقفاص الموجودات طُرَا ، وجعله عبدا محضاً لربه ، وجعل قلبه طور تجلى ، واستودعه أسراره وأنواره ، وصار موضع نظره تعالى ، وموضع نظر نبيه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ذلك القلب أضحى عرش استواء تجليه ... بماذا وصفه الله ـ جل وعلا ـ فى فحوى الحديث القدسى ؟ وصفه بأنه لم يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، فهذا العبد المحض الذى فيه غَيْبٌ عن المَلَك ، أى السادة الملائكة ، وغيب عن الشيطان ، وغيب عن الناس ببركة خير الناس ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم"(٢).

الهاشمية بفندق الصفا والمروة بالقاهرة ، تسجيل فيديو على صفحة باسم " شراب الوصال " تم نشره فى ٢٠١٩/١٢/٢٧م .

(١) من كتاب تبرك ودعاء للإمام العربى رضى الله عنه، نقلاً عن : مؤلفنا " السواد الأعظم" ، ص٧٠ ـ ص٨٣ .

(٢)جاء قول السواد الأعظم فى معرض الحديث القدسى الذى معناه :"الإخلاص سر من أسرارى استودعته قلب من أحببت من عبادى لم يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده " . نقلاً عن : الشيخ جابر عبد المنعم .

ويقول : " وُلِدَ العارف ، الذى ليس له صبوة ، ولا كبوة لمـَّاح، نفسه قدسية مختومة من الحضرة الأحمدية فى مقعد صدق ، روحه عرشية ذواقة تواقة ثاقبة ، فذاته محكومة لنفسه المطمئنة ، هيكله نفسه ، وروحه وحدة اتحاد حتى أنه يرى الصحابة فى مطالع طفولته ، يكون فى محيطهم يراهم فى عمره ، هذا أبو بكر وهذا عمر ، ليحجب عن العالم الحسى ، حتى بالآدمية"(١) .

وعن حظه من جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقص السواد الأعظم : " أخبرنى ـ يعنى إمامنا العربى ـ أنه فى يوم سبت النشأة ، جمعوا الأولياء كلهم في صعيد واحد ، فقسم رسول الله المناب ، وأعطى كل ولى منابه ، وأعطانى مميزا"(٢) .

ويستدرك قائلاً : " لكن هناك شيئ كالصُّرَّة" ، تحت إبط النبى ، أى : عطاء تحت إبط النبى ـ هذا العطاء لا يُؤْخَذ من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا عِنوَّة بإذنه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ لأن الرسول قاسم ، والكل أبناؤه ، والأولياء أبناؤه ، أما هذا العطاء الخاص تحت إبطه فلا يأخذه منه إلا رجل عنوة بأمر من رسول الله(٣) .

يقول إمامنا : فسرى خيف سر رسول الله إلى سرى : اقتحم إبطى ، وخذ هذا العطاء يا بنى ، فخطفت العطاء منه فكان ثقيلاً ، وحملته حتى إذا جاء عند صدرى خَفَّ ، فوجدت الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يلاحظنى بعينه برفق .

---

(١) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنه ، نقلاً عن أماليه ، فى مؤلفنا : السواد الأعظم ، الفصل الأول من الباب الرابع ، ص١٤١ .

(٢) فى اللغة ، يقال : (تناوب) القوم الشيئ ، وعليه : تداولوه بينهم وتقاسموه ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦٣٨ .

(٣) عنوة ـ هنا ـ بمعنى ظاهره فيه القسر ، وباطنه فيه الإذن والرغبة ، فالرسول قاسم عدل في عطائه ، لكنه خصَّ ما بالصرة من عطاء لإمامنا ختم الأولياء ، والصُّرَّة : ما يجمع فيه الشيئ ويشد (ج) صُرَرٌ ، المعجم الوجيز ، ص٣٦٣ .

وبهذا العطاء المدخر له من جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ تميز إمامنا العربى عن عطاء بقية الأولياء ، وعَلَّ ذاك العطاء هو ما اختص به ختم الأولياء[١] .

وفى موضع آخر ، يقول السواد الأعظم : " جمع الله الأولياء في صعيد واحد ، وقَدَّمَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمَّ بالأولياء كلهم " .

كما حُبِبَ له القرآن ، وفى ذلك يقول : " حُبِبَ إلىَّ القرآن ، والتلاوة فى آياته ، فهو الأصل الذى بكل أرج يضوع ، وتحن إليه جميع الفروع ، وقلب التالى للقرآن الذى فى حضور مع الله ، واستغراق فى إيغال ، يعبر مع الآيات ، ويبحر فى أمواج إشراق معانيها " .

ويقول ـ رضى الله عنه ـ : "مما مَنَّ الله به علىَّ أنا أتلو القرآن بعدد ذرات الوجود ، كما أَجِد ذرات الهواء الداخل فى هذه النافذة[٢] .

وفى موضع آخر ، يقول : " مما مَنَّ الله ـ جل وعلا ـ به علىَّ ، ببركة خير البرية ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وقعت لى جامعية كبرى فيما فوق الفوق أوقفنى ربى بين السماء الأرض ، أمام جمع حَشْدٍ من أهل الحضرة ، أنبياء ومرسلين وأولياء وعارفين ، وملائكة مقربين ، فنوديت اقرأ القرآن من بدئه إلى مختتمه ، ففعلت ، وأنا ماهر به ، فلم ألحن فيه لحناً ، ولم أنطق حرفاً خطأً ، فاستحسنوا أهل الحضرة ذلك ، وتهيَّموا نشاوى من السماع ، وذلك تفضلاً من الله لا وجوباً عليه[٣].

وما زلنا عزيزى القارئ نتطوف حول مرتبة إمامنا العربى ، ومقامه ؛ عَلَّنا نجد على الدرب هدى .

---

(١) سمعته من شيخى السواد الأعظم مشافهة ، فى أحاديثه المتكررة عن مناقب شيخه إمامنا العربى .

(٢) سمعته من : عثمان أبو العباس عثمان من أبناء العصبة الهاشمية بالسمطا ، وقد سمعها حينما كان الإمام العربى وبجواره السواد الأعظم يقفان أمام إحدى نوافذ ساحة الإمام على بالكلح فسأله السواد الأعظم عما ورد عن منن الله فى أوليائه فمنهم من يقول أنا أتلو القرآن كله فى لحظة يسيرة ، وآخر يقول أنا أتلوه فى نفس واحد ، فرد عليه إمامنا بفحوى العبارة الواردة بالمتن .

(٣) السيدة كريمة العربى ، كتيب أوراد وأذكار ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

يحكى أحد الأحباب[١] : " ارتحل إمامنا العربى فى سياحته حتى حَلَّ فى مكان قاصى ومهجور بعزبة "الكوم الأحمر" ، وتسمى الآن "عزبة بيت القاضى" ، من نجوع مركز إدفو من أعمال محافظة أسوان بجمهورية مصر العربية ، وهناك التقى برجل طيب يدعى الحاج / أمين أبو صاوى النجار كان يحبه ، ويذهب إليه يؤانسه ويسامره ، وذات مرة طلب الرجل أن يحلق للإمام شعره وذقنه ، فقال له : ليس اليوم ، فأكمل جلسته مع الإمام حتى قرب الغروب ، ثم انصرف إلى منزله ، تاركاً إمامنا شعث الشعر ، وفى صباح اليوم التالى عاد الرجل عازماً على الحلاقة لإمامنا ، إلا أنه فوجئ بكونه متهندماً ، حليق الذقن ، مشيط شعر الرأس ، صفَّفَه ورجَّلَه ، وكأنه خارج من صالون حلاقة ، فدُهِشَ الرجل متعجباً ، وسأله : ياشيخ محمد مَنْ هذا الذى جاءك إلى هنا ، وفى الصباح المبكر، وحلق لك شعرك وذقنك ، وهندمك على تلك الهيئة التى أراها ، وقد تركتك بالأمس على غير ذلك ؟ فقال الإمام : الذى جاءنى وحلق لى هو الشيخ أبو مدين الغوث ، فزادت دهشة الرجل وتعجب أكثر، وقال له : يا شيخ محمد نحن نحبك ونصدقك لكن ما تغوضش قوى ، أى : لا تشطح، فقال إمامنا : إن لم تصدقنى فالحق به ، فقد انصرف تواً ، وما زال على قارعة الطريق عند السيَّالة ـ مكان معروف لأهل هذه البلدة ـ وسوف تراه بنفسك ، فأسرع الرجل فى عقبه فشاهد رجلاً يمشى مرتدياً لباس أهل المغرب ، فنادى عليه : ياشيخ مدين . ياشيخ مدين ، فالتفت إليه ، ورد عليه قائلاً : نعم ، فسأله الرجل : هل حلقت ذقن الشيخ محمد العربى؟ فرد عليه أبو مدين : آش آش جئت لأتبرك بالإمام العربى، لأنه شيخنا ويحكمنا ، ثم اختفى ماضياً فى طريقه . وعليه قام الحاج / أمين أبو صاوى النجار بنشر القصة لأهل القرية ، واعتبروها شاهد حق على ولاية إمامنا ، وكرامة أجراها الله تأييداً لحضرته ، وتعريفاً بخصوصيته

---

(١) راوى القصة الحاج / محمود أبو عباس من قرية البصيلية من أقارب السيدة حليمة زوجة الإمام العربى ، فى حديث مسجل تليفزيونياً على قناة صوت العرب فى برنامج " كشاف حساب " ، المذاع يوم الخميس ٢٠١٩/٧/٢٥م بمناسبة الإحتفال بمولد سيدنا الإمام عام ٢٠١٩م ، وأيضاً منقول من بوست على صفحة فيس بوك باسم " سلطان دولة الحب "منقول عن أسد ساحة الإمام على الشريفة السيدة كريمة العربى منشور منشور بتاريخ ٢٠١٩/٤/٢٧م.

، واشتهرت القصة ، وتناقلتها الناس ، ومازالت تجرى على ألسنتهم حتى وقتنا الراهن .

والشاهد فى هذه القصة قول الإمام أبو مدين الغوث :" جئت لأتبرك بالإمام العربى لأنه شيخنا ويحكمنا " ، والإمام أبو مدين الغوث هو من هو فى عالم الولاية(١).

فمَنْ هذا الذى يتبرك به الإمام أبو مدين الغوث ؟ ومن هو المشار إليه فى قوله: "شيخنا ويحكمنا ؟ وما دلالة ضمير المتكلم " نا " فى قوله " شيخنا ويحكمنا " ؟

الإجابة على تلك الأسئلة ترجع بنا عوداً على ذى بدء ، والعود أحمدُ ؛ إذ قلنا بداية ، أنه لم يقف أحد على مرتبة ومقام إمامنا العربى ، فلم يذكر أحد ، أو يُشر إلى أن إمامنا كان من النقباء ، أو النجباء ، أو الأبدال ، أو الأوتاد ، أو الأ مناء ، أو أحد الإمامين ، أو حتى أنه القطب الغوث ، كما لم يفصح إمامنا عن مرتبته ، أو مقامه ؛ تحلياً بصفة هضم ذاته ، أو هضم حقه ، التى لم تنفك البَتَّة عنه .

وأرجح أن قول الإمام أبو مدين الغوث : " جئت لأتبرك بالإمام العربى ، لأنه شيخنا ويحكمنا " ـ إشارة واضحة ، ودلالة بَيِّنَة من غوث زمانه ، بأن إمامنا العربى هو الملوَّح إليه بختم الأولياء ، وبالطبع فإن ضمير" نا " المتكلم

---

(١) هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصارى والمعروف باسم سيدى بومدين أو أبو مدين التلمسانى ، ويلقب ب " شيخ الشيوخ " ولقبه ابن عربى ب " معلم المعلمين " ، المولود سنة ٥٠٩ هـ بقطنيانة الدولة المرابطية المتوفى عام ٥٩٤ هـ ، فقيه على مذهب الإمام مالك ، ومتصوف وشاعر أندلسى يعد مؤسس أحد أهم مدارس التصوف فى بلاد المغرب العربى والأندلس ، تعلم فى أشبيلية وفاس وقضى أغلب حياته فى بجاية وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره ، فوشى به البعض عند يعقوب المنصورالموحدى بمراكش فبعث إليه الخليفة للقدوم عليه لينظر فى مزاعم حول خطورته على الدولة الموحدية ، وفى طريقه مرض وتوفى نواحى تلمسان وبنى سلاطين بنى مرين بضريحه مسجداً ومدرسة ، ولأبى مدين شعيب مؤلفات وتصانيف كثيرة فى التصوف وديوان فى الشعر الصوفى من بينها " أنس الوحيد ونزهة المريد " فى التوحيد ، و " بداية المريدين " ، و " تحفة الأريب " ، لمزيد من التفصيل انظر: الدكتور/عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر رحمة الله عليه ، كتاب " شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث ، حياته ومعراجه إلى الله" ، دار المعارف ، ١٩٨٥م .

تحدث به أبو مدين نيابة عن جميع الأولياء فى عصره ، ويتكلم بلسانهم ، بوصفه غوث زمانه .

ويلمح إمامنا العربى إلى تربعه على مرتبة الختمية المحمدية الخاصة ، فيقول : " كان عدد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إلى أن انتقل آخر صحابى بعدد الأنبياء والمرسلين ، وأفضل أصحابه أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وكذا عدد أهل الحضرة في كل زمان ومكان ، والعارفين بالله فيهم بعدد أهل بدر ، ومنهم الأقطاب ، والأوتاد ، والنجباء ، والأبدال ، والغوث ، والسبع النوادر خيار أهل الحضرة ، صفوة أصفياء ، ويتربى في أحضانهم الغوث ، وتفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، أنا أستاذهم ولا فخر "[١].

فإمامنا العربى ـ إذن ـ هو أستاذ السبع النوادر ، وبالتبعية فهو شيخ جميع الأولياء ويحكمهم ، كما جاء على لسان أبو مدين الغوث فى قصته سالفة الذكر .

ولكونه شيخهم ويحكمهم ، فهو يسطع عليهم بالتجلى ، وهو غيب عنهم ، يقول إمامنا العربى : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، كنت من قبيل القبل ، قبل أن يبرز هذا الوجود من عماء العماء ، ومن أكنان خبأ الخبأ ، كنت روحاً شارقة فى غيب الغيب ، وكنت أمر على القباب والسلاسل والزهريات ، اسطع عليهم بالتجلى ، وأنا غيب عنهم ، وكنت منتهى مرمى بصائرهم "[٢] .

---

(١) نقلاً عن الشيخ جابر عبد المنعم ؛ إذ يقول : وسأل سيدنا أبو ذر الغفارى رضى الله عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذات مرة فيما صح من بساتين السنة : بأبى أنت وأمى يا رسول الله كم عدد الأنبياء والمرسلين ؟ فقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : هم مائة ألف وعشرون ألف وأربعة ألف . فقال سيدنا أبو ذر رضى الله عنه : كم عدد الرسل فيهم ؟ قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : ثلاثمائة وثلاثة عشر" ثم أردف إمامنا العربى حديثه عن مراتب الأولياء الوارد فى المتن ، منقول من بوست على صفحته فيس بوك باسم " Gaber Elaraby" " ، منشوربتاريخ ٢٠١٩/٥/٦م ،. وفى ذات السياق : سمعت من الأخ الدكتور / محمد منير وهو من الرعيل الأول من أحباب سيدنا الإمام العربى ، وكان زوجاً لإحدى كريماته الشريفات ـ أن الإمام العربى قال له أنه النوادر سبع لايزيدون ولا ينقصون منذ النشأة إلى الغاية ، وأنه رضى الله عنه ختمهم ، وشيخهم .

(٢) نقلاً عن : الشيخ جابر العربى منشور فى بوست على صفحة فيس بوك باسم " رجال الله فوق العاديات " منشور فى ٢٠١٩/١٠/٢٠م .

ومن إشراق روحه على الأولياء ترى فيهم منْ يقول : أنا ختم الأولياء ، فهؤلاء يلبسون ملابس الختم ، الذى هو الفرد المتعدد فيهم ، ويسطع فيهم حاله ، فيصيروا نسخاً كاملة ، ومرائى مصقولة ، ونوافذ مفتوحة يطل منها على كل الأزمنة ، ويتكلم فيهم ، وهم ألسنة لحضرته من باب "كنت لسانه" ، ومن هنا لهم أن يقولوا : "أنا الختم" ، فهو ليس قائلها ، ولكن قائلها الختم ، الذى هو واحد الآحاد ، ولا يتعدد ـ يعنى لا يتعدد بالإرث المحمدى الكامل ـ يقول أحدهم(١) :

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالا تجتلى فيك صورتى
فكل صبا منهم إلى وصف لبسها * بصورة حسن لاح فى حسن صورة
كذلك بحكم الاتحاد بحسنها * كما لى بدت فى غيرها وتزيت

فهؤلاء الأولياء أضحوا صوراً ختمية ؛ لذا يجب أن نلتمس الأعذار لمن قال : شيخنا هو الختم ، أو من قال : أنا خاتم الأولياء ، فإنما القائل فيهم هو الختم ؛ لأن مقام الختمية لا يورث ، ولكن ينعكس فيمن اتخذهم صوراً لهم ، وألبسهم جلابيبه ، حالاً ، ومقالاً ، وفعالاً ، فهو المتكلم فيهم ، ولهذا تُعذَر الأشياخ ، وأبناء الطرق الصوفية إذا قالوا : نحن ، أو شيخنا هو الختم .

ونضرب للتقريب مثالاً : فلو أن أحد الصالحين المنتقلين وُلِدَ له حفيد بعد أجيال عديدة مرت ، وكان هذا الحفيد شبيه تماماً بجده الصالح ، ويحمل جيناته حتى تنبهر فتقول : سبحان الله هذا هو الجد ، هذا إياه ! ، لدرجة أنك تتعامل مع هذا الحفيد من منطلق أو من فلك : أنه هو الجد ، فقد حاز إرثاً يُبهر ، ومن هنا حصل الخلط فى هذه القضية بالذات .

كذلك هذا الولى حامل جينات الختم ، ويسيطر عليه كلياً ، ويصبح لسان والختم متكلم ، ويعطيه الختم ذلك منحة ، فقد يعطى الشيخ الكنتيات لتلميذه النجيب الذى يخلفه .

ولا يحمل هذه الأمانة الثقيلة ، والإرث الضخم الفخم للإمام الختم الفرد ، المتعدد إلا كَمَلَة الرجال الأعلام ، أوالسبع النوادر، فيكونوا نوافذاً للختم على مر الأزمان ، يتحدثون بلسانه ، ويكونوا له وجوهاً(٢) .

---

(١) ابن الفارض ، سلطان العاشقين ، أبيات من قصيدة بعنوان : "سقتنى حميا الحب راحة مقلتى" .

(٢) سمعت هذا الحديث مشافهة من ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

ومما يروى فى ذلك أن سيدى أبو العباس المرسى رأى ـ ذات مرة ـ شيخه الإمام أبو الحسن الشاذلى يهبط من السماء ، حتى دخل فيه بالكامل ، وإذا بشكل سيدى المرسى أبو العباس قد تغير إلى شكل سيدى أبو الحسن الشاذلى بكامل هيئته، فاحتواه ، واحتل كل بقعة فيه روحاً وجسدا ، وقلبا وقالباً ، حتى كان إياه ، أو كان مرآة مصقولة له ، من باب قولهم : " أنا هو ، وهو أنا " .

وقص هذه الرؤية لسيدى عبد الله المنير ـ وله باع فى تأويل الرؤى ـ فاحتضنه ، وفسَرها له بأن السماء هى سماء مُقام سيدى أبو الحسن الشاذلى ، حيث حقيقته ، وسينتقل قريباً إلى جوار ربه ، وأنه سيخلفه ، ويرث حاله ، وهو ما حدث بالفعل .

ولمَّا سئل إمامنا فى حضرة الآية { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ }(١) قال رضى الله عنه : "السبع المثانى ، هم السبع النوادر " الذين بيدهم العوالم كألعوبة فى رحاهم ، وكل منهم له زمنه ، ومكانه فى علم الله ، فهم مثانى لا تتوقف ، فرادى متفردين ، وهم الخاصة ، خاصة الخاصة ، ويطلق عليهم " أهل الأعراف"{ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ }(٢) أى : كل من فاح فيه عرف العرفان" .

ويردف قائلاً : " هم الشارفون على الجنة ويعلمون كل أهلها ـ اسما ، ورسما ، وسلالة ، ومن أى قبيلة ـ ومن قبل حتى أن يولدوا ، من قبيل البدء ، فى عالم الذر ، من فجر النشأة الأولية ، وهم غيب عن كل أهل الله إلا من يكون منهم ، وهم " جند الخيف ، ورجال الغيب" ، وكل منهم له أن ينطق ويقول : " أنا الختم" . ثم قال : "وتفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، أنا شيخهم " .

وينشأ السواد الأعظم بلسان إمامنا :

أنا العربى الختم سلطان وقتها * وحيداً على عرشٍ زكياً بغالب
وكل رجال الله بعض معيتى * صنائع صنعى منى نالوا المواهب
حكمت رجال الغيب أمرى سرى بهم * كما أن بابى معقل للكتائب

---

(١) الحجر : ٨٧ .

(٢) الأعراف : ٤٦ .

فهؤلاء السبع النوادر هم فوق الغوث ، ويتربى الغوث فى أحضانهم ، يتكلموا بلسان الختم ، فهو المتجلى عليهم من داخل إياك وإياك { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }[1] هنا عبودية ، وهنا عون دعم أحوال النبوة ، التى هى فيه ، فهو نسخة كبرى للحضرة المحمدية ، وهم صُوَّرٌ له ، من باب "كنت سمعه ، وبصره ، ولسانه" ، وكل منهم فى أى زمان ، وفى أى مكان يتكلم بلسان إمامنا الختم ، وهو غيب عليهم ، يحدَّهم ، ولا يحدُّونه[2]

وفى مشهد جليل ، رأى فيه إمامنا جده المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول له : " أنت مرآة أنا " ، ثم أردف قائلاً " وأنت يا بنى طلتى ، وخيرتى من عترتى وعصبتى " .

والشاهد في قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه ـ في ذلك المشهد هو أن إمامنا قد انطبعت فيه الحضرة المحمدية فى كمالها ، إذا رأيته رأيت حضرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن شئت فقل : هو نسخة محمدية كاملة[3].

كما أن قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يحمل تأكيداً على أن إمامنا العربى ، هو خير نسخة ارتضتها الحضرة المحمدية[4] .

وما هذه النسخة المحمدية الكاملة ، التي ارتضتها الحضرة المحمدية إلا تجسيداً لخاتم الأولياء ، الذى ختم الله به الولاية المحمدية الخاصة ، وهو بعينه ، لاغيره : إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) الفاتحة : ٥ .

(٢) يقص السواد الأعظم : لمَّا تحيَّرت فى معرفته ، قال لى إمامنا متحدياً : " أنا غيب يا أحمد أَحِدُ ، ولا أُحَدْ ، اسأل من يعجبك من العارفين ليقول مَنْ هو أبى؟ .

(٣) وفى ذات السياق ، يحكى أحد أحباب إمامنا العربى أنه رأى رؤية لضريح أخضر، وهاتفاً من النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول باختصاص : " نحن خَصْلَين " ، وألقى فى روعه أن النبى يشير بقوله (نحن) إلى حضرته والإمام العربى ، تلميحاً إلى أن إمامنا بكونه ختم الأولياء هو الخصلة المحمدية الكاملة ، الرائى هو أ . طارق المراغى ، محاسب قانونى ، من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا ، والخَصْلَة فى اللغة : خُلُقٌ فى الإنسان يكون فضيلة فى الغالب ، أو : طرف الغصن الرطب ، أو : العنقود .

(٤) الطلاوة لغة : الحسن والرونق ، وأطلَّ عليه : أشرف عليه ، انظر : المعجم الوجيز ، مرجع سابق ،ص ٣٩٤ .

ويكتفى بهذا القدر ، وننتقل إلى عرض الشواهد البيّنَة على أن إمامنا العربى هو ختم الأولياء ، وخاتم الولاية المحمدية ، ولا فخر ، وذلك من خلال المبحث التالى.

المبحث الثانى

شواهد المرتبة الختمية في الإمام العربى

يقول العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان لإمامنا ـ وكان غلاما صبيا : " يا بنى لا تجعل لك كيف غير الله تعالى ، وأرى فيك إنشاء الله إنك من الصفوة ، التى لا كيف لها غيره جلَّ وعلا ، وأَبَىَ الله إلا أن تكون خِيرة أخياره "(١) .

وتنعته العارفة بالله السيدة / زكية عبد المطلب قائلة : " ما رأت عيناى مثله أبداً ، إنه فوق كل الرجال ، وغَيْبُ الله فيه ، وإنى أعشق رسول الله الساكن في قلبه ولايبرحه أبداً ، وسترونه يوم القيامة "(٢) .

ويصرح إمامنا العربى ، قائلاً : " أبى الله إلا أن أكون خاتم الأولياء "(٣).

---

(١) العارف بالله تعالى الحاج احمد احمد رضوان ـ رضى الله عنه ـ ورد ذكره فى مبحث " مزارات في البدايات " الفصل الثانى من الباب الأول من هذا المؤلف ، نقلاً عن : بوست على صفحة فيس بوك باسم محمد النبوى المدنى منشور فى ١٨يوليو ، منقول من بوست باسم " أحمد الشحات " منشور فى ٢٠١٩/٩/٢٥م .

(٢) العارفة بالله تعالى السيدة / زكية عبد المطلب ، قيل أنها من الأبدال ، عاصرت الحاج أحمد رضوان ومن تلامذته ، كما عاصرت إمامنا العربى ، وساحتها بجوار سيدنا الحسين عامرة ، ولها مقام وساحة بجوار سيدى أبو الحسن الشاذلى بحميثرة ، نقلاً عن :بوست على صفحة (فيس بوك) باسم" سلطان العاشقين سيدنا الإمام على العربى الإدريسى " منشور بتاريخ ٢٠١٩/٨/١٤م .

(٣) سمعت من الحاج أبو بكر سبيب الجعفرى المقيم بأسوان ومن الرعيل الأول من أحباب سيدنا الإمام العربى يقول : أن الحاج محمد رشدى البدرى ـ رحمة الله عليه ـ وكان من أحباب الإمام العربى ، ويعمل رئيساً للعلاقات العامة بالسد العالى ومن طبيعة عمله مصاحبة الأفواج السياحية من قاصدى زيارة السد ، أخبره : أنه ـ إبان أحداث القلعة عام ١٩٨٢م ـ كان فى وداع أحد الأفواج السياحية من مطار أسوان ، ولما صعد الطائرة فوجئ بسيدنا الإمام جالساً على أحد المقاعد بها وبجواره حراسة أمنية ، فعلم أن الإمام متجه إلى القاهرة للتحقيق معه بمعرفة أمن الدولة ، ولما سأل سيدنا الإمام عن ذلك ؟ قال له الإمام العربى تلك المقولة الواردة بالمتن .

ولئن قيل أن ابن عربى المكنى بالشيخ الأكبر هو ختم الأولياء ، فإن إمامنا العربى يشير إلى ذلك قائلاً : " هو ابن عربى ، وأنا عربى "(١) ، وينوه إمامنا فى إشارته تلك إلى أنه بمثابة الأب لابن عربى .

كيف لا ، والإمام أبو مدين الغوث ، وهو أحد أشياخ وأساتذة سيدى محى الدين ابن عربى ـ كما جاء في المبحث السابق ـ يقول : " جئت لأتبرك بالإمام العربى ، لأنه شيخنا ويحكمنا" .

ولمَّا كانت مرتبة ختم الأولياء هى أعلى المراتب ، والتى لا تصح إلا لفرد واحد على مر الأزمان ـ حسب قول ابن عربى(٢) ـ فقد لاحت تلك الرتبة العَلِيَّة جَلِيَّة فى إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه .

أما قول سيدى على الخواص ـ رضى الله عنه ـ : " وقد أخبر هذا العارف ـ يعنى سيدى محى الدين بن عربى ـ عن نفسه أنه أحد الختمين وأقام البرهان على ذلك بشرحه لأسئلة الحكيم الترمذى المائة وخمسين سؤالاً التي ذكرها الحكيم الترمذى ـ رضى الله عنه ـ أنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم الذى يواطئ اسمه اسمى أي محمد بن على كالترمذى محمد بن على والشيخ محى الدين محمد بن على وبينه وبينه نحو ثلثمائة سنة "(٣).

وقد اعتمد سيدى عبد الوهاب الشعرانى قول شيخه ـ أساساً في اعتقاده بأن سيدى محى الدين بن عربى هو خاتم ولاية الخصوص ، وتبعه في ذلك كثير من أشياخ التصوف ومريديهم ، وحَرَّرَه ـ أيضاً ـ غالبية الكُتَّاب ، والباحثين في

---

(١) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) يقول ابن عربى " الختم واحد لا في كل زمان بل هو واحد في العالم ، ابن عربى ، الفتوحات المكية ٢/٩ .

(٣) جاء فى درر الغواص للشعرانى :" حتى إن كل ولي كان أو يكون إنما يأخذ عن هذين الختمين اللذين يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص ، والآخر يختم الولاية العامة ، فلا ولي بعده إلى قيام الساعة ، وقد أخبر هذا العارف- يعني ابن عربي- عن نفسه أنه أحد الختمين، وأقام البرهان على ذلك بشرحه لأسئلة الحكيم الترمذي التي ذكرها... وأنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم الذي يواطئ اسمه اسم الحكيم الترمذي محمد بن علي، والشيخ محيي الدين محمد بن علي كالترمذي وبينه وبينه نحو ثلاثمائة سنة، انظر : سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، "درر الغواص على فتاوى سيدى على الخواص "، بهامش كتاب " الأبريز " الذى تلقاه سيدى أحمد بن المبارك عن سيدى عبد العزيز الدباغ ـ رضى الله عنهما ـ ص١٦ ،١٧ .

كتاباتهم عن ختم الأولياء ـ إلا أن ذلك القول لا يمكن الاحتجاج به على إطلاقه ، للأسباب الآتية :

أولاً ـ ورد قول سيدى على الخواص في كتاب " درر الغواص على فتاوى

سيدى على الخواص " لسيدى عبد الوهاب الشعرانى في معرض الإجابة على سؤال الأخير عن قول الشيخ محى الدين بن عربى ـ رضى الله عنه ـ :" اجتمعت في مشهد أقدس بجميع الأنبياء والمرسلين ولم يكلمنى منهم ولم يفرح بى إلا هود ـ عليه السلام"

ما سبب تخصيص هود ـ عليه السلام ـ بكلامه له وفرحته به دون غيره ؟ فأجابه شيخه بكلام كثير ، ذَيَّلَه بقوله : " فكان فرح هود ـ عليه السلام ـ برؤية الشيخ محى الدين لعلمه بأنه أحد الختمين وعلم بذلك قرب انشقاق الفجر الأخروى والانتقال من البرزخ إلى إطلاق الآخرة ، وسراحها . هذا ما ظهر لى من الجواب في هذا الوقت والله أعلم .

ولئن كان سيدى محى الدين بن عربى قد حاز الحظوة من نبى الله هود ـ عليه السلام ـ في هذا المشهد ، فإنه في مشهد مقابل ، وأعلى ـ تلاشى فيه الوجود من كثيفه إلى لطيفه ـ حاز إمامنا العربى الحظوة من جده سيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول إمامنا العربى : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه كَحَّلَ الله مآقيّ برؤية راكب البراق ، ووقعت لى الجامعية بحضرة خير البرية ، ورأيته وكنا كشخصين فى فلا . وشرفنى فوضع خمسته فى خمستى ـ أى كفه فى كفى ـ مصافحاً ومعانقاً حتى أطال العناق ، فتلاشى الوجود من كثيفه إلى لطيفه أمام عينى فلم أر غير جميل طلعته ، ووضاءة بسمته وحسن محياه ، فغبت فى حضرته حينما لى بدا كوكب الهدى ، ثم أفقت على صوته الندى ، وهو يقول خير رسول : " يا محمد يا حبيبى ، أنت مرآة أنا ، وأنا العصبة ، والعصبة أنت ، وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومن أحبك أحبنى ، ومن أحبنى أحبه الله ـ عز وجل ـ وأنت يا بنى : نور طلتى ، وخيرتى من عترتى وعصبتى(١) .

(١) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ / جابر عبد المنعم ، كتيب "العصبة الهاشمية ونهج سبيلى" .

*ثانياً*ـ يمكن حمل تكليم نبى الله هود ـ عليه السلام ـ وفرحه بالشيخ محى

الدين بن عربى لكونه وارثاً له ، فهو ولى على قدم نبى الله هود ، يتبعه في العلم والعمل والحال ، ومظهر له في هذا العالم ، فالولاية كما قال سيدى عبد القادر الجيلاني "ظل النبوة" ، أو كما قال سيدى محى الدين ابن عربى هى "قُربة" ؛ يتحدد شكلها بفعل الوراثة الموجود بين الولي الوارث ، والنبي الموروث ، فولاية الولي ليست إلا انتسابه إلى ولاية النبي .

ولمَّا كان ذلك ، كانت حظوة التكليم والفرح من نبى الله هود ـ عليه السلام ـ للشيخ محى الدين بن عربى ، الذى يرثه من أولياء الأمة المحمدية .

ثالثاً ـ أما القول أنه بظهور الشيخ محى الدين بن عربى يكون اقتربت

الآخرة ، وانتهاء قيد البرزخ إلى إطلاق الآخرة وسراحها ، فمرجوح ـ أيضاً ـ بأن ظهور إمامنا العربى هو الأقرب حساباً إلى تلك الآخرة ، حيث مولد سيدى محى الدين بن عربى كان في عام (٥٥٨ هـ) بينما ولد سيدنا الإمام العربى ـ على الأرجح ـ في عام (١٣٥٥هـ) .

رابعاً ـ أما قول الحكيم الترمذى أنه لا يجيب عن أسئلته (١٥٧ سؤالاً) إلا

خاتم الأولياء ، الذى يواطئ اسمه على اسمى ، ورتب سيدى على الخواص على ذلك ، فقال : أن الشيخ محى الدين بن عربى بإجابته على هذه الأسئلة يكون قد أقام البرهان على أنه الختم ـ هذا القول أيضاً لا يمكن أخذه على إطلاقه ، ذلك أن الشيخ ابن عربى نفسه قد اختلف فى تعيين شخص هذا الختم ، فيذكر فى بعض كتبه أنه عَلِمَ بالختم فى فاس ، ورآه سنة خمسمائة وخمس وتسعين ، وأورد هذا فى قصائده فى ديوانه الكبير ، وفى قصيدة كبرى مطلعها : " لما انتهى للكعبة الحسناء " ، بالجزء الأول من كتابه الفتوحات المكية .

وهو ما ذكره ـ أيضاً ـ فى خطبة مقدمة الجزء الأول من كتابه " الفتوحات المكية" ، وأورد مبشِّرات تهادتْ إليه في رؤية منامية ، لكنه ـ بعد وصوله إلى

المشرق ـ قال بحصوله على مرتبة ختم الولاية المحمدية ، وهكذا تتضح الرؤية ، فختم الولاية المحمدية هو شخص لم يتحدَّد بشكل قاطع عند ابن عربي[1] .

خامساً ـ أما التعويل على قول الحكيم الترمذى بأن الأسئلة التي طرحها لا يجيب عليها إلا الختم ، ورتب عليه سيدى على الخواص قوله بأن الشيخ محى الدين بن عربى بإجابته على هذه الأسئلة قد أقام البرهان على أنه الختم ، هذا القول أيضاً لا يمكن أخذه على إطلاقه ؛ ذلك أن جميع العارفين من أهل الله قد أتاهم الله من العلم اللدنى ، والمعارف الربانية ما لا تحيط به العقول ، ولاتسعه الفهوم ، بل أن العارف بالله لا يكون كذلك إلا إذا أحصى في قلبه مائة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف عِلم ، وعالَم ، والإنس والجن عالمان ، فمن عرف الله عَرَّفَه كل شيئ ، وقد علم الله آدم ـ عليه السلام ـ الأسماء كلها ، وعَلَّمَ الخضر ـ عليه السلام ـ وهو عبد من عباده الصالحين بما لم يحط به نبى الله موسى ـ عليه السلام ، خُبرا ، وآتى لقمان ـ رضى الله عنه ـ الحكمة أى الصواب في المعتقدات ، والفقه في الدين والعقل ، وهى فوق العلم ، ولم يكن نبياً ، بل هو ولى من الصالحين .

ورغم أن سيدى على الخواص كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، إلا أن الله قد حباه من علمه اللدنى ما لم يحط به سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، وهو أستاذ العلماء في عصره ، فاتخذه شيخاً له ، يتناول من فيوض علمه ، ومن هذه الفيوض أَلَّفَ كتابه " درر الغواص على فتاوى سيدى على الخواص" محل التناول ، ولا حرج على فضل الله .

وعلى هذا ، فإن إجابة الشيخ محى الدين بن عربى على أسئلة الحكيم الترمذى التي طرحها في كتابه ختم الأولياء ، ليس إلا تحدثاً بفضل الله ، وفيوضه عليه ، مصادفة ، أو من قبيل كونه نائباً عن الختم في زمانه ، فأجاب على هذه الأسئلة ناطقاً بلسان الختم ، كما أوضحنا هذا الأمر آنفاً .

---

(١) يقول ابن عربى : " وأما الختم فهذا زمانه ، وقد رأيناه وعرفناه ، تمم الله سعادته ! علمته بفاس ، سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، الفتوحات المكية ، ٢ : ٤٠ ـ ٤١ .

سادساً ـ وأخيراً ، لئن كان اسم الشيخ محى الدين بن عربى "محمد بن على" يواطئ اسم الحكيم الترمذى " محمد بن على" ـ فإن اسم إمامنا العربى في هويته الرسمية ـ أيضاً ـ هو "محمد بن على بن السيد سليمان"(١).

وبالإضافة إلى ما تقدم ، فقد أثبت الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى فى خطبة مقدمة الجزء الأول من كتاب " الفتوحات المكية " ، أن مقامه من وراء الختم .

فبعد أن أثنى على ربه ، أنشأ قائلاً(٢): " والصلاة على سر العالم ونكتته ، ومطلب العالم وبغيته ، السيد الصادق ، المدلج إلى ربه الطارق ، المخترق به السبع الطرائق ، ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق ، فيما أبدع من الخلائق الذى شاهدته عند إنشائى هذه الخطبة فى عالم حقائق المثال ، فى حضرة الجلال ، مكاشفة قلبية ، فى حضرة غيبية ، ولمَّا شهدته ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى ذلك العالم سيداً ، معصوم المقاصد محفوظ المشاهد ، منصوراً مؤيداً ، وجميع الرسل بين يديه مصطفون ، وأمته التى هى خير أمة عليه ملتفون ، وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافُّون ، والملائكة

---

(١) جدير بالذكر هنا ، أن فى مستهل ثمانينات القرن العشرين كلفنى إمامنا باستخراج بطاقة هويةتحقيق شخصية له ، وكان حتى ذلك الوقت لا يُعرَف اسمه الحقيقى ، اكتفاء بلقبه المشهور :" الشيخ محمد العربى " ، وقد وجهنى حضرته إلى صاحب محل سلع تموينية بقرية مجاورة ، للاستدلال على بطاقة تموينية باسم حضرته ، ولما توصلت إلى الرجل ، وطلبت البطاقة هاله الأمر لمرور سنين مضت ، وترجيح فقدانها أو دشتها ضمن بالة الأوراق القديمة المهملة ، ويتعذر العثور عليها ، ولما ألحيت عليه ، أخذ الرجل فى البحث عنها ، وبعد جهد جهيد ووقت طويل تمكن من العثور على بطاقة تموينية قديمة باسم إمامنا ، وبمطالعتها علمت أن اسم إمامنا الرسمى هو : (محمد على السيد سليمان) ، وقد اعتمدت على هذه البطاقة فى استخراج بطاقة الهوية لإمامنا العربى ، ونظراً لوجوده فى خلوة ، وتعذر انتقاله إلى مقر السجل المدنى ، قمت بشرح الموقف لموظفى السجل ، وبعد تشاورهم ، ونظراً لتطلعهم جميعاً إلى رؤية إمامنا العزيزة ـ قام موظفو السجل عقب انتهاء موعد العمل بالانتقال معى إلى منزل إمامنا بالكلح ، حاملين معهم الأوراق والأدوات والدفاتر اللازمة لقيد واستخراج بطاقة هوية ، حيث أتيح لهم مقابلة إمامنا ، وتم تحرير بيانات البطاقة واستيفاء إجراءاتها ، وتسليمها لحضرته ، بعد أن أكرم وفادتهم ، وخرجوا من عنده فرحين مهنئين بعضهم بعضا لرؤية إمامنا وجهاً لوجه . فى نادرة لم تحدث من قبل .

(٢) أبو بكر محى الدين محمد بن على المعروف بابن عربى ، المتوفى سنة ٦٣٨هـ ، الفتوحات المكية ، الجزء الأول ، ضبط ه وصححه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ١٦.

المولدة من الأعمال بين يديه صافُّون ، والصديق على يمينه الأنفس ، والفاروق على يساره الأقدس ، والختم بين يديه قد جثى ، يخبره بحديث الأنثى ، وعليٌّ عليه السلام يترجم عن الختم بلسانه ، وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شانه ، فالتفت السيد الأعلى ، والمورد العذب الأحلى ، والنور الأكشف الأجلى ، فرآنى وراء الختم ، لاشتراك بينى وبينه فى الحكم ، فقال له السيد هذا عديلك ، وابنك وخليلك ، انصب له منبر الطرفاء بين يدىّ ثم أشار إلىَّ أن قم يا محمد عليه فأثن على من أرسلنى وعلىّ ، فإن فيك شعرة منى ، لا صبر لها عنى ، هى السلطانة فى ذاتيتك ، فلا ترجع إلىّ إلا بكليتك ، ولا بدّ لها من الرجوع إلى اللقاء ، فإنها ليست من عالم الشقاء ، فما كان منى بعد بعثى شيئ فى شيئ إلا سعد ، وكان ممّن شكر فى الملأ الأعلى وحمد ، فنصب الختم المنبر ، فى ذلك المشهد الأخطر" .

وإذا وقفنا عند هذا المشهد الأخطر ، الذى صرح به ابن عربى ـ رضى الله عنه ـ فى مكاشفة قلبية ، فى حضرة غيبية ، لوضح لنا صحة ما قدمنا له ، وعلى الوجه الآتى :

جمع هذا المشهد سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجميع الرسل بين يديه ، وأمته حوله ملتفون ، وخلفاؤه الأربعة ، والملائكة الأربعة ، حافون حول عرش مقامه ؛ إذ يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، والختم مواجه للحضرة المحمدية ، جاثياً بجلسة الصلاة ، يحكم فى حضرته حديث الثناء والحمد ، حديث الرحم وما يحمله من أنباء ، والإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يترجم بلسانه عنه ، والشيخ ابن عربى من ورائه .

ثم التفت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إلى الشيخ ابن عربى ؛ لاشتراكه حكما فى مقام الختمية .

ويحمل قول ابن عربى : " لاشتراك بينى وبينه فى الحكم " على ما قد سلف من القول بأن الختم هو الفرد المتعدد فى السبع النوادر ، أو السبع المثانى ، يسطع فيهم ويكونوا مرائيه ، وألسنته ، ويرتدون رداءه ، فالختم حال ورداء يرتديه من يرتديه ، ويبقى الجلباب لصاحبه ، إذن هم ختميون حكماً .

وهنا يخاطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الختم قائلاً له : "هذا عديلك ، وابنك وخليلك ، انصب له منبر الطرفاء بين يدىّ " ، والعديل : أى

المثيل ، والنظير لاشتراكهما فى حكم الختمية ـ كما أوضحنا آنفاً ـ ثم يفصل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ القول مبيناً أن ابن عربى هو بمثابة الابن للختم ، وخليله ، وهو ذات ما صرح به إمامنا العربى ـ كما أسلفنا ـ إذ قال :" هو ابن عربى ، وأنا عربى " .

ثم يأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أن ينصب له منبر الطرفاء ، والطرفاء هو نوع العود (الخشب) الذى صنع منه منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فنصبه الختم له ، فقام فخطب .

ثم يوضح سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ اختصاص الشيخ ابن عربى بالخطاب بين يديه بقوله :" فإن فيك شعرة منى ، لا صبر لها عنى هى السلطانة فى ذاتيتك" .

وإذا كان ابن عربى قد حاز هذا المقام السامى بتلك الشعرة المحمدية ، فما بالك بإمامنا ، الذى قال له جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " يا محمد يا حبيبى ، أنت مرآة أنا ، وأنت يا بنى نور طلتى ، وخيرتى من عترتى ، وعصبتى" ، فإمامنا الختم هو المرآة التى انطبعت فيها النسخة المحمدية الكاملة ، وإن شئت قل : "هو عينه لا غيره " .

فضلاً عن أن الأوصاف التي أوردها الشيخ محى الدين بن عربى ـ رضى الله عنه ـ لختم الأولياء في كتبه ، هذه الأوصاف تنطبق تماما على إمامنا العربى ، وإن شئت فقل : أن الشيخ محى الدين ابن عربى كان يصف صورة إمامنا العربى وصفاً دقيقاً .

ويقص السواد الأعظم مشهداً جليلاً رأى فيه الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " ، وصحابته في المسجد ، وسيدنا بلال يؤذن للصلاة ، وعند إقامتها أنظره سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وأمهله ، فتناظر الصحابة المتهيئون للصلاة خلفه قائلين : يا رسول الله صلى بنا . فقال لهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " انتظر رجلاً من صعيد مصر " .

وبعدها قدم الإمام العربى ـ رضى الله عنه ـ فقام سيدنا رسول الله للصلاة ، وقام سيدنا الإمام مع السادة الصحابة فى الصف الأول من خلفه ، ثم توالى حضور الأولياء فى أفواج يلحقون بالصلاة من خلفهم ، وآخرهم لحوقاً كان العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان ؛ إذ أدرك الصلاة فى تشهدها الأخير

والشاهد من هذا المشهد أن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ تعريفاً بحق ، ومرتبة الإمام العربى لديه ـ لم يقم الصلاة إلا بعد حضوره ، كما حاز إمامنا الحظوة بالصلاة خلفه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مباشرة ، وفى الصف الأول محاذياً السادة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ثم توالى من خلفهم أكابر الأولياء ـ حسب مواقيت ظهورهم فى هذه الدار ـ وكان آخرهم ظهوراً ، سيدى العارف بالله تعالى الحاج احمد رضوان ـ رضى الله عنه ، الذى سبق عصر إمامنا العربى مباشرة .

كما أشار سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ في ذات المشهد إلى صعيد مصر ، بوصفه مستقراً ، ومقاماً للإمام العربى ـ رضى الله عنه[١] .

وفى التعريف بالختم العربى ، يشير السواد الأعظم قائلاً :

" الحمد لله الخالق البارئ المصور المنزه المتعالى عن المشاركة والمشاكلة ، أخفى فى ألطاف سره أسرار ، أبدع فى خلقه واختص واختار صفوة صفَّاها ، ووصفها ، ونزَّهَهَا ، وجعل منهم مرسلين وأنبياء ، وهدى بهم العباد إلى طريق المعرفة والرشاد ، وجعل أولياءه ورثة لأنبيائه ، فهى حضرات تصب فى حضرات ، فجعل الله لكل زمان أمان ، فالأمان هو عمدة الله فى الأقضية ، وهو الذى ارتضاه ربه على صورته ، وهو نظرة الله الممدودة ، وبوسع علمه المحددة به فى خلقه ، خليفة الله مَنْ جعله الله فى صورة إنسان ، فاطلعه على أسرار البيان ، وهو من البشر المباشر للحضرتين ، صاحب الحضرات ، الواحد ، الفرد ، المحيط ، الجامع ، العروة الوثقى ، المهاجر بأنفاسه بالأمم إلى ربها ، وهو بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو الكعبة الغراء ، وهو بيت الخلوة ، جمع الله فيه أمره ، ونفذ بأنفاسه قدره ، وهو المدد الممدود ، والغوث المشهود ،

---

(١) قص لى السيد / إيهاب حسنى منصور عارف البكرى ، من الرعيل الأول لأبناء العصبة الهاشمية بجرجا محافظة سوهاج ، ما سمعه من مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه وأرضاه ، بمناسبة قوله رضى الله عنه : أن سيدنا الإمام العربى كان يصلى الخمس فى الروضة العلية بآذان وإقامة سيدنا بلال بن رباح رضى الله عنه ، خلف الإمام الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر لى السيد / إيهاب أن هذا المشهد كان يردد ه العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن كثيراً فى مجالسه .

الصديقى القدم ، العلوى الحال والهمم ، أكمل الرجال ، المتلقى آدم المقال ، وسفينة نوح للارتحال ، وخلة الخليل المتمكنة بصحاف سر الخلوة بالواسطة الأحمدية ، ومكالمة موسى المشمولة بقديم المقال ، وزابور داؤود الذى ارتعدت وأنابت وسبحت وأطاعت له ذرات الجبال ، وقداسة عيسى المختصة بأناجيل الأسرار ، وصديقية يوسف المعززة بالعزة بالفصل بالتأويل فى القيل والقال ، وهو حوض الرسالات الممدة لكل الحضرات ، والفرقان الفارق ، وهو ابن أبيه ، وسره الذى فيه ، أحمدى المكانة ، محمدى الأمانة ، محمود الحكم والعدل مَنْ صرفه الله فى كل أمره . نسألك اللهم به أن تجعلنا من أتباعه ؛ حتى نحيا الحياة التى يرضاها لنا ، ونكون فى يده آله ، وصل اللهم على جده المخصوص بالرسالة ، وعلى آله وصحبه وسلم آمين "[١].

هذا فضلاً عن إشاراته الواضحة فى أغلب قصائده إلى أن شيخه الإمام العربى هو ختم الأولياء بلا منازع ، ونسوق فيما يلى أبيات من قصيدة طويلة (١٥٤ بيت) عن ختم الأولياء[٢]، جاء فيها :

أيها الختم الذى نلت المرام * ديدنوا من مدكم أهل الغرام
واحد الآحاد فى التخصيص هو * فالنوادر فاقهم وهم الكرام
كل شيئ يفتقر لعطائه * يتربى فى معيته الإمام
إن ربى واحد واختار منْ * غير هذا الواحد الختم الهمام
فهو عرش الذات مجلى حُسنها * فاق كالمختار أعلام السلام
تسجد الأشياء قبل رحابه * فى محيط الكنز فى غمض اعتتام
فهى حبية بتشريف وثيق * درة اليتم التى مسك الختام
أنت فى الآباد حضرة هو أنا * يامزمل يا مدثر فى انضمام
ياحمى الأغواث والسبع المثانى * حزت قدماً للمظلل بالغمام
يا سماء قد سمت بتفرد * عروة الآباد وثقى لا انفصام
حانة الرحمن ذاتك مقعده * فذ راقى ليس يحصره المقام

---

(١) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه وأرضاه ، مقالة ، محفوظة فى لوحة معلقة على حائط بمنزل أحد محبى الشيخ وهو الشيخ فاروق أبو علام بناحية الشطب ـ مركز دراو .

(٢) قصيدة " أيها الختم الذى نلت المرام * ديدنوا من مدكم أهل الغرام " مخطوطة من عصماوات السواد الأعظم .

فى تلاويح الأبيرق مهده * من ندى أنفاسه يكن المقام
له مهد سوى حضرة أنا * فهو ركن البيت متكأ العظام
إن ذاك البيت كنز محاسن * فاء بى أنت لا البيت الحرام
أنت يوم الله لا بالحصر كان * أنت سبت الجمع عرفات الزمام
ختم أهل الله مرتع ودهم * سابقات الحسن منك لهم وئام
منشئات سابحات بضمه * يا محيطاً ساكناً فى الذات قام
أيها العربى ختم رجالها * ضمك المختار قلدك الحسام
غبطة كانت لأهل الله منك * فاستوى الجودى والتخصيص دام
عِمَّة الكرار ألبسك الحبيب * حزت عنه كل آحاد الرقام
والرحى دارت بأنفاس بكم * والتدابير بها كلٌ أقام
يا ألست أنت قبلى أم أنا * أنت قبلى كنت فى ليل اعتتام
يا أزل من أين كنت مؤزلاً * قال منكم كنت من أحد الكلام
بدء من أين ابتداؤك قد حصل * قال منكم قبل كنت باعتدام
أيها الآباد من كان الخطيب * قال أنت الساقى خمار المدام
يا قبيل هل أتى قبلى أتى * لا وربى أنت تتميم التمام
يا وجودى هل لكم من مبتدا * قال أنت الأمر منك الكون قام
يا بديع المبدعات بعدها * عنك منك الكل إيجاد الأنام
ختم بازغ من حجابى لاسوى * سرمدى باقى فى الذات قام
هلَّ ع المعمور من تلويحه * حيث متكأ الخليل به أقام
كيف والصنوان ضم جميعنا * نفسنا العبَّاق منه الصب صام
إننى ختم وواحد وقتها * حزت بالتشريف ألبسنى الوسام
إننى ختم ولا مثلى أتى * حجة الكرار ع الباغى تُقام
وينشأ فى قصيدة أخرى قائلاً :
الختم الدامغ يا خى * براق لامع لاكى
توحيد الذات بدا هو * وتنافى الكيف به الزى
وتنافى الوهم بما جاء * والواحد أبدا ولا شيئ
جبريل الحال ذهابا * وبسر البطن جناحى
وتنافى الفرق بهذا * تركيز النشر كذا الطى

صديق الصدر علوا * وعزيز الذات بلا فى
رحمات الحاء وحاء * والماء النازل للرى
ما قبل الميم معانى * ودلو الدال بإدلى
شمس العرفان خطيب * وصعوم البدء به الحى
مشهود القوم سراجا * تطريز الملك وإبدى
إياك تشير لهذا * رب الأشياء بملكى
منْ وسع الكرسى علوما * كر الأسرار وعينى
وثنايا الجمع بغار * ما زاغ تشير لاثنى
حمد والشكر ألا هم * حم تمبى بلا غى
ماخلف النور مرامى * مشكاة ضاء بسرجى
تمبى الأنباء محاجى * ومحاكى الفك وقوسى
ادنى اثنى مبين * صبح والليل وراحى
صنع الإيجاد بما هم * أنفاس دارت برحى
شمس فى العرش تبدت * ببروج الليل بشمسى
كان الإيجاد هباء * والختم بأعلاها ضى
ساكن متسربل بحسيس * إبداعاً يظهر فى الشيى
من شدة إظهار مخفى * وحجاب النور بلا أى
وهوية الهاء بمضمون * وختمت الجفر بلامى
وخلعت عذارى لدى الساحل * ومحوت وجدت لأمرى
الأمر الأول لا كنه * والأمر الثانى بلا كى
ومقام الجمع يُرى واحد * عيناى تبدى بنونى
نونان تبدى بعينان * نونان ليس بحرفى
ويشير إلى شيخه بالختم فى قصيدة أخرى قائلاً :
أشير إلى ختم له الكون خادم * وصحبة قد رأو للغير هادم
وراثة كرار حاز بنهجها * مبادئ تنزيل بها الكل قائم
وحاء بها حان وجمع مقاعد * وميم تؤم القوم والمد دائم
وعين العناية إن طلبت معارف * وسين سرت سر به الصب هائم
وياء اليمانى والتلقى رفادة * وقاف التلقى قربه والعمائم

وكاف لها حازوا هاء الهوية * تلوح براقا تشد العزائم
وياء لها يم رمت أم نجلها * وعين تراعى تحفظ الصدر هائم
وصاد صلاة وصلة كل من صلى * قبيلاً أنا بعدى الذى عنى هائم
ألف لام أدلالى وجمعنى الذى سما * سلالة صنوان رقيب الرقائم
ألف لام ميم راء مجمع الخل بيتنا * بطاقة كنز قد وجدنا العدائم
بنا قصص الأنباء والرسل تحكم * نيابة إيانا تدل الحوائم
وطس ميم جوهر الآل نعته * فقال بنا السباق كل الغنائم
وليس نحن والكتاب مثالنا * حسين لنا من العطايات دائم
وحضرة نون ما الذى فيها قد حوت * ونقطتها نحن هى القاب قائم
حصى الله فينا كل أمر أراده * ويس نص والإمام قائم
وطه الذى ختم الرسالة جدنا * ومنا الذى ختم الولاية قائم
عليك صلاة الله ثم سلامه * متى ما العرش والكرسى واللوح دائم
ويجفر مرتبة ختم الأولياء فى حروف شيخه قائلاً :
ختم القوم أضاء بروقا * بحر الكر بموج دفوقا
جاء الحق وزهق الباطل * إن الباطل كان زهوقا
نهج القول أتانا فصاحا * جفر منه تبدا وضاحا
منه الفيض كسيل هاطل * روح الحِب إليه رتوقا
نهج القول أتانا بلاغا * عقد الدر بحسن صاغا
قول الغيب بغير ناقل * جمع منه تبدا فروقا
نهج القول بجفريات * قدح منه بعاديات
فارقم عنه به كن عاقل * جمع القوم إليه لحوقا
نهج القول فصاحاً بلما * واحذر قول بجمع العُلما
وأبدى العذر لهم كن جاهل * واحمل قلباً فيك شفوقا
نهج القول غزير المعنى * يهمى سيل فوق المبنى
بحر الحاء وميم الساحل * شمس الذات تنير شروقا
نهج القول بعين عادت * جم القول بسين سادت
قاف تلقى حمام زاجل * عزم النبل إليك رشوقا
نهج القول بكاف كافى * تُبدى الهاء شراب صافى

ياء اليمن تضيئ فتايل * منها العين لحجب خروقا
نهج القول بصاد صدرا * منها كل ليالى القدر
خمس منها نوال النائل * شجر بأعلى البدء عروقا
نهج القول تبدى بنون * لاحت فى الآحاد فنون
قلم قام بأمر عاجل * ليل قبل البدء وسوقا
نهج القول بباء بادى * أمراً منه أجيبوا الحادى
طاء الطهر لماء نازل * منه رقاب القوم عتوقا
نهج القول بطاء بتول * جفر السين بنى تقول
ميم البعل على فاعل * للإيجاد سناه وتوقا
نهج القول بألف أبدا * لام الذات عطاء أسدى
ميم أمت قدر قاتل * برج سماء بهن طروقا
نهج القول بألف أَلَّف * لام منها إلينا تُكلف
راء الغار بضمك خالل * جمع العاشق والمعشوقا
نهج القول لسان يثنى * فى التنزيل مطالع حسنى
قلب للقرآن النازل * يعنى قرانا الوفق وفوقا
نهج القول أقول ختاما * واترك جفريات عتاما
منع الشارح قول الكافل * وانهض واقطف للمنشوقا
نهج القول الختم يدير * عين راء الباء تُنير
زحل منه وياء الناقل * فيض الجفر إلينا يسوق
نهج القول ختم القول * محض الفضل تبدا حولى
خوف تبدى منه مشاعل * إيما منه الكون صعوقا
نهج القول عليه سلامى * يغشى ختمى بمد كلامى
بفيض منه أتانا رسائل * عنه الباطل كان زهوقا

ولا يسعنى تعقيباً على ما جاء فى تلك القصائد إلا استعارة أبيات لسيدى محى الدين بن عربى ، قال فيها(١):

(١) نقلاً عن : محمد إبراهيم محمد سالم ، كشف الغطاء عن أسرار العنقاء ، شرح وتحقيق كتاب : عنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب لسيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص١٦.

تدبر أيها الحبر اللبيب * أموراً قالها الفطن المصيب
وحقق ما رمى لك من معان * حواها لفظه العذب العجيب
ولا تنظره فى الأكوان تشقى * ويتعب جسمك القد الغريب
إذا ما كنت نسختها فمالى * أروم البعد والمعنى قريب

فقد بين السواد الأعظم فى هذه القصائد أوصاف ختم الأولياء ، ومرتبته ، وخصائصه ، وفرديته ، وأعماله ، وحظه من ربه ، وحظ الأولياء منه ، كما جمع فيها كل ما أشار إليه السابقون عن ختم الأولياء ، وما تفرد به عنهم ، وحاز به قصب السبق فى هذا المضمار ، فضلاً عما صَرَّحَ به من كون إمامنا العربى هو المشار إليه بختم الأولياء ، وبما لايدع مجالاً للشك.

وإجمالاً ، فإن المتمعن فى أحاديث السواد الأعظم ، وأماليه ، وقصائده يلحظ بجلاء أنه يخص شيخه إمامنا العربى بمرتبة ختم الأولياء ، بوصفها أعلى المنازل وأشرفها[١] .

ومن جماع ما ساقه السواد الأعظم ـ إشارة وتصريحاً ـ من أن شيخه الإمام العربى هو ختم الأولياء ، وما شهد به أئمة العارفين ، والأحباب من تربع حضرته على منزلة رفيعة لا يشاركه فيها أحد ، وما تحَلَّى به إمامنا العربى من حسن خلق ، ونقاء السريرة ، وبهاء الطلعة والصورة ، وما أفصح به عن نفسه بقوله :" أبى الله إلا أن أكون خاتم الأولياء " ، وقوله أن : " السبع النوادر خيار أهل الحضرة ، صفوة أصفياء ، ويتربى في أحضانهم الغوث ، وتفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، وأنا أستاذهم وختمهم ، ولا فخر".

فإذا أضفنا إلى ما تقدم ، ما طالعناه من مواهب المنن ، والعطايا التى حباها الله إمامنا العربى ، وما ناله من حظوة ، وقرب لدى جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وما سقناه من ردود على من نسب الختمية إلى الشيخ محى الدين بن عربى ، أو غيره من الأشياخ ، لثبت لنا بلا مراء أن إمامنا العربى هو بعينه ختم الأولياء .

---

(١) انظر : مؤلفنا السواد الأعظم ، وكتب قصائده المنشورة ومنها على سبيل المثال : اللطائف السنية فى مدح خير البرية ، بساتين الجنات فى مديح سيد السادات ، الأكسير فى التخميس والتشطير ، فتح الودود فى مديح سيد الوجود ، وغيرها .

فقد كان إمامنا العربى ـ وبحق ـ النسخة المحمدية الكاملة ، التى يشرف عليها ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بدوام اللقاء ، والإشراق ، وما ختم الأولياء إلا هذه النسخة المحمدية الكاملة ، المشرق عليها سيد الوجود بتمام جماله ، وجلاله ، وكماله.

ولئن كنت قد ترسمت فى اعتقادى ـ بداية ـ فإن عقيدتى قد ترسخت ـ نهاية ـ أن إمامنا العربى هو ختم القوم ، وخاتم الولاية المحمدية ، وأشهد مولاى على ذلك .

وختاماً ، لا يسع المرء أمام هذا الختم العربى ، والجِهْبَاذ المحمدى ، إلا دعاءً أن يبلغ الله حجته ، ويؤيد عصبته ، ويحفظ دعوته ، ويبلج محجته ، وأن يجعلنا تحت لوائه

الباب الرابع

{ علوم خاتم الأولياء }

يتناول هذا الباب علوم ، وفرائد تأويل إمامنا العربى ، ثم يستعرض كتيب أملاه في بداياته بعنوان "تبرك ودعاء" ، يقف القارئ من خلاله على غزارة وعمق معارف ختمنا العربى ، وذلك في الفصل الأول .

و فى الفصل الثانى ذكر بعض من كرامات إمامنا الحسية ومحنته التي تعرض لها في أخريات حياته ، وانطوت على إحدى منح وكرامات الله لحضرته ، ثم وفاته وضريحه ، ونختم بصياغة بعض من مناجاته وحِكَّمه ونصائحه ،

و على النحو التالى

الفصل الأول

{ فرائد في التأويل ، وتبرك ودعاء }

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين : الأول ـ علوم الختم ، وفرائد تأويله ، والثانى ـ تبرك ودعاء لختم الأولياء ، على النحو التالى

المبحث الأول

علوم الختم ، وفرائد تأويله

المطلب الأول

العقل ، والعلم في ميزان الختم

إن مكنون علم الإمام العربى وجوهر معرفته ، هو من مكبوتات قلبه التى صانها ، فلم يَطْلِع عليها أحدا ، أو يطرحها عامة ، إلا ـ على حد قول الإمام ـ : " أن يفتح الله القلب ، فيتنفس ، وينطلق اللسان ، ويترجم ببعض القطرات القلبية " .

وكأيِّن من علوم لدنية لايمكن الجواب عنها حقيقة ، ولا شريعة ، والتعبيرعن كل ما يشهده الإنسان غير ممكن ، وذلك أن من المشهود ما هو أوسع أن يدخل فى ضيق العبارة ، وألطف من أن تكشفه الإشارة ، فسبحان من وهب فى لمحة من شاء ما شاء كيف شاء ؛ لأنه تعالى إذا شاء أنشا : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }[١] ، و{ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ }[٢] ، وينشد أحدهم[٣] :

كل المعارف والعوارف أغرقت * فى بحر إجلال الوجوب الأول

وتتفجر آثارات المعارف اللدنية فى قلوب أهل المعرفة من ينابيع القرآن الكريم ؛ إذ ترتبط هذه المعارف غالباً بتأويل آيات القرآن ، فالقرآن الكريم لا تنقضى عجائبة ، ولا يخلقه كثرة الترديد ، فيثبت بذلك لأهل الفهم خصوصيتهم

---

(١) يس :٨٢ .

(٢) الأنبياء : ٢٣ .

(٣) سيدى أبو المواهب الشاذلى التونسى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م ، نقلاً عن : محمد إبراهيم محمد سالم ، النخبة الجامعة فى العلوم النافعة ، مستخلصات من الحقائق والشرائع ،١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٢م، ص ٨ وما بعدها

بإدراك غرائبه فيما وراء ظاهره ، ولذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم :" اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه"[١].

وقد جمع القرآن شرح ذات الله ، وأفعاله ، وصفاته ، وهى علوم لانهاية لها ، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها ، كما ضم القرآن بين جنباته رموزاً ودلالات على جميع النظريات ، والمعقولات المتفق عليها ، أو المختلف فيها ، ويشير الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ إلى ذلك فيقول :"من فهم القرآن فسر به جُمَلَ العلم"[٢].

وعن الفهم القرآنى ـ يقول إمامنا رضى الله عنه : " وجدت معانى القرآن برمته، وفاحت الأجواء بأسرها ، من كلمة واحدة فى آية من آيات الكتاب ، ألا وهى قوله تعالى { فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ }[٣] ، فرأيت سائر العلوم والمعارف ، وبرز لى علوم الأولين والآخرين من كلمة " الودق "[٤]

ويقول ـ رضى الله عنه ـ : "حُبِبَ إلىَّ القرآن ، والتلاوة فى آياته ، فهو الأصل الذى بكل أرج يضوع ، وتحن إليه جميع الفروع ، وقلب التالى للقرآن الذى فى حضور مع الله ، واستغراق فى إيغال ، يعبر مع الآيات ، ويبحر فى أمواج إشراق معانيها ، وكل عارف التقيت به من أهل الحضرة ، يغرف من بحر قلبه ، وأصول علوم القوم برمتها تنبع من معين حضرة القرآن ، ومن ترك الأصول حرم الوصول" .

ولا مشاحة فى أن التفسير المنقول من ظاهر النص لا يستوفى إدراك مفردات تلك الجُمَل ، ولا يدرك غاية معانى القرآن ، أما قول ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" ، فالمقصود منه التحذير من تفسير القرآن بالهوى ، أوبالرأى بدون دراية ، ولا يمكن حَمْله على النهى المحرم عن الفهم والاستنباط من القرآن بصفة عامة ، أو حتى أن

---

(١) انظر : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل الحلبى ، ص ٢٩١ .

(٢) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٣) النور : ٤٣ .

(٤) السيدة كريمة العربى ، أوراد وأذكار فتوحية ، مرجع سابق ، ص ١٨، ١٩ .

يقتصر تأويل القرآن على المسموع من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؛ ذلك أن اشتراط أن يكون مسموعاً من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلزم عدم قبول ما ورد عن ابن عباس ، أو عن ابن مسعود ، أوغيرهم من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ مما لم يسمعوه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوصفه تفسيراً منهم بالرأى ، لاسيما أن المسموع عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تفسير الآيات لم يستغرق القرآن كله ، كما ثبت اختلاف الصحابة فى تفسير بعض الآيات ، بحيث لايمكن الجمع بينها ، ومحال أن يكونوا جميعاً قد سمعوها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلو سمعها أحدهم من حضرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لردَّ بسماعه أقوال بقيتهم ، وهو ما لم يثبت(١) .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر ، فقد ورد أن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضع يَدَهُ عَلَى كَتِفِ حبر الأمة عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ ودعا له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ "(٢) ، فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ، أومحفوظا نقلاً ، فلا معنى لتخصيص ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ به ، وإذا بطل حمل نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن التفسير بالرأى فى القرآن بصفة عامة ، ثبت عقلاً جواز الاستنباط من القرآن ، بقدر فهم صاحبه(٣) .

ويشير السواد الأعظم إلى ارتباط أهل العرفان بآيات القرآن قائلاً :"جعل الله لهم ميقات فى سوح الآيات ، فحُمِلوا إلى الله بالله ، فبثق فيهم مكنون الدرايات " .

---

(١) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

(٢) مسند أحمد ، مسند عبد الله بن عباس ، حديث رقم٢٤٣٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

(٣) لمزيد من التفصيل انظر : ما أوردناه فى مؤلفنا "السواد الأعظم" ، مبحث علومه ومعارفه ، فى تفنيد حجج منْ حرَّم التأويل فى الآيات ، ص ١٣١ ـ ص١٣٨ .

وما أجمل قول العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان[١] ، فى تأويل قوله تعالى { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ }[٢] : " القرآن كله جميل وحسن ، وليس فيه غير ذلك ، ولكن فيه جميل وأجمل ، وحسن وأحسن ، فقوله تعالى { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } هذا هو الحسن ، والأحسن قوله تعالى { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ }[٣] ، وقوله تعالى { وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ } هذا هو الحسن ، أما الأحسن ، فقوله تعالى {وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ }[٤] وقوله تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ } هذا هو الحسن ، أما الأحسن ، فقوله تعالى { وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ * وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }[٥].

وترتيباً على ما تقدم ، يُعَدُ القرآن الكريم المنبع الخصب ، الذى يفيض على وديان قلب العارف ، فيرتوى من عذب علومه ، ويسبح عقله فى أفلاك آياته ، وتعرج روحه لبروج سمائه ، فتسطع عليها شموس معارفه ، وتهوى إليها لوامع نجومه ، فيشهد العارف خفى أسرار الآيات ، ويتذوق لطائف الإشارات ، ويصبح القرآن فرقانه ، يفرق به بين الحق والباطل ، فينطق بالصدق لسانه ، وما ينطق عن ميل ، أو هوى ، { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }[٦] ، أى أن هذا القرآن آيات واضحات فى قلوب أهل المعرفة ، الذين حفظوه ، وتدبروه ، وعملوا بتوجيهاته[٧].

---

(١) قول فضيلة العلامة العارف بالله الشيخ أحمد رضوان رضى الله عنه ، نقلاً عن بوست بذات الاسم ،على صفحة (فيس بوك) ، منشور فى ٢٠٢٠/٣/٣١م .

(٢ الزمر : ١٨ .

(٣) الشورى : ٤٠ .

(٤) البقرة : ٢٨٠ .

(٥) النحل : ١٢٦ ـ ١٢٨ .

(٦) العنكبوت : ٤٩ .

(٧) محمد سيد طنطاوى ، القرآن الكريم والتفسير الميسر ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

يقول السواد الأعظم[1]: " هناك رجل يوزن بحرف من القرآن ، وهناك رجل يوزن بآية ، ومنهم من يوزن بسورة ، فيرجح ، ومنهم من يوزن بالسنة النبوية ، فيرجح ، وهناك رجل يوزن بالقرآن كله ، فيقوم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بمؤاخاة هذا الرجل بقرآنه وكلماته ، وآياته ، وينادى الله القرآن : (صُبَّ فى أخيك ما أودعته فيك من علوم ، وغرائب ، وعجائب) ، فينطق بها الرجل ، وتتكشف له فى كلمات الله أسرار ، لايعلمها إلا مثله" .

وفى موضع آخر يقول :" فإذا تفضل الله الكريم على العبد العديم ، فأدخله فى رحب الجنتين ، جنة الشهود ، وجنة العرفان . جنة الشهود : هى حصائل البصائر الثاقبة ، وجنة العرفان : سيل المعرفة الهامع السارى إلى البلد الطيب ، إلى العبد الطيب ، الذى طاب وطَيَّبَه ، وطَيَّبَ ثراه ، وطَيَّبَ ذراته ، وطَيَّبَ هيكله بطيب الوحدانية ، ورَسَّخَ قَدَمِه فى العبودية .

العُبَّاد ، والعبد فى مقام العبودية سواء ، ولكن المعرفة ، الله أكبر!! ، يهب لمن يشاء ما يشاء ، يعقل من شاء عنه ما هو شاء ، بلا عقل ، إدراك بالمـُدرِك ، فهم محفوظون من الاضمحلال ، لأن الذرات مهيأة لإقبال ، واستقبال ، فهم إياهم دخلوا فى معية خير البرية ، المنزه { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }[2]، وكفى ، جلَّ مَنْ اصطفى ، صفا تنزيه لحضرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن النبى من نور العلى { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ } نزه الله حبيبه وجعل المـُنـَارين ، المختارين ، محاريبه ، نالوا من تقريبه ، فالعبد ذو قدم راسخ فى العبودية ، شهوده بصيرته الثاقبة ، وهو هيكل حقيقته فى جنة الشهود ، هطلت سيول المعرفة من ذاك الواد إلى العبد الهاد ، الذى يهد الله بوديان قلوبه ، ولا نقول قلبه ، بل له قلوب ، لأن قلبه له قلب ، وقلبه يسع قالبه ، وذراته ، فالعبد هو السائر الداخل فى الآية التى نصها : { إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }[3] .

---

(١) شرفنى الله تعالى بكتابة جزء من هذا الحديث إملاء عن حضرة الشيخ ـ رضى الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٤٠ .

(٣) النحل : ١٢٠ .

فذاك العبد المالك ، المرتضى ، المُؤَمَن الإيمان ، الذى هو فى الجنتين ، جنة الشهود ، وجنة العرفان ، ملتقاهم طور قلب العبد العارف ، الذى هو على منصة الشهود شارف ، الذى تناول بلا كم من اللؤلؤ والمرجان" .

وقد وهب الله إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ تجليات أُنْسِيَة ، ومعارف قدسية ، وعلوم لدُنِيَة ، لا كسبية ، فبات خضماً ساكناً ، تجرى بأعينه المعارف كالفلك المشحون ، وقُضِىَّ الأمر ، واستوت على الجودى ، ومَسَّ القوم منها ماء معين ، فانبقرت نجائب المعرفة من البطون ، وأنْسَلَت نجوم هداية للباحثين ، وزخرت الإنسانية بتراثه العلمى على مر السنين ، ونثرت من الحِكَم البديعة ما أبهر السامعين ، وخنعت لها عقول الراشدين ، وأشرأبت إليها أعناق العارفين ، ويتباهى أحدهم[١]:

يقولون ذكر المرء يبقى بنسله * وليس له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلى بدائع حكمتى * فمن سره نسلٌ فإنا بذا نسلو

ولا غرو فى أن يأخذ إمامنا العربى بناصية تلك العلوم اللدنية ، ويمتطى ذروة سنامها ؛ فمنْ عَرَفَ الله عَرَّفَه الله كل شيئ ، يقول تعالى : { وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ }[٢] ، وفى الحديث الشريف يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" منْ عَمِل بما عَلِم وَرَّثَه الله عِلْم ما لم يعلم"، أو ما يسمى بالعلم اللدنى ، وهو العلم الذى ليس لغيرهم من أهل العلم[٣].

وعن جلال العلم اللدنى ، يقول إمامنا العربى : " اعلم أن كل ما تكلم به العارفون من رقائق العرفان ، وغامر الفيوضات ليس من العلم اللدنى ، لأن اللدنى لو بدا منه حرف واحد لتصدع منه الكون بأسره ، ونُسِفَ ولم تبق منه ذرة ، وكأنه لم يك ـ فاللدنى لا تطيقه السطور ، ولو كان الوجود طراً أوراقاً من

---

(١) سيدى أبو المواهب الشاذلى التونسى ، قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م ، نقلاً عن : محمد إبراهيم محمد سالم ، النخبة الجامعة فى العلوم النافعة ، مستخلصات من الحقائق والشرائع ،١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٢م، ص ٨ وما بعدها .

(٢) البقرة : ٢٨٢ .

(٣) أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللُّمَّعٌ فى تاريخ التصوف الإسلامى ، تحقيق عماد زكى البارودى ، مرجع سابق ، ص١١٢ .

لاهوته ، وهوته ، الذى ما فوقه فوق ، إلى بهموته ، الذى ما دونه دون ، لما احتمل أثقال تجلى حرف لدنى واحد " .

فسأله أحد الحضور : والذى يشار إليه بالعلم اللدنى يامولانا ؟ فأجاب حضرته : " ليس هذا بالعلم اللدنى ، وإنما هو آثارات من قلوب تأثرت من رشح اللدنى ، أما اللدنى فلا يسعه ، ولا يطيقه العقل ، والنقل ، والسطر ، ولا الوجود بأسره ـ كما أشرنا آنفاً ـ

والحروف الإلهية الربانية تحملك لا تحملها ، وأشواقك إلى الحضرتين ، الحضرة العليَّة ، والحضرة المحمدية من رشح آثار آثارها ، وعماء دياجير ليلها ، وجلاء نهارها والحرف الواحد منها محيط بلا ساحل ، ولا جرف ، ولو بدى منه حرف تصدع الوجود، وتلاشى تماما ، ولم يبلغ حتى أن يكون أثراً بعد عين " .

و قد تَحَدَّث الصوفية من غامر فيوضاتهم بالغريب والعجيب ، ودَوَّن بعضهم من الأسرار القرآنية ، وعلوم المنقول ، ما يعجز عن تناولها العقول ، وهنا يتبادر السؤال: لماذا - إذن - دوَّن بعض الصوفية معارفهم مع أنه يعجز عن فهمها عوام الأمة ، بل قد يقصر بعض العلماء عن إدراك مكنونها ؟ ، فليس من الحكمة أو الرحمة بالأمة البوح بهذه العلوم والمعارف للكافة ، بل يجب عليهم حفظها ، وكتمها عن غير أهلها.

والرد على التساؤل السابق سهل يسير ، فالشمس مع عظيم فائدتها قد تضر مَنْ بعينيه رمد ، ولكن فائدتها تربو عن ضررها ، وكذلك علوم العارفين المدونة عنهم ، فهم لم يدونوها للعامة ، بل هم أمناء عليها ، يؤدونها إلى أهلها ـ بإذن من الله ، ورسوله ـ لينتفعوا بها ؛ كى تفتح لهم أبواب الكمالات الإلهية ، وتشرق على قلوبهم أنوار الهدايات الربانية ، يقول أحدهم[1] : " إن تدوين هذه المعارف من أعظم الفوائد فضلاً عن أنه من أحق الحقوق ؛ إذ فائدتها بقاء روح

---

(١) قول سيدى على محمد وفا رحمه الله ، عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، المسمى لواقح الأنوار في في طبقات الأخيار ج١، ٢ ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، سيدنا الحسين ، ص٤٤٠ .

حق اليقين ، وإشرافها فى مظاهر الهادين بالحق ، كما فى فائدة تدوين علم الظاهر ، بقاء روح الاجتهاد الظنى الموجب للعمل ، وظهوره فى مظاهر المرشدين { وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ }(١).

أما ما يقوم به بعض المترسمين والأدعياء من نشر مصنفات استلبوها من كتب السلف الصالح ، ونسبوها لأنفسهم ؛ تستراً على جهلهم ، وهوىً فى أنفسهم ، وطلباً لعاجل إلمام ، وكسب المال ، فمثلهم كمثل منْ قرأ القرآن على أعداء الله ، فحرَّفوه ، واتَّبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وهذا هو العلم الذى حذر منه أهل الله ، وأشاروا إليه بأنه : سُمٌ قاتل(٢) .

ويشير إمامنا العربى ـ هنا ـ إلى الغاية التى من أجلها دَوَّنَ الصوفية كلامهم ، فيقول: " ما تحدث الصوفية بكلامهم من أجل أن يُكْتَب عنهم ، أو أن يُسَطَّرفى كتب ، أو يُدَوَّن في دواوين ، كلا بل تحدثت به الصوفية ؛ لكى ترقى أوقاتها ، ولكى تصحح مسار الأمم ، ولكى تعقل الأمم من خلال العقل الذى ارتضاه الحق ـ جلَّ وعلا ـ لأنه في عقول العباد عقل برزخى تنتهى إليه المفاهيم ، فما دلُّلوا على ربهم إلا بعد دنُوِهم من حضرته ، دُنُوٌّ لا من أين ، دنو لا من بين ، دنو لا من كيف ، دنو لا من حيث ، دنو لا مجانس ، دنو لا ملامس ، دنو لا مُشاكَل ، دنو إشراق شموس التجلى على حقائق العباد الحقائق الإيجابية السعدية ، حقائق المطلوبين ، دُنُوٌّ إنعكاس من ساحة الإيناس ، كما تنعكس الشمس على الماء ، لا الشمس تلتحق بالماء ، ولا الماء يلتحق بالشمس ، فينهمر سيل العرفان من حقائق العبد إلى وجدانهم بجم تلاطم أمواج الرشاد ، فالصوفية ببركة سيد الوجود زين الملاح ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أرواح تبيت عند ربها(٣).

ويفهم من ذلك ، أن كلام الصوفية لم يكن بقصد تدوينه فى كتب ، وإنما لترقية أوقاتهم ، وتصحيح مسار أممهم ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال عقل دنا من

---

(١) البقرة : ٢٢٠ .

(٢) لمزيد من التفصيل ، راجع مؤلفنا " السواد الأعظم " ، مرجع سابق ، مبحث التفسير الإشارى الفيضى ، ص١٣١ ـ ص ١٣٨ .

(٣) جاء جواب الإمام العربى هذا رداً على تساؤل السواد الأعظم لحضرته : هل يتحدث الصوفية بكلامهم هذا لأن صدورهم تضيق به فلا تسعه ؟ ، نقلاً عن ربيب الإمام وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المتعم .

الحق ـ جل وعلا ـ فارتضاه دالاً عليه ، وقد سمَّاه إمامنا ب "العقل البرزخى ، الذى تنتهى إليه المفاهيم" ، بمعنى أن هناك عقل برزخ يكون مرجعاً لعقول العباد ، ومنتهى لفهومهم ـ ولكن ، هل هذا يعنى تعطيل عمل العقول المادية ؟ وبالتالى إنكار قول الفلاسفة بأن : العقل رسول ؟

يفند إمامنا العربى قول هؤلاء الفلاسفة ، قائلاً : " ما تراه الشريعة قبح فهو قبيح وما تراه حسن فهو حسن ، أما قول الفلاسفة بأن : العقل رسول ، فهذا جميل ، ولكن خَرِبَت قضيتهم بأن اكتفوا ، واستغنوا بذلك عن الرسل ، التى هى من عند الله ـ لِمَّ؟ ؛ لأن السادة الأنبياء ، والرسل بُعِثوا لكى يجددوا عزائم العقول ، ولكى يضعوها فى مسارها الصحيح ، والعقل طاقة ، العقل رسول ذو طاقة ، يعنى كما نقول الطاقة ، والمادة ، وهذه النقطة كيميائية فيزيقية ، إن العقل طاقة ، والنبى والرسول ، أو أى نبى ورسول طاقة ، والطاقات هم ذات أنفسهم رسل من عند الله تعالى ، زائد الكتب السماوية ، ومنبئون مثل ألواح موسى ، وصحف إبراهيم ، والحكم التى تأتيهم من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وإنما أُرْسِلَ الأنبياء ، والرُسُل طاقة ؛ لتجديد العزائم ، لكى لا تركن العقول ، ولا تضل ، وكما أنشد الإمام البوصيرى ـ رضى الله عنه[1] :

لم يمتحنا بما تعيا العقول به * حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

بمعنى جاءت الأنبياء ، ورفعت الشك من العقول ، ورفعت الهيام غير المعتدل ، يعنى نهيم داخل حلقة محمدية ، فتكون رُحَى العقول دائرة مع رحى الكتاب والسنة حيث دارت ـ جدد الأنبياء والرسل للعقول عزائمها ، وعَرَّفُوا العقول المعرفة المرتبطة بكتب الله المنزلة ، لأن معرفة العقول بدون كتاب من الله ربما تتطرف ، نعم العقول جاهزة ومجهزة ، ولكن ربما تضل فما الذى يعدل سيرها ؟ ـ منطق الأنبياء ، ومنطق الله فى كتبه ، يعدل سيرها ـ

نعم قال الفلاسفة : "العقل رسول" ـ جميل إن العقول جاهزة ، ولكن محتاجة للتلقيح ، ولقاحها هو رسالة الأنبياء ، والمرسلين ، لابد أن تُبَخَّر ، أى

(١) الإمام البوصيرى ـ رضى الله عنه ، قصيدته الشهيرة :" البردة " ، أو "البرأة " .

: تلقح ، قال ـ جل وعلا ـ : { وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ }(١).

ويستطرد إمامنا العربى : "هذا الكلام ليس اجتهادى ، ولكنه كلام العارفين ، كلام فحول أهل الحضرة ، أهل الحضرة قالوا : العقل السامى مُجَهَز ، ولكن محتاج إلى بخور وإلى تلقاح ، وتلقاح العقول رسالات الأنبياء .

ونحكم على العقل ، والرسالة من حيث مبدأ التوحيد ، فالعقل لديه استعداد ، ولكن لا يبقى محفوظا ، ولايكون أدب العصمة منير له إلا بتلقيح الأنبياء ، والرسل المنزلة ، مثل الحكمة القائلة : "إذا أردت أن تصل ببحثك وبعقلك تقطعت أوصالك"(٢) . فلا بد من تبعية العقل للرسالة ، والرسل ، ولابد أن يتبع العقل الآية إذا كانت لأى نبى ، مثلاً الأنبياء السابقين لهم كتب مثل الزابور ، وإنجيل سيدنا عيسى ، وصحف سيدنا شيث مائتين صحيفة ، وصحف الأنبياء الذين لم يقصصهم ربنا فى القرآن ، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نبى ، ورسول ، والآخرين كلهم أنبياء فقط ، والذين قصهم الله فى القرآن خمسة وعشرون نبى ، ورسول ، ومنهم خمسة أولو عزم ، ومنهم خمسة عرب ، وهذا بالتفصيل .

وحينما تأتى لحكم الفلاسفة ، فإن كلامهم جميل فى ذهابهم إلى أن العقل رسول ، ولكن يأتوا إلى النقطة الجوهرية ، وينأوا عنها ، فهذا فيهم لا مقبول ، لأن العقل غير كافى ، ولابد من البخور ، ولا بد من التلقيح .

حقاً إن العقل رسول من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ لأنه سامى ، وحينما يسمو العقل يُسَمُونَه أهل الحضرة : بالعقل السامى ، والعقل السامى لاينحرف عن النبوة والرسالة أبداً .

---

(١) الحجر : ٢٢ .

(٢) من عيون الشعر العربى قولهم : " إذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده . وإن كان عون الله للعبد واصلا * تأتى له من كل شيئ مداده ، وينسبه البعض إلى الإمام على ـ كرم الله وجه ـ ، بينما ينسبه آخرين إلى شاعر من المحدثين بالعراق يقال له : الأخرس ، ولعله ضمنه فى قصيدة لامية طويلة جداً مطلعها : تبين حق للعباد وباطل * ونلت بحمد الله ما أنت نائل . وما حاق مكر السوء إلا بأهله * وبعد فما يدريك ما الله فاعل " .

وحينما يكون العقل مادى ، ومنعزل عن الطاقة ، فهو محتاج إلى تلقاح ، وإلى بخور ، أما العقل السامى فهو مطبوع فيه الماضى ، والمستقبل ، والحال ، ولكن حينما تقابله النبوة ، ما الذى يحدث له؟ ـ تزداد طاقته وتجدد عزائمة ، يحتاج العقل السامى للأنبياء ؛ ليجددوا فيه العزائم ، أما العقول المادية ، فيَخلِقوا فيها ـ السادة الأنبياء ـ العزائم ، ويخلقوا فيها الطاقة ، فيتحول الأمر من مادة إلى طاقة .

فالعقل السامى محتاج ـ أيضاً ـ للأنبياء ؛ لتجديد العزائم ، يعنى قد يسير لوقت ، ولكن بدون البخور النبوى لا يتم المشوار ، فلا يبلغ الذروة إلا ببخور الأنبياء ، والمرسلين ، والكتب المنزلة ، لأن العقل وحده غير كافى.

فالعقل المادى محتاج لإيجاد العزائم داخله ، ومحتاج إلى خلق العزائم فيه ، ومنْ الذى يخلق العزائم فيه؟ أريج بخور النبوة وفيح عبق الرسالات ، وتلقيحه من الرسل ـ سلام الله عليهم ، هو من يخلق العزائم فيه .

كذلك يحتاج العقل السامى لتجديد العزائم ، ربما يحصل له فتور ، يعنى تفكير العقول السامية يكون مدارها من داخل حلقة الكتاب والسنة ، ما حسَّنته الشريعة – شريعة الله – فهو حسن ، وما قبحته الشريعة ، فهو قبيح . فإذا ما دارت رحى العقول مع رحى الكتاب والسنة حيث ما دارت ، استقام الأمر ، لأن المورد أساسى ، والسنة بخور العقول ، والكتاب يلقح { وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ } ، فمن غير تلقاح القرآن للعقول ، لا تأتى بثمرة ، ولكن بالتلقاح تقوى ، وتنمو ، وتجدد عزائمها ، والجوهر المكنون فيها يظهر ؛ لأن العبد كله جوهر . آنئذ يكون العقل السامى قد امتزج بالكتاب والسنة ، ويكون من قبيل قوله تعالى : { مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ }[١] ، فى حلقة ربانية ، محمدية ، رضوانية : ارتضاها الله جل وعلا "[٢] .

(١) الرحمن : ١٩ .

(٢) كلام إمامنا العربى ، نقلا عن : ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

وقد قطع ـ إمامنا ـ بقوله هذا أمراً كثرت فيه المجادلات الفلسفية ، ومناقشات أهل الكلام السفسطية ، فأبلج ما توارى عن العقول ، ونفى عنها الظنون ، وأثلج الصدور ، وأضاء الديجور[١] .

فتأمل معى ـ عزيزى القارئ ـ مدى احترام إمامنا للعقل ، وعدم تعطيل عمله ، ومع ذلك ، فإن إمامنا لا يقر ادعاء الفلاسفة بأن العقل وحده يكفى أن يكون رسولاً ، فالعقل المادى محتاج لمن يخلق فيه العزائم ، ويبعث فيه طاقته الجوهرية ، ويضعه فى مساره الصحيح ، ولا يتأتى ذلك إلا بتلقيحه من طاقة أقوى من طاقته ، وهم أنبياء الله ، ورسله ـ عليهم السلام ، الذين أرسلهم الله لواقح للعقول ، وناهيك ـ عزيزى القارئ ـ عن تأويل إمامنا لقوله تعالى { وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ }! .

وكذلك الأمر ، فالعقل السامى ، الذى يدور فى فلك القرآن والسنة ، يحتاج أيضاً إلى تلقيح ؛ ليزيل فتوره ، ويجدد عزائمه ، حتى يمتزج بالكتاب والسنة ، ويصل إلى غايته ، وأَبْدِع بتأويل إمامنا لقوله تعالى { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ } ! .

---

(١) يُعَد العقل من المعانى التى أثيرت بشأنها الجدل قديما وحديثاً ، والعقل لغة يفيد معانى عدة ؛ منها : أنه قوة مهيأة لقبول العلم ، وأنه غريزة فى الإنسان ، وأنه العلم ، وأنه الحبس والحجر ، وأنه نور يقذفه الله فى القلب ، وأنه التمييز بين الإنسان والحيوان ، ١ـ والعقل عند الفلاسفة القدماء اليونانيين وأشهرهم الفيلسوف اليونانى أرسطو ـ الذى تأثر به كل من يطلق عليهم فلاسفة الإسلام ؛ مثل ابن سينا ، والكندى ، والفارابى وابن تيمية ـ فالعقل عند أرسطو هو "جوهر قائم بنفسه ، وهو أنواع متعددة " ، وقد أنكر أبو بكر العربى من فلاسفة الإسلام أنواع العقل ، وقال بأنها أسماء وتهولات لا طائل وراءها ، وذلك أن الأشياء والمدركات تسمى فى نظره علماً لا عقلاً مستشهداً بقوله تعالى { إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون } ٥٢ من سورة النمل . فالعقل عند ابو بكر العربى هو العلم ، وهو صفة يتأتى بها إدراك العلوم ، وهذا التعريف للعقل هو إحدى مقولات ابن تيمية فى تعريف العقل . ٢ـ أما العقل عند الفلاسفة الأوربيين فى قرونهم الوسطى والحديثة ومن أشهرهم الفيلسوف الأنجليزى فرنسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦م) وهو من أصحاب الفلسفة العقلية، ويعده الغربيون واضع المذهب التجريبى الذى يقوم على الاستقراء الذى ينتقل من الوقائع المادية إلى القوانين النظرية ، أو من الخاص إلى العام ، ويقول فرنسيس بيكون : أن العقل يكفى وحده للوصول إلى الحقيقة بدون الوحى ، أو بمعنى آخر : أن العقل رسول ، لمزيد من التفصيلات انظر : فهمى قطب الدين النجار ، العقل فى اللغة وعند الفلاسفة ، موقع شبكة "الألوكة " نت ، على الشبكة الدولية للمعلومات "انترنت" .

المطلب الثانى

فرائد في التأويل

وبعد تلقيح عقولنا ببخار نِفاسّه ، هيا نسبح فى منشئات جواريه ، إلى سواحل مجاليه ؛ لنقف على قشورإمامنا لعلمه المكنون ، فى بواطن الآيات والحكم .

فى معرض حضرة الآية { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }(١) ، يقول إمامنا : " هذه الآية ، وكل آية فى كتاب الله يوهم ظاهرها بالخطاب الناهى للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كقوله تعالى : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ }(٢) ، الخطاب للرسول ، والمراد به المرسل إليهم.

الخطاب للنبى ، والمراد به أمته ، هكذا لأن الخطاب من الله فى كتابه المنزل فيه تجلى ذاتى ، وزيد ، وعبيد ، وسين ، وصاد من الناس ، وغيره ، وغيره ـ لا يطيق التجلى الذاتى ، ويدكه التجلى الذاتى ، وينسفه نسفاً ، ويصعقه كما صعق الكليم موسى ـ سلام الله عليه ـ وقِسْ على هذا النحو .

فالخطاب الذى يوهم بالنهى ، وكأنه ينهى رسوله عن ذنب ، أو عصيان وقع فيه يكون للرسول ، لكى يجنبنا صعق التجلى ، رحمة منه ، ببركة نبيه ، ولكن المراد به هو المرسل إليهم ، يعنى أمته ـ صلى الله عليه وآله وصحبه

---

(١) الأحزاب : ١ ، وجاء فى تفسيرالبغوى لتلك الآية ما نصه : {يا أيها النبى اتق الله } أى :دُم على التقوى ، كالرجل يقول لغيره وهو قائم : قم ها هنا ، أى : اثبت قائماً . وقيل الخطاب مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد به الأمة .

(٢) هود : ١١٢ ، ١١٣ .

وسلم ـ فيجب أن نتأدب مع حبيبه سيد الوجود ، والسبب فى كل موجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ".

وفى سؤال أحد الحاضرين عن آية الربا ، لِمَ لم يفسرها الرسول ـ صلى الله عليه وآله صحبه وسلم ؟ يجيب إمامنا العربى بقوله :" واحد اسمه الإمام الشاذلى قال : "أبهمت الأمر علينا لكى نرجو ونخاف"[1] ، فالنبى لم يكن يفسر ؛ لأن القرآن نازل على لغتهم ، وعلى سجيتهم ، لا يحتاج فى وقتهم إلى تفسير ، ثم نحن الآن عندما نفسر هذه الآية ، سندخل فى شبهات ـ ربنا أغنانا عنها ، وحفظنا منها ـ سندخل فى شبهات الربا ، وفى حِلها ، وتحليلها ، وتحريمها ، وسوف تجمد الحياة ، وتتوقف ، وسنقعد متمسكين ، وسنبقى ـ أعاذنا الله ـ مثل جماعة الهجرة والتكفير ، فى قولهم المِلْك حرام، والثراء القوى حرام ، والماهية حرام ، ولدخلنا بما ليس لنا به نفع . يقول تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ }[2] .

ويستطرد الإمام فى حديثه قائلاً :" جاء فى الحديث الشريف ما معناه ، من سره أن يُنسأ له فى أجله ـ أى يبارك له فى أجله ، وعمره يطول ، أو يؤجل ، ويبسط له فى رزقه ؛ فليصل رحمه ، فمن كان لديه أمر تحوم حوله الشبهات ، مثل نظام الربا ؛ فليصلى على النبى ، فالصلاة على النبى تمحى الربا من بين أيدكم ، وما تُبقِى إلا الحلال مثل شبكة الصيد تخرج بالسمك ، وتسقط ما حملته من مياه فى النهر ، كذلك الربا ، فقد جعل لنا رب العزة ، وحضرة المصطفى صلوات نُصَّلِى بها يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، نصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتلاشى تلك الأمور كلها من أعيننا ومن أفكارنا ، ولا نفكر

---

(١) قول سيدى أبى الحسن الشاذلى : " وقد أبهمت الأمر علينا نرجو ونخاف " ، فآمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا ، وهذا من أحسن الدعاء ، انظر : تفسير القرآن الحكيم المشهور تفسير المنار ، تأليف السيد الإمام محمد رشيد رضا ١٨٦٥م ـ ١٩٣٥ م ، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه /إبراهيم شمس الدين ، الجزء الثالث ، المحتوى الآية ٢٥٣ من سورة البقرة ـ للآية ٩٢ من سورة آل عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ص ١١٩ ،

(٢) المائدة : ١٠١ .

فيها أبدا ، فلا يأتينا غير الرزق الحلال ، حتى لو ظاهره مخلط ببعض ربا ، فلا نمكث فى التفكير فيه ، هل هذا من قبيل الربا المحرم أم لا؟ ، فتتجمد بذلك سيولة الحياة التى نعيشها ، والمعاملات مع بعضنا البعض ، حتى أنتهى الأمر بقوم يقولون : الماهية ـ الراتب الحكومى ـ حرام .

ومن عظمة ربنا أنه لايريد أن نشبك فى الربا ، ولا الربا يشبك فينا ، وفى آيات كثيرة مانعة عنا الربا ، وساقتنا ، وساقت إلينا الحلال ، من باب { يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }(١)، وإذا كان الحديث يقول فيما معناه : " مَنْ بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له "(٢) ، فماذا تريد بعد حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وورد فى هذا الميدان آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية كثيرة جداً جداً جداً ، لكن عندما نقف عند نقطة واحدة ، ونتصدر فيها ، سيتخيل لنا أن الحلال ربا ، ونمكث نعتب على أنفسنا ، ونقيس بما هو محرم من الربا ، ونعمل مقاييس ، فلن ننتهى .

لذا يجب عليك ـ وعلى قدر المستطاع لك ـ أن تمحو هذا من تفكيرك ، وتمحو أى آية تأتى فى ذهنك بالربا ، وتثبت كل آية تأتى فى ذهنك بالحلال ، فهى فى الحياة الدنيا للسترة ، اللهم استرنا ولا تفضحنا .

لمَّا نمكث نقلب فى مسألة الربا ، فهى صعبة ، وموازينها كبيرة جداً ، تحتاج إلى وقت طويل ، وهذا الوقت لا يحل قضية واحدة من قضايا الربا ، فمثلاً يجب أن نحل أولاً قضية (٦٠) مليون شخص ـ عدد سكان مصر فى ذلك الوقت ـ ، ثم بعد ذلك نستقطب الربا من واحد فواحد .

الأول حل جماعى ، نحل قضية (٦٠) مليون ، وعلماؤنا لا يكفون وحدهم ، ولكن سنحتاج إلى علماء (أقتصاد) آخرين من الدول الأخرى ، وهذا يحتاج

---

(١) البقرة : ٢٧٦ .

(٢) الحديث الشريف :" من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً " ، الراوى : عائشة أم المؤمنين ، المحدث : المنذرى ، المصدر : الترغيب والترهيب ، الصفحة أو الرقم : ٣/٥ ، خلاصة حكم المحدث : لا يتطرق إليه احتمال التحسين ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط (٧٥٢٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

إلى وقت طويل وسنضيع من الخيرات الكثير ، وستتوقف الحياة والمعاملات بين الناس "[1] .

وبعد فذلكة فهم الآيات القرآنية بوجه عام ، دعنا ـ الآن ـ نرشف من سلسال قطرات إمامنا القلبية ، من خلال حديثه عن القطرات المحمدية[2] :

يقول إمامنا العربى : " ولله المثل الأعلى موصوف بكل كمال رب العزة ، ومنزه عن كل نقصان ، لا نقول بالفوقية ، ولا بالتحتية ، ولا باليمين ، ولا بالشمال ، ولا من شرق ، ولا من غرب ـ رب العزة وضع سيدنا محمد فى مقام اسمه "مقام القرب" ، وصار ينظر إليه ، الحضرة العليَّة صارت تنظر إلى سيدنا محمد ، فكان سيدنا محمد كثير الحياء من ربه ـ ولم يزل كثير الحياء من ربه ـ

---

(١) سمعته من إمامنا العربى ، حيث كثر الجدل فى عصر إمامنا حول مسألة الاقتراض أو الإيداع من البنوك ، وكثرت الفتاوى فى أمر التعامل بها ، وهل هى من قبيل الربا المحرم ، حتى حدا بالبعض إلى تحريم مرتبات وماهيات موظفى الدولة بزعم أنها تصرف من البنوك ويقصد بآية الربا هنا قوله تعالى : { الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } ٢٧٥ سورة البقرة ، وقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون } آل عمران : ١٣٠ ، وقد أجمع جمهور العلماء على أن الربا المحرم المنهى عنه هو ربا النسيئ فقط ، وهو أن يقترض أو يشترى شخص من آخر ويضرب موعداً للسداد ، ثم يعجز المدين عن سداد الدين فى موعده ، فيكون مضطراً إلى الموافقة على زيادة المبلغ المدين به للدائن على أن ينسأ له الأخير فى موعد السداد ، أى يؤجل له موعد السداد بمضاعفة الدين ، وهو ما يعد ضرراً بالغاً للمدين ونفعاً صرفاً للدائن ، وهذا النوع من الربا لا تقره تشريعاتنا الوضعية ، ولا يتطابق مع معاملاتنا مع البنوك فى بلادنا .

(٢) سمعته من تسجيل صوتى قديم بصوت سيدنا الإمام العربى يتحدث مع بعض زواره بساحته ، واستمحى القارئ عذراً ، عن منهجى فى عرض تسجيلات إمامنا العربى ـ قدس الله سره ـ باستبدال بعض الألفاظ المنطوقة بلهجة أهل الصعيد ، والاستعاضة بأخرى تقابلها ؛ ليسهل على جمهور القراء فهمها ، وإن كانت هذه الكلمات قليلة وغالبها مقصورعلى أسماء موصولة ، أو إشارة فمثلاً : لفظة (ده) تم استبدالها باسم الإشارة : هذا أو هذه ، ولفظة : (دكهه) هى مرادف اسم الإشارة : تلك ، ولفظة (مش) قبل بعض الكلمات، أوحرف (الشين) بعدالكلمة ، استبدلت بما النافية أو ليس أو لا أو غيرهما من أدوات النفى ، وهكذا ، ورغم ذلك فكثيراً من المواضع لم أجد بد من نقل بعض الألفاظ باللهجة التى قيلت بها فى التسجيل الصوتى خشية تحور معناها إلى غير ما أريد ناطقها ، وبالطبع لا يخفى ذلك كله عن فطنة القارئ .

فكان النور كل ما ينظر إليه ربنا ـ نور سيدنا محمد ـ يَعرِق حياءً من ربه ، ويقطر من هذا العَرَق قطرات ، وهذا العَرَق نور ، وليس عَرَق ، فخلق ربنا الأرواح من قطرات هذا العَرَق .

فالأرواح ربنا خلقها من ماذا ؟ من عَرَق سيدنا محمد ، عَرَق النور ، عَرَق اسمه: " العَرَق النورانى " . السعداء ، والصالحون ، والعارفون ، وجميع الأمم من السعداء، والأتقياء ، والمؤمنون ، والسائحون ، الساجدون ، العابدون ، كلهم من عَرَق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فتَكَوَّنَ من العَرَق أرواح ، وما يُسَمَّونه ب : "عالم الذر" . عالم الذر هذا فى عالم الغيب ، فبعد ما بقي (الخلق) فى عالم الذر ، أصبح فى عالم الأرواح ، وفى الحديث الشريف : " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف"[1]، فتناثرت الأرواح عن بعضها ، أرواح الأعداء ـ أعداء المسلمين ـ أهل الكفر ربنا عزلهم، ولم يرد لهم الإيمان والسعادة ، ولكن أمرهم بهما ؛ ليقيم الحجة عليهم ، لكن لم يرد لهم أن يكونوا من أهل السعادة ، أو من أمة خير الأنام . بل لم يرد لهم أن يكونوا من عَرَق سيد الوجود ، لكن أمرهم أنهم يُسلِموا ويُؤمِنوا ، لتبقى حجة عليهم ، فإن سُئِلَ : لمَّ لم يرد الله ذلك منهم ؟ قيل لهم : { لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ }[2] ، له المراد فى ذلك ، مراد الله فى ذلك .

أما نحن المسلمين ، والمؤمنين ، والسعداء ، والأتقياء فقد تَكَوَنَّا من عَرَق النور المحمدى ، أى نحن من سيد الوجود ، والدليل على ذلك جَمْعُنا هذا ، ولمتنا بعضنا على بعض الآن فى هذا الموضع ، لأننا من عَرَقٍ واحد ـ هو العَرَق النورانى لسيد الوجود ـ فنحن من عَرَق واحد ، متكونين فى موضع واحد ؛ لذا ، فإن فَهمِنا متقارب لبعضه ، وُمنسطين بعضنا إلى بعض الآن ، وندعو : "ربنا

(١) حديث :" الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " ، أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ، المحدث : ابن حبان ، المصدر : المجروحين ، الصفحة أو الرقم : ٢/٩٧ .

(٢) الأنبياء : ٢٣ .

يحببنا فى أهله ، ويحببنا فى أهل بيته ، ويحببنا فى أهل حضرته حتى يرث الله الأرض ومن عليها" .

فنحن من نور سيد الوجود ، ولو أننا لسنا من نوره لا نقدر أن نقول : الله أكير ، أو نقول اللهم صلى عليه ، فلا نقدر أن نصلى على شيئ نحن ليس منه ، لكن ما دام منه ، ما دام من أصل ذات الشيئ ـ فكل شيئ فى المذاق يرجع إلى أصله ـ ما دام من أصل الشيئ ، فمتحتم علينا نفهم أن أصلنا هو سيدنا محمد ، وسيدنا محمد قال : " إنتم منى وأنا منكم ، وحِبْوُنى ، واعبدوا الله " ، أنا حبونى حب ، لكن العبادة للذى خلقنى وخلقكم ، وخلقكم منى ، ربنا أوجدنى ، وجئت لكى أدلكم عليه هو ، هذا معنى كلامه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى ذاك الحديث ، أنا ربنا خلقنى وخلقكم منى فلمَّا نقابل بعضنا ، أو إن قابلنا الصحابة ، يقولوا لكم : أن الرسول قال لنا : قولوا لأحبابى من بعدى ـ الذين سيأتوا بعدى ، وسيؤمنوا بى ، يؤمنوا بنا ولم يرونا ، وفيهم من يرونا فى المنام ـ قولوا يا صحابة : إن نبيكم يقول : " حبوا النبى ، واعبدوا رب النبى" يفهمنا إن أنا محيط بكم من جميع النواحى ، ومن أجل ذلك ، فأنا ليس بعيد ، أنا قريب".

ويتابع إمامنا العربى حديثه عن قطرات عَرَق سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قائلاً : فالكرسى قطرة من نور سيد الوجود ، والقلم قطرة من نور سيد الوجود ، حتى القلم الحبرلا يكتب إلا إن كان مشقوقا ، فقد انشق من هيبة الله ، فكان هذا الانشقاق هو سبب كتابته ، والماكينات ـ أي الآلات الميكانينكية ، والأجهزة الكهربائية التى نستعملها فى أعمالنا ، ومنازلنا ـ هذه الماكينات تعمل ، وتدور بالكهرباء لكن لو زُوِىَّ نظر سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها إلى جهة أخرى لتوقف عملها فلا تعمل ، ولا تدور ، يعنى هو السبب أيضاً فى رزقنا ، وفى الوجود مكاننا ، وفى تحرير أعضائنا ، بدليل القرآن ، والحديث كقوله تعالى :{ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ }[(١)] ، وقوله

(١) الأحزاب : ٦ .

تعالى : { لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }(١)، والنفس والروح أيضاً ، فيقول أحد الأشياخ(٢) : " واجعله ـ يعنى سيدنا محمد ـ روحاً لذاتى من جميع الوجوه ، واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس" .

النفس المطمئنة ، والروح ، صاحبة العقل السامى ، كلهم قطرات من العرق النورانى لسيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ كذلك النباتات كلها ، إنما تخضر بقطرات سيد الوجود ، يعنى هذا قطرة ، وهذا قطرة ، وهذا قطرة ، و ذه قطرة من قطرات سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهذا الكلام أقرته ناس كتيرة ، ليس كلاماً مبتكراً ، أو فكراً ، بل أقرته ناس كثير ، وجاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، لكن قد يخفى بعض الساعات عن بعض العقول"(٣) .

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

(٢) ورد هذا الدعاء فى الصلاة العظيمية لسيدى أحمد بن أدريس ـ رضى الله عنه وأرضاه .

(٣) رُوِىَ عن عبد الرازق بسنده في كتابه (جنة الخلد) عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال :" قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شيئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال صلى الله عليه وسلم :" يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا أنس ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ؛ فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الجزء الثانى اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أُنْسِهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله .. ثم نظر إليه فترشح النورعرقاً فتقطرت منه مائة ألف قطرة وعشرين ألفا وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبى ورسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة ... فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون والرحمانيون من نورى ، والجنة وما فيها من النعيم من نورى ، والشمس والكواكب من نورى ، والعقل والعلم والتوفيق من نورى ، وأرواح الأنبياء والرسل من نورى ، والسعداء والصالحون من نتائج نورى ، ثم خلق الله آدم من الأرض ، وركب فيه النور، وهو الجزء الرابع ، ثم انتقل منه إلى شيث ، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ، ومنه إلى وجه أمى آمنة ، ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، هكذا بدء خلق نبيك يا جابر" .

ويسرى بنا حديث إمامنا من القطرات حتى بزوغ الإشراقات ، وفى أجواء قوله تعالى : { وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ }(١)، يقول إمامنا العربى : " إن أهل الحضرة مجلى قوله تعالى :{ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ } ، الحضرة المحمدية تشرق بأنوار طلعتها على السائرين إلى الله ـ جل وعلا ـ وتلتقطهم براحات شمائلها الربانية ، وتمدهم من أنوار مواهبها اللدنية ما يهيئهم ، ويقويهم على إدخالهم على الله ـ جل وعلا ـ وتَلَقِّى إشراق أنوار تجليات الحضرة الإلهية ، وإلا هَلَكوا ، ونُسِفوا بالكلية ، هكذا ما بين شروق سواطع بروق تجلى ، وغروب مغيب فى تجلى { وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ } .

وفى سياق متصل ، يقول إمامنا : " الذكر لله حقاً لدى أهل الحضرة أن يكون العبد فيه ما بين غيبة وحضور ، غيبة فى حضرة الله عما سواه ، وحضور القلب مع الله إشراق تجلى { وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ } ، غيبة تلاشى وفناء عن الأغيار ، فتتناوله راحات الشمائل المحمدية ، محمول على نجائب الفضل ، ومن ثم تقذفه راحات الشمائل بعد أن التقطته أنامل معيتها ، وقد هيئته لتلقى به فى إشراق تجلى الحضرة العلية"(٢).

وفى ذات الآية ، يقول إمامنا : " وهذا هو العبد المحض ، الحل ، المرتحل ، الغريب ، الساكن ، السارى فى سائر المواطن : مواطن الإسلام ، ومواطن الإيمان ، ومواطن الإحسان ، ومواطن التقى ، ومواطن الزكاة ، ومواطن الحج ، ومواطن الصيام، إلى ما لا انتهاء لمواطن الآيات"(٣) .

وفى قوله جل وعلا :{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ }(٤) ، يقول إمامنا العربى : " والسماء ذات " ، اعلم أن سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ

---

(١) البقرة : ١١٥ .

(٢) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٣) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٤) البروج :١ .

هو سماء الذات ، والبروج هم عترته أعلام دوحته ، وكل العارفين والعارفات من أبناء الزهرة سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء أهل الجنة ، كل منهم برج يدور فى مدار فلك من سماء جدهم سيد الوجود ، قبضة المعبود ، هكذا "[١] .

بعد حديث الإشارات والإشراقات ـ يأتى حديث البشارات ، فالعارف بالله حقاً ، هو الذى يسعى بين الخلق بالبشارات الربانية ، ويكشف لعباد الله سبق محبته لهم ، وفضله عليهم ، ورحمته بهم ، ويفتح لهم أبواب الرجاء فى ربهم ، فيحبونه ، وتعلو هممهم ، وتشرئب أعناقهم إلى جمال صفاته ؛ لينالوا وصاله ، فيقبلون عليه بالطاعات ، ويتقربون إليه بالقربات ، حتى يدلفون فى حجر سيد السادات ، فرحين بذلك ، متهللين، ومستبشرين بما وَعَدَهم من مقام كريم ، وما أعَدَّه لهم من نعيم مقيم ، ولسان حالهم يترجم بقوله تعالى :{ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ }[٢] .

يبشرنا إمامنا العربى ـ وفى معرض الآية : { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا }[٣] .

---

(١) نقلاً عن : ربيب إمامنا وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) يونس : ٥٨ .

(٣) الأحزاب : ٦ . جاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى { النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم } : هذه الآية أزال الله تعالى بها أحكاما كانت فى صدر الإسلام ، مننها أنه صلى الله عليه وسلم كان لايصلى على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال : (أنا أولى بالمؤمنيين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلىَّ قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته) أخرجه الصحيحان . وفيهما أيضاً (فأيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه) . وقال بعض العلماء العارفين هو أولى بهم من أنفسهم ، لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك ، وهو يدعوهم إلى النجاة . قال ابن عطية : ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : (أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش) ... قال العلماء الحُجْزَةُ للسراويل ، والمَعْقِدُ للإزار ، فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه . وهذا مثلٌ لاجتهاد نبينا عليه الصلاة والسلام فى نجاتنا ، وحرصه على تخلُّصِنا من الهلكات التى بين أيدينا ، فهو أولى بنا من أنفسنا ... وقيل أولى بهم أى هو أولى بأنن يحكم على المؤمنين فينفذ حكممه فى أنفسهم ، أى فيما يحكمون به لأنفسهم مما يخالف حكمه .

يقول إمامنا : " إن الواحد منكم إذا أدركته الوفية ، أى : الموت ، لا يخاف ، ويفهم تماما أن قبل ما أهله يسَيَّبوه فى القبر، ويهيلوا عليه التراب ، يفهم تماما ، أنه سيفتح عينيه يجدنى ـ أي يجد رسول الله ـ بجواره ، هذا كلام صحيح ، وليس كلام مجاذيب ، ولا دراويش ، هذا كلام عارفين ، وكلام أولى العزم ، وربنا أنزل فى كتابه هذا الكلام، ووردت به أحاديث شريفة ، إلا أن بيانها وشرحها يطول ، ولكن قالوا لنا : الاستوعاب أهم من شرح الآيات ، وربنا خلق العقول من أجل ذلك ، فتبقى مطمئنة ، وشاهدة ، وشايفة ، وموقنة ، ومتيقظة .

وعند الواحد ما تدركه الوفية ـ بعد عمر طويل ـ وهو فى نزعات الموت ما يخاف من أى شيئ سيحدث له ؛ لأن ألف فى المية ، مش مية فى المية ، قبل أهله ما يريحوه فى التربة ، ويزيحوا التراب عليه . يفهم تماماً أنه انزاح علىَّ أنا وهو ، ويلقاه ـ يعنى سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ جار منه ، أى : بجواره .

وهذه ليست بشارة عَلِمْتَها ، أو أنا أقولها لكم مجرد قول ؛ لأن البشارة بعض الساعات تكون رجماً بالغيب . يا هافت يا تافت ، يعنى : إما صابت ، وإما خابت ، لكن هذه ليست بشارة فقط ، هذه حقيقة قالها سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن بعض الساعات البُشَرَاء يبشروا الإنسان بأشياء ليست بصحيحة ، ، لكن هذه البشارة صحيحة ومصدر هذه البشارة هو سيد الوجود ، وليس أنا . لو أنا مصدرها ، سأقول أنا ، لكن سيد الوجود هو الذى قال لنا هكذا . يعنى لا نقف أمام النقطة التى قالوها العلماء بأن : " إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار"[١] ، ونقعد جاهلين الأمور ، ولا عارفين كيف روضة

---

(١) جاء قوله : "إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار" ، عقب الحديث الذى رواه الترمذى تحت رقم (٢٤٦٠) من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافى ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، قال : " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَلَّاهُ فرأى ناسا كأنهم يكتشرون ـ أى يضحكون ـ قال : " أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات : لشغلكم عما أرى ، فأكثروا من ذكر هاذم اللذات ؛ الموت !! ..." إلى آخر الحديث . قال الترمذى : "هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه " . وهذا إسناد ضعيف جداً ، عطية : هو ابن سعد العوفى القيسى ، ضعيف ، ضعفه النسائى ، وأبو زرعة ، والساجى ، وغيرهم . انظر : التهذيب "(٧/٢٠٠ ـ ٢٠٢) . وعبيد الله بن الوليد راويه عنه : ضعيف أيضاً ، بل ضعيف جداً ، ضعفه ابن معين ، وأبو زرعة

من الجنة ، ومن الذى يجعله روضة من رياض الجنة؟ هو ـ يعنى سيد الوجود ـ يبقى موجوداً ونحن ننزل ـ وهم يسبلونا ـ ونقعد جنب منه ، وهو يقعد جنب منا ، والناس ترجع إلى البلد ، وتحصر ـ يعنى يقيمون سرادق ويجلسون فيه لتلقى العزاء ـ منهم مَنْ يبكى ، ومَنْ ينوح ، ولا يدرى كيف تسير الأمور ، هو يبكى على نفسه ، وليس على الذى راح ، أى : الذى مات ؛ لأن الذى راح بيد سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وبالطبع ، فإن وجود حضرة الرسول بجوار الميت يخَّوِف الملكين ، فلا يقربون الميت ، الذى بجواره ، ولا يسيئونه ، يقول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : أقعد جنبه هكذا ، فمثلاً : مادام جنب منك رئيس الجمهورية ، ما الذى يجعل القائد الأعلى يأتي إليك ، أو يقرب حولك ، هذا أيضاً سيد الوجود ، سيد العالم ، ورئيس العالمين ، فقط : دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم[1]

يعنى لا تقل مثلما قالوا النصارى : المسيح ابن الله ، واليهود قالوا : عزير ابن الله . نحن نقول : " اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الوجود ، وهو السبب فى كل موجود " ، لأنه سبب لوجودنا ، اتوجدنا من سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " .

ولكن هل ستقعدوا ـ يا سيد الوجود ـ فى هذه المساحة الضيقة ، أى : القبر ، ولا تتحركوا ، ولا تقوموا؟ . قال : لا ، ساعمل درب ما بين القبر وما بين حجرتى فى المدينة . يبقى درب إن شاء هو يجيئنى ، وأنا سآتيه ، ساعة ندخل الجنة أنا وهو ، وساعة نطلع ندخل حجرتى فى المدينة أنا وهو ، وساعة نروح ونقعد فى قبره ، الذى هو روضة من رياض الجنة ، والميت يعتبر ابنه ؛ لأننا

، وأبو حاتم ، وغيرهم ، وقال عمرو بن على ، والنسائى : ليس بثقة ولايكتب حديثه ، وقال العقيلى : فى حديثه مناكير ، لا يتابع على كثير من حديثه . وقال ابن حبان يروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، حتى يسبق إلى القلب أنه المعتمد لها ، فاستحق الترك ، وقال الحاكم : روى عن محارب أحاديث موضوعة .. إلى آخر ما جاء بتضعيف سنده ، وموضوعية متنه .

(١) الإمام البوصيرى ، قصيدته الشهيرة : " البردة ، أو البرأة " .

نُعتَبَر أبناؤه { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } ، ما دام أولى من أنفسهم يبقى إحنا أبناؤه ، كبرنا ، أوشبنا فنحن أبناؤه ـ صلى الله عليه وسلم " .

ويطمئننا إمامنا العربى ، قائلاً : " لمَّا جاءت الآية { وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا }[١] ، قال سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم : سنمر عليها ولكن لن أجعل أحد من أحبابى يرى تعب الصراط ، ولا يرى تعب النار . سأحجبهم عنها فلا يروها ، ولكن امتثالا لأمر الله ، سوف نفوت عليها ، أى : سنمر مروراً عابراً ، ولكن لن يقع منى أحد فى الجحيم ، ولا يسقط .

وعندما يقول سيد الوجود : لن يقع أحد منى ، فماذا نقول ؟!! ، ويقوم حضرة الرسول بهذا العمل بأمر من الله ، قال له : اعمل ، فهذا لك ، والأمر مفوض لك ، فقد فوضتك فى الأمر ، وعندما يفوض ربنا سيدنا محمد فى هذا الأمر يبقى سيدنا محمد له نظام عالى .

وفى معرض قوله تعالى :{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }[٢]، يقول إمامنا العربى: غايتنا الأسمى أن لانحيد عن الصراط ، ماهو الصراط يا أحمد ؟ قال

---

(١) مريم : ٧١ . وجاء فى تفسير الوسيط لهذه الاية : للعلماء أقوال متعددة فى المراد بقوله تعالى { وإن منكم إلا واردها } فمنهم من يرى أن المراد بورودها : دخولها فجميع الناس مؤمنهم وكافرهم يدخلونها ، إلا أن النار تكون برداً وسلاماً على المؤمنين عند دخولهم إياها ، وتكون لهيباً وسعيراً على غيرهم . ومنهم من يرى أن المراد بورودها : رؤيتها والقرب منها والإشراف عليها دون دخولها . كما فى قوله تعالى { ولما ورد ماء مدين } أى أشرف عليه وقاربه . ومنهم من يرى المراد بورودها : خصوص الكافرين ، أى : اانهم وحدهم هم الذين يردون عليها ويدلونه . أما المؤمنون فلا يردون عليها ولا يدخلونها ... قال الإمام القرطبى بعد أن توسع فى ذكر هذه الأقوال :" وظاهر الورود الدخول ... إلا أنها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين ، وينجون منها سالمين . قال خالد بن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا : ألم يقل ربنا : إنا نرد النار فيقال لهم : لقد وردتموها فألفيتموها رماداً . قلت وهذا القول يجمع شتات الأقوال ، فإن من وردها وللم تؤذه بلهبها وحرها ، فقد أبعد عنها ونجى منها ،نجانا الله تعالى منها بفضله وكرمه ، وجعلنا ممن وردها فدخلها سالماً ، وخرج منها غانماً .

(٢) الفاتحة : ٦ . جاء فى تفسير ابن كثير عن هذه الآية :" ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله : والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى ـ أعنى { اهدنا الصراط المستقيم } ـ أن يكون معنيَّاً به : وَفِّقْنَا للثبات على ما ارتضيته ووَفَّقْتَ له من أنعمت عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ؛ لأن من وُفِّقَ لما وُفق له منْ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فقد وُفق للإسلام ، وتصديق الرسل ، والتمسك بالكتاب ،والعمل بما أمره الله به ، والانزجار عما زجره عنه واتباع

سيدى الحاج أحمد أبو الحسن : منكم المفاد يا أبتى ، وجوهر المراد . قال إمامنا : الصراط - هنا - هو الذى يَعْبُر بالأرواح إلى ساحة الكريم الفتاح ، الصراط الذى فيه طى المعاريج، ونور المساريج ، وهو المشار إليه بالصراط المستقيم ، الذى فيه السير إلى الله - جل وعلا - المذكور فى فاتحة الكتاب ، والسبع المثانى ، والذى مظهره مقروء فى فاتحة الكتاب ، التى تتلوها فى مصحفك الذى تقتنيه ، إنما جوهره هو أنفاس عارف مأذون له من ربه ، وتلك الأنفاس تحملك فوق رفارفها ، وتطوى معراجك ، وتغرقك فى سماء المعية ، وأشواق قلب له مملوء بتجلى ربه ، تحمل حقيقة روحك ، وتبرز بك خارج الوجود ، وتضعك فى حجر الحضرتين ، الحضرة العَلَيَّة ، والحضرة المحمدية .

هكذا نعنى بالصراط المستقيم الذى إليه نشير ، وفيه قلوب السائرين إلى الله تستنير، ولا يتحقق لك الصراط المستقيم إلا إذا باتت الروح فى خيام المعية فى حظيرة القدس ، ولايتأتى هذا إلا فوق براق أنفاس عارف على منصة الشهود شارف ، ومن صافى معين مكنون الغيب غارف"[١] .

و يبشرنا إمامنا العربى ، فى أجواء قوله تعالى : { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ }[٢] فيقول : " سيدنا النبى فيكم وفى عينيكم ، لاتقدر العين تعيش من غير مية ، يبقى هو ماء عينيكم . يبقى هو فيكم ، وكمان يرحل لكم ، ويأتى إليكم ، ولا يحده المكان فى المدينة المنورة - وأيضاً - الأرض التى لا تُسقَى بالمياه تتشقق ، لو لم تشرب

منهج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

(١) جرى هذا الحديث بين إمامنا العربى والحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنهما فى الساحة القديمة المباركة ، سمعته منقولاً عن الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) الحجرات : ٧ .

الماء تتشقق ، أهو سيدنا النبى زى كده ، لو لم يكن فينا ومعنا نصبح مثل (تلك) الأرض"[١] .

وها هو مشهد جليل آخر فى حضرة الآية { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ }[٢]- يصوره إمامنا العربى قائلاً : سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : أنا وياكم ـ معكم ـ أنتم وأحياء ، وما سَيّبتَكم ـ تركتكم ـ وأنتم ميتون ، ولن أسَيَّبَكم إلى أن أدخل بكم الجنة ، وأحضر أمام الحضرة العلية معاكم ، وأدافع عنكم إذا وجدت فيكم شوائب تستدعى الدفاع .

لأنه لازم أن أدخل معكم ، فهذه قضية كبرى ، كيف يدخلها الإنسان وحده ، وسط المستشارين والقضاة ، ويوجد فى مصر دار اسمها دار القضاء العالى ، فمثلاً دار القضاء العالى هو مبنى من طوب ، لكن كيف يدخله الإنسان وحده أمام المستشارين ، والقضاة . افرض أن الأمور استدعت أن هذه القضية تتواجد فى دار القضاء العالى . فكيف سندخل فى دار القضاء العالى بمفردنا دون محامى كبير ، يمكن القاضى يقول : اطلع بره ، وأنا أكون رجل شايب وكبير ، لكن ما دام فيه محامى ، فسوف يرد ، ويقول: لا . هذا تبعى أنا ، هذا موكلى أنا ، والمحامى الذى يدخل دار القضاء العالى فى مصر هو أصلاً فى درجة قاضى ، أومستشار ، يعنى لا يقدر محامى عادى أن يترافع أمام دار القضاء العالى .

يقول سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أنا سآخذكم وأدخل بكم الجنة ، ما أسَيّبكم فى يوم الموقف ، لمَّا تَعَرقوا ، أو تتعبوا ، أو أرجلكم تعرق ، أو الوقفة تطول فتتعبوا ، أو يصعب عليكم أنفسكم ، فتقولوا أين رسولنا ؟ الذى كان يقول لنا ، ويقول لنا ، وسمعنا فى القرآن كذا ، وكذا ، وجاء لنا فى الأحاديث عنه كذا ، وكذا ، وخَلَّفَ بعد منه آل البيت ، قالوا لنا كذا ، وكذا ، فطبعا بدل ما أخلى ـ أجعل ـ مخكم ـ تفكيركم ـ يدور، أنا آخذكم ، وأدخل بكم الجنة ، ونقف أنا

---

(١) كلام إمامنا العربى ، سمعته نقلاً عن : ربيبه وخديم ساحته ، الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) الحجرات : ٧ .

وأنتم بين أيادى الذات العلية ، وإذا كان فى أمور تستدعى الدفاع ، أنا أدافع عنكم[1].

هكذا يقول سيد الوجود ، ويقول : فى أثناء أنا أدافع عنكم فى الجنة ، دفاعى نور، والخطاب النازل عليكم ، ويسألكم ، أو أنتم تسألوه ، أو يسألنى أنا ، هذا الخطاب هو من الله نازل عليكم نور ، وتجلى ، حتى أنكم تقولوا : يا ليت كان سألنا من زمان "[2].

وتتوالى بشارات الإمام لأمة خير الأنام ، فى مشهد شريف لحضرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أمته أمام الحضرة العلية فى الجنة ـ يقول إمامنا العربى[3] : " يقول حضرة المصطفى وأنا واقف بكم . واقف معكم أمام الحضرة العلية ، تأتى ملائكة الرحمن تتباهى بكم ، وتتعجب من هذه الوقفة ، وهذه المشاهدة ، ثم تغيبوا فى حضرته فلا تشاهدون غيره ، ولاتسمعون غيره ، ولا تسمعوا كلاماً من أحد غيره ـ سبحانه وتعالى ـ ولا تجوعون ، ولاتمرضون ، ولا تسأمون ، ثم تغيبوا فى الحضرة العَلَيَّة ، فلا تسمعوا إلا منه ، ولا تخاطبوا إلا فيه ، ولا تسمعوا إلا منه ، وعنه ـ سبحانه وتعالى .

---

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" للأنبياء منابر من ذهب . قال : فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه – قائما بين يدى ربى مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى من بعدى فأقول : يارب أمتى ، فيقول الله عز وجل : يامحمد ، ما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول : يارب . عجل حسابهم . فيدعى بهم فيحاسبون ، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى ، فما أزال أشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار ، وآتى مالكا خازن النار فيقول :يا محمد ، ما تركت للنار لغضب ربك من أمتك من بقية " أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٣٥/١ ، والطبرانى فى المعجم الوسط ٢٠٨/٣ ، نقلاً عن:الإمام على بن محمد الأجهورى المالكى(ت ١٠٦٦هـ) ، شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية ، الجزء الثانى – تحقيق إبراهيم ربيع محمد - و منى شحاتة حسن – مراجعة الدكتور / على جمعة محمد – صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مركز السيرة والسنة - القاهرة : ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م ، هامش ص٣٧٢، ٣٧٣ .

(٢) كلام إمامنا العربى نقلاً عن : ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٣) سمعته من إمامنا العربى فى تسجيل صوتى قديم من حديثه مع مجموعة من زواره منهم المدعو الحاج / الطاهر إبراهيم .

يقول سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم : ثم تأتى الملائكة ، فيتعجبوا من هذا الموقف العظيم ، ويقولون : ده ـ هذا ـ سيد الوجود هو وأمته ، هو ومَنْ ماتوا على مِلَّتَه ، هو ومن كانوا يصلون عليه ، هو ومن كانوا يحبونه ، هو ومن كانوا يحبون أهل بيته ، أئذن لنا يارب أن ندخل معاهم ، ونقف معهم هذه الوقفة ، فيقول لهم الله : استئذنوا من سيد الوجود ، فيستئذنوا من سيد الوجود ـ الملائكة المقربون العظماء ، ملائكة الرحمن كلهم بأثرهم يستئذنون من سيد الوجود ، فيقول لهم سيد الوجود : تفضلوا .

ثم تأتى الخطابات والجوابات ، وحضرة المصطفى واقف ويانا ـ معنا ـ أمام الحضرة العلية فى الجنة ، ثم تأتى الخطابات والجوابات ، حاجة يسمونها "الفرمانات" ، ليست كتابات مثل الكتابات ، لا . حاجة يسمونها الفرمانات ، "فرمانات الحضرة الإلهية" ، وهى مكتوبة من زمان ـ أزلاً ـ قديمة بقدم الله مثل القرآن .

يقول سبحانه وتعالى : السلام من الحى القيوم الذى لا يموت إلى عبدى فلان الحى الذى لايموت ، وكل واحد له جواب خاص مثل ذلك . مثلاً واحد اسمه الطاهر إبراهيم ـ أحد الحاضرين ـ فيأتى الخطاب ـ الفرمان ـ من الحضرة العلية : السلام من الملك القيوم الحى المُنْعِم ، الذى لا يموت إلى عبدى / الطاهر إبراهيم المُنْعَم عليه منى ، عبدى الحى الذى لايموت .

الله هو المُنعِم ، وأنت يُعتَبَر المُنعَم عليه منه ، هو المُنعِم ، ونحن المُنعَم علينا منه هو المنعم علينا ، يعنى أفاض علينا برحمته منه . هو رب الفيوضات ، والفيوضات تفاض منه على عبيد ، عُبَّاد ، عباد الله ، هو المُنعِم ، ونحن العباد المُنعَم علينا من المُنعِم . وأُقرِب ذلك ، هو المنان المُمَن علينا منه ، ونحن الممنون علينا منه ، كالرجل عندما يجد ابنه ابن حلال ، فيريد إعطاءه كل ما يملك ، مع الفارق البعيد الكبير ، لأن ربنا لا يعطى حاجات ـ ماديات ـ فقط ، كما أنه لا يعطى "جنة النعيم" فقط ، لكن فى جنة اسمها "جنة الشهود" { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ }[١].

---

(١) القمر : ٥٤ ، ٥٥ .

ربنا لا يعطى جنة النعيم فقط ، لا . بل يعطى جنات ، فى جنة اسمها "جنة رضوان"، و"جنة الفردوس" ، و"جنة النعيم" ، و"جنة الحور" ، و"جنة طوبى" ، و"الجنة العالية" ، وفى جنة اسمها "جنة الشهود" .

لذلك حضرة الرسول يوصينا ويقول لنا : صلوا علىَّ ، حتى لا نتخلف عنه ، ربما يكون هو فى هذه الجنة ـ يعنى جنة الشهود ، ونحن فى الجنة الثانية . الجنان كلها حسنة ، لكن جنة الشهود هذه هى جنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة . خاصة بالمصطفى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فيقول لنا : صلوا علىَّ لأجل لا تتخلفوا منى ؛ لأن جنة الشهود هذه أعظم الجنات ، اللهم : اوعدنا بها يارب فى رحاب حبيبك ومصطفاك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" .

وعن مودة أهل البيت ، وفائدتها ـ يتحدث إمامنا في أجواء قوله تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }(١)، قائلاً : " امعن النظر مَليَّاً ، واحطط رحالك عند "في" . في ماذا يا هذا ؟ { في رسول الله } ، " في " ، تغوص بك فيمن ؟ وتسافر بك إلى منْ؟ وتلقى بك في محيط منْ ؟ أما استوقفتك هذه ال " في " ؟ . فاؤها : فناء يفنيك ، و ياؤها : يُرَقِيك ، فاؤها : تقيمك وِدَّاً ، وحباً ، وشوقاً بالكلية في مقام الفناء ، في محبة العترة الندية ، وياؤها : تُرَقِيك بمحبتك تلك ، وتبحر بك قلباً وقالباً ، وأنت من ركبان السفينة ، وسفينتك يا أُخَيِّ المتبحرة بك ، هم أبناء الدوحة الزكية ، سلالة خير نبى ، من منطلق قول حضرته ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " أهل بيتى كسفينة نوح من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها غرق " .

هل أدركت إلى أين سافرت بك " في " البيتية ؟ سافرت بك حضرة " في " البيتية، بأن أبحرت بك روحاً ، وسوحاً على سفينتها النورانية ، وألقت بك في قلب أعماق الحضرة المحمدية ، حضرة " في " البيتية التقطتك ، وقذفت بك فَتَلَقَاكَ منها حضرة المحيط ، محيط الحضرة المحمدية ، أي حضرة " في "

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

السفينة أبحرت بك سافرت بك حباً ، وعناية ، وألقت بك في حضرة { رَسُولِ اللَّهِ } ، أي في محيط سيد الوجود ، خير البرايا ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ هكذا يا بُنَى .

حتى تجد " في " عند السادة النُحَاة : حرف جر ، وأنت أيها المحب لأهل بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ في موقع المجرور ، وأهل البيت هم في موقع الجار لك ، الجاذب لك ، الخاطف لك بوميض بروق شمائل جدهم ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بروق شمائل الحضرة المحمدية ، السارية لآلئ أنوارها فيهم ، والمجرور إليه محيط الحضرة المحمدية ، عرش ذاته ـ جلَّ وعلا .

وخذها قاعدة وانطلق منها ، واعلم أن حب أبناء العترة الندية ، والتملق لهم هو جمع جوامع القنوت في محاريب العبودية السامية ، هكذا يا أُخَياتى ، ألا وهم قوت الأرواح السعدية ، الإيجابية ، وقوت الكائنات الملائكية " . فارزقنا اللهم محبتهم بجاه حبيبك سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم"[1] .

وعن جوهر أهل البيت ، وفى حضرة قوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }[2] ـ يوضح إمامنا العربى : "{ زكَّاهَا} أى : طهور لم تعلق بالنجاسة ، ولا النجاسة تعلق بها . أما { دَسَّاهَا } أى : دفنها فى تخوم أرض الشهوات.

وخذها قاعدة : الشريف بضعة من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ جوهره نقى من عنصر النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وفى

---

(١) حديث إمامنا العربى دار بينه وبين ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم فى غضون السبعينات من القرن العشرين ، وتم نقله عن الأخير ، وفى الحديث الصحيح : أخبرنى عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، حدثنا شعبة عن واقد بن محمد قال : سمعت أبى يحدث عن ابن عمر ، عن أبى بكر رضى الله عنه قال : " ارقبوا محمداً فى أهل بيته " فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، رقم الحديث (٣٤٣٦) ، والمراقبة للشيئ المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم

(٢) الشمس : ٩ ، ١٠ .

الحديث الشريف ما معناه : " الناس معادن كالذهب والفضة"[١] ، ومثل الشريف فيكم كالذهب الإبريز الخالص ، فلو دفن الذهب فى تخوم بطون الأرض ، ومكث فيها حيناً من الدهر، وخالطته شوائب الأرض ، ثم استخرجته لن يتغير البتة ، هو هو ، تجده ذهبا حتى لو اختلط بشوائب الأرض ، أو ما اختلط به من الشوائب ، وجوهره كما هو ، الذهب بعينه، ولم تنصرف عنه ذهبيته ، وما علق بها من غبار شوائب ، أو من غبار الأغيار من جنس تخوم الأرض ، ينفضه عنه الذى استخرجه ، فتسطع وتبين لمعته ، ويعود إليه بريق الذهب ، ويبين عراقة نفاسته .

كذلك ، الشريف إذا شاء القدير ، وخالط العصاة ، ودفن فى تخوم أرض الشهوات، فعالم تركيب الشريف منطوى على جوهر نقى من عنصر النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهو بضعة من رسول الله ، فالشريف بما يسرى فيه من عنصر النبى، ينفض عنه ما علق به من غبار بظاهر هيكل مبناه ـ فيما يُرى ـ وتيار التطهير يحكم { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[٢]، فتيار التطهير سارى من اصطفاء الحق البارى ، ويأخد استمراريته .

كالدر يزداد حسناً وهو منتظم * وليس ينقص قدراً غير منتظم[٣]

وقال تعالى { لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ } ولم يقل منكم ، لو قال منكم لكان الرجس فيهم ، ولكن عنكم أى : عمن لزم مودتكم ، وتعلق بكم ، وتطوف حولكم ، أَذهَبَ

---

(١) حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف نها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " ، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة أى: إنهم يتفاوتون فيما بينهم من حيث أنهم أصول للأخلاق والأعمال ، والأوصاف الطيبة ، والرديئة ، كما أن المعادن كذلك تتفاوت جودة ورداءة فقد يكون ذهباً خالصاً ، وقد يكون ذهباً مشوباً ، وكذلك الفضة فهى وإن كانت دون الذهب إلا أنها من أنفس المعادن أيضاً ، وهى متفاوتة فى نفسها .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) الإمام البوصيرى ، قصيدته المشهورة : "البردة أو البرأة " .

الحق ـ جل وعلا ـ عنه الرجس ، وتَطَهَّرَ من تطايير رشاش أمواج محيط طُهْرِكُم يا عترة الطاهر[١].

وفى أجواء الحديث الشريف: " أوتيت جوامع الكلم "[٢] ـ يقول إمامنا العربى :" عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ، وكلمة الله ألقاها إلى مريم ، فالمسيح كلمة من الله تعالى ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ هو كلمات الله التامات ، لقوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " أوتيت جوامع الكلم " والمسيح عيسى كلمة من الله ، وخاتم المرسلين كل كلام الله ، أو كلمات الله التامات"[٣] .

وبعد أن سبح بنا فى محيط الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، تراه يعرج بنا إلى كلمات أهل الله ، وبواطن مقاصدهم ، وعلى سبيل المثال : يقول إمامنا فى شرح أبيات من المدائح الجعفرية[٤] جاء فيها :

علموا السعادة فى القدوم عليكموا ... فأتاكموا يستمطر الإمناحا
إنى أتيت لحيكم متضرعا * أرجو الرضا والعفو ثم سماحا
وهجرت أوطانى وكل عشيرتى * وأرى هيامى فيكموا إصلاحا
والعازلون تفننوا فى لومهم * جهلاً بوجد مالى منه براحا

---

(١) من كلام سيدنا الإمام العربى قدس الله سره عام ١٩٧٣ ـ إجابة عن سؤال من ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٢) من أبرز دلائل نبوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أوتى جوامع الكلم ، وهذه خاصية لم يعطها أحد قبله ولا بعده ، وجوامع الكلم تعنى أن الله جمع له المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة ، فتجد أن الجملة النبوية تتكون من عدد محدود جداً من الكلمات ، ومع ذلك فهى تحتوى على كم هائل من الأحكام والمواعظ والعبر والتوجيهات ، وفى الحديث الشريف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصارا .." وفى حديث آخر ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت فى يدى " فقال أبو هريرة : فقد ذهب رسول الله صل الله عليه وسلم ، وأنتم تَنْتَثِلُونَهَا "؛ رواه الشيخان واللفظ لمسلم فى كتاب الفضائل ، ومعنى الانتثال أى : الاستخراج .

(٣) كلام إمامنا العربى ، نقلاً عن : ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم .

(٤) حديث ومديح إمامنا العربى ، سجل له فى منزل أحد أحبابه بالقاهرة ، والقصيدة من المدائح الجعفريية ، لمولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى ،انظر: منتدى موقع د. محمود صبيح ، الشبكة الدولية للمعلومات " الأنترنت " ، الناشر دار جوامع الكلمة بالدراسة .

وأنهم لو ذاقوا طعماً للهوى * خلعوا العذار وولولوا نواحا

يقول إمامنا العربى : و"هجرت أوطانى" ، يعنى : نفسى ، هجرت مواطن النفس الخبيثة ، وهناك مواطن اسمها مواطن الإحسان ، ومواطن الغفران ، ومواطن العطاء ، ومواطن الرضاء ، ومواطن الرضوان ، ورضوان من الله أكبر ، وفيه مواطن اسمها مواطن الصبر(١) .

ويوجد لهذه المواطن ضد ، ما هو ضدها ؟ . ضدها مواطن النفس الرديئة ، الأمارة بالسوء ، وهنا يقول " هجرت " تلك المواطن ، والحديث يقول : " إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ، ورسوله فهجرته لله ، ورسوله " إلى آخر الحديث ، فهنا الهجرة تعنى : هجر كل ما نهى الله عنه . أى : هجرت أوطانى التى كنت فيها مستوحشاً ، عايش فى الغابات ، مثل جنوب السودان ، أو بمعنى : هجرت المواطن التى هى مواطن غير أخلاقية ، وليست مواطن أخلاقية . وكذلك قوله : هجرت "عشيرتى " ، أى : النفس اللئيمة ، التى هى بين جنبى الإنسان . أليست بين جنبك؟ .

وليس من الضرورى أن قوله : " وهجرت أوطانى " ، يعنى هجرت الأهل والعشيرة والناس ، ونبقى من غير أهل ، أو ناس ، ونغضب منا الأهل ، والآباء ، وبذلك تفهمون مديح الصالحين ، ولا أكون أعلمكم .

يضيف إمامنا : أنا وقفت هنا من أجل أن نعرف المعنى الذى نهاجر منه ، لأن كل شيئ له معنى ، فلا نمدح بدون معنى ، فليس من الضرورى أن يهاجر

---

(١) جاء فى الحديث عن مواطن الخير وتدرجها فى الناس بداية من الإيمان ، ومروراً بالعطاء ، وألأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونهاية كف الأذى عن الناس ، أن سيدنا أبا ذر الغفارى رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله من ينجى العبد من النار ؟ قال : إيمان بالله ، قال : يا رسول الله ، مع الإيمان عمل ؟ قال : أن يعطى مما رزقه الله ، فقلت : يا رسول الله أرأيت إن كان فقيراً ، لايجد ما يعطى ؟ قال : يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، قال : يا رسول الله أرأيتإن كان عيياً ، لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فليصنع لأخرق ، قال : قلت يا رسول الله أرأيت إن كان أخرقاً لا يحسن أن يصنع ؟ قال صلى الله عليه وسلم : يعين مغلوباً ، قال : قلت : يا رسول الله أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مغلوباً ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أما تريد أن تدع لصاحبك من خير ؟ ليس له أى ميزة؟ قال:ك فليمسك أذاه عن الناس قال : قلت يا نبى الله أرأيت إن فعل هذا ليدخل الجنة ؟ أخرجه ابن أبى شيبة عن أبى ذر الغفارى رض الله عنه وأرضاه .

الإنسان فى البلاد ، بل يمكن أن يهاجر وهو قاعد محله . يسترسل القلب مع الله ، وهو فى وقت عمله ، يسترسل القلب مع الله ، وأجنحته تطير بلا ريش إلى ملكوت رب العالمين ، والأجنحة التى هى تطير أجنحة الروح ، والأعمال الطيبة ، ومواطن الإحسان : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، أى : إن لم تكن مهيأ لكونك تراه ، فيهيئك لكى تشاهده وتراه .

وينتقل إمامنا إلى شرح بيت آخر من القصيد :

والعازلون تفننوا فى لومهم * جهلاً بوجد مالى منه براحا

يقول إمامنا : أى : العُزَّال قعدوا ينتقدوا ، وفى الانتقاد إمعان ، وتفنن فى النقد ، والوجد لا يستطيع أحد تركه ، ثم ينتقل إلى البيت الذى يليه :

وأنهم لو ذاقوا طعماً للهوى * خلعوا العذار وولولوا نواحا

يقول إمامنا : لكنهم لو ذاقوا طعماً للهوى خلعوا العذار ، كقول القائل :

ثياب الهجر لما لبستها * سبلت علىَّ من كل جانب وشاحا

وليس معنى ذلك أنهم يخلعون ثيابهم عريانين ، ولكنهم يخلعوا ثوب مثل ثوب الثعبان الذى يغيره لما ينسلخ عن جلده ، والوصف بالثعبان هنا لأنه ملئ بالسموم :

يا طالب النصح من أعدائك مت كمدا * كطالب الشهد من أنياب ثعبان

فهنا الثعبان انسلخ من ثوبه ، يعنى هو بيقول لنا : انسلخوا من الثياب التى فيها دنس ، وليس معنى ذلك أن فينا دنس ، لكنه يعنى : حودوا من الطريق الذى فيه الدنس إلى الطريق المعتدل الخالى من الدنس : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }(١) من النبيين ، والصديقين ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وعن نظم السيدة رابعة العدوية ـ رضى الله عنها ـ :

أحبك حبين حب الهوى * وحب لأنك أهل لذاك

فأما الذى هو حب الهوى * فشغلى بك عمن سواك

وأما الذى أنت أهل له * فكشفك لى للحجب حتى أراك

---

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧ .

فما الحمد لى فى هذا وذا ، بل لك الحمد فى هذا وذاك

يقول إمامنا العربى : أن قول السيدة رابعة : " فشُغْلى بك عمن سواك " ، يعنى : شغل شُغِلت به عمن سواك ، أى : شغل اشتغلت به ، ولم تقل " ذكر ذكرت به " ، أو " ذكر شُغِلتَ به " عمن سواك .

وهذا القول عَرَّضَت فيه السيدة رابعة العدوية للمعنيين : الأخذ بالأسباب ، والأحوال عرضت بالاتقان فى العمل للعاملين ، وعرضت بالاتقان فى الحال للمحبين، فأراحت العاملين أرباب الأسباب ، والمحبين أرباب الأحوال ، وحضرة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول : " اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء "(1)، الذين أخذوا بالأسباب ، والآية تقول { وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا * فَأَتۡبَعَ سَبَبًا }(2)، فالأخذ بالأسباب واجب ، وتركها فسق ، والاعتماد عليها شرك.

فالسيدة رابعة العدوية أحبت أن ترضى الطرفين ـ بتجلى من الله عليها ـ أن تقول بهذا التفصيل ، فنطقت به .

وفصلت حب الهوى ، لأن الهوى مقسم إلى كثير : غواية ، وهواية ، والنفس ، والهوى ، وإلى صواب ، وإلى عدم صواب ، واتبع هواه ، فأحبت تفصيل الهويين .

تركت لأهل الأسباب أسبابهم ، فهم يتمكنون فى الدين مع الله من داخل الأخذ بالأسباب ، فهى وإن كانت مشغولة ، وما لها من فواق من الحضرة العلية

---

(1) حديث " اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء " متفق عليه من رواية ابن عباس ، قال : وراه البخارى أيضاً من رواية عمران بن الحصين ، وقيل فى تفسيره : قد يحبس لفقر صاحبه عن كثير من الأمور لأنه لايستطيعها ، فينشغل بالبحث عن لقمة العيش ، أى الأخذ بالأسباب .

(2) الكهف : ٨٣ ، ٨٤ ، وفى تفسير ابن كثير ،{ وآتيناه من كل شيئ سببا } أى : يسر الله له الأسباب ، أى : الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم ، و...، وكسر الأعداء ،وكبت ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك . قد اوتى من كل شيئ مما يحتاج إليه مثله سببا .

من ناحية ، فإنها من ناحية أخرى متمسكة بالسبب ، وما الحمد لى فى هذا ، وذاك ، بل الحمد لك فى ذا وذاك .

هذه سيدة من السيدات ، قالت جملة عظيمة ، هذه السيدة هي التي غلبت أمير المؤمنين فى الحديث ، سيدنا سفيان الثورى[1] ، لأنه كان أميراً للمؤمنين فى الحديث فى العراق ، والبصرة ، وعلى مستوى العالم الإسلامى - فى ذلك الوقت - غلبته ، أى : تكلمت معه فى الحديث إلى أن درج هو على نهجها ، لأنه سبق أن سألها فى عدة مسائل فى الحديث ، وبعد أن أجابته عليها كلها ، سألته هى سؤال واحد : لمَّ سُميت ثوراً يا أمير المؤمنين ؟ وذكرت له بيت شعرا :

زر دار ود إن أردت ورودا * واردت وزر دارا رأت داودا

فلمَّا وجدها جمعت أحرف كلمات هذا البيت ، وليس فيها حرف متصل مع غيره ، قال لها : أسمانى ثورا ؛ لأنى دخلت المسجد فى يوم من الأيام لصلاة الفجر ، فدخلت برجلى الشمال ، فنوديت فى خاطرى من الداخل : " ها أنت ثوراً " ، نوديت فى سرى من كمين التوفيق ، وكمين التوفيق - عندهم - هو الإلهام الربانى من الحضرة العلية ، وهذا النداء ليس مذمة ، بل يحبونه ، لأنه كما يقولون : كلِمنى ولو تشتمنى ، لذا ، هو قام ، وقلع الجبة ، والطربوش ، واتحزم ورقص ، لمَّا ذكرَّته بهذه المناجاة ، التى فتح الباب ، بقوله له : " ها أنت ثورا " ، يبقى المناجاة مستمرة ، لأنه خائف ، ويقول ما مصدر هذا الكلام " ها أنت

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثورى - رحمة الله عليه - من قبيلة ثور ، وهى قبيلة من مضر ، المولود سنة سبع وتسعين للهجرة درس على أبيه سعيد بن مسروق الذى كان ثقة عند المحدثين ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، كما كان لأمه أثر حسن في توجيهه ، قالت له : " يا بنى ! اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى " تعمل بالغزل وتقدم لولدها نفقة الكتب والتعلم . كان سفيان الثورى حافظاً عجيباً في حفظه ، وقال عن نفسه :" ما استودعت قلبى شيئاً قط فخاننى " ، ويرجع البعض تسميته سفيان الثورى نسبة إلى قبيلته ثور ، إلا أن إمامنا العربى تحدث عن صحة النسبة في عالم الحقائق ، ومناجاة الحق له : أأنت ثور ؟ على النحو الوارد في المتن .

ثورا " ؟ ، والله يقول : { وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ }[1] ، ويبقى محتاجا لمراضاة ، بمناجاة أخرى ، وهكذا دائما "[2] .

ويكتفى بهذا القدر من أحاديث الأفواه ، المنقول سماعاً عن إمامنا العربى ، ولو شئت الإطناب ما وسعت صفحات هذا المؤلف ، أو مثيله ، ورأيتنى الآن اتطلع إلى أحاديث الأوراق ، التى سطرتها الأقلام فى كتيب قديم من أمالى الختم بعنوان " تبرك ودعاء "، لتكون مسك الختام فى علوم خاتم الأولياء ، وهو ما أعرض له من خلال المبحث التالى

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

(٢) حديث إمامنا العربى فى شرح نظم السيدة رابعة العدوية ، سمعته من تسجيل لحضرته مع بعض أحبابه ـ وعلى الأرجح ـ بمنزل الدكتور فاروق القاضى بمصر الجديدة بالقاهرة .

المبحث الثانى

تبرك ودعاء لختم الأولياء

أملى إمامنا العربى ـ فى بداياته ـ كتيب نادر ، تم طباعته فى حينه ، ووفقنى الله فى العثور عليه ، واقتناء نسخة منه ، وهو بعنوان " تبرك ودعاء "[(١)].

وقد خلت صفحات هذا الكتيب من فواصل ، أو فقرات ، أو علامات ترقيم ، فجهدت طويلاً فى ترقيم بعضها ، وتجزئتها إلى جمل ، وفقرات ؛ استرواحاً للعقول ، وتقريباً للفهوم ، لكن هيهات هيهات ، وأنَّى للمرء بلوغ الغايات ، فها هو وابل المعرفة منهمر بلا انقطاع ، والفصل بين سلساله قد يذهب الانتفاع ، وتنميق الكلمات إلى جمل ، وفقرات ، قد يودى بالمقاصد ، وتذهب نفسك معه حسرات ، فهلمّوا عليه بقلوبكم ، واغتنموا منه ببصائركم ، بقصد التبرك والدعاء ، لا بقصد الرفعة ، أوالاعتلاء .

وبالطبع ، فإن ما ورد بهذا الكتيب من علوم ومعارف لهو أَجَلَّ من أن يتناولها مثلى ؛ فهى لآلئ مكنونة فى صدفاتها ، فآثرت السلامة ، وكففت أيدى عن أية تعليقات، أوتنقيحات ، عصمة لنفسى أن تقع فى الجريرة ، وفى المأثور : " فى الجريرة تشترك العشيرة " ، فقدمته إليك – عزيزى القارئ – غَضَّاً طرياً نسخاً عن الأصل ، و "رُبَّ مُبَلَّغ أَوْعَى من سَامِعٍ"[(٢)].

وهاَوم الفيض الربانى مترادف ، والمعرفة الإلهية متجسدة ، فى قول إمام العلماء، وختم الأولياء ، يقول إمامنا العربى :

---

(١) محمد العربى ، كتيب " تبرك ودعاء " ، وقد تحصل الباحث على نسخة مطبوعة طباعة بدائية بمكتبة صغيرة بكوم أمبو ، باسم مكتبة يوسف جعلوص ، وقد تم غلق هذه المكتبة منذ زمن طويل ، وهذه النسخة هى التى اعتمد عليها الباحث فى النسخ فى هذا المبحث ، وقد سبق أن نقلتها كاملة فى مؤلفنا " السواد الأعظم " ، ولكنى فضلت أن أكرر نقلها هنا للمناسبة ، وزيادة الفائدة .

(٢) يروى عن الترمذى : حدثنا محمود بن غيلان ، ثنا أبو داود ، أنبأنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت عبيد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع ، فرب مبلغ أوعى من سامع " قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

" أما بعد من مكبوتات قلب العبد الفقير عندما فتح الله القلب تنفس ، فنطق اللسان، فترجم ببعض القطرات القلبية ، فسبحان واهب العطايا والمنن ، وذلك رحمة بهم من الهلاك .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ }[1] رحيم بشرف جلال وجه الله الكريم وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب فى الموضع الحقيقي بيد القدرة الإلهية الواحدة الأحدية فى قلب حضرة الذات المحمدية { نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ } تنزيل من لدن عزيز حكيم على أصل الأصول ومصدر الكائنات وجابر كل قلب مكسور { حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[2].

مولانا الحبيب المحبوب الكوكب الدرى صراط الحق المستقيم وهو الهادى بإذن ربه وسراجاً منيرا فهو سراج الحق المنير وسر أسرار الغيوب سيدنا ومولانا سيد العالمين حبيبنا الأعظم والواسطة الكبرى والوسيلة العظمى ومصدر الحقائق من بدء الزمان إلى الغاية فى مقعد صدق عند مليك مقتدر شيخ الأنبياء وأستاذ المرسلين ومربى المؤمنين والموحدين بمواهب الاجتباء من رب العالمين ونور الهداية ومطهرهم بآيات الله الكريم ومزكيهم ومعلمهم الكتاب والحكمة كما قال . طلب ذلك أبيه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام تفضلاً من خيرته الصمدانية المقدسة القدسية مصدر جميع الحقائق الإلهية بجميع المحامد المحمودية الربانية خلق وخليق وخلق إنسانية بدقة الإخلاص الخصوصية بجميع القيم الخلقية الإيمانية الحنيفية بنور اليقين بضياء شمس الذات الأصلية خلق محمدية إلهية صلى الله عليه وسلم فهو مصدر الخير كله فى جميع الأولين والآخرين وهو مصدر الأنبياء والمرسلين وعقدهم الأعظم المأخوذ له العهد عليهم أجمعين وممد جميع المؤمنين الموحدين العارفين بالله حق من أهل السموات وأهل الأرض تبياناً لكل شيئ وتفصيلاً لكل شيئ القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فصلت : ٣٢ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

كيف لا وقد جعله الحق سبحانه وتعالى بين يدى قدرته وتجلى عليه بكمال التجليات الربانية فهذه أخلاق الله سبحانه وتعالى جل شأنه التى حلاه بها فلما جلاه بها . قال {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[1] .

خُلُقه ونطقه القرآن الحكيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . نبينا المحبوب صاحب الجاه العظيم من أرسله ربه رحمة للعالمين { حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }[2] فى الدنيا وفى الآخرة ، من عالم النور وإلى عالم العقل ، وعالم الأرواح فى ساحة الفتاح ، وعلى ظهور التجليات الإلهية القدسية جاذباً محل مجذوب بأنوار الاجتباء وهادياً لكل منيب ، قانتاً لله بأنوار الشرايع السماوية من لدن آدم إلى يوم الدين ، فهو حقيقة كل شيئ ، فمن الأول تحققت جميع الحقائق من حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو سيد العالمين ، ما من ملك ولانبى ولارسول ولا ولى من أهل السموات وأهل الاراضين إلا هو صلى الله عليه وسلم حريص عليهم رؤوف بهم رحيم لهم حريص أمين صادق الوعد حريص حفيظ سيد وحصور وشجاع ومهيمن فى جميع العالمين على العالمين للعالمين من عالم الغيب والشهادة بجميع المواهب والمنن والعطايا التى وهبها الحق سبحانه وتعالى لجميع إخوانه الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين، مهيمن لهم بها وحريص عليها لهم ، وما من مطلب يطلبونه من حضرته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وفى الآخرة إلا وهو ضامنه لهم أمين عليه قيوم بواجباته التى اختصه بها سبحانه وتعالى الحق جعلها من خصائصه حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

جهلكم وعنادكم والمكابرة يا أهل الأرض يعز على الحبيب الأعظم حيث أنه رجل منكم ومن أنفسكم رسول الله رحمة للعالمين وداعياً إلى سبيل الحق بالحكمة لجميع المواعظ الحقيقية المتقنة بدقائق الإتقان وربائب الإخلاص الموهوبة من الحضرة العلية إلى الحضرة الآدمية الإنسانية الجوهرية المصطفوية المحمدية المهيمن بدين الحق جميع العالمين معصوم بسلطان الحضرة الربانية عصمة إلهية أحدية ذاتية يتيم فى مقامه صلى الله عليه وسلم لايشاركه ملك مقرب ولا نبى ولارسول ولاتجرأ ثمة أحد هذا المقام السامى الأسمى لم يكن لأحد غيره

---

(١) القلم : ٤ .

(٢) التوبة :١٢٨ .

صلى الله عليه وسلم . وجميع الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين - من بدء الخليقة العالمية إلى منتهاها فى الحظيرة الربانية بتمام المنتهى فى حكم قضاء الحق الحكم العدل سبحانه وتعالى جل شأنه – عليهم الصلاة والسلام يعلمون بنور اليقين وعارفين بالله تمام المعرفة أن مولانا وسيدنا محمد بن عبد الله مصدر لكل حقيقة فى هذا الوجود ومصدر لكل آية وحكمة وأنه عليه أفضل الصلاة والسلام مصدر لكل نعمة فى بواطن الآيات والحكم باطنية وظاهرية إذ وصفه ربه { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ }(1) صلى الله عليه وسلم .

وأنه أكرم الخلق على الله تعالى صلى الله عليه وسلم ، فلا ينظرون عليهم الصلاة والسلام إلى مقام حضرته صلى الله عليه وسلم حياءً منه وتوقيراً وتعظيماً له ولايطلبون من الله مقاماً كمقام حضرته صلى الله عليه وسلم بل ينظرون إلى حضرته بشوق واهتمام وحب من أعماق قلوبهم إذ أنهم صلوات الله عليهم متأدبين مع حضرته صلى الله عليه وسلم بخلاصة إخلاص الأدب الربانى النزيه المنزه المخلص لأنهم فى عباد الله المخلِصين المخلَصين بعناية عين الله سبحانه وتعالى عليهم الصلاة والسلام يعرفونه حق المعرفة ويقربون إليه بحقيقة القرب والدنو الأعلى ويؤمنون به صلى الله عليه وسلم بحقيقة الإيمان ومتمسكين بسنته وشريعته فى جميع الأمم وقد أُرسِلوا فيها بإذن الله تعالى منذرين ومبشرين بحضرته صلى الله عليه وسلم فى جميع الأمم عليهم الصلاة والسلام فكل نبى مرسل فى كل من الأمم فى جميع القرون عليهم الصلاة والسلام يُعلِمُون جميع الأقوام والأمم بحضرته صلى الله عليهم وسلم وشريعته وسنته أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله كل نبى ورسول يخبر أمته بذلك عليه وعليهم الصلاة والسلام .

ويُعلِمُون أقوامهم بالتعريف الكامل لحضرته أنه سيد العالمين والأولين والآخرين محمد بن عبد الله نبى آخر الزمان رسول الله رب العالمين سيظهره الله فى الزمن المناسب لحضرته صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى جل شأنه تبارك سبحانه وتعالى ... يعلمون جميع الأمم وينادون بإذن الله مهللين ومكبرين باسم حضرته بالتوحيد الجامع إلى الحضرة العلية أنه لاإله إلا الله محمد رسول الله منْ أرسله ربه رحمة للعالمين { حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }(2) .

---

(1) الأنبياء : ١٠٧ .

(2) التوبة : ١٢٨ .

فهو صراط الحق المستقيم ، وهو السراج المنير المهيمن بدين الحق فى أسرار الوجود ، والكوكب الدرى المضيئ بنور الله فى جميع الكائنات ، ومصدر جميع الأفلاك ، ومضيئ لجميع العوالم ، وسراجاً منيرا من الحضرة العلية الربانية الإلهية الأحدية عليه أفضل الصلاة والسلام، نبى الرحمة .

فهو الكوكب الدرى المضيئ لعالم العقول ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم الأرواح ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم القلوب ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم الأنوار ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم الأسرار ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم البصائر ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الإلهامات ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم الإدراكات ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لعالم الأشواق ومدير لأفلاكها صلى الله عليه وسلم .

وهو الكوكب الدرى والسراج المنير بدين الحق القويم مهيمن بأصل الأصول ومنبع الحقائق من حضرته صلى الله عليه وسلم ، وهو الكوكب الدرى المهيمن فى العالمين بضوء شمس الذات الأصلية الأحدية ، ومضيئ لعالم الحب ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لجميع عوالم المبانى الحقيقية ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لجميع عوالم الحس ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لجميع خوارق العادات الإلهية ومدير لأفلاكها ومشاهد الكل تحقيقها، الكوكب الدرى المضيئ لعوالم المواهب والعطايا الربانية ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لجنود السماء والأرض ومدير لأفلاكهم .

وهو الكوكب الدرى المضيئ لعلم الله المكنون ومدير لأفلاكه ، ومضيئ لأهل الجذب المنعرج ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم الجنة ونعيمها المقيم ومدير لأفلاكها ، ومضيئ لأسرار العالمين ومدير لأفلاكها ، وهو الكوكب الدرى والسراج المنير لدين الحق المضيئ لأسرار دقة دقائق تلاويح تلويح القرآن الكريم ومدير لأفلاكه ، ومضيئ لأهل الاستغراق فى حضرة الخلاق ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم الفكر من أفق إلى أفق ومن حياز إلى حياز ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم الذكر الحكيم ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم السير ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم السلك ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم التحقيق ومدير لأفلاكهم ، ومضيئ لعالم القرب ومدير لأفلاكهم صلى الله عليه وسلم ، ومضيئ لأسرار عالم الملكوت الشامل بدقة جميع الأسرار ومدير لأفلاكه ، ومضيئ لأسرار العالم الأسمى السامى ومدير لأفلاكه .

وهو الكوكب الدرى والسراج المنير وصراط الحق المستقيم { بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ } صلى الله عليه وسلم ، رؤوف مستمد الرأفة من إمدادات ومدد الرآفة الإلهية، فتمحى وتمحص جميع اللمم والذنوب والرجس الذى فعلوه مع الرؤوف بالمؤمنين فى الحكم المحكوم به عليهم فى المكابرة والعناد والجهل والجحد والكفر فى الجاهلية ، فرؤوف بهم إذا تابوا وآمنوا بحقيقة الإيمان . إن لكل شيئ حقيقة وأعظم نعمة فى الدنيا والآخرة هى حقيقة الإيمان بنور اليقين ولذة الشهود والمشاهدة للحق والمقام الأسمى، فهى أقصى الغايات والغاية القصوى وأعلى الدرجات ومنتهى الآمال ، رحيم لهم يتقلبون فى رحمة رسول الله كما يتقلب التجلى الإلهى بجمال الوصول فى قلوب المحبين ، حريص عليكم صلى الله عليه وسلم لاجئ إلى ربه فى مقام العبودية الحقيقية راجياً لكم من رب العالمين تكرماً من حضرته بمحض الفضل والهداية بمحبة الحبيب المحبوب صراط الحق المستقيم صلى الله عليه وسلم ، حريص عليكم صلى الله عليه وسلم { إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ }(١) صلى الله عليه وسلم راجياً من ربه سبحانه وتعالى ولاجئاً إلى الحق جل شأنه مراقباً متراقباً جائراً حفيظاً وحافظاً وحريصاً على هداية الذين أراد الله سبحانه وتعالى لهم بالإيمان الحقيقى من الأزل فى علمه المكنون بالتخصيص الذى هو فى إرادته وقدرته جل شأنه سبحانه وتعالى سائلاً لحضرة ربه بكل الكمال والجلال الذاتى صلى الله عليه وسلم أن يتوب الله عليهم من قريب فيتوب رسول الله عليهم فتقبل ، وتتجلى لهم ويتجلى لهم ربهم فيتوبوا، وتقبل توبتهم فيشربوا من بحر جوده سبحانه وتعالى يغذيهم بجميع نعمه جل شأنه الظاهرية والباطنية ، ويسقيهم ماء غدقا فيستقيموا على طريق الحق جل وعلا ، ويتبعوا النور الجاذب لهم الذى قد جذبهم من الأزل وهم قد جُذِبوا بضيائه إلى حضرته بتمام المعرفة بالله من العدم .

فهو صراط الحق المستقيم والكوكب الدرى العظيم الذى علاه نور من لدن آدم إلى عبد الله ، وسراج دين الحق المضيئ المنير فى جميع أسرار العالمين فى كل الوجود صلى الله عليه وسلم ، حريص عليكم مهيمن لكم على جميع المواهب والمنن والعطايا الكاملة الربانية صلى الله عليه وسلم ، حريص عليكم ظاعناً بجميع المؤمنين الموحدين المتمسكين بنهج حضرته ، وعلى نهجه سائرين

---

(١) الأنبياء : ١٠١ .

سابحين فى ضياء كوكب ذاته الدرى عليه الصلاة والسلام ظاعناً على موجة الأسرار فى مركب الأشواق الإلهية الربانية ، قيوم لهم فى ساحة الفتاح وحظيرة القدس ، فاتح جميع الأبواب الإحسانية المغلقة وزاج به فى أصل الأصول ، وهم فى ركابه على طور التجليات فى مركب الأشواق الحقيقية فى مشاهدة الحق فى المقام الأسمى الذى هو أرقى أرقى الدرجات وأعلاها ، والدنو الأعلى الأجل ، والغاية الكبرى بحقيقة عين وصل الوصل ، وحقيقة عين قرب القرب الذى ليس بعده قرب بشدة الأشواق الإلهية الربانية المحمدية المصطفوية صلى الله عليه وسلم ، { لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى }[١] فى علم الله المكنون صلى الله عليه وسلم . فهو أمين على علم النبوات بأسرارها ودقائقها من عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم بحبيبه ومحبوبه صلى الله عليه وسلم{ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ}[٢]، رأفته جذبت خيرة أشجع الأقوام والأمم والجيوش الحق العالمتية المصطفوية الإلهية الربانية لله الواحد القهار صلى الله عليه وسلم ، وأشجع الرجال صلى الله عليه وسلم { بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ } رأفته جذبت أشجع الرجال ، وجذبت كل سيف بتار سيداً فى قومه عزيزاً مهاباً موقراً بكل الآداب ، ينصر قومه فى كل كرب أوضيق ، تحزن عليه جميع الناس إذا فقدوه أو سقط أو غاب ، "خِيَارُكُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِى الإِسْلاَمِ"[٣] صلى الله عليه وسلم ، ورحمته فككت قيود المقيدين المأسورين فى سجون المعاندين والمكابرين الطغاة الجاحدين الكافرين ، الذين حقت كلمة العذاب عليهم بكفرهم وشدة عنادهم للحبيب الأعظم ورسول رب العالمين ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم .

يعلم تمام العلم وعالِم ببصيرة عين الله الأحدية الذاتية المسلمين المؤمنين الموحدين اصطفاهم رب العالمين لحضرته سبحانه وتعالى جل شأنه أعطى حبيبه الخير كله صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم رحمته فكت أسر المأسورين ، وقضت الدّين عن المدينين ، وأطلقت سراح ورق العبيد المذلولين المعذبين فى سجون أهل الكفر المعاندين الجاحدين لسيد العالمين عليه الصلاة والسلام . يعرف بأصول المعرفة الحقيقية عليه الصلاة والسلام بعين أعيان

---

(١) النجم : ١٨ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) ورد فى مسند أحمد ، مسند أبى هريرة ، حديث رقم ١٠٥٦٧- عَنْ عَمَّارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم- « خِيَارُكُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِى الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

البصائر الإلهية الربانية بكشف هو مصدر الحقائق والإلهامات القدسية الصادرة لحضرته صلى الله عليه وسلم من الحضرة القدسية الربانية له ، ومنبع المواهب والمنن والعطايا من سيادته لأهل خلاصته صلى الله عليه وسلم { بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }. ورحمته أطلقت من ربقة اللمم كل مسجون مريض بالسؤم والاستئام والسموية والمساومة والضلال ، ومرض القلوب والصدر والجفاوة ، ورحمته صلى الله عليه وسلم أبرأت الأبصار من الرمد ، وجذبت القلوب من أعماق ظلام ومن أعماق الظلمات بعضها فوق بعض ظلمات مترادفة كثيرة، وجذبت الأرواح بإذن الله سبحانه من أمواج بحار الكفر أمواج كالجبال موج من فوقه موج صلى الله عليه وسلم أكرم خلق الله على الله { بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ }عليه أفضل الصلاة والسلام ، صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود الذى لاينبغى لأحد سواه.

رحمته جذبت القلوب من طبقات السحاب وسحب الدان ودخان قلوب الكفار المختم بأختام الظلام كالجبال ، ورحمته جذبت الأنفس من تنجوم الشهوات وقذفتها قذفاً حقيقياً فى بحر المعرفة والغفران فطهرت من جميع الذنوب والآثام طهارة حقيقية لانجاسة بعدها أبداً ، وسعادة أبدية لاشقاء بعدها أبداً ، وعناية إلهية وأنوار قدسية لاطمس بعدها أبداً ، فصارت على الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والأولياء والطيبين من المؤمنين {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ }[(١)] ، { بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ } صلى الله عليه وسلم . من بحر جوده تتنزل الرحمات بدقتها بالفيض العميم نزلاً من لدن عزيز حكيم برحمته المستمدة من الرحمن الرحيم ورأفته من الرؤوف الكريم الجواد الرحيم ، مدت بإمدادات الحق الموصل للتحقيق جميع المواهب والأذواق الربانية والمشاريب الصافية الرائقة المروقة بالصفاء الصافى أصفى الصافى البصائر فرأت مصدر المواهب ورضوان من الله أكبر ، الذين جعلهم الحق أهلاً لنظره سبحانه وتعالى جل شأنه يعطى المعاطى والمواهب والخصوصيات لأهلها ، وهم أهلاً لحضرته رضى الله عنهم أجمعين وخلع عليهم خلع الرضوان ورضى عنهم ورضوا عنه { أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

(١) الأحزاب : ٦

الْبَرِيَّةِ }[1] سبحانه وتعالى جل شأنه ، { وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[2] . نبهكم وأرسل رسوله لكم صلى الله عليه وسلم يذكركم بالميثاق الذى أخذه عليكم واشترط على نفسه سبحانه وتعالى جل وعلا بالتمكين لكم من حضرته ويدفعكم إليه بقطرات من المحبة القدسية فلا سلطان عليكم غير سلطانه هو الكبير المتعال ، اذكروا آلاء الله عليكم لا إله إلا الله آلائك يا الله ، { وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ }[3] ، فاذكروا نعمة الله عليكم { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ }[4]سبحانه وتعالى ، { وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } .

نبهكم وأرسل رسوله لكم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم والله بكم لرؤوف رحيم سبحانه وتعالى جل شأنه فرأفة رسول الله رأفة ربانية إلهية ورحمته رحمة حقيقية ربانية إلهية ، فمنها صدرت الأرحام والتراحم والرحمات ، ومن رحمته صدر العطف والحلم والعفو والرضا والرضوان والذوق والمذاق والأذواق والكاسات والمدامة والكأس والسلافة والشرب والمشروب المروق المصفصف والمصفانى أصفى التصافى لأعدا الأعادى ورؤوس العناد فجذبهم فشربوا وسكروا منها مرة أوجدوا فى البوادى وسلكوا فى الحب أعلى المراقى ، وأداموا فى ترقى ففاضوا فى كل بحر للحب ، وهاجوا، وخرقوا الصفوف والحجب ، فجمعوا وجمعوا المدد قبض من إمدادات الواحد الصمد والقبض والبسط حليفهم فى قلوبهم الحب قد عقد بالأشواق عقدة لايحلها إلا النظر إلى وجهه تعالى الكريم ، وهو مشاهدة الحق فى منتهى الكمال الكامل فى مقام العبودية الحقيقية للمعبود الأحد الحق المحقق لعباده كل الحقائق وموجد سبحانه وتعالى لكل ذرة فى جميع الموجودات مايلزمها ومستلزماتها ولزائمها وخصوصياتها وخصائصها فى تكوين كل شيئ ودخل فى تكوين كل شيئ ودخل فى تكوين الموجودات كل مايلزمها فى الدنيا وفى الآخرة .

فتكوين أهل الحق المحبوبين المحبين لله ولرسوله من الأزل فانطوى تكوينهم على جوهر ولؤلؤ مكنون على الفطرة الربانية فطرة الله فاطر السموات والأرض سبحانه وتعالى ، وهم دائماً فى شهود ومشاهدة للحق دائماً وأبداً مادام حب الله فى قلوب المؤمنين الراسخين فى العلم ما دامت السموات والأرض بدوام

---

(١) البينة : ٧ .

(٢) الحديد : ٩ .

(٣) النحل : ٥٣ .

(٤) النحل : ١٨ .

بقاء الحق سبحانه وتعالى ، رضى الله عنهم أجمعين تمكنوا بالتمكين الكامل من الحق سبحانه وتعالى فى أعماق أصول أصل مصدر التمكين ومصدره فى عين أعيان حقيقة ذاته جل وعلا على طور الأطوار التجلى الذاتى الحقيقى فى الحظيرة القدسية متمكنين وبالحق تمكنوا بالتمكين الحقيقى فى عين أعيان الحق سبحانه وتعالى فى غليظ العهود والميثاق المأخوذ عليهم بالحق من الحق بحقيقة الإيمان وتحقيقه .

فاعلم يا أخى وفقك الله تعالى إن العهد والميثاق الذى أخذه الله تعالى جل شأنه فى غليظ العهود على جميع الأنبياء والمرسلين ، وجميع أهل الحق المؤمنين بحقيقة الإيمان والتوحيد الذاتى الحقيقى لله الواحد الأحد من بدء الزمان إلى الغاية القصوى التى ليس بعدها خطوة فى جنة الشهود بتمتيع النظر فى سناء الحضرة العليا ، بشدة الأشواق الإلهية الربانية المحمدية المصطفوية صلى الله عليه وسلم ، بشدة الشهود الذوقى وجميع الأذواق والأسرار الإلهية ، بعظمة جمال الشرب والشراب الصافى وجميع المشاريب القدسية وبحر الأحدية الذاتى وكل الخمور الربانية وجميع أنوار مكانة التمكين اليقينية الحقيقية بأصل أصول حقيقة عين أعيان اليقين فى لذاذة الخطاب فى الحضرة الربانية من الحضرة العلية فى الحضرة الربانية بحقيقة سر أسرار الحق الحقيقية فى سر أسرار سرائر عباد الحق المخلصين بالتخليص الربانى القدس الحقيقى الموهوب من الودود الجواد الواحد الأحد الحق الوهاب لأحبابه المحبوبين المخاطبين فى خاص خواص الخصوصيات والتخصيص بحقيقة إخلاص أرباب الإخلاص بعين أعيان عين الحق بحقيقة التمكين لسر أسرار حقيقة تحقيق حقائق أهل سر الحال ، وأسرارهم ، وقلوبهم مصدر الأسرار ومفاتيحها ، وقلوبهم خزائن الأسرار الإلهية ، وبصائرهم مهبط الرحمات ومعاريج عرج معاريج معراج الإلهامات القدسية الحقيقية الربانية ، وأرواحهم مصدر العزائم والهمم الإلهية وخوارق العادات والنداءات الربانية وهواتف الحق الحقيقية القدسية الخمرية بالخمور والسكر المفرج والصحو والبقاء وسحائب فيوضات الفيض بالأمطار والطل والوابل والديم والندى الربانى وماء الغيب والمياه المعينية السلسبيلية فى لذاذة الخطاب والنداءات الربانية لهم والخطب الإلهية ولذاذة الخطاب ... واسمع لذيذ خطابنا بلا أين ولاكيفية ، سبحانه وتعالى خلق الأين وتنزه عن الأينية ، وخلق الكيف وتنزه عن الكيفية ، سبحانه وتعالى جل شأنه حجب عن البصائر كما حجب عن

الأبصار ، يدرك البصائر ولا تدركه الأبصار ، سبحانه وتعالى جل شأنه فما كان عطاء ربك محذورا {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا }[1] .

إيمانهم مشاهدة يقينية إن الخطب الإلهية الذاتية والنداءات الربانية والوحى والإيحاءات والإلهامات القدسية والكشف المقدس الخاطف والكامل والذوق والأذواق والقرب والتقارب والمكنون والغيوب والكلام والأنس والمسامرة والتجلى والجمال والرؤية والنظر والدنو العلى الأجل والمشاهدة فى حضرة الشهود الربانية والمشاهدة للحق يقظة سبحانه وتعالى وبحد الإشارات وهو فاتق الحق من الحق فى سرائر رحمة الله المطلقة من عباد الله الصالحين والحركة فى السير بالتسيير المطلق الربانى والحركة والبركة بالقدرة الإلهية الأحدية الذاتية ، والتقدم والمدد والوصول والتوصيل والوصال والدفع والهمم والخطف والحفظ والعناية والنصح والنصيحة والتراحم والرحمة والنفع والشئون والآمال والدفع والدفعة والمعالى والمواهب والعطايا والهدايا والهداية والجودة والكرم وخير الدنيا وخير الآخرة بأيديهم رضى الله عنهم أجمعين . اللهم ادخلنا برحمتك يارحمن يارحيم يا أرحم الراحمين ادخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، فى صميم تصميم التمكين ، فى أعماق ذات ساحات منبع الكرم ومصدره وأصول الرضا والتكريم ، واقذفنى قذفاً فى أرض أودية رحمات ساحات حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم صلى الله عليه وسلم بصلوات الحق سبحانه وتعالى حبيبه ومحبوبه حبيبه الأعظم { وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } جل شأنه .

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } ، {حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ } فرأفة رسول الله رأفة حقيقية مطلقة ورحمة رسول الله رحمة حقيقية مطلقة فرأفة رسول الله هى رأفة الله لأنها من الله لحبيبه الأعظم ورحمة رسول الله هى رحمة الله لأنها من الله نزلها تنزيلا على حبيبه كما نزل القرآن الكريم { نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ }[2] سبحانه وتعالى أفضل الصلاة والسلام على الحبيب الأعظم . رحمة رسول الله انبعث منها الكرم والنور الذى أضاء القلوب وإكرامه وتكريمه وحلمه كشف إسناد العقول صلى الله عليه وسلم ، ورحمة رسول الله أمطرت منها الفيوضات على الأرواح فتوقدت وتشوقت وعرجت وترقت وتغذت بالمعانى وساحت فجالت فى رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤوف

---

(١) محمد : ١١ .

(٢) فصلت : ٣٢ .

الرحيم ورتعت وترقت وتطلعت وغذيت بالفيض العميم وتحلت وتبخترت فى ساحة رحمته فوجدت بنا هَلَّ صلى الله عليه وسلم .

ورحمة رسول الله مزجت الأكباد بمحبة ربها ونورت البصائر والأبصار ونورت اللب والألباب وطهرت السرائر ، ورحمته جمعت ومازالت جميع الآمال لجميع المؤمنين وجميع المؤمنات من أهل الثقلين إنس وجان ، ورحمة رسول الله تآوت فيها جميع الملائكة صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة والتراحم عليه الصلاة والسلام الحبيب الأعظم أنعته ربه { وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ }[1] خلقناك رحمة وأرسلناك رحمة للعالمين فهو نبى الرحمة والتراحم { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } . صلى الله عليه وسلم خُلُقُه ونُطقُه القرآن الكريم تبياناً لكل شيئ وتفصيلاً لكل شيئ {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى }[2] ، على خلق عظيم - نعم - يعنى على دين عظيم ، وهو النور المبين ، رحمة الله المطلقة للعالمين صلى الله عليه وسلم أول العابدين وصراط الحق المستقيم للعالمين ، أَهَّلَ العقول الرحيمة والألباب الفطنة بنور اليقين عليه الصلاة والسلام .

وهو الكوكب الدرى والسراج المنير المنور بنوره ، ومضيئ لجميع العالمين ، وهادياً بإذن ربه ، وسراجاً منيراً عليه الصلاة والسلام ، فهو النور المنور فى أسرار العالمين فى جميع العالمين بنوره الذاتى الربانى الصمدانى المصطفوى الحقيقى بالحق من الحق بجميع الحقائق بالحكم الإلهية والكتاب والحكمة من العزيز الحكيم عليه أفضل الصلاة والسلام .

المربى الأول لجميع الأنبياء والمرسلين وجميع المؤمنين الراسخين فى العلم الموحدين بأحدية الأحد ، وهو عليه الصلاة والسلام شيخ الأنبياء والمرسلين وإمام أهل الحق على صراط الحق بالحق إلى كل تحقيق ، وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين رؤوف رحيم وهو عليه الصلاة والسلام إمام المشرعين وإمام جميع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والأولياء والصديقين .

وهو عليه أفضل الصلاة والسلام أول المتحدثين عن حضرة الذات العلية بالشكر والمعرفة والوعى السليم ، وهو الصادق المصدق عليه أفضل الصلاة والسلام ، القائل فى حديثه النبوى الشريف وهو الصادق المصدوق : " أصحابى

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) النجم : ٣ .

كالنجوم الزهر بأيهم اقتديتم اهتديتم " ، فهم نجوم الحق ، وكواكب العرفان ، وشموس المعرفة والعرفان ، وأقمار الحق ، ودلائل الخير والخيرات ، وساحات المعرفة والبركات بجميع الهمم والنفحات .

وهو عليه أفضل الصلاة والسلام أول محدث وهو الصادق المصدوق عن الصالحين والسعداء والأتقياء بحقيقة التقى تقوية الحق بالحق من الحق لعباده المتقين لله حق التقوى لله رب العالمين ، لايغفلون طرفة عين عن الحق سبحانه وتعالى ، واهب العطايا والمنن ، وممدهم دائماً وأبداً بمدده المطلق برحمة الله ورسوله على أحبابة المحبوبين المحبين لله وللرسول ، لايعصون الله أبداً مادامت السموات والأرض بدوام حب الحضرة العلية فى قلوبهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ولايعصون الله ما أمر ويفعلون مايؤمرون، فعجبت منهم الملائكة لطاعتهم الطاهرة المطهرة لحضرة ربهم . خلقهم الله سبحانه وتعالى على معرفة الله فاطر السموات والأرض ، فهمُ على الفطرة الربانية بنور اليقين، قائمون بالله لله ، عالمين بتمام اليقين على الفطرة أنه أحد أحد الواحد الصمد رضى الله عنهم ، فهمُ دائماً فى شهود ومشاهدة للحق يقظة .

خلقهم الله سبحانه وتعالى للمشاهدة لحضرته ، وللنظر إلى وجهه الكريم ، مستغرقين بالحق مع الحق دائماً وأبداً ، مُخَلَّصِين بيد القدرة الإلهية من جميع الشوائب، ومن جميع العلائق ، ومتجهين عن جميع الأكوان ، لايرون إلا الله فى كل معنى بلا كيف ولا انحصار ولاجهة ولامكان . وكل طرفة عين يطرفون بها أهل السموات وأهل الأرض إلا ورجال الحق سائرين بها مهللين بكل الأذواق ، سائرين فيها إلى أقصى الترقى وغاية الغايات والقرب الأعلى والدنو الأجل والغاية القصوى والمقام الأسمى لمشاهدة الحق سبحانه وتعالى ، فهى اللذة التى ليس بعدها لذة ، وهى الحظوة العظمى التى ليس بعدها حظوة ، والغاية القصوى وغاية الغايات وأقصى أعلى الدرجات وغاية الغايات ومنتهى الآمال فى مشاهدة الحق جل وعلا سبحانه وتعالى العلى الكبير المتعال أول من غير بدء وآخر بغير انتهاء . اللهم أنت الأول ليس قبلك شيئ وهو الآخر ليس بعده شيئ وهو الباطن ليس دونه شيئ وهو الظاهر ليس فوقه شيئ وهو المتجلى لأحبابه المحبوبين دائماً وأبداً بجلال وجهه الكريم ، وعظيم سلطانه القهار الودود الوهاب الجواد الواحد الأحد . لايشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى جل شأنه المربى لأحبابه المحبوبين الممد لهم لجميع الإمدادات بحضرته من فيضه العميم بمحض الفضل

تفضلاً من حضرته بكرمه القديم وتكريمه لهم بحلمه وعطفه وجوده العظيم ، فهم لايغفلون عنه طرفة عين .

لحضرة ذاته خلقهم سبحانه وتعالى لنفسه ، واصطنعهم بيده لحضرته ونفسه ، فصنعوا بيده على عينه سبحانه وتعالى فى حضرته لحضرته لاحول لهم ولاقوة إلا به جل شأنه ، لايفعلون شيئ إلا بأمر من الله يصدرون الحق سبحانه وتعالى الحكم بالجوهر ببروق الوصال فى قلوب المقربين الطاهرين المطهرين الأخيار ، ما صدر عن الحق ينبع فى القلب ، فهم قائمون لله بالله منه وإليه ، بقدرته استعانوا فى حضرته لحضرته، فهم معه دائماً وأبداً ، وهو سبحانه وتعالى معهم دائماً وأبداً . فهم مستغرقون بالله فى الله لاقوت لهم إلا محبة ربهم ، ابتلاهم فشكروا ، وأعطاهم فآثروا ، وأعانهم به تكرماً من حضرته عليهم لما فيه شكروا ، ليس لهم أحد سواه ، عاكفين بقلوبهم فى حظيرة حضرته الربانية ، قائمين بعقولهم على فهم سنة الحضرة المحمدية ، عاملين بكل أمر، واقفين عند كل حد . عباد الرحمن سبحانه وتعالى لايعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، عاملين بكل حُكْمٍ من الله فيه أمر أو نهى ، جُبِلُوا رضى الله عنهم بحقيقة الإيمان ، ولكل شيئ حقيقة ، وحقيقة المخلص العبد المؤمن هى حقيقة الإيمان ، وحلاوته وتزيينه فى قلوبهم بيد القدرة الإلهية ، راكعين ساجدين عابدين لحضرة ربهم، فهو محبوبهم .

تجلى لهم بالخير كله ، وبالرحمة والرحمات ، فبيده سبحانه وتعالى فعلوا الخير بجميع التراحم والرحمات ، فداموا فى ترقى ، وفى شهود للحق دائماً وأبداً ، عباداً بالحق بحقيقة العبودية للمعبود الواحد الأحد ، فهم السعداء دنيا وأخرى ، وجعلهم الله سبحانه وتعالى أهلاً لحضرته ، وجعلهم أهلاً لنظره فهم أهل قبلته ، لو أراد الله سبحانه وتعالى لأهل الدنيا بعذاب نظر إلى أهل حضرته فصرف عن أهل الدنيا العذاب ، وهُمُ ممن حدث عنهم الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الحديث المروى فى خصائص أبى هريرة بطريق أقوام : " إذا جذع الناس لم يفزعوا ، وإذا طلب الناس الأمان من النار لن يخافوا " إلى أن قال الصادق الصدوق رسول الله عليه الصلاة والسلام : " ركب القوم طريقاً صعباً حتى لحقوا بدرجة الأنبياء ، آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله ، والعرى بعد ما أكساهم الله ، والعطش بعد ما أرواهم الله ، تركوا ذلك رجاءها عند الله ، تركوا الحلال مخافة محاسبتهم ، صحبوا الدنيا بأبدانهم ، ولم يشتغلوا بشئ منها ، عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لدينهم ، طوبى لهم طوبى لهم ، ورأيت أن

جَمَعَ الله بينى وبينهم ، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليهم ، ثم قال: إذا أراد بأهل الأرض عذاباً ؛ حِفْظِه إليهم صرف العذاب عنهم ، فعليك ياأبا هريرة بطريقتهم ، فمن خالف طريقتهم تعب فى شدة الحساب ".

ياعارجاً فوق البساط عساك *** فتمنحنى عند الكريم رضاك
فى حفظ لوح بالحقائق فى العلا *** فى ركابك أسرى بك وباك
أنت سماء الحوض أنت غريفه ** والكل يعطى من سمو علاك
حققت كل حقيقة إلى أهلك *** أنت لنا رب العلا خلاك
بعين ربك فى الوجود وراعيا*** والحق أنت فى العلا مناك
حققت لكل مشوق وجده *** والكل يسعى فى سناء ضياك
" محمد العربى "

وبعد التبرك بنقل هذه الدرر السنية من ذخائر المعرفة اللدنية لإمامنا الختم العربى ـ رضى الله عنه ـ لعلك عزيزى القارئ تقبل عذرى ؛ إذ اعتصمت بنقل المتن مادة خام، كما سُطِرَت ، فهو رحيق مختوم بختم الأولياء ، المتمكن فى الحضرة العلياء ، المتملِّى من حضرة جده أستاذ المرسلين وشيخ الأنبياء ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

ولعلك أيها القارئ الكريم قد استشرفت غزير علم الختم العربى ، وجليل معرفته ، فقد جمع فى حديثه بين الحادث والقديم ، ومزج بين علوم الشريعة ، ومعارف أهل التمكين ، فأبلغ ، وأوعى ، وحَلَّقَ بنا فى أفلاك ، وعوالم غيبية ، لم يدرك كنهها إلا هو والعجز عن درك الإدراك إدراك ، فالعارف يضم فى صدره علوم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف عالَم ، والإنس والجن عالمان .

هذا فضلاً عن قدرة إمامنا ، وتحكمه فى نواصى اللغة العربية ، وبلاغته فى توضيح المشاهد العُلوية ، والمعانى السَنِية ، وصياغتها فى جُمَلٍ رصينة ، وعبارات جزيلة ، مطعمة بالمحسنات البديعية من طباق ، وسجع ، وجناس . فقوله بليغ ، لو شئت أن تحذف أوتضيف حرفاً تغير مبنى الكلام ، وشرد عن معناه المُرَام .

فقد أُوتى الختم العربى من الحكمة وفصل الخطاب خيراً كثيراً ؛ إرثاً وتعصيباً من جده ـ صلى الله عليه وسلم ، الذى أُوتىَّ جوامع الكلم ، والعرق للفرع نازع ، فسبحان الواهب المنان .

وبالطبع ، لم يسع المقام هنا لتفصيل هذه المعانى ، إلا أنى على يقين أن أقلام الصادقين من المحبين ستتناول علوم الختم العربى ، بما يقسطه حقه ،

وليت ذلك يكون قريبا ، فلنترقب - عزيزى القارئ - نشر هذه العلوم المختومة بخاتم الأولياء ، وأنا معك من المترقبين .

وغنى عن البيان ، أن التصديق بكلام أهل المعرفة ، والفتوح لايكون إلابفتح ، وسمو روح ، وقيل أن :" التصديق بالفتح لا يكون إلا بفتح "[1] ، وكثيراً ما يردد السواد الأعظم ، مقولة : "صاحب العقيدة ربحه فى أيده" ، ويروى عن الإمام الجنيد - رضى الله عنه - قوله : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة فى نفسك ، فلا يفتك أن تصدق بها فى غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطل . وقيل : يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة[2] . جعلنا الله وإياك من المعترفين بفضله فى عباده ، المصدقين بآثار عنايته فى أهل وداده ، إنه ولى ذلك ، والقادر عليه .

واكتفى بهذا القدر من علوم إمامنا الختم العربى ، فلو تتبعنا هذه العلوم لطال بنا المقام ، وما بلغنا فيها المرام .

---

(١) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن . مكتبة القاهرة ، الصنادقية ، ميدان الأزهر، الطبعة الألأخيرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ، ص٩

(٢) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩ .

الفصل الثاني

{ كراماته ، ومحنته ، ووفاته ، ونصائحه }

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين : الأول ـ كراماته ، ومحنته ، والثانى ـ وفاته ، وضريحه ، وختاماً نصوغ بعض مناجاته ، وحِكَمِه ، ونصائحه ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ على النحو التالى

المبحث الأول

كراماته ، ومحنته

المطلب الأول
كراماته

بداية ، أود التنويه إلى أنى ترددت كثيراً فى إدراج هذا المبحث فى سيرة الختم العربى ، فيقينى أن مرتبته تتسامى عن ذكر بعض الكرامات الحسية ، التى يأتى بها عامة الأولياء ؛ لحاجتهم إلى تسكين القلوب ، وتأييد المعبود ، وتكثر ـ غالباً ـ فى بداياتهم ، بل كما قال أحدهم[١]: "ربما رُزِقَ الكرامة من لم تكمل له الاستقامة" ، فالكرامات ، ونتائج الأعمال محلها الدار الآخرة.

فضلاً عن أن ختمنا العربى ـ بوصفه وارثاً محمدياً ـ فهو ممن يجهله الناس ، ولا يعرفه إلا النخبة ، ولا تظهر على ظاهره خوارق الطبيعة ، وإنما تتنزَّل في قلبه على هيئة علوم ، وأحوال روحية ، فى حين يرى الناسُ ولاية الوارث غير المحمدي ، أى الوارث من سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وراثة غير مباشرة ـ بما يظهر على ظاهره من علاماتها ، كالكرامات ، وخوارق العادات .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر فإن كرامات الختم العربى لا ينكرها أحد ، ويستحيل حصرها ، فما جلست مع أحد على علاقة به إلا وقَصَّ عليك كرامة ،

---

(١) سيدى ابن عطاء الله السكندرى ، نقلاً عن : محمد إبراهيم محمد سالم ، شرح متن حكم ابن عطاء السكندرى ، لسيدى على لبيومى ، المسمى بالهداية للإنسان إلى الكريم المنان ، مكتبة الشيخ صالح الجعفرى ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤م ، حكمة رقم (١٧٩) ص ١٠٥ .

أو اكثر جرت معه على يدى إمامنا ، ناهيك عن الكرامات التى يسوقها خاصة أحبابه ومريديه ، ولو أردنا تسجيل تلك الكرامات أو بعضها ، ما وسعتها صفحات هذا المؤلف ، أو أمثاله كثيرا .

وإذ فاضت سيرة إمامنا بالكرامات الظاهرة ، والنفحات الطيبة ـ استحسنت سرد كل منها فى موضعها ، وبحسب سياقها على مدار هذا المؤلف ، فإمامنا العربى فذلكة القدرة فى خلقه ، وكرامة كبرى لجده رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وإن شئت فقل : إن هو إلا آية ، وكرامة من الله ، ورسوله .

لكنى قنعت ـ مؤخراً ـ أن حديث الكرامة ، وإن لم يكن من أبواب سيرة إمامنا الختم الرئيسية ، إلا أنها مما تستريح النفس به إذا ملَّت ، وهو ما يحتاج إليه القارئ .

كما لا يخلو حديث الكرامات من فوائد يُنْتَفَع بها ، فجنحت إلى التطرق إليها بإيجاز، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، وسبقتها بالحديث عن علوم خاتم الأولياء ؛ لكونها ـ بذاتها ـ من أجل كراماته ، وألحقت بها المحنة التى تعرض لها فى أخريات حياته ، إذ طوت فى باطنها منحة من أشرف العطاءات ، التى منحها الله ، ورسوله للإمام الختم ، وكرامة شاهدة على تأييده ، وصدق أحواله ، فأقول وبالله التوفيق :

الكرامة لغة[١] : الأمرالخارق للعادة يظهره الله على أيدى أوليائه ، وهو ـ تقريباً ـ ذات المعنى الاصطلاحى عند الصوفية .

وتذكر السيدة نفيسة العلوم بنت الإمام حسن الأنور بن الإمام زيد الأبلج بن الإمام الحسن السبط بن الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ، ورضى الله عنهم ـ تذكر أن الله اختص أولياءه بكرامته ؛ لتكون برهاناً على صدقهم ، وتكريماً لهم من الله ، ونوراً يستضيئ به من شاء أن ينسج على منوالهم ، ليصل إلى ما وصلوا إليه أوبعضه"[٢] .

ولكن يجب التنبيه هنا ، إلى عدم الربط بين الولاية من جهة ، وبين الكرامة من جهة أخرى ، فالولاية تتجاوز ذلك ، ولا يأبه الولى بالكرامة التى يسوقها الله على يديه ، بل تزيده خوفاً من الله أن تكون استدراجاً ، ولا يستأنس ، أو يفرح

---

(١)المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٥٣٢ .

(٢) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م ، ص ١٠٣ .

بها ، فالولى لايستأنس إلا بربه ، ولا يفرح إلا بالحق ، والفرح بالكرامة فرح بغير حق ، والفرح بغير حق بُعد وحجاب عن الحق ، ومن حُجِبَ عن الحق كيف يليق به أن يفرح ويُسَّر ، ولو عرف الولى ربه حق المعرفة لعلم أن كل الطاعات فى جانب جلال الله تقصير، وكل شكر ، واعتراف فى جنب نعمه ، وآلائه قصور[1] .

والإيمان بكرامات الأولياء من أصول اعتقاد أهل السنة ، والجماعة ، قال الإمام الطحاوى : " نؤمن بما جاء من كرامات ، وصح عن الثقاة من رواياتهم ، وبالتالى فإن إنكارها قد يخرج المسلم من دينه"[2] .

وقد استدل أهل الحق على ثبوت الكرامات لأولياء الله ، بالأدلة العقلية والنقلية : فأما الأدلة العقلية ـ كون الكرامة أمراً يمكن حدوثه ، ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين ، وأنه يجب وصف الله ـ تعالى ـ بالقدرة عليه ، وما كان مقدوراً ، فجائزاً وقوعه .

وأما الادلة النقلية ـ فقد نصت كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية على ثبوت كرامات الأولياء ، ونذكر منها قوله تعالى : { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابِ }[3] ، ولم تكن نبية ، بل هى صديقة من أولياء الله .

وقوله تعالى: { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ }[4] ، وكان ولياً .

كذلك استدل العلماء بقصة سيدنا الخضر مع نبى الله موسى ـ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة السلام ـ ولم يكن نبيا أيضاً ، بل كان وليا[5] .

---

(١) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته وآثاره ، ص١١ .

(٢) ابن أبى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، طبعة الكتب الإسلامية ، ص ٤٩٤ .

(٣) آل عمران : ٣٧ ، وجاء فى تفسير القرطبى : كان زكريا إذا دخل عليها يجد عندها فاكهة الشتاء فى القيظ وفاكهة القيظ فى الشتاء .

(٤) النمل : ٤٠ ،

(٥) والذي عليه الأكثرون أنه كان نبيا ، وقيل: كان نبيا رسولا ، وقيل: كان وليا ، وقيل: ملكا، لمزيد من التفصيل انظر : تهذيب الأسماء واللغات ، نقلاً عن : كرامات الأولياء ومواهبهم من كتاب بستان العارفين للنووي ، Abdelkader HADOUCHعبد القادر حادوش Mystique ٢٠٠٩ ٠ Juillet ٥ .

أما الأحاديث فكثيرة ، ومنها : حديث أنس ، أن رجلين من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ خرجا من عند النبي في ليلة مظلمة ، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله(١) .

ومنها: حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين أووا إلى الغار، فأطبقت صخرة عليهم بابه، فدعا كل واحد منهم بدعوة ، فانفرجت عنهم الصخرة ، وهو مخرج في صحيحي البخاري ومسلم .

ومنها حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ في قصة جريج ، أنه قال للصبي الرضيع : من أبوك ؟ قال: فلان الراعي ، وهو مخرج في الصحيح أيضاً .

ومنها الحديث المشهور في صحيح البخاري ، وغيره في قصة خُبيب الأنصاري ، صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وقول بنت الحارث فيه : والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده، وأنه لموثق في الحديد ، وما بمكة من ثمر ، وكانت تقول: إنه لرزق الله رزقه خبيبا ، والأحاديث ، والآثار ، وأقوال السلف ، والخلف أكثر من أن تحصر .

بيد أن بعض العلماء أنكر كرامات الأولياء ؛ بدعوى عدم كسبهم العلم بطريق الدراسة ، وبزعمهم أن العلماء هم أولى بهذه الكرامات ، لما بذلوه من جهد فى تحصيل العلوم الكسبية .

وغنى عن البيان ، أن هذا الزعم فاسد ، لقوله تعالى : { وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ }(٢) ، فالعلم علمان كسبى ، ووهبى ، والعلم الوهبى نور يهبه الله للأتقياء من عباده ، يشاهدون به أسرار الله ، ويستوعبون به عن الله مجامع العلوم ويستوفونها ، وإن لم يكن لهم نصيب فى كسب العلوم

---

(١) أخرجه البخار فى صحيحه فى " كتاب الصلاة " ، وفى علامات النبوة ، وهذان الرجلان:. "عباد بن البشر" و "أسيد ين حضير"

(٢) البقرة : ٢٨٢ .

بالدراسة ، بل إن العلم الكسبى قد يكون معوقاً للعبد عن فتوحات الله ومكاشفاته ، وقيل : قد يكون العلم حجاباً والجهل علما[١] .

وقال الأشياخ : "سبحان منْ جعل عين المعرفة به عين الجهل به " ، وذلك لعدم الإدراك بالله ، ولا يخرج العبد عن الجهل بالله إلا إن أدركه الله ليُدْرِكَ به . وفى ذات السياق يقول أحدهم : العلوم الإلهية لاتنزل إلا فى الأوعية الفارغة ، وأنشد أحدهم[٢] :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى *** فصادف قلباً فارغاً فتَمَكَّنا .

وقد فرق العلماء بين الكرامة ، وبين المعجزة من ناحية ، وما شابهها ، كالموهبة، والواردات الإلهية من ناحية أخرى ، ونشير بإيجازإلى بعض من أقوالهم :

يقول أحدهم[٣]: " الأولياء لهم كرامات ، منها إجابة الدعاء ، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء ، فلا " ، ويقول آخر[٤] : " المعجزات دلالات الصدق ، ثم إن ادعى صاحبها النبوة دلت على صدقه ، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت على صدقه في حالته ، فتسمى كرامة ، ولا تسمى معجزة ، وإن كانت من جنس المعجزات ، وأن من الفرق بين المعجزات والكرامات ، أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مأمورون بإظهارها ، والأولياء تساق إليهم الكرامات فى حينها ، وأن النبي يدعي ، ويقطع القول بها ، بينما الولي لا يدعيها ، ولا يقطع كرامته ؛ لجواز أن يكون ذلك مكرا " .

أما الموهبة ، فهي أمر ليس بخارق للعادة ، ولكنه قليل مستبعد في العادة ، يتميز به بعض الناس ، ولا يختص ذلك بالأولياء ، بل يكون لهم ولغيرهم.

---

(١) فى شرح قولهم " قد يكون العلم حجاباً والجهل علما " يقول سيدى على الخواص البرلسى : أما كون العلم حجابا فلأن العلم صفة وركونك إليه صفة والصفة مع أختها لاتوجد نتيجة كحكم الأنثى إذا اجتمعت مع الأنثى وأما كون الجهل علما فهو كونك جاهلاً بحقيقة نفسك متحيرا فى حقيقتها فسمى جهلك بذلك علما ، الإمام عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ،ص٦٣٤ .

(٢) قول : سيدى على الخواص البرلسى رضى الله تعالى عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٦٢١.

(٣) قول الإمام أبو إسحاق الأسفرايني رحمه الله تعالى .

(٤) قول الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى .

وأما عن الوارالإلهى ، فهو الذى لايأتى باستدعاء ، ولايذهب بسبب ، ولايأتى على نمط واحد ، ولا فى وقت مخصوص ، وهو ـ بهذا ـ خلاف الطارق الشيطانى"(١) .

وظهور الكرامة علامة صدق أحوال من ظهرت عليه ، ولابد أن تكون الكرامة فعلا خارقاً للعادة ، وقد تحصل باختيار الولى ، وقد تحصل بغير اختياره ، وهو الغالب فيها.

ومن أجَّل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة ، والحفظ من المعاصي والمخالفات ، كالمكروه كراهة التنزيه ، وترك الشهوات التي يستحب تركها .

كما أن الولى ـ غالباً ـ لا يستكين إلى الكرامة التي يظهرها الله على يديه ، لكنها ربما تقوى يقينه ، وتزيد بصيرته ؛ لتحققه أن ذلك فعل الله تعالى ، فيستدل بها على صحة ما هو عليه من العقائد(٢).

لذا ، تأتى الكرامات بقدر تسكين قلوب أولياء الله ، وعباده الصالحين ؛ وحتى يُؤْخَذ كلامهم بالقبول والاعتقاد ، ولا ريب أن جميع كرامات الأشياخ إنما تقود إلى طاعة الله، وتدفع إلى السير فيما يرضيه حتى يصل من شاء الله له الهداية إلى منازل الصالحين ، وهو ما أشارت إليه السيدة نفيسه ـ رضى الله عنها ـ فى معرض تبرير ما ساقه الله على يديها من كرامات وآيات بينات(٣) .

ورغم أن الولى فى بداياته ـ غالباً ـ أحوج إلى تسكين القلوب ، وتأييد المعبود ، فتكثر كراماته ، إلا أنه فى الوقت نفسه يعمل على حفظ أسرار الله ، فلا يبدى الكرامة إلا لغرضها ، ولا تحمله على هتك محارم العباد ، يقول

---

(١) قول سيدى عبد القادر الجيلانى ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢١٨ .

(٢) أبو القاسم لقشيرى ، نقلاً عن كرامات الأولياء ومواهبهم من كتاب بستان العارفين للنووي ، Abdelkader HADOUCHعبد القادر حادوش Mystique ٠ ٢٠٠٩ Juillet ٥ .

(٣) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص١٠٣ ، إذ تقول رضى الله عنها – تواضعاً – " أما فيما يتعلق بما سماه الناس بكرامات لى فهذه ليست إلا من قبيل النوع الذى يقود إلى الطاعة ، والسير فيما يرضى الله حتى يصل من شاء الله له الهداية إلى منازل الصالحين ".

أحدهم[١]: " من علامات العارف ألا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله عز وجل".

وقد حدا ذلك ببعضهم إلى حد تشبيه الكرامة بحيضة الولى يجريها الله على يديه بغير طلب ، ويخجل منها كما تخجل البكر من حيضتها .

وتتجسد أجَل كرامات ختمنا العربى - كما سلف القول - فى علومه ومعارفه ، تلك العلوم والمعارف التى تسجد الأفهام على أعتابها ، وتضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها ، ويعجز العلماء عن إدراك عجائبها .

وغنى عن البيان ، أن علوم ختمنا العربى كلها وهبية ، لا كسب فيها ، وكما يقول أحدهم[٢] : "إذا كمل العارف فى مقام العرفان أورثه الله علما بلا واسطة ، وأخذ العلوم المكتوبة فى ألواح المعانى ، ففهم رموزها ، وعرف كنوزها ، وفك طلسماتها ، وعلم اسمها ، ورسمها ، واطلعه الله تعالى على العلوم المودعة فى النقط ، ولولا خوف الإنكار لنطق العارف بما يبهر العقول ، وكذلك له من إشارات العبارات عبارات معجمة، وألسن مختلفة ، وله فى معانى الحروف ، والقطع ، والوصل ، والهمز ، والشكل ، والنصب ، والرفع ما لايحصر ، ولايطلع عليه إلا أمثاله " ، وهو ما وضح لنا من خلال علومه ، التى قدمنا لها فى الفصل السابق

وهيَّا - عزيزى القارئ - نتجول فى بساتين كرامات الختم العربى ، نستنشق من أريج زهورها ما تنتعش به أرواحنا ، وذلك على النحو التالى :

يتحدث السواد الأعظم عن كرامات إمامنا قائلاً : " لقد خص الله الشيخ العربى بكرامة عزيزة يشهد لها جميع الأحباب ، حتى تلَقَّبَ بها ، فهو "سابق الياء" ، بمعنى أن الله يجيب دعوة الداعى به ، قبل أن يتم استدعاه ؛ تكريماً وتأييداً ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم – " إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ

---

(١) قول : سيدى أبو نصر بشر بن الحارث الحافى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٢٨.

(٢) قول : سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عن : عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٨٧.

الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "(١) .

يقول إمامنا العربى : تفضلاً من الله لا وجوباً عليه ، أنا "سابق الياء" ، ويعقب السواد الأعظم قائلاً : من قبل أن أقول : يا - أى : يا عربى ، ألقاه.

وهذه الكرامة من خصوصيات إمامنا العربى ، التى مَنَّ الله بها عليه ، وقد شهد كثير من الأحباب بهذه الكرامة حال حياته ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فلا يستجير به مضطر إلا وأجير تواً ، من قبل أن يكمل ياء النداء ، فهو سابق الياء ، وينشأ السواد الأعظم قائلاً(٢):

ياسابق للياء يامدرك للطالب * فاغث خديماً ياسلالة غالب

وفى قصيدة اخرى يدعو قائلاً :

ياسابق الياء يا مدرك مريدينك * ولا شافوا زنقة إلا هم منادينك * وحيات جدك تموتنا على دينك

ويقص السواد الأعظم كرامة لإمامنا العربى ، فيقول : " سبق أن رأيت خليل الله إبراهيم فى عالم الرؤية ، إذ وجدت سيدنا إبراهيم قابض على يدىَّ عند بيت الله الحرام، وألقى علىَّ قوله تعالى : { وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ }(٣)، ورؤيتى لخليل الله صادقة ، وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ " الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ "(٤) .

ويستدرك السواد الأعظم :" بعد هذه الرؤية توجهت لزيارة الإمام العربى فى ساحته، فكشف لىَّ عن كرامة صريحة ؛ إذ أخرج إلىَّ المصحف من خلوته ، مشيراً إلى موضع الآية التى ألقاها علىَّ خليل الله إبراهيم فى الرؤية"(٥) .

---

(١) صحيح البخارى ، الرقاق ، حديث رقم ٦٥٠٢ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ - ٢٠٠٣م .

(٢) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه " بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات " ، قصيدة قصيرة بعنوان " سرعة الإجابة لسبق ياء الندا " ، ص١٩٦ .

(٣) الحج : ٢٧ .

(٤) صحيح البخارى ، التعبير ، حديث رقم ٦٩٨٩ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

(٥) من أقوال العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن فى تحقيقات النيابة ، فى قضية العصبة الهاشمية ، سالف الإشارة إليها .

ويضيف السواد الأعظم : " دعا لىَّ الشيخ العربى بأن يفتح الله علىَّ ، وأن يلهمنى الحجة عند وقتها ، وقد استجاب الله لدعائه ، فأصبحت استطيع التحدث بمنطق الإسلام، دون أن أتعلم ، فأنا إنسان عمى ، لا أقرأ ، ولا أكتب ، وأتعامل فى الأسواق ، ورغم ذلك ألهمنى الله التعامل بالنص القرآنى الشريف ، أنا أنظم الأذكار باللغة العربية الصحيحة ، أما النصوص كالأحاديث فقد تعلمتها بالسمع إذا ذُكِرَت مرة واحدة ، وأما الأحكام فتأتى بفيض السُنَّة مع النص ، فأنا اتحدث أكثر من ثمانية عشرة ساعة ، ولا أدرى ما أتحدثه ، وإن وعيته حسا"(١) .

وفى ذات السياق ، يحكى السواد الأعظم : "كنت أتردد على مولانا الإمام الحسين احتفالاً بمولده ، فبعث لىَّ الإمام العربى خطاباً جاء فيه : " أخوة الروح الحادى المنادى المتخذون عند الله أيادى ، اعلموا وفقكم الله ـ جل فى علاه ـ لايتم هذا الأمر إلا على قلب رجل أحمدى خلوتى كامل شامل قلبه على قلب سيده ، قد أذنتك بالكلام ، فتكلم إن أفاض الله على قلبك" .

ويردف قائلاً : " لمَّا وصلنى الخطاب أخذت أبحث عن من يقرأه لى ، ولكن قبل ما أجد من يقرأه أدركت ما فيه ، حتى إذا وصل القارئ إلى عبارة " قد أذنتك فى الكلام فتكلم " فإذا بسحابة تنهمر فى وادى قلبى من سماء تلك العبارة ، وأصابنى دوار ، وغشيتنى غيابة ، فلمَّا أفقت أمسكت على الفور بالمذياع وأخذت اتحدث ، وقد انطلق لسانى يعبرعن مكنون حالى عالم من عليم"(٢) .

وفى إشارة إلى حاله قبل الإذن بالكلام وبعده ـ أنشأ قائلاً(٣) :

كنت أبلم لا يُرَى منى حديثا * صرت ناطقاً حينما قال تكلم

ويروى السواد الأعظم قائلاً : " فى مولد الإمام الحسين ـ شاهدت سيدة تجلس على رصيف سيدنا الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ ومعها براد شاى صغير ، وحَلَّة صغيرة بها فول نابت ، وبعض الخبز ، وموقد جاز ـ وابور جاز ـ فجلست بجوارها للتبرك ، فقامت وأشعلت الموقد ، وسخنت الفول النابت ، وغرفت طبقاً وأعطتنيه ، فقلت هذا يكفينى ، قالت لا . وقامت بفت الخبز فى الفول ، فأكلت ،

---

(١) من أقوال الشيخ بتحقيقات النيابة سالفة الإشارة .

(٢) نقلاً عن : الشيخ جابر عبد المنعم على ، فى تقديمه لديوان الشيخ " اللطائف السنية فى مدح خير البرية" ، مرجع سابق ، ص١٦ .

(٣) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان " شذا " ، ديوانه "بساتين الجنات فى المائح والصلوات على سيد السادات" ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

ثم قدمت لى الشاى فشربت ، ولا حظت أنها تخدمنى وتخدم ضيوف الإمام الحسين باشة ضاحكة ، وبهمة وعزيمة لا تفتر ، فعجبت من حالها ، فأضمرت إن أوصلنى الله إلى شيخى الإمام العربى فسوف أسأله فى أمر تلك السيدة ، إلا أن الوقت طال ، ومرت العديد من المناسبات ، ولم أتحدث معه فى شيئ ".

ويستطرد السواد الأعظم قائلاً : " وذات مرة أثناء حديثنا فى موضوع المحبة ـ قام هو بمفاتحتى فى أمر تلك السيدة قائلاً : عارف يا أحمد المرأة التى جلست بجوارها ، ومعها شوية النابت ، وشوية الشاى ؟ هذه بنت الصحابى فلان ، كان يحب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ولم يبق من هذه السلاله إلا هذه المرأة ، وإنها ترى نفسها من العار ألا تتواجد على رصيف مولانا الإمام الحسين فى مولده" .

وإذا امعنت النظر فى الرواية لرأيت أنها كرامة بيِّنَة ، فالسواد الأعظم لم ينطق أمام إمامنا ببنت شفاه عن تلك السيدة ، وإذ بإمامنا فى خلوته بالكلح يفاتحه بالكلام فى أمرها ، وكأنه كان معهما على رصيف الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ بالقاهرة ، واصفاً حالتها وبجوارها السواد الأعظم وصفاً دقيقاً ، وكاشفاً بنور الله عن نسبها ، وعقيدتها فى محبة آل البيت"[١] .

وعلى حد قول السواد الأعظم : " الحب يتوارث ، وابن المحب يولد محب " ، ويبتهل السواد الأعظم قائلاً : " اللهم لا تجعل من أصلابنا من يكره النبى وعترته ، ولا تجعل عَقِب منا ، أو من ذرياتنا منْ يكره النبى وآل بيته" .

ويجملَ السواد الأعظم القول فى كرامات إمامنا العربى ، فيقول : "من أراد أن يثبت كرامة للإمام العربى ، فأنا كرامة من كراماته "، وفى موضع آخر يقول ـ تواضعاً :" منْ أراد كرامة للإمام العربى فأنا كرامة من كراماته ، لا من بيت مشايخ ، أنا ولا جدى شيخ ، لكن شيخى يعمل من المعدوم مكنون".

وينظم قائلاً[٢]:

لولا المربى ما هُديت رشادا * فهو الذى للمكرمات أشادَ

---

(١) حديث السواد الأعظم ، سمعته منه فى تسجيل فيديو .

(٢) العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه " اللطائف السنية فى مولد خير البرية" ، قصيدة بعنوان : "شكر اليد التى عنها المد" ، ص١٠١ ،- ١٠٤ ، وذات البيت ورد فى ديوانه " بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات " ، قصيدة بعنوان :" السند الذى عنه المدد" ، ص ٦١ ، ٦٢ .

كما ترجمت كرامة لإمامنا العربى فى مهنة الطب التى وهبها الله له ، ويقول فى ذلك: " أوتيت فضلاً من الله وببركة رسول الله علم (٣٦٥) مهنة أقلها الطب "[١] .

وقد شهد الجميع بهذه الكرامة البيّنة لإمامنا العربى ، وقصدته الحالات المرضية المستعصية ، فشفيت على يديه بإذن الله ، وكان يكتب لكل مريض دواءه من العقاقير الطبية المختلفة ، ليصرفها من الصيدليات[٢] .

وذات مرة ـ أتاه رجل يشكو من ألم شديد فى عينيه ، وبعد أن عاينه إمامنا، حرر له ورقة باسم مرهم للعين ، فذهب بها إلى صيدلية بمدينة كوأمبو ، لصرفها ، وما أن قدم الورقة إلى دكتور الصيدلية ، ليصرفها له حتى سأله الأخير مندهشاً : منْ الذى كتب لك اسم هذا المرهم ، المنتج حديثاً ، وينزل الصيدليات لأول مرة ، ولم يعرفه أحد؟ فأخبره ، وتعجَّبا الاثنان من تلك الكرامة البينة لإمامنا العربى[٣] .

وأسجل ـ هنا ـ كرامة وقعت معى ـ ذات مرة أثناء زيارتى للكلح ـ إذ ارتفعت درجة حرارتى ، وغشيتنى حُمَّة شديدة ، فلمَّا أخبروا إمامنا بمرضى ، خرج وبيده سرنجة معبأة ، وقام بحقنها لىَّ بيده الشريفة ، وما هى إلا لحظات حتى انخفضت درجة حرارتى، وتماثلت للشفاء ، ببركة إمامنا العربى أستاذ الطب فى العالم[٤].

---

(١) راجع ما سبق ذكره عن موهبة إمامنا في الطب ، وعلاج الحالات الصحية الصعبة فى مبحث " الدور الاجتماعى والوطنى " ، الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا المؤلف .

(٢) يشار فى هذا الصدد أن أمامنا كان يحبذ المنتجات الألمانية من العقاقير الطبية ، ويفضلها على غيرها من الأدوية .

(٣) ذكر لى الحاج زين العابدين على مصطفى ، من أبناء العصبة الهاشمية أن الصيدلى المشار إليه هو الدكتور الديب ، صاحب صيدلية بكوم أمبو .

(٤) ولا يفوتنى ـ هنا ـ تسجيل أنه بعد اجتيازى الثانوية العامة وقبل بداية التنسيق لدخول الجامعة ذهبت إلى شيخى السواد الأعظم لأخذ رأيه فى الكلية التى أتقدم لها ، فأمسك ، وأحالنى إلى شيخه إمامنا العربى لمشورته فى ذلك ، وعندما ذهبت إلى الكلح ، أشار إمامنا بالتحاقى بكلية الشرطة ، ولمَّا ذكرت له ما تتطلبه هذه الكلية من شروط ومقاسات طول وعرض ، أرسل إلىَّ وصيفته آسية ممسكة بخيط من الدوبارة قاستنى بها على عتبة باب بيت إمامنا القديم ، ولمَّا أدخلتها إلى إمامنا فى خلوته، سمعته يدعو لى قائلاً : " توكل على الله " ، وبالفعل تيسرت لى أمور التقديم ، واجتزت جميع الاختبارات بتفوق ، وكنت من أوائل المقبولين بكلية الشرطة ببركة دعاء إمامنا ، ولازمتنى هذه البركة حتى تخرجت ضابطاً ، وكنت من أوائل الخريجين ، فجزاه الله عنى كل خير .

كما أذكر أنى عانيت لفترة طويلة من مرض جلدى ، يطفح كدائرة حمراء اللون وسط جبهتى ، تظهر فى شتاء كل عام ، وقصدت أكابر الأطباء فى مصر، فلم يفلحوا فى علاجها ، وما هى إلا مسكنات مؤقتة ، ثم تعاودنى مرة أخرى .

وذات مرة ، تصادف مرورى أمام بيت إمامنا العربى بالكلح ، وإذ بحضرته يخرج علىَّ فجأة ، ورأى ما ظهر على جبهتى ، فسألنى ، وأخبرته ، فما كان منه إلا أن وضع إصبعه السبابة على لسانه ، وابتلَّه بماء ريقه الشريف ، ثم وضعه على مكان الإصابة من جبهتى ، وما أن رفع إصبعه الشريف حتى خف الألم ، وتدريجيا تم شفائى ، ولم تعاودنى حتى يومنا هذا ، ببركة إمامنا العربى .

ويروى الشيخ جاد الغاى شيخ ساحة النور المحمدى بقفط ـ عن كرامة لإمامنا العربى ، حدثت أن زار الساحة وبصحبته جماعة فى سبعينات القرن الماضى ، وكان إمامنا فى خلوته ، وإذ بأحدهم يدعى المقاول محمد من دشنا ، وكان يجلس بجوار الراوى يعترض قائلاً : لى ثلاثة أيام منتظر خروج سيدنا الإمام العربى من الخلوة .. ده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربنا قال له : { وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }(١) .

وعلى الفور حضرت إليه الحاجة آسيا ـ وصيفة إمامنا ـ برسالة من الشيخ ، وقالت منْ الحاج محمد ؟ قال أنا . فقالت له : يقول لك الشيخ العربى : " تفضلاً من الله لا وجوباً عليه لو كانت الحيطان تحجبنا عن الحبان ما جلسنا خلفها "(٢) .

وبعد ذلك شاهد هذا المقاول إمامنا العربى يخرج إليه من الخلوة ، ويسلم عليه ، فصاح بين الجالسين : أهلاً مولانا أهلا مولانا " ، فقال له راوى الكرامة : ماذا حدث يا حاج محمد؟ قال : والله والله والله سيدنا الإمام خرج من الخلوة ، وأتى إلىَّ ، وسلم علىَّ حالاً . فى حين لم يره أحد غيره من الحاضرين معه في ذلك الوقت .

ومن كرامات إمامنا العربى البيّنة أنه كان لا يتأثر بالطبيعة ، فلايشعر ببرد ، ولا بحر، ويرتدى القميص الخفيف صيفاً وشتاء ، ويذكر الدكتور/ أشرف عبد الهادى حكاية عن الدكتور/ محمد منير ـ رحمه الله ـ أنه حال تقييد يده مع يد سيدنا الإمام فى سيارة الترحيلات فى محنة القلعة ـ وكان يوجد بسقف السيارة

(١) الحجرات : ٥ .

(٢) هذا الحديث سمعته فى تسجيل فيديو قديم .

سلك كهربائى عارى ، فلَمَسَه القيد الحديدى دون قصد ، فانتفض الدكتور/ منير من صعق التيار الكهربائى ، إلا أن سيدنا الإمام العربى لم يتأثر بهذه الصعقة ، رغم أنه كان مقيداً معه فى ذات القيد الحديدى ، ولمَّا سأله عن سبب تلك الانتفاضته والهزة الشديدة التى انتباته ، أجابه الدكتور/ محمد منير أنه ماس كهربائى ، فقال له إمامنا : نحن نؤثر فى الطبيعة ، ولا تؤثر فينا[١].

وكما أثبت العلماء المنصفون وقوع الكرامات للأولياء حال حياتهم ، فقد أثبتوا كذلك كرامات الأولياء بعد انتقالهم ، وهو أيضاً ما يقره صريح المعقول ، والمنقول ، فلا يجوز إنكار كرامات الأولياء لا فى حياتهم ، ولا بعد انتقالهم ، وقيل : " الولى كالسيف إذا ما مات أنسل " ، بل تكثر كرامات العارف بالله بعد انتقاله ، حيث انطلاق روحه ، فالموت يطرأ على الجسد لا الروح.

ولئن كان ما تقدم أمثلة يسيرة من كرامات إمامنا العربى ، التى وقعت حال حياته ـ فإن كراماته لم تزل بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وأشير ـ هنا ـ إلى إحدى هذه الكرامات ؛ تبركاً ، ومنْ أراد المزيد فليرجع إلى أبناء العصبة الهاشمية ليسمع منهم ، وينهل من كنوز صدورهم الزاخرة بمثل هذه الكرامات :

قص لىَّ السيد أحمد البدوى أن أحد المحبين ، وشهرته / الفار ، من أبناء العصبة الهاشمية ببلدة "القرعان" ، محافظة سوهاج ـ وفى عام ٢٠١٥م تقريباً ـ رأى إمامنا العربى جاءه فى رؤية منامية ، وقال له : اذهب إلى الأشراف بالكلح ، وبلغهم أن الرطوبة ، والنشع من مياه البحر قد وصلت إلى أساس ، وسملات ـ كمرات ـ مبنى الساحة من الناحية الغربية ، القريبة من مياه نهر النيل ، وأبلغهم بأن يقوموا بتدعيم هذا الجانب بسملات ـ كمرات ـ أخرى جديدة .

يستكمل السيد أحمد البدوى قائلاً : وبالفعل حضر الفار إلى الكلح ، وانتظر حتى مجيئنا من مولد سيدنا الحسين ، حيث قابل السيد عفيفى ، وأبلغه بما رآه فى الرؤية ، وعليه قمنا بالحفر فى هذه الوجهة التى أشار إليها الإمام العربى ، فوجدنا حديد الأساس والسملات من هذه الناحية قد تآكل حتى كاد أن يتلاشى تماما ، إلا أن الساحة لم تسقط ببركة سيدنا الإمام . وقمنا بحمد الله بتدعيم السملات كما قال الشيخ فى الرؤية للفار، وقد ترك ذلك التدعيم بروزاً فى قواعد

---

(١) نقلاً عن الدكتور / أشرف عبد الهادى ، فى تعليقه على بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " كريمة العربى" ، منشور فى ٢٠٢٠/١/٨م ، بعد التوثق من صحة ما ورد فيه.

الساحة من هذه الناحية ـ ناحية النهر ـ وهو البروز الذى يستخدم ـ حالياً ـ كمقعد للجلوس عليه .

وبهذه الكرامة ، يكون إمامنا العربى ـ بعد انتقاله ـ قد أنقذ مبنى الساحة من السقوط والانهيار فى الوقت المناسب(١) ، وبهذه الكرامة ـ أيضاً ـ نختم حديث كراماته ، التى لاينكرها منصف ، ويقول أحدهم(٢): " التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة فى نفسك ، فلا يفتك أن تصدق بها فى غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطل ".

وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدقين لكرامات أولياء الله تعالى ، وإن قصر عقله عن إدراك ذلك سَلَّمَ بتقصيره ، وأمسك عن الاعتراض . فقد قال بعضهم : يخشى على المكذب للأولياء سوء الخاتمة ، وقال أبو النخشبى : "من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر " ، بمعنى غطى عليه الأمر ، وستر عنه شهود قدرة الله تعالى(٣) ، جعلنا الله وإياكم من المعترفين بفضله فى عباده ، ومن المصدقين بآثار عنايته فى أهل وداده.

المطلب الثانى

محنته

تُعد المحن من السنن الكونية التى تجرى على الخلق ؛ اختباراً لهم ، وتمحيصاً لذنوبهم ، وتمييزاً بين الصادق والكاذب ، يقول الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ : " الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتعبدهم بانواع

---

(١) يشار إلى أن الفار هذا هو الذى تسبب فى بناء الساحة الجديدة بالكلح ، فقد كانت الساحة القديمة مسقوفة بالعروق الخشبية والجريد ، وأثناء تواجد الفار بالكلح صعد فوق الساحة القديمة لأمر ما ، وأثناء سيره على السقف سقط به وتسبب ذلك كسر فى ساقيه ، وكانت هذه الواقعة هى السبب فى هدم الساحة القديمة ، والبدء فى بناء الساحة الجديدة بالخرسانة المسلحة .

(٢) قول الإمام أبى القاسم الجنيد ، سيد الطائفة رضى الله عنه ، مشار إليه فى كتاب لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن للعارف بالله تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، مرجع سابق ، ص٩ ، ومصداق ماقاله الإمام الجنيد قول الله سبحانه وتعالى :{ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور }آية٤٠ من سورة النور .

(٣) تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩ .

المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلل فى نفوسهم ، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله ، وأسباباً ذللاً لعفوه "[١] .

وأود التنويه ـ بداية ـ أنى ما قصدت بضمير الغائب فى كلمة " محنته " بأن أنسبها ـ حقيقة ـ إلى إمامنا العربى ، فما تحرك إمامنا ، أو سكن ، وما نطق ، أو صمت ، وما اختلى بربه ، أو خالط خلقه إلا بإذن الله ورسوله ، وما من أمر حدث له ، أم لم يحدث إلا وهو فعل الله ورسوله ـ ومن كان كذلك ، جَنَّبَه الله من شدة المحن ، وحفظه من رؤية المنن ، فهو لا يرى إلا المنان ، ورسوله العدنان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وإن كان لا يصح ـ والأمر كذلك ـ إسقاط الهاء فى " محنته " على إمامنا العربى ـ حقيقة ـ فلا غضاضة فى نسبتها إليه حكماً ، ولا مشاحة فى أن ما حاق بأبناء العصبة الهاشمية من ابتلاء يمكن أن يطلق عليه محنة لإمامنا ، بوصفه شيخ العصبة الهاشمية، والأب الروحى لأبنائها ، وهو أولى بهم ، ويتألم بآلامهم .

بدأت أحداث تلك المحنة إثر وشاية الحاقدين على العصبة الهاشمية ، وما تحلَّى به أبنائها من صفات حميدة ، وأوصاف نبيلة ، وفتوحات مبينة ، ونفحات عظيمة ، فكثر اتباعهم ، وانتشرت دعوتهم فى البلاد ، وذاع صيتهم بين العباد[٢] .

ولم يتحمل الحاقدون من أعداء العصبة الهاشمية رؤية المِنَّة ، التى شملت أبناء العصبة الهاشمية ، فعضُّوا على أناملهم من الغيظ ، وتفننوا فى عذلهم ،

---

(١) نهج البلاغة للشيخ محمد عبده .

(٢) أذكر أن أتيحت لى فرصة لمقابلة إمامنا العربى عقب انتهاء إحدى جلسات التحقيق معه بمعرفة نيابة أمن الدولة العليا وترحيله إلى محبسه ، وكان بجواره فى سيارة الترحيلات الدكتور محمد منير ، حيث أعلن إمامنا أمامى أن مجموعة من الأطباء قد أخذتهم الغبطة من الدكتور منير وأخيه الدكتور أحمد ممدوح لفتحهم عياداتهم للكشف المجانى طوال شهر رمضان ، مما يؤثر على دخل عيادات الأطباء من حولهم ، فضلاً عن مائدة إفطار رمضان ، التى يقوم بها الدكتور منير واخوته من أبناء العصبة الهاشمية ، التى تجذب إليها أهل المنطقة ، فضغنت صدور هؤلاء الأطباء وقاموا بشكاياتهم إلى السلطات ، والإدعاء عليهم بما ليس فيهم ، كما أذكر أن إمامنا أبلغنى برسالة فى هذه المقابلة إلى السيد الميرغنى بالسودان قائلاً : قولوا له أخوك محمد العربى فى حيرة فى مصر " ، وقد تم إبلاغ الرسالة بمعرفة الحاج على أبو الحسن أخ السواد الأعظم المقيم بالسودان ، كما طلب منى إمامنا أيضاً أن أطمئن والد الدكتور منير على ابنيه ، وان حبسهما حدث عارض ولن يطول ، وهو ما كان بالفعل .

ولاموهم على نُبْلِهم ، وراحوا يوشون إلى السلطات بخطورتهم ، ونسبوا إليهم مزاعم كاذبة ، وألحقوا بهم أفكاراً ضالة لا تمت لهم بصلة ، وشاعت الفتنة ، وارتابت السلطات فى الأمر ، وقررت التأكد من صحة هذه المزاعم ، وحقيقة تلك الأفكار ، فأصدرت أمراً قضائياً بضبطهم .

وفى الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام ألف وأربعمائة وثنتين من الهجرة النبوية (٢٣/ ١٤٠٢/٩هـ) ، الموافق الرابع عشر من شهر يوليو لعام ألف وتسعمائة وثمانين وثنتين من الميلاد (١٩٨٢/٧/١٤م) ـ تم ضبط مجموعة من أبناء العصبة الهاشمية بالمعادى بالقاهرة ، وحبسهم ، و بعد ثلاثة عشر يوماً ـ تقريباً ـ من ذلك التاريخ تم ضبط إمامنا العربى ، وكذا السواد الأعظم ، وفى توقيت معاصر ، تم ضبط نخبة أخرى من أبناء العصبة الهاشمية فى بعض محافظات مصر ، وأودعوا جميعاً سجن القلعة بالقاهرة[١] .

وقد سبقت هذه المحنة بعض الإرهاصات ، يقص الدكتور/ محمد منير ، قائلاً : " نعم ، كنت بالساحة قبل موضوع القلعة بأيام ، ونويت التوجه إلى القاهرة ، فدخلت على سيدنا الإمام ، وطلبت من حضرته الإذن بالسفر ، فقال لى : " مسافر يا منير ، اذهب يا منير إلهى يسجنوك يا منير ، إلهى يسجنوك يا منير" . فصرخت ، فأتت السيدة حليمة ـ زوجة إمامنا ـ على صوت صرختى ، وقالت : مالك يا دكتور؟ فقلت لها : سأُسْجَن يا أمى ، سأسجن ، فردت قائلة : لمَّ تقول ذلك ؟ فقلت لها : ليس أنا الذى قلت ، سيدنا الإمام هو الذى قال . فقالت لى : لعله يمزح معك . فقلت لها : لا هؤلاء لا يمزحون ـ هزلهم جد ، وجدهم جد الجد ـ ومادام قال ستسجن فسوف أسجن ، وقد كان" .

ويضيف الدكتور / محمد منير نقلاً عن الحاج عادل أبو راضى ـ رحمة الله عليه ـ من أبناء العصبة الهاشمية ، وكان متواجداً بالكلح عقب ضبط مجموعة المعادى ، وكانت مبانى المسجد ، والساحة ، والعمارة فى انتظار خط التنظيم ، فقال إمامنا للحاج عادل أبو راضى : " هذا خط التنظيم ، ستأتى الحكومة لكى تقيس ، ستأتى الحكومة تقيس ، ستأتى الحكومة تقيس " ، وكلمة الحكومة فى اللهجة الصعيدية تعنى : الشرطة، فرجح أنها إشارة إلى حضورالشرطة إلى بيت إمامنا لضبطه ، وعمل كردون على محل إقامة إمامنا وقت ضبطه .

---

(١) نقلاً عن : سعد شريت من أبناء العصبة الهاشمية بالمعادى ، ممن شهدوا القلعة .

كما يذكر الدكتور منير ـ حكاية عن آخرين ـ أن السواد الأعظم أرسل لإمامنا قائلاً : يا أبتى ، منير مقبوض عليه ، أنا سأذهب إلى سوق الثلاثاء فى دراو ، وأبيع بهايم ، وأذهب لأهل الدكتور منير، إلا أن سيدنا الإمام قال له : " اصبر يا حاج أحمد كلنا سنذهب إليهم " ، فى إشارة واضحة على ضبطهما ، وترحيلهما إلى ذات محبس الدكتور منير ومن معه .

وعن يوم ضبط إمامنا ، يسترسل الدكتور/ محمد منير ـ حاكياً عن آخرين ـ قائلاً : " فى صباح ذلك اليوم استيقظ سيدنا الإمام على حالة جعلت زوجته السيدة حليمة تتحير، حيث ارتدى جلباب السفر ، وجهز شنطة السفر ، ووضع بها كل ما يحتاجه لفترة طويلة، فسألته زوجته : أتسافر ياسيدنا ؟ وإلى أين ؟ قال لها : مصر . يا حليمة ، وفى الليل سمعوا طرق على الباب ، فقال إمامنا : أنا سأفتح الباب .ولما فتح الباب ، فإذ بضابط شرطة على الباب يظهر عليه الخجل . فقال له إمامنا : لمَّ تأخرتم علىَّ ياولدى؟ أنا منتظركم منذ الصباح ، فرد عليه قائلاً : يا مولانا أنا لم أعلم بأمر الضبط هذا إلا منذ ساعتين فقط .

ويقول الحاج أبو بكر سبيب ـ من الرعيل الأول من أبناء العصبة الهاشمية بأسوان ـ أنه كان موجوداً بساحة الإمام على بالكلح لحظة حضور قوات الأمن ، والضباط برئاسة رتبة كبيرة (عميد) ، لاصطحاب إمامنا إلى القاهرة للتحقيق معه ، فلمَّا خرج إليهم إمامنا من منزله ـ وكان ذلك فى وقت متاخر من الليل ـ رفع يده الشريفة إلى السماء قارئاً فاتحة الكتاب أمامهم ، فظن الضباط أن إمامنا يقرأ الفاتحة بغرض الدعاء عليهم، فرجَوْه ألا يدعو عليهم ، وقالوا له : ما جئنا إليك يا مولانا بإرادتنا ، وما نحن إلا مأمورون ، ومنفذون لأوامر قادتنا ، ولا نجهل قدرك فلا تدعو علينا . فقال لهم إمامنا: " أنى لا أقرأ الفاتحة دعاء عليكم ، ولكن قرأتها لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الذى أخرجنا فى هذا الوقت " .

والشاهد ـ هنا ـ أن خروج إمامنا العربى إلى سجن القلعة كان بأمر من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ تشريفاً لحضرته ، ونشراً لدعوته .

وفى طريقه إلى القاهرة كشف إمامنا عن أولى البشائر، التى صاحبت تلك المحنة ؛ إذ عرَّف برتبته ومقامه ، فقال لأحد الأحباب وهو على كرسى الطائرة التى ستقله إلى القاهرة : " أبى الله إلا أن أكون خاتم الأولياء "[1].

حذا الإمام حذو الصِدِّيقين ، ودخل السجن وهو أحب إليه ، ودخل معه السواد الأعظم صاحبه وفتاه ، ونخبة من أبناء العصبة الهاشمية .

وفى التحقيقات ولدت من رحم هذه المحنة منحة أخرى ؛ إذ تحدث إمامنا العربى ـ لأول مرة ـ عن نفسه ، وسياحته وخلوته ، كما ذكر نسبه الشريف من جهتى الأب والأم وحقق بذلك أمنية طالما أنتظرها الأحباب ، وكانت لهم أعز بشرى[2] .

كما سجل إمامنا فى تلك التحقيقات ، حقيقة العصبة الهاشمية ، وسبب تسميتها ، وكيفية الانتماء إليها ، ولمن يدين أبناؤها ، كما أجلى أفكارها ، وعقيدتها ، ونهج التربية فيها[3] .

ويشهد الدكتور/ محمد منير قائلاً : " وأصبح سيدنا الإمام محل أنظار ، وقلوب كل القلعة سجَّانين ومسجونين ، حتى أن الضباط كانوا يتجمعوا فى زنزانته رقم (١٤) ؛ ليستمعوا كلامه ، لا على أساس أنه متهم ، بل كشيخ يخرج من فمه درر المعانى ، والفيوض الربانية ، وكانوا يقولوا لنا : لم نكن نتوقع أن على وجه الأرض منْ هو مثل الشيخ ، ولا مثلكم أنتم ، حتى إنكم لم تُظهِروا غضبكم منا ، ولا من الدولة على حبسكم، وما رأينا منكم إلا كل تسليم

---

(١) سمعت من الحاج أبو بكر سبيب الجعفرى المقيم بأسوان ومن أحباب إمامنا أن الحاج محمد رشدى البدرى رحمة الله عليه ـ وكان من أحباب إمامنا ، ويعمل رئيساً للعلاقات العامة بالسد العالى ومن طبيعة عمله مصاحبة الأفواج السياحية من قاصدى زيارة السد ، أخبره : أنه ـ إبان أحداث القلعة عام ١٩٨٢م ـ كان فى وداع أحد الأفواج السياحية من مطار أسوان ، ولما صعد الطائرة فوجئ بسيدنا الإمام جالساً على أحد المقاعد بها وبجواره حراسة أمنية ، فعلم أن الإمام متجه إلى القاهرة للتحقيق معه بمعرفة أمن الدولة ، ولما سأل سيدنا الإمام عن ذلك ؟ قال له الإمام العربى تلك المقولة الواردة بالمتن ،انظر ما سبق ذكره فى هذا الشأن فى مبحث " الإمام العربى خاتم الأولياء " الفصل الثانى من الباب الثالث من هذا المؤلف .

(٢) يشار إلى أن السواد الأعظم بعد علمه بخبر تعريف إمامنا نفسه ، ونسبه الشريف ـ ابتهج و فرح وتهلل وجهه ورقص داخل مكتب التحقيق بسجن القلعة ، وقال للمحقق الذى بشره بالخبر : " واللهى ما جئنا إلى هنا إلا من أجل ذلك " .

(٣) انظر ما سبق ذكره فى هذا الشأن فى مبحث " العصبة الهاشمية عقيدة ونهج " الفصل الأول من الباب الثانى من هذا المؤلف .

لله ، ومحبة لرسوله وآل بيته ، بصراحة نحن مستغربون من مجيئكم هنا ، وقال لنا مأمور السجن : اعتبروا أنفسكم فى نزهة ، أو رحلة حتى يأتى أمر الإفراج عنكم" .

بعد أن وضح السبيل ، وظهر الحق على لسان إمامنا العربى ، تم تبرئة العصبة الهاشمية من زيغ وضلال ما حيك لها ، وحُفِظت التحقيقات فى مهدها ، وأفرج عن إمامنا العربى ـ ومن معه ـ بعد ثلاث أسابيع من ضبطه لعدم الجناية .

ووقفت السلطات على حقيقة العصبة الهاشمية ، وأثبتت بالمستندات صدق دعوتها، بما يحصنها من أى شبهة قد تثارعنها مستقبلاً ، وهذه منحة أخرى عظيمة أفرزتها تلك المحنة ، التى لا يزال أبناء العصبة الهاشمية ينعمون بنتائجها .

هذا فضلاً عن دور تلك المحنة فى نشر دعوة العصبة الهاشمية ، بعد أن تناقلت الصحف اليومية والأسبوعية ، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة أخبار العصبة الهاشمية ، وصورهم ، وأقوالهم فى التحقيقات الجارية معهم ، حتى عمَّت دعوتهم الآفاق ، وفى المأثور : " إذا أراد الله نشر فضيلة سَلَّطَ عليها لسان حقود " .

وقد بشَّرَ إمامنا العربى من شهد تلك المحنة من أبناء العصبة الهاشمية قائلاً : " من شهد القلعة فقد شهد بدر " ، واعظِم بها بشرى ، فقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قصة حاطب بن أبى بلتعة ـ ممن شهد بدر ـ فيما معناه :" لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "(١).

---

(١) حديث رقم (٢٤٩٤) عن إسحق بن إبراهيم قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن الحسن بن محمد أخبرنى عبيد الله بن أبى رافع وهو كاتب على قال سمعت عليا ـ رضى الله عنه ـ وهو يقول بعثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا حاطب ما هذا قال لا تعجل على يا رسول الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها أكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قربات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال النبى ـ صلى الله

ويطيب لى ـ هنا ـ تسجيل أسماء من شهدوا واقعة القلعة ؛ تشريفاً ، وتبركاً : من أهل الصعيد ، وخارج القاهرة سيدنا الإمام العربى ، والحاج أحمد أبو الحسن ، والحاج محمد كامل ، والدكتور صلاح ، والدكتور بكر ، والحاج فؤاد الخطيب ، وأ. محمد الهوارى ، ومن أهل القاهرة د. محمد منير ، ود. أحمد ممدوح ، و أ . فؤاد حشيش ، والشيخ محمد عبد الكريم ، وأ. سعد شريت ، وأ. عبد الكريم شريت ، وعم عزت أبو الأستاذ أشرف المحامى ، وأ . أحمد عبد المحسن ، وأ. أحمد علام المحامى ، وأ . سعد أحمد يوسف ، وثلاثة آخرين لم يكن لهم علاقة بالعصبة الهاشمية ، وهم : أ.عبد الرسول من أسنا (تشابه أسماء مع أحد الإخوان) ، وجمعة المكوجى ، وأحمد النبراوى"(١).

ويسرد الدكتور / محمد منير ـ رحمة الله عليه ـ كرامة لإمامنا العربى حدثت أثناء دخولهم إلى سجن الاستئناف توطئة للإفراج عنهم ، يقول : " أنزلونا فى سجن الاستئناف ، والضباط هناك فتشوا شنطنا ، فوجدوا معى كيس به دواء الشيخ ، فقالوا هذا ممنوع دخوله السجن ، وسوف نحتفظ به فى الأمانات ، وعندما تحتاجون لقرص منه أرسلوا لنا وخذوه ، استسمحتهم يتركوا الدواء ، لأن الشيخ مريض ، وممكن يحتاج دواء فى أى وقت ، فرفضوا ، ووضعوا كيس الدواء فى درج الأمانات ، وأغلقوه ، وكتبوا عليه خاص بمحمد منير ، وعندما دخلت الزنزانة فتحت شنطتى ، فوجدت كيس دواء الشيخ ما زال بها ، فأثلج جسدى لسببين : أولاً ـ للكرامة التى أمام عينى ، وثانياً ـ لأن وجود كيس الدواء يمكن أن يؤدى إلى مشاكل ، فلففته بداخل بطانية ، وربطت عليه بعقدة ، ونمت .

استيقظت فى الصباح على وقع أقدام تتجه نحو زنزانتى ، ربنا ألهمنى إنه مدير السجن ، جاء يمر علىَّ كوارد جديد ، خفت ، وبسرعة خبأت كيس الدواء ، وألقيت به فى زاوية الزنزانة ، والله على ما أقول شهيد ، مدير السجن سألنى

عليه وسلم ـ صدق فقال عمر دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله ـ عز وجل { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء " . شرح النووى على مسلم " كتاب فضائل الصحابة " باب من فضائل أهل بدر ـ رضى الله عنهم ـ وقصة حاطب بن أبى بلتعة .

(١) أوردت هذه الأسماء حسبما ذكرهم الدكتور/ منير فى شهادته ؛ إذ يقول : " أحب أن اذكر إخوانى الذين تشرفوا بمصاحبة الإمام فى القلعة ـ على قدر ذاكرتى ـ فلو نسيت أحد فليسامحنى" ، ولعل الأسماء الثلاثة الأخيرة ، الذين ضبطوا وليس لهم أى علاقة بالعصبة الهاشمية ـ كانت نقطة ضعف فى القضية ، ودليلاً على فساد واضطراب التحريات حول العصبة الهاشمية وأبنائها ، والتسرع فى ضبطهم

ما تهمتك ؟ فسكت، فأنا لا أعرف ما هى تهمتى ، العساكر ردوا عليه ، وكان أحدهم يضع عصاه على الكيس وأنا ادعى يارب سلم ، حتى انصرفوا .

وعقب ما انصرفوا الشيخ كلمنى من زنزانته بصوت عالى قائلا :" يا منير يا خى ، ابعت لى قرص القولون " ، فأنا تسمرت فى مكانى .

يستكمل الدكتور / محمد منير قائلاً : " أنا طبعا روحى اتاخدت زى ما بيقولوا ، عارف إيه يعنى أشوفهم ، بيقفلوا الدرج على كيس الدواء ، واطلع ألاقيه فى الشنطة ، والشيخ عارف إنه معايا رغم إنه حاضر وناظر لكل ماحدث" !! .

وفى ذات السياق ، يُذكَر أن ضابط منوب سجن القلعة ، خرج فى إجازة صيفية بالأسكندرية ، وهناك رأى فى رؤية منامية أن سيدنا النبى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ محبوس فى الزنزانة رقم (١٤) بسجن القلعة ، فانزعج ، وقطع الأجازة ، وعاد إلى السجن ، وتوجه إلى الزنزانة المذكورة ، وعندما فتحها وجد إمامنا العربى فيها ، فاندهش ، فقال له إمامنا : " أهلاً يا محمود ، هو جدى ، وأنا وارث حاله " .

وفى مشهد آخر داخل السجن ـ يقص الدكتور قائلاً : " لمَّا تعبت من الحبس ، دخلت على سيدنا الإمام ، ووضعت رأسى فى حجره الشريف ، وأخذت أبكى ، وقلت له يا أبويا أنا زهقت ، دلوقتى أنا بطلب الفرج ، فالشيخ ـ سلام الله على حضرته ـ وضع يده الشريفة على رأسى ، وقال لى : يا ولدى اسأل الله باسمه الأعظم ، قلت له : وما هو اسمه الأعظم يا أبتى ؟ قال لى : قل له :" سقت عليك النبى والإمام على " .

رجعت إلى زنزانتى ، ومكثت أدعو الله ، يارب سقت عليك النبى ، والإمام على تفرج كربنا ، وتحل أزمتنا ، وأخذت أكرر الدعاء بتلك الصيغة حتى لم يعد ما أقوله ، فخرجت من زنزانتى ، وتقابلت مع إمامنا ، وصحبته ليتوضأ ، وبعد أن اسبغ إمامنا وضوءه ، ولبس عمامته ، قال مقولته الشهيرة : " كانت على الأمة الإسلامية تبعات قضيت اليوم"[١] .

تهلل وجه الدكتور / محمد منير بمقولة إمامنا ، ووعى مدلولها ، وها هى أم البشائر فاليوم تنتهى محنة العصبة الهاشمية ، وتُقضى تبعات الأمة المحمدية .

---

(١) التَبِعَة فى اللغة : المسئولية ، (فقهية) ، أو عاقبة العمل من خير أو شر ، إلا أن استعماله فى الشر أكثر ، المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٧٢ .

هبَّ الدكتور منير فرحاً بما سمع ، وراح يبشر السواد الأعظم ، إلا أن الأخير صرخ صرخة غضب دوَّت فى أرجاء السجن ، فسأله الدكتور : لمَّ ؟ فقال له : يا ولدى سنخرج، فاستفسر منه ، ولمَّ الغضب إذن ؟ قال له " يا ولدى كنا نبغى أن نخرج خروجاً علمياً، بتنظيم مناظرة علمية ، ومناقشة دينية بيننا وبين رجال الأزهر ، لكى نثبت أمام الجميع صحة معتقداتنا[١].

صدر قرار الإفراج عن المحبوسين من أبناء العصبة الهاشمية ، وقضى الله تبعات كانت على الأمة المحمدية ، فجزى الله إمامنا العربى عن أمة جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ كل خير، وجزى الشدائد خيرا ، وأنقلبت ـ بفضل الله ورسوله ـ المحنة إلى منحة . وبانت من الكرامات .

وفى الختام أسوق قصيدة عصماء أنشدها السواد الأعظم عن ملحمة القلعة ، و أحداثها ، وفوائدها ، فهيا ـ عزيزى القارئ ـ نتمثل سوياً حقائق ومجريات هذه الملحمة، ونستلهم العِبَر منها ، فإن لم يصبنا وابل فطل ، يقول السواد الأعظم[٢] :

ما رأينا فى القليعة وحشة * بين راحات النبى مقامنا
جاءه المختار يسعى مسرعا * قال يا محبوب أنت بعيننا
ثم جاء معانقاً ومقبلا * خير خلق الله قال يا ابننا

---

(١) عولت فى نقل أحداث القلعة على أقوال الدكتور / محمد منير التى ا جاءت فى شهادته على أحداث القلعة التى سجلها فى (٧) حلقات بعنوان " الختم فى القلعة ... أحداث صنعت التاريخ " ، الحلقتين الأولى ، والثانية منشورتين على صفحة (فيس بوك) باسم " سلطان العاشقين سيدنا الإمام على العربى الإدريسى ، فى ٢٠١٩/٥/١٩م ، ٢٠١٩/٥/٢٣، والحلقات (٥،٦،٧) على صفحة باسم " خديجة العربى" منشورة فى ٥/٢٣ ، ٦/١٤ ، ٢٠١٩/٧/٥م ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى تلك الحلقات ، وقد توثق لدى صحة ما جاء بهذه الشهادة يشار إلى أن الدكتور/ محمد منير من الرعيل الأول فى محبة إمامنا ، وتزوج من السيدة خديجة ابنة إمامنا ، وانجب منها السيد سالمين ، والسيدة سلمى ، وجمع الله على يديه أبناء العصبة الهاشمية بالقاهرة ، وعاش رمزا لإمامنا يقصده المريدين من كل مكان ، متفانيا فى مودة أبناء إمامنا ، وأحبابه ، مضحياً بكل ما يملك ، عقب تسجيل شهادته ،انتقل الدكتور / محمد منير إلى الرفيق الأعلى مساء الأربعاء ٢٠٢٠/٥/٢٧م رحمة الله عليه ، وجزاه عن العصبة الهاشمية وأبنائها كل خير .

(٢) قصيدة " ما رأينا في القليعة وحشة * بين راحات النبى مقامنا " أنشأها السواد الأعظم عقب الخروج من القلعة ضمن قصائد أخرى تتحدث عن محنة العصبة الهاشمية ، وهى ما زالت مخطوطة ، وتحت الطبع في ديوان جديد يعدَّه السيد / محمد أحمد أبو الحسن ابن شيخى السواد الأعظم ، الذى تعهد بجمع تراث أبيه من الشعر والنثر ، وقام بطباعة ، وإعادة طباعة العديد من دواوين القصائد لأبيه و قد أمدنى بهذه القصيدة قبل طبعها ، فجزاه الله عنى وعن العصبة الهاشمية خيرا .

نحن بيت الصبر من يوم القدم * لنجاة الناس ربى اختارنا
ثم صافحه النبى بكفه * كل فرق قد تلاشى بيننا
حجة المختار قد وضحتها * مدمغ بالحق عن برهاننا
جئت بالحق المبين معرفا * قد تدافع يا فتى عن ديننا
عصمة المختار ثم حياته * قلتها بالنص عن أستاذنا
من كتاب الله حجتكم بدت * قال خير خلق الله فهو إمامنا
إنما الأحداث قد زلزلتها * حزت نصراً وعَلَت أعلامنا
فخرنا بالله ثم رسوله * عزنا بالآل هم زخر لنا
فالقليعة شُرِفَت بدخولنا * حيث خير الخلق فيها زارنا
إنما الحُكَّام قروا وشاهدوا * باعتراف قد رأوا لنبينا
كانوا أعداء وصاروا بفضله * ضمن أحباب سروا بركابنا
كم كروباً فُرِجَت بوصوله * عن رهان السجن فهو بجدنا
قالوا عصبتكم فأين دليلها * يا أبا العرفان هيا أجيبنا
قلت خير الخلق طه وآله * من بنى الزهراء خذ عنهم أنا
فأنا العصبة والعصبة أنا * كل خير جاءكم من بيتنا
كل حُكَّام إذ نرضى لهم * قد يكونوا محتمين بظلنا
قالوا عَرِّفنا باسمك والنسب * فأجب بالفضل يا أستاذنا
قلت اسمى محمد من آله * وأبو الفتح هي حال لنا
وأبى المفضال سيد وقته * بل سَمِيّ لعلى كرارنا
وكذا جدى سليمان الذى * فهو إدريس نسب جدنا
إننى لب السويداء التي * عمت الإيجاد من إدريسنا
قالوا إدريس السنوسى عضيدكم * قلت سالك مده عن جدنا
فالمثانى السبع مع أستاذهم * وكذا الأبدال هم من بيتنا
مغربى هاشمى أبطحى * من سليمان به كان فخرنا
فأنا المحض الذى من عصبة * مجمع القمرين نسل نبينا
الشريف المحض أماً وأبا * باعتناء طهرت أنسابنا
إنما المختار فينا تقلبا * فالدهور أُمِنَت بجمالنا
لجنة التحقيق قالت هل ترى * خير خلق الله قلت مُعْلِنا
لم يغب عنى النبى طرفة * ولا أدنى فاسمع قولنا
قد أرى المختار منذ ولادتى * حيث لاحجب تبدت بيننا

ورسول الله ليَّ ميمما * قائداً وموجهاً إلى سيرنا
نحو أهل الله كان يسوقنى * فهو أستاذى ومبلغ قصدنا
وبهذا البيان الوافى عن واقعة القلعة اختم حديث تلك المحنة .

المبحث الثانى

وفاته ، ونصائحه

يتضمن هذا المبحث حديث الأحزان ، وسدل الستار ، وختام سيرة إمامنا العربى خاتم الأولياء ، بذكر وفاته ، ورثائه ، ونبذة عن ضريحه ، والأضرحة المجاورة له ، وذلك في مطلب أول ، ونختم في المطلب الثانى والأخير بصياغة بعض من مناجاة ختمنا العربى ، وحِكَمِه ، ونصائحه ، أضعها بين يدى القارئ للانتفاع بها ، وعلى النحو التالى .

المطلب الأول

وفاته ، وضريحه

كما واجه إمامنا العربى الحياة الدنيا بفتوته ، وزهده فى زينتها ، وعزوفه عن ملذاتها ـ واجه الموت بجسارة منْ لا يهاب الموت ، وشوق حار لا يبرده إلا لقاء خالق الموت والحياة .

وفى الحديث القدسى ما معناه :" يا محمد أنت قبضة من نورى ليس لها صبر حتى تعود إلىَّ " تأَوَّلها إمامنا : " حَتَّى : (حدْ ... تَّاه) ، حَتَّى : وَحَدْتَّه ، عُدْ إلينا يا منْ ليس له صبر علينا ، عُدْ إلينا بمن تاهو فيك ، ووحَّدونى فيك"(١) .

أكثر إمامنا فى أخريات حياته من ذكر الرحيل ، يقول لزوجته : " يا حليمة أنا ماشى منك " . فتقول له : يا شيخ محمد أنت ماشى فين؟ ، كل شوية تخوفنا ، وتقول أنا ماشى ح تروح فين؟ ـ معتقدة أنه سيترك الكلح إلى بلد آخر ـ فيرد عليها : أنا ماشى الى الآخرة ، فتقول : أوتتركنا وأبناءك مازالوا صغاراً يا شيخ

---

(١) سمعته من إمامنا وهو يتحدث مع السواد الأعظم فى تأويل الحديث المشار إليه فى المتن ، ويقول السواد الأعظم : أن هذا الحديث فيه طريق السير إلى الله ، فمن لم يكن فيه من تلك القبضة لا يرى الحضرة ، ويينشأ فى قصيدة بعنوان " زمردة يتيمة فى الحضرة القديمة " قائلاً "أنت المشاهد للمشهود يا طه * أنت الذى قبضة المعبود إياها" ، يا قبضة النور قبل القبل ساكنة * فى حضرة الغيب زملها وداراها ، أنت الذى مجلى عرش الحمد فى أزل * فلا يُرى الله إلا من ثناياها ، انظر ديوان السواد الأعظم بعنوان " اللطائف السنية " ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

محمد ؟ . يجيبها بلغة الواثق بربه : "يا هابِلة أبنائى سلَّمتهم لله ، ورسوله من بدرى " .

سَقِمَ الجسد حنيناً للقاء ربه ، اسْتَرْوَحَ إلى مستشفى أسوان العام فلم يجد راحته، فخرج منها ، وما برح يعاوده الألم ، واشتد عليه ، فأذعن لرغبة أحبابه بضرورة العرض على مشاهير الأطباء بالقاهرة[١] .

توجه إمامنا إلى القاهرة فى آخر رحلات علاجه ، ونزل بمنزل الدكتور/ فاروق القاضى بمصر الجديدة ، ذلك المنزل الذى كان يجتمع فيه إمامنا مع أحبابه ، فيكتظ بالأضياف والزوار ، وتفد إليه الوفود ، والأحباب من كل صوب وحدب ، يتسامرون فى الله ورسوله ، ويعجون بالمدائح النبوية ، وتُمَد الموائد على شرف إمامنا ، ويبيت المرافقون ، والمغتربون في ردهاته ، فيسعهم جميعاً مع ضيق مساحته ، فسم الخياط إلى الأحباب ميدان .

صار المنزل هذه المرة مُرَّاً تسوده المرارة ، محزوناً وأهله حزانى ، ساكِناً ، و خالياً إلا من سُكَّانه ، واجماً لاتسمع فيه كلاما ، لا حديث فيه إلا همساً ، ولا شُغْلِ إلا بجدول عرض إمامنا على الأطباء ، أو مواعيد تناوله الدواء[٢].

مازال إمامنا بالقاهرة ؛ يستكمل العلاج ، ومرافقوه يجولون ، ويتطوفون بكل طبيب ، حتى يئس الأطباء ، وصرَّحوا بكلمة العجز .

لكن المرافقين لا يقنعوا برأى الأطباء ، ولن ييأسوا من روح الله ، فراحوا يعرضون إمامنا على أطباء آخرين ، علَّهم يصادفوا بصيص أمل في النجاة من القدر المحتوم .

---

(١) تم عرض إمامنا على كثير من الأساتذة من الأطباء الجامعيين بالقاهرة ، إلا أن منْ تولى متابعة حالة إمامنا ـ فى الأصل ـ هو الأستاذ الدكتور / يسن عبد الغفار الخبير العالمى فى علاج مرضى الكبد ، وقد أثنى إمامنا عليه ، ووصفه بأنه رجل صالح ، وربطت بينهما علاقة طيبة ، فكانا إذا ألتقيا يقبلان يدا بعضهما البعض .

(٢) قضى إمامنا العربى رحلة علاجه الأخير بمنزل الأستاذ الدكتور / فاروق القاضى بمصر الجديدة بالقاهرة ـ الذى قال عنه السواد الأعظم أنه أشرف منزل بالقاهرة ، وكان يرافق إمامنا نخبة من أحبابه بكوم أمبو ، منهم الدكتور محمد الفاتح ـ نقيب صيادلة أسوان حليا ـ والسيد عبد المجيد صالح حسن الجعفرى ـ زوج ابنته ، والحاج سيد البواب من أخلص أحبابه ، والعمدة حسين بغدادى ـ عمدة حجازة حاليا ، وظل هؤلاء النفر من أبنائه المخلصين مرابطين فى خدمة إمامنا بعد عودته إلى بيته ، يتابعون علاجه ، ويشدون من أزر أهله ، وقد شرفنى الله أن أشاركهم الرباط ـ أحيانا ـ حتى قضى إمامنا نحبه ، فهنيئاً لهم بخدمة ختم القوم ، وجزاهم الله كل خير .

على الجانب الآخر ، يخرج السواد الأعظم من بيته رث الثوب ، حافى القدمين ، يرثى شيخه باكياً ، متوجهاً إلى مطار أسوان ، يستقل الطائرة إلى القاهرة ؛ لِحاقاً بالإمام ، يودعه فى آخر لقاء حسى بينهما .

وصل المنزل ، وجلس السواد الأعظم فى ردهته كئيبا ، وما فتئ يجأر بالبكاء والرثاء ، فينتهى صوت بكائه ، إلى سمع إمامنا ، ويعلم بحزنه وغمه ، فيطلب طمأنته وتهدئة روعه ، ودعاه للدخول عليه فى حجرته ، وما أن رآه قال له : أحضرت يا أحمد؟ ، ثم وضع يده فى يده .

يقول السواد الأعظم :" فلمَّا وضع يده فى يدى ؛ إذ تبدَّل المشهد ، وانتقل بنا المكان ، وإذ بنا على جبل قاف ، وأعطانى الإمام كل ما فيه ، فضلاً على ما هو فى . ولمَّ لا ؟ فهو الذى ارتضاه دلّالاً له فى حياته ، ووريثاً له بعد انتقاله[١] .

يعود السواد الأعظم إلى بيته بكوم أمبو ـ بعد أداء واجب العزاء فى إمامنا إلى إمامنا ، ولكن بيته لا يسعه ، فيفر إلى فيافى وادى خريت هائماً على وجهه ، متوشحاً لباس السواد ، وشَدَّ وثاق الحزن حول وسطه ، لا يطعم ، ولا يُحَدِث أحداً ، يجافيه النوم ، ويخشى الخبر المشؤوم ، فيجأر بالدعاء راجياً ربه أن يَفدى شيخه بروحه .

يهاتف السواد الأعظم من الصعيد مرافقى الإمام أن عجِّلوا فى عودة شيخه إلى منزله بالكلح ، ليقضى آخريات حياته بين أهله ، وأحبابه ، فإنه الأجل ، وما هى إلا أيام ، فيرجع الجمع يجرون أذيال الخيبة ، فى انتظار طامتهم الكبرى ، وإن أجل الله لآت .

لم يجزع البطل من المرض ، ولم يفزع الفارس من قرب أجله ، فهولا يهاب الموت ، وأخذ يُعِد لما سيكون ، وينهى من أمور الدنيا ما قد كان ، ليتفرغ إلى الآخرة، فغداً يلقى الأحبة ، محمد ، وصحبه .

هَجَعَ على سريره فى حجرته ، التى طالما اختلى فيها بربه ، يتوجع بلا صوت ، يكتم آهات الألم القاسى ، ترفقاً على مرافقيه ، هاضماً لنفسه حتى في

---

(١) نقلاً عن المهندس / زين العابدين على مصطفى من أبناء العصبة الهاشمية بكوم أمبو ، وقد سمعه أثناء حديث دار بين السواد الأعظم والشيخ محمد العربى العديسى ـ من الفقراء السائحين ، وكان كثير التردد على ساحة الإمام على بالكلح وساحة السواد الأعظم بكوم أمبو ، وكان ذو قدم فى الولاية .

لحظات الموت ، يزوى عنه الأبناء ؛ رأفة بهم ، فمازالوا غضاً لا يحتملون تلك اللحظات .

وتراه يأمر زوجته بإعداد الطعام لمرافقيه ، بل ويحرص بنفسه على تناولهم إياه وهو لايطعم ، وتتحير زوجته فى الأمر ، فمرض زوجها هذه المرة يختلف عما عايشته من ذى قبل ، ولا أحد يخبرها حقيقة الأمر ، تهويناً عليها .

الدار ... يخيم الحزن عليه وعلى قاطنيه ، يرمق بعضهم بعضا ، فإذا الحزن والأسى قد أحال بؤبؤ الأعين إلى حُمرَة دم ، تنهمر منها الدموع بحورا ، وخاطر الموت يلاحقهم ، لكن رءوسهم كالبندول تومئ برفض ما يحيك بصدورهم ، يطمئنون أنفسهم بأنفسهم ، وما برحوا يتشبثون بالأمل .

آهاتهم مكتومة ، ولسان حالهم يقول : لا... لا ... ليس الآن ، كيف يرحل هذا العبد الذاتى ؟ كيف يرحل هذا الختم المحمدى ؟ ، لا لن يرحل إمامنا عنا ، إن خاطر الموت هذا شيطانى ، وما كلام الأطباء إلا لجهلهم منْ يكون ذلك الإمام ، لا ... لن يضيمنا الله فى شيخنا ، لا ... لن يفجعنا الله فى قرة أعيننا.

لا لن يخفرنا الله في منْ به عرفنا الله ، وبه أحببناه ، لا لن يموت من أحاطنا بقرب ربنا ، ووضعنا فى حجر نبينا ، فمازلنا فى حاجة إليه ، وما امتقع الفصيل بعد ما فى ضرع أمه ، لا ... لا .. ليس بعد ، نحن فى انتظار المعجزة ، لابد ستحدث المعجزة وسيشفى ـ بلا ريب ـ إمامنا .

وها هى الساحة فى وجوم ، وسكون تام ، لا حِراك فيها ، ولا صخب ، يبادر أحدهم لكسر صخرة الأحزان التى أطبقت عليهم ، فيرفع صوت المسجل بمديح قصيدة الفرزدق فى الإمام على زين العابدين ، علَّها تلهى عنهم الأحزان ، فينتهى الصوت إلى سمع إمامنا فى حجرته ، فيأمر بإسكاته ، فالأمر أشد وأعظم ، والانشغال بترتيبات الآخرة أجل ، وأعلى من أى إلهاء.

وظل الحزن يخيم على الجميع حتى جاءت ساعة اللقاء ، سكن الجسد ، وهدأت الجوارح ، وفاضت الروح إلى بارئها ، ورجعت النفس المطمئنة راضية مرضية إلى ربها ، وأُسدِلَ الستار ـ قبل أن تفتح ـ على صفحة سيرة عطرة ، سيرة ختم الأولياء ، وشيخ العصبة الهاشمية ، الذى ستره الله حياً ، ومنتقلاً ، واختصه لنفسه عبداً ذاتياً ، مضنوناً خفياً عمن سواه .

انتقل إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ إلى الرفيق الأعلى ضُحى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر صفر عام ألف وأربعمائة وخمسة من

الهجرة النبوية (١٤٠٥/٢/٢٨هـ) ، الموافق الحادى والعشرين من شهر نوفمبر عام ألف وتسعمائة وثمانين وأربعة ميلادى (٢١/ ١١/١٩٨٤م) .

وشُيِعَ جثمانه الشريف من داخل خلوته إلى مثواه الأخير فى يوم الخميس التالى الموافق ١٩٨٤/١١/٢٢م ، فى جنازة مهيبة ، شهدها جمع غفير من أبناء العصبة الهاشمية ، والأحباب الذين هرعوا من كل مكان ، وفى حضور كوكبة من العترة النبوية الشريفة ، ونخبة من أولياء الله الصالحين ، يتقدمهم السواد الأعظم ، والجميع نُّوَاحُ ، نحيب ، وعويل ، وحزن ، وأنين .

دُفِنَ ـ طيب الله ثراه ـ بضريحه الملحق بمسجد الإمام على بقرية كلح العربى ، من أعمال مركز أدفو ـ محافظة أسوان فى أقصى صعيد مصر المحروسة.

غربت الشمس الساطعة ، وطويت هذه الصفحة المشرقة من صفحات رجال الله ، وأبواب رسول الله ، يقول تعالى :{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[١] فيا مصيبتاه ! ويا حسرتاه ! وإنا لله وإنا إليه راجعون[٢] .

ورأيتنى ـ عزيزى القارئ ـ ألوذ بقصيدة السواد الأعظم فى رثاء شيخه ، علَّها تُسَكِن من الجزع عليه ؛ إذ أنشأ قائلاً :

يانفس هل رمت فى علم الهدى جلدا * وهل لك بعده حرص على أحد
وهل لك سلوة فى طول غيبته * وهل تلوذى بغير السيد السند
وهل عليه ذرفتى للدموع دما * وهل يساويه فيك المال والولد
قد كنت يا نفسى ترتعى والحما سندك * فى مأمن كان عيشك كله رغدا
أجابت النفس والحسرات منطقها * تقول : لاصبر لى فالصبر قد نفد
يا حامى الركن منْ يرعى رعيتكم * ومن لنا بعدكم يا مصدر المدد
يا حامى الركن منْ للجود بعدكموا * وللسخاء إذا ما الضيف قد وفدا
يا حامى الركن منْ للقوم بعدكموا * ومنْ سواك لدفع الكرب مدَّ يدا
يا حامى الركن منْ ينصر لعصبتكم * ومنْ سواك عن الإسلام ردَّ عِدا

---

(١) الأحزاب : ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم ، الجنائز ، حديث رقم ٢١٦٥ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِى فِى مُصِيبَتِى وَأَخْلِفْ لِى خَيْرًا مِنْهَا. إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا » ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

يا حامى الركن يا مصدر مواهبها * عطاك رفداً لمن حبَّاك أو جحدا
يا حامى الركن يا سلطان حضرتها * يا ظل باطنها منْ شاهدك وَرَدَا
عليك يبكى كتاب الله فى حزن * وسنة المصطفى والخير والرشد
عليك تبكى المروءة يابن فاطمة * وكذا الشجاعة بعدك عزمها شرد
تبكى الفتوة ثكلى وهى نائحة * عليك حتى الشهامة سيفها انغمدا
أهان ياإخوتى أن تدفنوا قمرا * وهل رضيتم له فى الروض إن رقد
دفنتم الرحمة والأسرار والبركة * والبر والنور ووجها منهل السعدا
وهلْ فى إمامى طاوعتكم نفوسكم * عشقته ديناً كيف فى الدين أزهدا
أهان عليكم ان تهيلوا على الهدى * ولاتروا حقى فيه ياليتنى الفدا
يا منْ ورث على الكرار مكتملا * يا نعم أسد به قد فاخر الأُسُد
أبكيك ما عشت لا أسلو بعادكمو * ولو سَلَت نفسى أُمِيتها كمدا
يا قائد القوم هل لى مِن مشاهدة * قد كان ميقاتى فيك العين فى الجسدا
يا سالك السر فى وادى القلوب بنا * يا حامل الكل أنت الغوث والمدد
إلى الرباط عزائى منْ يبلغه * لآله الغُر نسل المصطفى السند
فى المغرب العربى أبكى على علم * ومجمع السبطين من نور أحمد
إلى محروسة فاس عنى فبلغوا * عزائى على منْ للمكارم شيدا
لآل سليمان بن أدريس فابكه * فقولوا لهم : منكم لقد غاب فرقدا
فإن سليمان بن أدريس جده * فاكرم بجد هاشمى يُسَوَّد
قل للعواتك من سلالة زهرة * عزائى لكن صبر من الله ينتدى
سلامى على وجه به النور والضيا * لقد أوحشنى اليوم لن أسله غدا
سلامى على راح بها الجود يفخر * فكم أغدقت للناس من وافر الندا
سلام على قدم على الصدق راسخ * بمقعد صدق كان فى قرب أحمد
عليك سلام الله طفلاً ويافعا * ورجلاً إلى الركبان لله قد حدا
عليك سلام الله إماماً ورائدا * وخيرة منْ ساس الرجال وجددا
عليك سلام الله ساقى لمن دنا * وأفضل راع قام لله جاهدا
عليك سلام الله ختماً ووارثا * بجمع رسول الله لله شاهِدا
عليك سلام الله فى خِلة البقا * رفيقاً له فى جمع خُلد تخلدا
عليك سلام الله يا باب حيدرا * فإنك أوفى الناس عهداً وموعدا
وإنى لمحتسبك لدى الله سيدى * واسأله صبراً وعزماً مؤيدا
سلامى على المعطاء إن أجدب الورى * وأنداهموا كفاً من الريح أجودا

سلامى على الجواد لم يأت قبله * ولا بعده ناراً قرى الضيف أوقدا
سلامى على منْ يعرف الركن منْ هو * كذا الكعبة الغراء تبكيه قائدا
سلامى على منْ طافت الكعبة فوقه * وحجته إنى بهذا لأشهدا
سلامى على منْ فى حراء مقامه * بديوان أهل الله يخطب فى كُدا
سلامى على منْ صلى فى البيت خمسة * إماماً طوال العمر قولاً مؤكدا
سلامى على العربى تبكيه طيبة * له فيها ذاتاً كان فى رحب أحمد
سلامى على منْ قال فى بدر أننى * بروحى أحارب بين صحب محمد
يقول على الكرار منْ ذا الغضنفرا * فقالوا : بنيك عندى لذا القول سندا
سلامى على منْ أَلبَسَ الوقت حُلة * منْ النور والدُر الثمين وعسجدا
سلامى على منْ توج الوقت ب البها * لحب رسول الله فى الناس مهَدا
سلامى على المكنون فى كنز هل أتى * ولا مثله فى الناس يُنعَى ويُفقَدا
سلامى على منْ فى آية الكرسى حاله * بلا لايؤدوا بالحفيظ مؤيدا
سلامى على منْ جئته بجهالة * سقانى بألبان المودة والهدى
لا أوحشتموا قلبى وسمعى وناظرى * وبعدكموا استغنيت عن الجسم واليدا
ومالى بعينى بعد غيبة حبيبها * ومالى بسمعى بعد صوت الممجدا
ومالى بنفسى أن تعيش وإن تمت * وإن لها إن عاشت بماذا ستسعدا
ألا فاعذرونى يا لحر مصيبتى * إذا قد أصابت من أولى العزم أقعدا
ألم تروا يعقوب على فقد يوسف * قد أبيضت عيناه والحزن قد بدا

انتقل إمامنا إلى جوار ربه مخلفاً ذرية طيبة ، هم جواهر محمدية مصونة ، ونسخ عربية أصيلة ، ولم يوص أحد بأبنائه ؛ بعد أن سَلَّمَهم لله ورسوله ، فالله لهم، والنبى جدهم ، وهو أولى بهم من أنفسهم ، يقول السواد الأعظم : " لم يوصنى شيخى بأولاده ، ولو أوصانى لاهتزت فيه عقيدتى " ، وفى المثل : " ارسل حكيماً ولا توصى" ، جعلهم الله خير خلف لخير سلف .

كما خَلَّفَ إمامنا ، أخاه فى الله ورسوله ، وحبيبه ، وقرة عينه ، سيادة أستاذ الحكماء والحكام ، ذات ذوات العرفان ، وخلاصة الدر واللؤلؤ واللآلئ والمرجان ، العارف بالله تعالى أبو المحاسن والإحسان الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن .

خَلَّفَه قَيِّمَا ً أميناً على أبنائه ، وأبناء عصبته ، قائداً لمسيرتها ، حريصاً عليها من بعده ، داعياً إلى الله بإذنه ، وخاطبه قائلاً : "لازم تجيب معاك خلاصة

فكر مضى، ولا يجب التطلع إلى الورا ، ولكن التطلع إلى شمائل الحضرة المحمدية" ، فلا تَوَّقُف فى المسيرة ، وما كان لله دام واتصل .

أدامنى الله وإياكم أوفياء لعهد إمامنا ، جنوداً فى مسيرته ، حتى نلحق بحضرته ، غير مبدلين ولا مغيرين ، ونلقاه إن شاء الله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر غير خزايا ، ولا نادمين ، بفضلك وتوفيقك يا أكرم الأكرمين .

وإليك ـ عزيزى القارئ ـ نبذة موجزة عن ضريح إمامنا ، والأضرحة المجاورة :

أولاً ـ ضريح الإمام العربى :

هرع السواد الأعظم عقب خبر وفاة إمامنا العربى إلى الكلح متوشحاً بالأحزان ،

كالاً من الآلام ، وبينما انشغل مَنْ بالدار بأمور الغسل والتكفين ، انشغل هو بمثوى شيخه فأشار إلى موضع الدفن ، وتم ضرح القبر فى الناحية الجنوبية من منزل إمامنا ، وبمحاذاة الحجرة الغربية القبلية ، وهى الحجرة التى اعتكف فيها إمامنا طويلاً ، وأمضى بها فترة من خلوته ، وتمرَّض على فراشها حتى قضى نحبه .

وتم سقف الضريح بحصيرة خرسانية مرتفعة أسست على قواعد ورءوس أعمدة ، وشيدت فوقها غرفة توسطها مقام الإمام ، وفُتِحَ باب صغير أسفل المقام ، يسمح للنزول منه إلى الضريح ، كما تم بناء بضع درجات للصعود بها إلى المقام .

ويقع مقام إمامنا على يسار الداخل من الباب الغربى لمسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ الذى يفتح على عرصات الساحة ، ويطل على نهر النيل ـ وذلك بعد أن أُدخِل المقام فى توسعة المسجد ـ ويصعد الزائر بضع درجات سلم إلى المقام ، الذى أحيط بسياج حديدى ، وتعلوه قبة فخمة ، مبنية من الأحجار الفرعونية القديمة .

أما المقصورة فقد صنعت من أجود أعواد الخشب العزيزى ، ونقشت عليه الأشكال الهندسية المتكررة حفراً ، وعلى طريقة العاشق والمعشوق ـ أو ما يعرف بفن " الآرابيسك " .

ومع بداية عام ٢٠٢٠م ، قامت السيدة كريمة ـ كريمة إمامنا العربى ـ بتجديد الساحة ، والمسجد ، وما به من مقامات ، وزينت جميع الأرضيات ،

والجدران بالرخام ، واستبدلت المقصورات الخشبية بأخرى مصنوعة من المعدن ، ذات الطابع الإسلامي الأصيل .

فضلاً عما أضفته على البنايات ، والأبواب ، والنوافذ من لمسات جمالية ، وتم تزيين المسجد ، والساحة ، والمقامات بالنجف ، والثُرِيَات ، ونقشت على المقصورات آيات قرآنية ، وأبيات من المدائح النبوية ، وأسماء منْ فيها ، وألقابهم ، وتاريخ وفاتهم ، حتى صارت ـ وبحق ـ تحفة معمارية ، وفنية رائعة ، تليق بأهلها ، وتسر الناظرين ، فجزاها الله خيرا .

ويُعد مقام إمامنا العربى مزاراً مقدساً يؤمه جمهورغفير من أبناء العصبة الهاشمية ، والمحبين من مصر ، وخارجها ، ويقصده الزائرون ، والعابدون ، والسائحون ـ رجالاً وركباناً ـ من كل فج عميق .

وعلى الرغم من مرور ما يقرب من أربعة عقود على وفاة إمامنا ـ فلا يزال مقامه مطافاً للآلاف من الرجال ، والنساء ، والأطفال ، وخلوةَ يتحَنَّث فيها النُساك ، كما اشتهر عن مقام إمامنا استجابة الدعاء فيه ، وتحقيق حاجة كل ذى حاجة إن هو طاف بروضته ، ودعا الله بإخلاص نية .

وسوف يخلد التاريخ ذكره ، ولم ولن تقلل العقود ، ولا القرون من تعلق الناس بإمامنا ، وحبهم له ، واعتقادهم فيه ، فقد كان علماً فريداً من أعلام الأمة المحمدية ، ونبراساً مضيئاً لك من أراد الهداية ، وقدوة حسنة للمسلم الحق ، بسلوكه ، وخُلُقِه ، ودوره البارز فى نشر حقيقة الإيمان ، وسماحة الإسلام[1] .

كما أحكم إمامنا غرس بذور التقوى ، وشيد بناء محبة الله ورسوله ، وعترته فى قلوب العباد ، وطالما حطم معابد الأصنام ، ومعاقل الشرك والضلال ، التى أبتلى بها أهل هذا الزمان ، فرضى الله عنه ، وجزاه عنا ، وعن الأمة الإسلامية كل خير .

---

(1)(1) لا غرو فى أن إمامنا العربى له نصيب وافر ، وإرث مفروض من جده ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ القائل له ربه :{ ورفعنا لك ذكرك } الشرح : ٤ .

ثانياً ـ الأضرحة المجاورة :

ينظر الداخل إلى مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بالكلح ، فإذا به يشاهد ثلاثة أضرحة لمقامات مجاورة لمقام إمامنا العربى ، وهى على التوالى : مقام الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وهو المقام الذى حمل المسجد والساحة اسمه ، ثم مقام السواد الأعظم ، مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ رضى الله عنه وأرضاه ، وأخيراً ، مقام السيد على البدرى ابن إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه .

وإليك ـ عزيزى القارئ ـ نبذة وجيزة عن كل منهم :

١ـ مقام الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه :

يتوسط مقام الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ صحن المسجد ، متربعاً فى مواجهة الداخل من الباب الغربى للمسجد .

وعن هذا المقام ، يقول السواد الأعظم : " حينما أُمِرتَ أن يقام هذا المسجد قال لى سيدنا الإمام العربى : " يا أحمد .. الإمام على يوجد فى بلد اسمها النجف الأشرف فى العراق ، وله مسجد فيها ، ولكن خوفاً أن تهدم الناس هذا المسجد فى العراق ـ وكان ذلك قبل حرب العراق ، وما صاحبها من قصف جوى ـ فإذا حدث ذلك يكون الإمام على قد جاء فى هذا المكان ـ أى مقامه بالكلح ـ ويضاف إلى مصر رصيداً جديداً وإن مسجده هذا رابع المساجد ، منْ وقف تجاهه ، وشهد أن هذا المسجد ، وأن هذا المقام هو مقام الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ تقام فيه الجمعة ، والجماعة أدخله الله الجنة ـ ونحن على ذلك من الشاهدين"[١] .

ويوضح إمامنا العربى ذلك بقوله : " هذا المسجد ـ مسجد الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وفيه مقام لبدنه الشريف ، الذى نقله الله ـ جل وعلا ـ من العراق إلى صعيد مصر ، بأرض الكلح ؛ ليكون له حجة يوم القيامة على الشيعة[٢] .

---

(١) راجع ما سبق ذكره في مبحث " مسجده وساحته " ، في الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا المؤلف .

(٢) لمزيد من التوضيح ، انظرما سلف بيانه عن مقام الإمام على ومسجده بالكلح ، فى المبحث الخاص بمسجده وساحته من هذا المؤلف .

وصنعت أول مقصورة لمقام الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ بورشة تصنيع مختصة بهذا النوع من المقصورات ، واستخدم فيها أجود أعواد الخشب .

وقد احتفى السواد الأعظم بقدوم أول مقصورة لمقام الإمام على إلى الكلح ، حيث رفعت المقصورة بعد الانتهاء من صناعتها على سيارة نقل كبيرة ، واجتمع لفيف من أبناء العصبة الهاشمية بالقاهرة ، والوجه البحرى أمام منزل أحدهم بوسط القاهرة ، واخذوا يزفونها بالمدائح فى مشهد عرس كبير، تم فيه توزيع الحلوى ، والمأكولات ، والمشروبات(١) .

ثم انطلق الركب تتقدمه السيارة التى تحمل المقصورة ، ومن خلفها السيارات التى يستقلها الأحباب المرافقين ، فى مسيرة من القاهرة إلى الكلح ، مروراً ببلاد صعيد مصر ، وينتظر الأحباب أمام كل بلدة ، لينضموا إلى الركب ، حتى وصل إلى مدينة أسنا ، فكان السواد الأعظم وبصحبته جمع غفير من أبناء العصبة الهاشمية فى انتظارالركب(٢) .

ثم استكملت المسيرة إلى الكلح فى مشهد احتفالى بهيج ، ارتفعت فيه أصوات المدائح ، ومظاهر الفرحة ، وأطلقت فيه الأعيرة الناريه ابتهاجاً بقدوم أول مقصورة لمقام الإمام على ـ كرم الله وجهه .

وأقيم احتفال عظيم بساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ على شرف وصول أول مقصورة لمقامه ، وتم تركيب المقصورة فى موضعها الحالى ، بمشاركة جميع أبناء العصبة الحاضرين ، وفى جو مليئ بالفرح والسرور والبهجة ، فى مشهد جليل يليق بقدوم مقصورة ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فارس المشارق والمغارب الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه

٢ـ مقام السواد الأعظم ـ العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن :

---

(١) يذكر أن السيارة التى نقلت المقصورة كانت ملك وقيادة الأخ / جبريل الناظر من أبناء العصبة الهاشمية بجرجا ، وأن التجمع وانطلاق الركب كان من امام منزل الحاج / سليمان محمدين سيف ، من أبناء العصبة الهاشمية ، مقيم بأرض اللوا بشارع عبد العزيز بوسط القاهرة ، وقد شرفنى الله أن أكون فى رفقة السواد الأعظم يوم استقبال المقصورة .

(٢) أحمد الله أن شرفنى بأن أكون في بصحبة السواد الأعظم عند استقبال مقصورة الإمام على ـ كرم الله وجهه ، وفى موكبه المبارك .

لم يهنأ السواد الأعظم بعيش ـ البتة ـ بعد انتقال شيخه إلى الرفيق الأعلى ، وألح

على ربه كثيراً أن يلحق به ، ولمَّا بُشِرَ بقرب أجله ، أرسل خطاباً إلى زوجة وأبناء إمامنا يطلب الإذن بدفنه بجوار ضريح شيخه ، وإليك الخطاب[1]:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }[2]، وصل اللهم على سيدنا محمد ، أفضل مرسول ، وأعظم مأمول ، وعلى آل بيته الكرام وأصحابه .

سيدتى البارة الرؤومة السيدة/ حليمة - أَمَدَّ الله عمرها - وإلى سيدتى السيدة/ صفية ، وستى السيدة/ منتهى ، وسيدتى الكبرى السيدة/ خديجة ، وستى وقرة العين السيدة/ فاطمة الزهراء ، وسيدتى السيدة/ الشريفة آمنة ، والسيدة الأم / الكريمة ، وسيدتى السيدة/ زينب ، وشيخى وسيدى السيد/ أحمد العفيفى ، وسيدى السيد الإمام/ على البدرى ، وسيدى الجهبذ السيد/ أحمد البدوى سلام من الله عليكم ... وبعد

إن بقلبى خاطراً يلح ويناديني بأن الرحيل قرب ، وأنتم كما تعلمون ليس لى أهل ولا أقارب ولا أحباب ولا سادة لى غيركم ، فأرجو أن تتكرموا ، وتتعطفوا ، وتسمحوا لى - إن أمكن - بمتر ونصف من بلدكم الطيب ، وأرضكم الطاهرة أن أُدفن فيه ، ولايكون له هذا الدفن علام ، ولا مقام ، وإن يكن لن يجوز لى ، فإن أذنتم خلف مقام الشيخ ، أو عند مدخل الباب ، أو فى قطعة الأرض التى اشتريتوها جديد ، وذلك لم يكن حق شرعى لى ، إلا إذا أكرمتمونى ، وإن لم يكن لا هذا ولا ذاك ، فاسمحوا لى أن أدفن فى بلدكم الطيب ، فى الجبانة العامة للبلد ، فإن لم تسمحوا فالأمر لكم ، ولا حق لى عليكم .

كما أرجو منكم الصفح عنى ، والعفو عنى ، وتسامحونى فى تقصيرى ، وفى مابدر منى من خطايا ، وتقصير ، ولكن أقول بلسان المحبة

ولاتدفنونى تحت كرم يظلنى *** إلا على جبل وعينى تراكم

(١) أملى الشيخ هذا الخطاب ، وكتبته عنه قبل وفاته ، وشعرت حينئذ أن الشيخ ينعى فيه نفسه ، كما قمت ومعى أخى فى الله المرحوم الحاج / نوح أحمد نوح بتوصيله .

(٢) الملك : ٢ .

اسأل الله بحقكم أن يحسن لنا الختام ، ويميتنا على الإيمان ، ويشفعكم فينا ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وإنالله وإنا إليه راجعون . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وإن لم يكن هذا ولاذاك فلا تنشغلوا بى ، جعلكم الله ذخراً لنا ، وعزاً ، ومجداً ، وسأسعى إذا كان غير ذلك بأن أرحل أولادى إلى دراو فى البيت القديم ، وإن دفنونا فى بلدهم ، فلا تنسونا من دعائكم ، ومن نظركم إلى عبدكم المخلص ، الذى عُرِف بكم/ أحمد أبو الحسن" .

توفى السواد الأعظم فى مشفاه بالقاهرة المحروسة ، وذلك فى ضحى يوم الخميس السادس من جمادى الأول عام ١٤١٤هـ ، الموافق٢١ أكتوبر ١٩٩٣م ، وعملاً بوصيته ، تم نقل الجثمان الشريف فى سيارة إلى الكلح.

وبعد أن صلى عليه جموع الأحباب ، وغفير من أهالى البلاد ـ شَيَّعَ جموع الأحباب والمريدين فى جنازة مهيبة بساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ جثمان السواد الأعظم ، ودُفِنَ فى صباح يوم الجمعة السابع من جمادى الأول عام ١٤١٤هـ، الموافق٢٢ أكتوبر ١٩٩٣م ، بعد أن شُيِّدَ له ضريح مقابل ضريح شيخه ، وصونه ، وشقيق روحه ، ورفيق حياته إمامنا العربى ـ رضى الله عنهما .

حَظِيَ السواد الأعظم بقرب شيخه فى البرزخ ، كما نال قربه فى حياته ـ وإن شاء الله ـ يجمعهما في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

ويقع مقام السواد الأعظم ـ مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ـ على يمين الداخل من الباب الغربى لمسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ مرتفعاً على أرضية المسجد ببضع درجات ، أسفل مأذنة المسجد ، وإلى الغرب قليلا ، بداخل التوسعة التى طالت المسجد الأصلى .

ويذكر أن السواد الأعظم كثيراً ما أشار إلى مكان دفنه ، وحَنَّ إلى الجلوس ، و الرقود عنده ، مستظلاً بمأذنة مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه ، التى تعلو الضريح.

والحديث عن السواد الأعظم ، ومقامه ، ومنزلته ، وقيادته لمسيرة العصبة الهاشمية ، ونشر دعوة إمامنا الختم ، وتضحياته فى سبيل ذلك ـ يطول .

وقد ترجمت بعض من سيرته فى مؤلف مستقل يحمل لقبه" السواد الأعظم " ، لمن أراد المزيد[١].

ووجدتنى هنا أعرض ـ بإيجاز ـ تعريفاً بقَدْرِه ، ومنزلته لدى ختمنا العربى[٢]:

لا مراء في أن الختم العربى قد جعل السواد الأعظم أخاً ، ووزيراً له ، يشدد به أزره ، ويشركه في أمره ، وخليفة من بعده ، كما جعل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ كذلك[٣]، وجعل الله لنبى الله موسى ـ عليه السلام ـ أخاه هارون وزيراً من أهله[٤] .

وها هو قَسَمُ الختم العربى لأخيه السواد الأعظم : " والله الذى لا إله غيره ، وحياة الأخوة ، لولا أنى سمعت نداء الحق في عليين : أحمد أبو الحسن يخرج للدعوة ما أخرجتك " ، وفي موضع آخر ، يقول عنه : " أنه رجل مأذون من الحضرتين" .

---

(١) مؤلفنا : "السواد الأعظم" ، عن سيرة شيخى العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، الصادر في الأول من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٥هـ الموافق الأول من شهر فبراير عام ٢٠١٤م ، وقد سلمت جميع نسخ الكتاب (١٠٠٠ نسخة) إلى أبنائه من باب قوله تعالى : { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} النساء : ٥٨ ، وإن شاء الله سيتم طباعته طبعة ثانية بعد تنقيحه بناء على طلب من السيد محمد الابن الأكبر لشيخى السواد الأعظم ، وادعو الله توفيقى وإعانتى على ذلك في القريب العاجل .

(٢) لمزيد من التفصيل في منزلة السواد الأعظم لدى الختم العربى انظر : مؤلفنا "السواد الأعظم" مرجع سابق ، ص ٢٣١ ـ ص ٢٣٨.

(٣) جاء في مسند الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا بنى عبد المطلب ، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت : أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتى وقال : هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا " ، نقلاً عن : الإمام الطبرى "تهذيب الآثار " مسند على بن أبى طالب ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

(٤) يقول تعالى على لسان نبى الله موسى :{ واجعل لى وزيراً من أهلى * هارون أخى * اشدد به أزرى * وأشركه في أمر } سورة طه : ٢٩ ـ ٣٢ . ويشار إلى أن الشيخ محى الدين بن عربى ـ رضى الله عنه ـ ذكر في كتبه أن لختم الأولياء وزيرا .

ويشير إمامنا الختم إلى ندرة عنصر السواد الأعظم ، وتفرده في عالم الحقائق ، فيقول : " بحثت له فى الست قارات بعين بصيرتى فلم أجد له مثيلا "(١) .

ويفصل في منزلته لديه قائلاً : " أحمد أبو الحسن دلَّال أرضى ، فمن لم يدله ، ومن لم يقس له فى أرضى ، فليس له نصيب عندى ، وإن كان أعلم أهل زمانه "(٢) .

ويؤكد تلك الحقيقة ، قائلاً :" أحمد أبو الحسن بابى لأحبابى ، ودلَّال أرضى"(٣).

كما سجل إمامنا العربى شهادته عن السواد الأعظم فى خطابين أرسلهما إليه ، وإليك ـ عزيزى القارئ ـ ما جاء فيهما لتقف على مكانة السواد الأعظم لدى ختمنا العربى:

الخطاب الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيخ الأنبياء وأستاذ المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد ...

حبيبنا المحبوب أخونا فى الله تعالى إلى الله وبالله ومحمد رسول الله ، سيادة أستاذ الحكماء والحكام أحمد أبو الحسن ، ذات ذوات العرفان وخلاصة الدر واللؤلؤ واللآلئ والمرجان ، نحيط سيادتكم وأنتم المحيطون ومحاطون بعناية الله ورسوله ، غضنفر الحب والاشتياق وسلسبيل الدياجير للأذواق ، شراب القاصى والدانى فى مفاوز الحب والوجد والهيام ـ لازم تجيب معاك خلاصة فكر مضى ولا يجب التطلع إلى الورا ولكن التطلع إلى شمائل الحضرة المحمدية .

محمد أبو الفتوح العربى

---

(١) سمعته من الشيخ فاروق أبو علام من أبناء العصبة الهاشمية المخضرمين ، من ناحية الشطب بكوم أمبو ، واوردت قوله هذا فى مؤلفنا السواد الأعظم ، ص ٢٣٥.

(٢) سمعته من السواد الأعظم فى تسجيل فيديو فى مولد الإمام على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ ليلة المواساة .، منشور على صفحة (فيس بوك) باسم " محمد النبوى " ، منشور فى ٢٠٢٠/٦/٦م .

(٣) نقلاً عن : بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " حضرة السلطان على البدرى العربى الإدريسى " منشور يوم ٢٠١٩/٧/٢٨م ، بعد التحقق من صحة مضمون ما جاء في المتن .

الخطاب الثانى :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيخ الأنبياء ، وأستاذ المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد...

إلى أخى وقرة عينى ، وقلبى ، وروحى ، وسوحى ، وبوحى ، وهديل حمائمى ، وشجون نوحى ، الحبيب فى الله ، العارف ، الشارف ، الغارف ، الوارف ، الأليف الآلف ، ألف الآحادى الشهودى ، الفاء الفوهانى البروجى ، والباء الراقى منصة نجودى ، الإمام أبو الحسن والمحاسن السيد الحاج أحمد أبو الحسن ، شامتى ، ورفعة هامتى ، خلى وخليلى ، وحبى وحبيبى :

* بسم الله تحضنك * بسم الله ناظرة إليك .

* بسم الله تقول لك ، وتقول يابحور نظمى ياغيوث وابل نهول .

* بسم الله تتجلى تنفرد بك شوقاً ، تقبلك ، تقبلك ، تتخلى بك أجلّ شوقاً ، تقبلك { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ }[1].

* بسم الله تبتسم فيك ، تضحك معك ، متهللة المحيا .

* بسم الله الوقورة بسمات . تضحك معك فى الخلوات . تنظر فيك تعانق منك . تسامر روحك فى الغيبات .

محمد أبو الفتوح العربى فى ٣٠ ربيع الأول عام ١٤٠٤ هـ

فما أروع ما في هذين الخطابين من معانى عزيزة ، وإشارات رقيقة أجلّ من أن يُعَبِرَ عنها لسان .

واكتفى ـ هنا ـ بتلك الإشارة الوجيزة عن مكانة ومنزلة السواد الأعظم في عيون الختم العربى صاحب السيرة ، واللبيب بالإشارة يفهم .

٣ ـ *مقام السيد على البدرى ابن إمامنا العربى :*

انتقل السواد الأعظم وخَلَّفَ وراءه أبناء العصبة الهاشمية حيارى ، طاشت عقولهم ، بالأمس إمامنا ، واليوم خليفته ، فمن لنا بعد اليوم ؟ .

تشتت جمعهم ، وأتيحت الفرصة لأعدائهم ، فأندس المنافقون بينهم ، وأفسدوا ما كان بينهم ، وباتوا شيَعاً ، وأحزاباً ، وكل حزب بما لديهم فرحون.

---

(١) المائدة : ٢٧ .

ترنوا الأعين إلى أبناء إمامنا ، ها هو السيد أحمد العفيفى ، والسيد على البدرى، والسيد أحمد البدوى ، وجميعهم أكفاء لقيادة العصبة الهاشمية ، فلامناص من قائد للمسيرة ، يلملم الشمل ، ويصلح ما أفسده المتربصون بالعصبة الهاشمية .

يتقدم السيد أحمد الفاتح العفيفى لقيادة زمام الأمور ، فيتصدر للدعوة ، وهو أهل لها ، فقد نال الدرجات العلمية ، والدراسات العليا فى العلوم الشرعية من جامعة الأزهر الشريف ، فراح يسوّرِعصبة أباه بسياج الشريعة الغراء ، ويحميها من هؤلاء المناقين ، الذين يبغون الفتنة ، ويرمون العصبة بالتشيع ، لذا طلب السيد العفيفى أن يطلق عليه لقب " الحربى " ، لما يجسده هذا اللقب من دوره في محاربة المنافقين والدخلاء على العصبة الهاشمية ، وأهل الشر والفتن(1) .

واتخذ السيد " الحربى " من أرض سيناء الحبيبة مستقراً ومقاماً ، وشيد فيها ساحة ، ومزرعة ، كما سعى السيد " الحربى " فى تسجيل العصبة الهاشمية كطريقة صوفية رسمية فى الدولة ، تندرج تحت نظامها ، وتؤدى دورها فى المجتمع .

لكن جرح العصبة أعمق من أن يندمل بهذا ، والفراغ الذى خلَّفه الأشياخ فى القلوب أوسع من التخوم ومعالم الطريق ، ولابد لمن يحنو على الأحباب ، ويتلطَّف بهم ، ويرمق حالهم ، وأحوالهم ، ويسد عطشهم فى الله ورسوله.

فى تلك الأجواء ، ينتصب السيد على البدرى قائلاً بلسان حاله : أنا لها ، أنا لها، أنا الوارث لقلب أبى ، وحنانه ، أنا البدرى ، الذى يبادر فى تأليف شتات القلوب ، وجمع العصبة ، وتخليصها من العيوب ، أنا البدرى الذى للكل حبيب ومحبوب ، أنا البدرى الذى أشد عضد أخى السيد أحمد الفاتح ، أنا البدرى المختص بتطيب الجوارح .

---

(1) طلب السيد أحمد الفاتح العفيفى النجل الأكبر لإمامنا العربى ـ مؤخراً ، بعد جمع هذا الكتاب وقبل مثوله للطبع ـ في اتصال تليفونى ـ من الأستاذ / رضوان محمد جابر المحامى ـ من الرعيل الأول من أبناء العصبة الهاشمية بطهطا محافظة سوهاج ـ طلب منه ألا يسميه باسم السيد عفيفى أو السيد أحمد الفاتح بل يسميه ب "الحربى" ، نقلاً عن بوست على صفحة (فيس بوك) باسم "رضوان محمد جابر المحامى" ، منشور في ٢٠٢٠/٨/٢٢م .

أخذ السيد على البدرى فى لملمة شمل أبناء العصبة ، وتأليف قلوبهم ، وإصلاح ذات بينهم ، يقودهم في موالد أهل البيت ، ولياليهم ، فى تواضع ورحمة وحنان ، إرثاً من أباه الإمام .

ألتف الأحباب حوله ، بعد أن ملك قلوبهم ، وملأ فراغهم ، وسعى فى قضاء حوائجهم ، فالتأمت جروحهم ، وأصبح البدرى دينهم وديدانهم .

احتضن البدرى إخوته ، وشملهم بحبه ورعايته ، وكفاهم حاجتهم ، وأبدلهم ما افتقدوه من حنان الأم والأب ، فكان لهم نعم الأخ ، والابن ، والأب ، والأم .

ويشير إمامنا إلى دور البدرى فى عالم الحقيقة ، فيقول : " تنبهوا ! حتى لا يغافلكم السيد على فيترككم ، اذهبوا معه أينما حل ، فهناك بلاد قرعة فى انتظاره " ، فيسأله أحد الحاضرين : ماذا تعنى بالبلاد القرعة يا مولانا ؟ فيجيبه إمامنا قائلاً : بلاد لم يدخلها الإسلام بعد[١] .

أخذ إمامنا العربى يطلب من السيد على البدرى ـ وهو ما زال طفلاً فى الثالثة من عمره ـ قائلاً : " لا تمشى وتترك إخوتك يا على ، راعهم ، وخذ بالك منهم " ، والسيد على يرفض ، ويقول : لا . سوف أمشى . ويستمر هذا الحال ، وإمامنا يلح على طلبه يومياً ولمدة أسبوع تقريباً ، وفى النهاية استجاب السيد على البدرى على كره ، ومضض قائلاً : " خلاص قاعد ، ولن أمشى خلاص " .

فرح إمامنا العربى ، وقال للسيدة حليمة : " افرحى يا حليمة على لن يمشى ، ولن يترك إخوته ، اصنعى شربات يا حليمة "[٢] .

---

(١) حكاية عن الحاج / أمير من الرعيل الأول للعصبة الهاشمية ، نقلاً عن بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " سلطان دولة الحب" ، منشور فى ٢٠٢٠/٥/٦م .

(٢) ويجدر ـ هنا ـ الوقوف عند كلام إمامنا ، وأخذه بمحمل الجد ، فأهل الله هزلهم جد ، وجدهم جد الجد ، ولا غرو فى تأويل كلام إمامنا بأن هناك بلاد لم يدخلها الإسلام فى انتظار السيد على البدرى ، بمعنى أن هذه البلاد لم تنعم بحقيقة الإسلام الصحيح ، وسيكون دور السيد إعادتها إلى صحيح الإسلام .ولا غرو أيضاً فى عالم الحقائق ، أن يكون تعهد السيد على ، وهو على مضض، بألا يترك إخوته ، دون تحديد مدة معينة لبقائه بينهم ــ قد أراد تقسيم وقته بين إخوته ، وبين هذه البلاد القرعة ، التى أشار إليها إمامنا ، فيعيش ببدنه مع إخوته ، ويُبَدِر إلى لقاء ربه ؛ ليؤدى البدرى مهمته برزخياً فى تلك البلاد ، والله على كل شيئ قدير ، ومن المسلم به شرعاً أن الإنسان يعيش فى الدنيا حياتين : الأولى هى حياتنا الحالية على الأرض ، والثانية هى الحياة البرزخية بعد الموت ، والأدلة على وجود هذه الحياة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ـ وإن كانت من

ولمَّا شعر البدرى بقرب الأجل بادر لزيارة أخوة له من أبناء العصبة الهاشمية فى دولة ماليزيا ، يودعهم ، ويثبتهم ، ويوصيهم ، ويشاركهم فرحتهم فى افتتاح مقر جديد للعصبة الهاشمية بماليزيا .

ثم توجه ـ أثناء تأدية مناسك العمرة مرتين متتابعتين ـ إلى زيارة جده المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فى المدينة المنورة ؛ يستأذنه فى الرحيل ، ويودعه ، ويودع أهل البقيع ، وأهل بدر ، وسيدنا الحمزة ، وشهداء أحد ، وضريح السيدة آمنة بنت وهب أم النبى ـ عليها وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وعشية موته ، يتجهز الفتى البدرى ليوم عرسه ، اعتلى سقف منزله ، واختضب بالحناء جميع جسده ، ودهنه بأطيب الطيب ، وارتدى أفخم الثياب ، فما هى إلا لحظات ، لبلوغ المراد ، ولقاء الأحباب فى نعيم الجنات .

انتقل السيد على البدرى يوم الأربعاء الثامن عشر من رجب العام ألف وأربعمائة وتسعة وثلاثون (١٤٣٩/٧/١٨هـ) ، الموافق الرابع من أبريل العام ألفين وثمانية عشر الميلادى (٢٠١٨/٤/٤م)

وشُيعَ الجثمان الشريف إلى مثواه الأخير فى يوم الخميس التالى(٢٠١٨/٤/٥م)، فى جنازة مهيبة شهدها جميع أبناء العصبة الهاشمية ، الذين أوفى عهده لتجميعهم، فجمعهم الله عليه يوم وفاته .

ويقع مقام السيد على البدرى فى الناحية الشمالية الغربية من مسجد الإمام على، فى البقعة بين مقام جده الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وبين مقام أبيه إمامنا العربى ، فطيب الله ثراه ، ونفعنا به آمين .

وتم عمل مقصورة معدنية على الضريح الشريف ، على ذات النمط الذى طال مقصورة إمامنا العربى ـ رضى الله عنه وأرضاه ، والمقصورات المجاورة لها ، والتى شملها التجديد والتطوير على يد كريمة إمامنا السيدة كريمة العربى ، كما أشرنا آنفا.

الأمور الغيبية ـ فهى كثير ، والولى ينفع حياً وميتاً ، وفى القرآن { وكان أبوهما صالحا } قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ حفظ الله لهما كنزهما لصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاح ، ومن السنة : ما رواه الفيرانى عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إن الله ليدفع بالرجل الصالح عن أربعين أهل بيت مائة من البلاء ثم تلى الآية { ولولا دفع الناس بعضهم ببعض ..} ، وحديث آخر لايقبل التضعيف أو الوضع :" ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين " ، ويقول ابن القيم فى كتاب الروح ، ص ٨٣ طبعة بيروت : " روح الولى فى الدار الآخرة تهزم الجيوش الكثيرة " ، ويقول أيضاً أن الولى يدرس وهو ميت .

ويشار إلى أنه يوجد مشهد ، ومقام آخر للسيد على البدرى ، شيده أبناء العصبة الهاشمية ببلدة السمطا بمركز دشنا محافظة قنا ؛ تخليداً لذكراة ، وتبركاً بيمناه .

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن وفاته ، ورثائه ، وضريحه ، والأضرحة المجاورة لمقام إمامنا العربى ، نفعنا الله بهم .

المطلب الثانى

مناجاته ، وحِكَمه ، ونصائحه

المناجاة لغة[1]: (ناجاه) مناجاة ، ونِجَاءً : سَارَّهُ ، وتناجى القوم : تَسَارُّوا ، والنجوى : إسرار الحديث ، والقوم المتناجون .

ويقصد بها ـ هنا ـ مناجاة العبد لربه ، وإخلاص الدعاء ، والتقرب إلى الله ، وبذل كل الهمة ، والجهد كى يتقبلها الله ، والمناجاة أعلى درجة من الدعاء ، حيث يحتاج فيها العبد إلى الإخلاص فى توجهه إلى الله ، والابتعاد عن كل ما يوقع فى قلبه الشك فى قدرته على قبول الدعاء .

والحكمة لغة[2] : هى الكلام الذى يَقِلُّ لفظه ويجِلُّ معناه (ج) حِكَم ، والعلم والتفقه وفى القرآن الكريم : { وَلَقَدْ آَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ }[3] ، والفلسفة ، والعلة ، يقال: حكمة التشريع ، وما الحكمة فى ذلك ؟ .

ويقصد بها ـ هنا ـ وضع الشيئ فى موضعه ، وصواب الأمر وسداده ، أوفعل رشيد وقول موجز يتضمن رأياً سديداً ، موافقاً للحق والصواب ، وإصابة حق باستخدام الملكة العقلية ، أوخبرة ، ودراية صاحبها .

وقد تكون الحكمة نابعة عن فلسفة ، ورؤيا ثاقبة للأمور ، وينطق بها شخص عارف ، أوعالم ، يسمى حكيماً ، وغالباً ما تستنبط كلمات الحكمة ، ولغتها من الدراسة، والإطلاع ، والبحث ، وتحمل فى معناها توجيه ، وتذكير ، وإرشاد ، ونصح.

والنصيحة لغة[4] : قولٌ فيه دعوة إلى صلاحٍ ونهيٌ عن فساد . (ج) نصائح ، (نَصَح) الشيئ ـ نصحاً ، ونصوحاً ، ونصاحة : خَلَصَ . ويقال : نصحت توبته : خلصت من شوائب العزم على الرجوع . ونصح قلبه : خلا من الغش . وـ لفلان الود أو المشورة : أخلص . و ـ فلانا ، وله : أرشده إلى ما فيه صلاحه . فهو ناصح . (ج) نُصَّاح . وهو نصيح (ج) نُصحاء .

---

(١) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٦٠٥ .

(٢)(٢) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٣) لقمان : ١٢ .

(٤) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦١٨ .

ويقصد بها ـ هنا ـ إسداء النصح لشخص بعينه . وتختلف النصيحة عن الحكمة ، فالنصيحة تقف عند حد المنصوح ، بينما الحكمة تكون للناس عامة ، وتعيش للأبد ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر فمنْ يسدى لك النصيحة هو شخص تثق فى حرصه عليك وتشعر منه بأحاسيس الاهتمام بأمرك ، بينما الحكمة تكون من شخص تقتنع بعلمه ، وخبرته بالحياة ، وفى ألفاظها بلاغة ، وعمق أكثر من النصيحة .

وقد يحدث الخلط بين الحكمة وبين المثل ، والمثل هو قول موجز يحكى لتشبيه حال ، أو واقعة معينة ، بواقعة مماثلة سابقة ، فهو كلام يقال فى حادثة ، أو مناسبة خاصة ، ويردد فيما بعد ، إذا سنحت مناسبات تشبه الحالات الأصلية ، التى ورد فيها ذلك الكلام .

ويمكن أن يحتوى المثل على حكمة ، ويتشابه معها فى إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، والبلاغة .

بيد أن هناك فارق يفصل بينهما ، فالمثل لا تتغير ألفاظه مطلقاً ، فينطق ويكتب كما قيل أول مرة ، بينما الحكمة غير ذلك .

وبعد العرض السابق لمجموعة الأوراد ، والأحزاب التى نقلت عن إمامنا العربى[1]ـ وإتماماً للفائدة رأيت انتقاء بعض من مناجاة ، وحكم ، ونصائح حضرته ، أضعها بين يدى القارئ ؛ لتكون له مرجعاً وجيزاً ، يستلهم العاقل منها العِبَر ، ويستضئ السائر إلى الله بها ، وتهيئ له من أمره رشدا .

وسيبين للقارئ أن حكم ، ونصائح إمامنا العربى قد تفرعت ، وتجزأت من مناجاته لربه ، فلم يأت بها شهوةً كلام ، أو إدعاءً لحكمة لقمان ، بل انبثقت من بصيرة ثاقبة، ومراقبة دائمة لربه الواحد الديان ، الذى كل يوم هو فى شأن ، مراقبة لازمت إمامنا فى كل مكان وزمان .

يناجى ربه ، ويأنس بقربه ، يتكئ عليه ، وينعم بالجلوس بين يديه ، يسامره ربه، ويواليه ، فمنْ اتخذ الله ولياً حميما كان الله له ندماناً نديما ، وفى

(١) راجع ما سبق ذكره في مبحث " أوراد وأذكار فتوحية " ، الفصل الأول من الباب الثانى من هذا المؤلف .

ذلك ، يقول إمامنا :" وكأنه ربى لوحدى ، أنا قاعدله كده أها "[١] ، وفى موضع آخر يقول : " لا اتكئ على قبيلة ، وقبيلتى هو سبحانه وتعالى ".

وأود التنويه أن كثيراً من مناجاة إمامنا قد صيغت فى أوراده وأحزابه ، والتى عرضنا لها آنفاً ، واقتصر ـ هنا ـ على نظم عقد رقيق من لآلئ مناجاته ، وما تفرَّع عنها من حكم ، ونصائح ، وذلك على النحو التالى :

أولاً ـ مناجاة ، ودعاء[٢] ـ يناجى إمامنا ربه ، ويدعوه قائلاً :

●" إلهى إن عظمة كمالك ، وعزة جلالك ، وسلطان جمالك ـ قد هيمن ذلك على قلب عبدك ، فجعله فى تيه حظيرتك متحير ، يا من لا سواك خِلاً ، شوقاً إلى حضرتك يتصلَّى ، وفى زيت الأشواق يتقلَّى ، وفى نسيم الحب يتمرَّع ذُلا" .

●" إلهى هذا حال كل عبد فيك ولهان ، موله فى التيه حيران ، اللهم إن الحيرة فيك تهدى من تحير إلى جم الصواب فور آن ، ولا يتحير المتحير إلا قبل أن يكون مُريداً فمرَاداً كان ، وقبل أن يكون طالباً فمطلوباً فى حضرة الإحسان ، وقبل أن يكون مُحباً فمَحبوباً من الديان " .

●" إلهى تيِّمنى فيك عبداً ذاتيا ، عابد حضرتك بحضرتك ، لا لعلة من العلات ، يا جليل يا على ، يا من كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن تعرف ظاهراً جلياً ، فخلقت الخلق فبك وحدك ،عرفوك بودك ".

●" إلهى اجعلنا أطفالا فى حجرك ، الذى هو حجر حبيبك ، عباداً لك حقاً ، ذاتيين ربانيين ، وارضعنا من ألبان نهود تجليك ، واجعل قلوبنا مرائيك ، تعكس فيها أنوارعرائس مجاليك ، يا إلهى يا إلهى يا إلهى بحق سيد الوجود ، حبيبك عريض الجاه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وبحق الخمسة ، هبنا ذلك اجتباءً ، واصطفاءً وأُنساً ، إنى آنست فى الحى نارا ، إنى آنست فى الحى نارا ، إنى آنست فى الحى نارا".

---

(١) مقولة الإمام العربى ، نقلاً عن مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن فى حديث عن مناقب شيخه الإمام العربى رضى الله عنهما ، يقول فيه : شيخى بدأ بالنهايات ، أحيا الموالد الميتة في كل مكان . الوقت وقته أبو قميص ... خمسة وعشرين سنة على دكة من غير مسند ، قال لى : وذكر مقولة شيخه الواردة بالمتن .

(٢) عول الباحث فى نقل تلك المناجاة على كتيب أوراد وأذكار ، للسيدة كريمة العربى ، مرجع سابق .

●" إلهى لا تحتجب عنا قط ، وأنت حاضر لا تغيب ، وناظراً إلينا ، ولا سواك حبيب" .

●" إلهى اجعلنى ممن ساروا إلى حضرتك بحضرتك ، وعنك عنعنوا ، وفيك دندنوا، وتولعوا بك ، واصطلوا ".

●" إلهى ان الإشتياق إلى حضرة نبيك ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ واستمطار الإشراق من وجود راحات شمائله حقيقة نهج كل سالك وفلكه متسع دائر ، فولهنى اللهم في خضم تيه شمائله ، كنز النوال ، طه أحمد سر المتعال ، فيجتبينى من فضلك سماء شهود شمائله ، ينشلنى ببراق خطَّاف ، ويحملنى بألطاف ، ويناولنى لسماء شهود صدَّاح ، فيه غرود بلا إحصا ولا عدود" .

●" إلهى اسمعنا نداء الحضرة ، نحن وإياكم جميعاً ، إلهى اسمعنا نداء الحضرتين، نحن وإياكم جميعاً ".

●"إلهى دلنا على من يدلنا عليك ، إلهى دلنا بقلوب أنت تعرفها ، إلهى اجمعنا بقلوب أنت تعرفها ، وهى تعرفك حق المعرفة ، وتقرب إليك حق القرب ".

●إلهى اجمعنا تحت لواء الحضرتين فى الدنيا والآخرة ، نحن وأمة لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجمع " .

ثانياً ـ حكم عربية :

●" السير إلى الله ـ تعالى ـ خطفة" ، أي : يُخْطَف المخطوف على قدم الخاطف.

●" ما وصل الواصلون إلى الحق ـ تبارك وتعالى ـ إلا بذكر الله فى الخفاء بالليل

والنهار ، وصحبة الأخيار ، وكثرة الصلاة على النبى المختار" .

●" الذكر لله حقاً أن يكون العبد فيه ما بين غيبة وحضور، غيبة فى حضرة الله عما سواه وحضور القلب مع الله ، إشراق تجلى { وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ }"(١).

(١) البقرة : ١١٥ .

●" ما لم ينشق للعبد من سماء الحمد محامد جلالية ، وجمالية ، وكمالية ، تفضلاً من حضرته ـ جل وعلا ـ فلن يستطيع العبد أن يحسن الثناء على الله ، ولا على رسوله، ولا على أهل حضرته ".

●" المعرفة تدل بلا علل " .

●" لاتشغلك المنة عن المنان "[١] .

●" لا تنظر إلى الوراء ، ولكن انظر إلى شمائل خير الورى"[٢] .

●" الصوفى لا يكدره شيئ ، ويصفوا به كل شيئ" .

●" الصوفية أقوام كُنِسَت بأرواحهم المزابل"[٣].

●" إذا سكن أهل الله أو أهل البيت ـ قلبك وجب على الساكن أن يزين مسكنه "[٤].

---

(١) جاء هذا فى سياق قول إمامنا : أنتم المقصود لا الخيم * أنتم المقصود لا العلم ، والتى طلب أن ينسج عليها مولانا الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه قصيدة بذات المطلع ، فى تفصيل الواقعة استمع إلى : حديث للشيخ / جابر عبد المنعم فى مولد مولانا الإمام الحسين عام ٢٠١٩م ، بساحة احتفال العصبة الهاشمية بفندق الصفا والمروة بالقاهرة ، تسجيل فيديو على صفحة باسم " شراب الوصال " تم نشره فى ٢٠١٩/١٢/٢٧م .

(٢) وردت تلك الحكمة في خطاب إمامنا العربى إلى السواد الأعظم ، سالف الإشارة إليه في المطلب السابق ، من هذا المبحث .

(٣) ومعنى الصوفية أقوام كنست بأرواحهم المزابل ، أى : أنهم يكنسون معاصى محبهم ، فيصبح مريداً ثم مراداً ، والناجى يأخذ بيد أخيه وهكذا . وفى الآية الكريمة { فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس }، أى : أن العارفين يخنسون الأغيار ، وتحل محلها الأنوار ، ويجعلوا كل خناس يخنس من نظراتهم ، ولهذا سمى الشيطان الخناس ، وكذلك كل خواطر شيطانية ، وهواجس ضارة بالإنسان السائر إلى الله ، التى تعطل مسيرته ، والجوار الكنس ، كما قال شيخنا : الصوفية أقوام كنست بأرواحهم المزابل . ولهذا كان إمامنا العربى قدس الله سره يخرج للزائرين بقميصه وهو أنصع من البياض فإذا همَّ لدخول خلوته غبر ثوبه ، وفى ذلك يقول إمامنا :" هذه معاصى الزائرين" ، فحينما يدخل خلوته ، ويخرج ثانية نراه أبيض ، وفى ذلك يقول :" يحتضننى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا بالقميص قد عاد ما كان أنصع من البياض " وقال إمامنا فى تأويل آية { وثيابك فطهر } :" ثيابك هنا : أحبابك ، فبهذا ينجلى المعنى ويفهم المراد " ، سبق الإشارة إليه في مبحث " وصفه وصفته " من هذا المؤلف .

(٤) سمعتها مشافهة من إمامنا العربى ، في حديث له مع بعض أحبابه بالقاهرة .

●" إن الله ـ جلَّ وعلا ـ يخاطب عباده بعباده ، ويسامر عباده بعباده ، ويؤانس عباده بعباده ، ويصافح عباده بعباده ، وينظر إلى عباده بعيون عباده ، ويتجلى على عباده بعباده" .

●" آخى الناس على معتقداتهم ، ولا ترغمهم على معتقدك " .

●" واجه إخوانك بحسن الظن ، فالله يخلق بحسن الظن من المعدوم مكنون " .

●" واجه أخاك فى الله ورسوله بالإحسان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان " .

●" لا تنكر فضل الله على أحد ، فربما اصطفاه الأحد " .

●" أهل الله هم أهل السوح والبوح "(١)، و{ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }(٢) .

●" حب ومودة العترة الندية جمع جوامع القنوت فى أسمى محاريب العبودية"(٣).

●" إذا أحب الله عبداً رزقه صحبة المجتبئين من خلقه " .

●" الأنصارية حال "(٤) .

●" ظاهر شيخ العرب يوازى باطن ولى لله حقا "(٥).

●من أقوال الختم فى الجفر :" مُخ صان صار ودواء مقرطس فى علابى"(٦) .

---

(١) يمكن تأصيلها فى قوله تعالى { التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) التوبة : ١١٢ .

(٢) يسن : ٤٠ .

(٣) نقلاً عن الشيخ جابر عبد المنعم .

(٤) أى : باقى فيمن نصر دعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على مر الزمان .

(٥) سمعته مشافهة من إمامنا العربى ـ رضى الله عنه .

(٦) قاعدة إمامنا الجفرية ، سمعتها مشافهة من ربيبه وخديم ساحته الشيخ جابر عبد المنعم ، يقص قائلاً : ذات مرة سمعت إمامنا من داخل خلوته ينادى علىَّ يقول : اكتب يا جابر" مُخٍ صان صار ، ودواء مقرطس فى علابى" ، ثم قال لى : وَقِعْ ... "قاعدة جفرية" ، أى قَعَّد قواعد ، أو أسس بنيان جفرى . وبعدها حضر مولانا الحاج أحمد أبو الحسن رضى الله عنه إلى الكلح فقال لى : قل لى ما حدث بالليل ، الله على شغل الليل ، يا بتاع الليل ، فقلت له ما حصل بينى وبين سيدنا الإمام ، فعانقنى ، واحتضننى ، وقال لى : يا طالع السعد ، وألف مبروك ، لقد صب الإمام العربى فى صدرك جفر الإمام على صبا { إنا

ثالثاً ـ نصائح عربية :

•" صلوا الخمس ، وصوموا شهركم ، وعليكم بالحج لمن استطاع إليه سبيلا ، وحبوا نبيكم وأهل بيته وأصحابه " .

صببنا الماء صبا } مرقوماً سائغاً شرابه ، وقَعَّد فيك الجفر ، وصِرت مجلاه ، وسوف يأتيك الجفر ، يسطع فيك من داخل لوح صدرك ، فاكتبه ، لأن فيه أمانات ورسائل من باب { والمرسلات عرف } . يقول الشيخ جابر : بعدها كتبت كراسات كثيرة فى الجفر ، ومن ضمن الجفر الأحرف التى فى بدايات السور القرآني تسطع بلا ميقات دون إعمال فكر ، تأتى إليك معانيها أتيان التو من باب قوله { إلا من أتى الله } ومن باب { فى صدور الذين أوتو العلم } أوتوا لا أتوا ، لاقرأوا لا عقل ولا نقل ولا سطر ولهذا اهل الله اضغموها فقالوا الجفر يكتب على جلد غزال من باب إخفائها فأخفوها ، أما المجلدات التى بها الجفر فهى بداخلك أنت ، والغزال هنا تعبيراً عن التغزل فى الحضرة ، ولهذا فإن وصفهم فى الأمم السابقة وفى الأسفار الأصفياء منهم أشعياء ، وُصِفُوا بأنهم رهباناً بالليل فرساناً فى النهار ، (أناجيلهم فى صدورهم تتجلى فيها شموس التجلى من حضرته على حقائق أرواحهم فتسطع على صدورهم ثم تشع على ألسنتهم فتكون كلاما). فمثلاً : { ن والقلم } الحروف بما فيها من أحبار وأدواية وأقلام ، فيها نون والقلم ، أنت نونك فيك ، وهم يعبوك ، فالنون كالإناء والنقطة هى نقطة باء البدء ، اللى هى قلب الموجودات كلها وكل العوالم ، وهو سيد الوجود صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، السبب فى كل موجود، فالقرآن كله مفصل ، ومجمله فى الفاتحة لذا اسمها أم الكتاب ، والأم فيها الرحم ، والرحم بمثابة الدواية ، كذلك " بسم الله الرحمن الرحيم" الأسماء كلها أخوات الرحيم سواء أسماء صفات وأسماء فعال كلها أخوات الرحيم ، فالرحيم واخواته كلها فى الرحمن والرحمن فى الله ، وهو اسم الذات ، وكل تجليات حضرات الأسماء سواء فعال أوصفات أو جمال أو جلال أو كمال فى الباء ، باء البدء المنحدرة بين الحادث والقديم وهى سيد الوجود ، والباء فى النقطة والنقطة سالت وفيها كل العوالم هامت وتسمى باء البدء ، ولهذا هى عرش النون والنون إناء ، والنون حقيقة كل روح جوهرية سعدية مرضية من الأنبياء والمرسلين والصالحين والمؤمنين عامة وخاصة ، حقيقة روحك إناء ، وهذه هى الحروف الربانية أوالحروف الإلهية ، وهذه الحروف نورانية لا تكتب ، الكاتب لها إياه ، ولهذا شكل المحبرة والدواية وغلافها النقطة ، وهو دواة مداد القدرة ، وإن لم تغب لم تشهد ، فإن لم تغب فى الحبيب ما رأيته ، فكل كلام الله الكتاب المبين ، الكتاب العجب { إنا سمعنا قرآنا عجبا} كله فى أم الكتاب ، والفاتحة فى بسم الله الرحمن الرحيم ، يعنى القرآن برمته مفصل فى ١١٤ سورة ، ومجمله فى الفاتحة لذا سُمِيَت " أم الكتاب " ، ومفصل الفاتحة آياتها السبع ، ومجملها بسم الله الرحمن الرحيم ، وبسم الله الرحمن الرحيم مفصلها فى كلماتها ، ومجملها فى الباء ، والباء مفصلها فى حرف الباء ، ومجمل الباء فى النقطة ؛ لذا اسمها باء البدء ، وهو سيد الوجود السبب فى كل موجود صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أى أن الحروف الجفرية لا تكتب ولكن تتفجر فى القلوب أو فى الصدور { إذا البحار فجرت } .

●" عليكم بتقوى الله ، واستمطروها تفضلاً ، وأنتم تقفون على باب الافتقار فى سوح متنزهات مودة آل البيت المختار ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وعليكم بإطعام الفقراء ، فإطعامهم باب من أبواب الله ، يفضى بكم إلى جنة رضوانه ، وأن تكونوا من أعيانه ، وعليكم بحسن الخلق ، ومكارمها ، وعدم الشقاق ، ولا تصحبوا أهل النفاق . واحبوا أوطانكم ، فحب الوطن دين كما جاء عن خير المرسلين ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم" .

●" يا بنى : سيد الأوراد وعمدتها ، وذروة سنام أينُقها ، أن تمزج فيك عجائن الأذكار بخمائر اشتياق حار ، أصلَى من لهيب النار ، آنذاك تتسع وديان قلبك ، وتتفجر فيها بحار ، وتصور فى ذهنك والوجدان ، أن سيد ولد عدنان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ محيط بجهاتك الست عين الأعيان ، وتيقن حضوره ، وأنه يطوقك بشمائله فى حِلك وترحالك ، وفى كل مكان ، واسترسل قلبك فى استغراق ، مع كمال الحضور فى ذكر الديان ، وتصور بالكلية أنك فى معية الحبيب الأعظم كامل الشان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهو معك الفرد الجامع ثانيك ، وثالثك ، ورابعك ، وفوق ما يخطر فى جنان ، وهو خلفك وأمامك ، واملأ بهذا الحضور منك الكيان ، وأنت قائم أو فى مقعدك ، وأنت فى نومك أو يقظان" . واجعل هذا وردك ، واعلم أن أكثر الناس فى غفلة عنه ، وهو ورد قليل ، ويسير ، وخالى من الآفات ، ومحصوله وفير، وارده غزير غزير ، ألا وهو ورد الصديقين ، نجباء الله أهل المعين ، ومن واظب عليه ياصاح ، اندرج فى أرقى نخبة من أرباب الفلاح ، وأشرق فتيل روحه المصباح ، وخالط ظله الظل الممدود ، قبضة المعبود ، سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وشاهد دواماً حضرته ، وأسعده الحق برفقته ، وأسقاه من سلسبيل معين واحته "(١).

●"حينما تقرأ القرآن ، فاقرأه فى حضرة الإحسان ، وكأنك تسمعه من الديان ، مُنْزَل على قلب سيد ولد عدنان ، واستحضر بقلبك استحضاراً يقينياً أن ذات سيد الوجود ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أمامك إن كنت قد رأيته ، أو شاهدت صورته الشريفة ، بقلبك حسبما روى أهل الشمائل ، وتصور أنك فى أرض المدينة ، واملأ كيانك بهذا التصور يقينا ، فيمزج الحق تبارك وتعالى

(١) أوراد وأذكار فتوحية عن فيح تجليات عليه ومؤانسات قدسية ، للإمام السيد / محمد أبو الفتوح العربى ، ص ١٥ ، ١٦ .

أرض المدينة فى الأرض التى مقامك عليها ، ويمزج الأرض التى تعيش عليها فى أرض المدينة ، وهذا هو الشهود الدائم الهائم".

●" دعوا الشياخة ، والأنقى ، والأرقى ، والأتقى ، والأبقى أن فى حضرة الله ورسوله وِدّا ".

●"عامل الناس بما فى الناس ، وأنت فى زى بسطاء الناس ، يجعل الله قلبك بسيطة له ، ويملأها بالإيناس ، ولا تواجه الخلق بثاقب بصيرة ، ولا بخرق عادة ، ولا بكشف مقدس خاطف ، ولا بحقائق ولاية ـ إن أوتيت ذلك ـ فتكشف ما ستره الله ، فتتوقف مواهبه الهاطلة عليك " .

●" وحد الناس ولو ضدك ، ولا تأخذ البعض وتترك البعض ، فإن الله رءوف رحيم ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ رحمة للعالمين " .

●" اعلم أن المعقول ، والمنقول ، والمسطور ذرة لما في الصدور، والعارف بالله يخاطب العقل ، والنقل ، والسطر" .

●" اعلم أن معراج الصوفية في أقوالهم ، ولا تكن صوفى الكلام ، ولكن كن كلمة صوفية " .

●" اعلم أن الترقى والتلقى من أفواه الرجال ، فالعارف بالله إذا تكلم يطوى لك المعاريج ، فهو يدلل على المقام بالمقال ، فإذا سكت كان ـ آنئذ ـ هو المقام بعينه ، فحينما تصحب فعليك بمن ينهضك حاله ، ويدلك على الله مقاله"(١) .

●" يا ولدى : الناس يصدقون أن حامل المسك تنتقل منه رائحة ، فتدخل الأنف ، ويشعر بها العقل ، ويرتاح لها القلب ، فيقول " الله " ، ولا يصدقون أن مجالسة الولى، تخرج منه أنوار ، ومعارف دون أن ينطق ، فيهدأ العقل ، ويطمئن القلب ، فيقول : " الله الله الله " ، يا ولدى : تعرَّض لنظرات أهل الله ، وابتع من عطر طيب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو بضاعتهم"(٢).

---

(١) أ أوراد وأذكار فتوحية عن فيح تجليات عليه ومؤانسات قدسية ، للإمام السيد / محمد أبو الفتوح العربى ، ص١٤ ، ١٥ .

(٢) بقلم السيدة كريمة العربى ، نقلاً عن : بوست على صفحة (فيس بوك) باسم " سلطان العاشقين سيدنا الإمام على العربى الإدريسى " ، منشور بتاريخ ١٠/ ٥/ ٢٠١٩م .

●" حينما تصلوا إلى التحيات فى صلاتكم إلى قول " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته " ، فاطلبوا من حضرته ما شئتم " .

●" تساموا عن الإلتصاق بقبائلكم ، والتعصب لها ، والتفاخر بالأحساب ، والأنساب"(١).

ويطيب لى ـ عزيزى القارئ ـ في ختام هذا الرَجْز الوجيز من مَأْثُور أقواله ـ أن أختم بقصيدة غير منشورة ، منسوبة إلى إمامنا الختم العربى، جاء فيها(٢) :

تيمت فؤادى يا حادى شوقاً تبريحا * لساكن طيبة تهامى ذو الوجه صبيحا
فشنف سمعى فشغاف الروح يتأجج * وسهام لواحظ محبوبى أصابتنى جريحا
فذكر جمالك يا طه كيما وإكسيرى * طبى وبلسم يا حادى رقق لقريحا
وانشق عبق الفيحاء من فوق سمائى * فيرقص قلبى المتيم جَذِلاً ترويحا
واشدد من شوقى غراما أوتار عيدان * تترنم فى حبى عذبا بغيابة سيحا
وأعانق طيف الخضراء وجداً بهادى * غزالا فى تهادى حِبى له التسبيحا
يلوح البرق حجازى إن تذكر طيبة * ادم ذكراها يا حادى ادم التلويحا
أُحاضِن ذكر محبوبى وكلى ولوعٌ * كما حاضَنَ قيس لليلاه طيفاً توشيحا
فحشائى قتيل بلوعات تستعر حريقا * سَقَرٌ هى منها مثقال من ذرة لفيحا
بليلى وسعدى غَنِّى لى يا حادى دوما * هيَّمَنى هواها بخدور غيبنى طريحا
مقال اللاحى يقتلنى فى كبدى نحرا * يجعلنى نوقٌ فى البيدا تهيم ذبيحا
يقول لى : لا فى تعى فاشدو لا لا * كرِّر يا عزولى زد لا . لا أسْدِى النصيحا
فأنت تُطرى لو تدرى آه يا أُخَّيا * لست فى قَدح أبداً أعِيَهَا مديحا
قد لالا النور من شمسك يا حبى تبدَّى * أماطا نقاباً لقوم ضاء المصابيحا
إن هبَّ الصَّبا شروقاً أتمايل وجدا * استنشق عَبَقاً قد تَيَّمَ من حِبى فيحا

---

(١) نقلا عن : الشيخ جابر عبد المنعم ، العصبة الهاشمية ونهج سبيلى ، مرجع سابق .

(٢) قصيدة سيدنا الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه وارضاه ـ عثر عليها الأخ الأستاذ محمد عبد العال ـ من الرعيل الأول من أبناء العصبة الهاشمية مقيم بمركز فاقوس ـ شرقية ، عثر عليها مكتوبة في أوراق قديمة ، والقصيدة مزيلة باسم : " السيد / محمد أبو الفتوح العربى ـ الكلح شرق ـ أدفو شرق فى ٢٧ جمادى الأول سنة ١٤٠٢ هـ ـ الموافق ١٩٨٢/٣/٢٢م " ، وهى فريدة غير متداولة ، وقد تفضل بأن أرسلها إلىَّ ، وقرأها على ، فجزاه الله عنى ، وعن أبناء العصبة الهاشمية خيرا .

وأطوف ببُقعاتٍ سبعاً طوافُ إفاضة * وطأهَا الحاجج فى عَوْدٍ أشهَدُهَا ضريحا
أشهَدُكى يا رياض حبى حيثما أُوَلِى * فروابى الشهود أنتِ منكى التلقيحا
وكل عارف هو شارف دلَّال لقوم * وُحَاهُ شوقاً لثراكى مَنْ وَطَأهُ مليحا
فى خُسرٍ عاشق لسواكى هاوى لحضيض * أيعشق غيركى ؟ ياويح العاشق لقبيحا
فى رِفعَة مَنْ عاشق حُسنك سابح بسماء * تالله ساكن عليين غَنَّى ربيحا
إن أقسم أن الوجود طُراً هو ذرة * فى جواره بل عَدَمٌ قد قال صحيحا
فى يمين ما حنث العاشق تالله * بل صدقاً لنا تفضَّل كرما سيحا

وعلَّ هذا القدر الوجيز من مناجاة إمامنا العربى ، وحِكَمِه ، ونصائحه يغنى الفقير ، فلو أردنا الإطناب ، ما وسعتنا صفحات ذلك المؤلف ، ولا أسفار مثله ، ولا أدركنا الوقت مهما طال ؛ فما نطق إمامنا ببنت شفاه إلا كانت مناجاة لربه ، أو حكمة عارف ، أو نصيحة مُسداه ، ولكن ما لايدرك كله لا يترك كله .

{ سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ * وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ }[(١)]

وصلى الله على سيدنا محمد ختام المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) الصافات : ١٨٠ـ ١٨٢.

الفهرس

مقـــدمة...٢

الباب الأول : { اسمه ، وصفته ، ونسبه ، ونشأته ، ومزاراته } ١١

الفصل الأول : { اسمه ، وصفته ، ونسبه الشريف }..١١

المبحث الأول : اسمه ، وصفته ١٢

المطلب الأول : اسمه ، وكُنْياته ، وألقابه..١٢

المطلب الثانى : وصفه ، وصفته...٢٢

المبحث الثانى : النسب الشريف ٣٠

المطلب الأول : شرف النسب النبوى...٣٠

المطلب الثانى : نسب الإمام العربى...٣٨

الفصل الثانى : {نشأته ، ومزاراته}...٥١

المبحث الأول : نشأته ، وسياحته ، وخلوته ، وأسرته ٥١

المطلب الأول : نشأته ، وسياحته ٥٣

المطلب الثانى : خلوته ، وأسرته..٦٥

المبحث الثانى : مزارات فى طريق البدايات ٧٥

الباب الثانى : العصبة الهاشمية ، والدور الاجتماعى ، والوطنى..٩٤

الفصل الأول : العصبة الهاشمية والأوراد الفتوحيه ٨٤

المبحث الأول : العصبة الهاشمية ـ معتقد ، ونهج ٩٥

المطلب الأول : تعريف ، ومعتقد العصبة الهاشمية...٩٥

المطلب الثانى : نهج إمامنا العربى فى تربية أبناء العصبة الهاشمية..١٠٦

المبحث الثانى : أوراد ، وأذكار فتوحية..١١٩

المطلب الأول : العهد ، والورد الصوفى...١١٩

المطلب الثانى : أوراد العصبة الهاشمية...١٣٠

الفصل الثانى : دوره الاجتماعى ، ومسجده ، وساحته...١٤٨

المبحث الأول : الدور الاجتماعى ، والوطنى ١٤٨

المطلب الأول : الإصلاح بين الناس ، والمشاركة الشعبية...١٥٢

المطلب الثانى : الدور الوطنى لإمامنا العربى...١٦٥

المبحث الثانى : مسجده ، وساحته..١٨٦

المطلب الأول : إقامة مسجد الإمام على ـ كرم الله وجهه.. ١٨٧
المطلب الثانى : تشييد ساحة الإمام على ـ كرم الله وجهه.. ١٩٦
الباب الثالث : مقام ، ومرتبة ختم الأولياء ٢٠٦
الفصل الأول : مرتبة الختم ، والرد على منكريها ٢٠٦
المبحث الأول : مرتبة ختم الأولياء.. ٢٠٧
المطلب الأول : المقام ، والمرتبة الصوفية.. ٢٠٧
المطلب الثانى : ختم الأولياء في عيون الصوفية.. ٢١٥
المبحث الثانى : الرد على منكرى ختم الأولياء ٢٢٧
الفصل الثانى : الختم العربى ٢٤٥
المبحث الأول : الإمام العربى خاتم الأولياء.. ٢٤٥
المبحث الثانى : شواهد المرتبة الختمية في الإمام العربى.. ٢٥٨
الباب الرابع : علوم خاتم الأولياء ٢٧٤
الفصل الأول : فرائد في التأويل ، وتبرك ودعاء ٢٧٤
المبحث الأول : علوم الختم ، وفرائد تأويله.. ٢٧٥
المطلب الأول : العقل ، والعلم في ميزان الختم.. ٢٧٥
المطلب الثانى : فرائد في التأويل.. ٢٨٧
المبحث الثانى : تبرك ودعاء لختم الأولياء.. ٣١٢
الفصل الثانى : كراماته ، ومحنته ، ووفاته ، ونصائحه ٣٢٨
المبحث الأول : كراماته ، ومحنته.. ٣٢٨
المطلب الأول : كراماته.. ٣٢٨
المطلب الثانى : محنته ٣٤١
المبحث الثانى : وفاته ، ونصائحه.. ٣٥٢
المطلب الأول : وفاته ، وضريحه.. ٣٥٢
المطلب الثانى : مناجاته ، وحكَمه ، ونصائحه.. ٣٧٢